یہ کتاب

اپنے بچوں کے لیے scan کی بیرونِ ملک مقیم ہیں

مومنین بھی اس سے استفادہ حاصل کر سکتے ہیں۔

منجانب۔



سبیلِ سکینہ

یونٹ نمبر ۸ لطیف آباد حیدر آباد پاکستان





۷۸۶
۱۱۰-۹۲
یا صاحب الزماں ادرکنیؑ

DvD Version

لبیک یا حسینؑ

خصوصی تعاون: نذر عباس
رضوان رضوی

اسلامی کتب (اردو) DVD

ڈیجیٹل اسلامی لائبریری ۔

www.ziaraat.com

SABIL-E-SAKINA
Unit#8,
Latifabad Hyderabad
Sindh, Pakistan.
www.sabeelesakina.page.tl
sabeelesakina@gmail.com

أخبار اليوم
قطاع الثقافة

السيرة النبوية

لابن إسحاق

المجلد الأول

سيرة النبوية
محمد بن إسحاق
١٥١ هجري



NOTE:
THESE BOOKS ARE
SCANNED FOR OUR
CHILDREN KNOWLEDGE.
THANK TO BROTHER
NASIR UDDIN ARIF
TALIB DUA

NAZAR + AHMAD ALI



دار أخبار اليوم
قطاع الثقافة

جمهورية مصر العربية
٦ ش الصحافة القاهرة
تليفون وفاكس : ٥٧٩٠٩٣٠

تقــــديــم

هذه طبعة جديدة للسيرة النبوية الشريفة .. التى كتبها محمد بن إسحاق المطلبى الشهير بابن إسحاق المتوفى سنة ١٥١ هجرية .. وهى أصدق وأصح الطبعات وأكثرها شمولا .. وتجمع لأول مرة سيرة بن إسحاق كاملة من المخطوطات وبطون الكتب الأمهات .

ويقدم قطاع الثقافة فى دار أخبار اليوم هذه الطبعة الجديدة فى مجلدين يصدران تباعا..

والله ولى التوفيق .

الطبعة الأولى
١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

المجلد الأول

السيرة النبوية

لابن إسحاق

حقق أصولها ووثق نصوصها وكتب مقدمتها
وعلق عليها وضبط ألفاظها ووضع فهارسها

طه عبد الرؤوف سعد
من علماء الأزهر الشريف

بدوى طه بدوى
محقق فى التراث الإسلامى

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــداء

الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ، والصلاة والسلام عليك سيدى يا رسول الله ، يا من بلَّغتَ الرسالة وأديتَ الأمانة ، ونصحتَ الأمة وتركتنا على المحجَّة البيضاء .

سيدى يا رسول الله ، كلما ادلهمَّت ظلمات الأنفس ، واضطربت سكينة الأفئدة ، وضاقت فجاج الأرض بما رحبت ، تتطلع القلوب المؤمنة إلى رحمة الله وتترقرق فى العيون دموع الرجاء ، وتختلج فى الصدور زفرات الندم ، وإذا بشعاع الأمل يشرق بسنا طلعتك فيهدى الحيارى مثلما اهتدت البشرية من قبل عند ما نظرت الدنيا ترقب الأمل المشرق فى سمائها ، فتهادت أضواؤه تهادى الرجاء فى القلوب الحائرة ، وشع لألاؤه فارتسمت على صفحة الكون صورة الجلال ، وسُـــطر فى أفق الحياة اسم محمد بن عبد الله ، وأقبل الروح الأمين بهدية الســـماء إلى العالمين : ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم** ﴾ .

سيدى يا رسول الله ... إن العالم اليوم أحـــوج ما يكون إلى النظر فى سيرتك ، وما أشد حاجة المسلمين اليوم إلى الأسوة الحسنة فى روعة شخصيتك والاقتداء بما تركته بين أيدينا حتى لا تجرفنا تيارات الضلال ونزغات الهوى .

فهل تأذن لنا يا سيدى يا رسول الله يا خير مرسل ويا أفضل الخلق أن نقف ببابك ونجول بنظرنا وفكرنا فى جنبات سيرتك ومغازيك ، نبغى الهداية والعبرة والموعظة الحسنة ، ونُهدى هذه الطبعة من (سيرة ابن إســـحاق) إليك ســـيدى أبا القاسم ، يا علم الهدى ونبى الرحمة لعلها تكون يوم الحساب نورًا لنا على الصراط المستقيم .

طه عبد الرءوف سعد — بدوى طه بدوى

من علماء الأزهر الشريف — محقق فى التراث الإسلامى

بسم الله الرحمن الرحيم

« مقدمة فى علم السيرة »

الحمد لله المنعم الأعظم ، والصلاة والسلام على النبى الأكرم ، رسول الهدى ونبى الرحمة ، وخير خلق الله أجمعين وشفيع أمته يوم الدين .

هذا رسول الله هذا المصطفى ‏ ‏ ‏ ‏ هذا لكل العالمين رســـــول

أما بعد :

فمما لا شك فيه أن دراسة سيرة النبى ﷺ ومعرفة جوانب شخصيته أمر ضرورى لكل مسلم ؛ فبها نتمكن من فهم أحكام ديننا ومعرفة سنة نبينا ﷺ وأفعاله فى حياته ، وما يتعلق بالدين والدنيا ؛ ولكى نتخذ من سيرته العطرة القدوة الحسنة والعبرة والعظة ؛ لأن صاحبها هو المثل الأعلى فى كل شىء وصـــدق حين قال : « **أدّبنى ربى فأحسن تأديبى** » .

وعلى هذا فإن أعظم الكتب التى عنيت بسيرة أعظم العظماء ﷺ هـــو كتاب « **سيرة ابن إسحاق** » الذى بين أيدينا نُحققه ونقدِّم له - وهو من أقدم كتب السير الجامعة وأهمها .

ويُعتبر الكتاب بحق إنجازا رائعا حققه ابن إسحاق فى مجال إنشاء الكتابة التاريخية ، كما أن مادته غنية جدا وحوت كل ما تجمـــع لدى العرب المسلمين من أخبار .

فالكتاب إذن من أوائل أمهات المراجع وأهمها فى السيرة النبوية العطرة ، ومن هنا كانت أهمية تحقيقه وشرحه .

ونحمد الله عز وجل أن وفقنا لهذه المهمة العظيمة ، وأن نزيد على روايات الكتاب الأصلية روايات لابن إسحاق من سيرة ابن هشام الذى استشهد بها أيضا من أكثر من مخطوطة وما تناثر فى بطون بعض الكتب كالأحكام السلطانية للماوردى وكتاب ريحان المروج وغيرها وذلك لنجمع روايات ابن إسحاق كلها فى كتاب واحد - الذى بأيدينا الآن - كما وفقنا الله لوضع عناوين فرعية داخل الموضوعات ؛ وذلك حتى تعم الفائدة ويعم النفع .

ونسأل الله العظيم أن نكون قد وفّينا هذا الكتاب حقه ، وأن يجعل هذا العمل المتواضع خالصًا لوجهه الكريم وفى ميزان حسناتنا وحسنات من قرأه فعمل به واتخذ من الرسول الأسوة الحسنة ، وأن يجعلنا من المقبولين إنه نعم المولى ونعم النصير ، والحمد لله رب العالمين ·

*** مفهوم السيرة**

يراد بسيرة رسول الله ﷺ التعرف على حياته منذ ظهور الإرهاصات التى مهّدت لرسالته ، وما سبق مولده من سمات تلقى أضواء رحمانية على طريق الدعوة المحمدية ، ومولده ونشأته حتى مبعثه وما جاء بعد ذلك من دعوة الناس إلى الدين الحنيف ، وما لقى فى سبيل نشر الإسلام من معارضة ، وما جرى بينه ﷺ وبين من عارضوه من صراع بالقول والسيف ، وذكر من استجاب له حتى علت راية الحق وأضاءت شعلة الإيمان ·

*** التأريخ عند العرب والمسلمين**

إن مفهوم التأريخ عند العرب يتضح فيما جاء فى روايات الأنساب من ذكر لبعض أحداث وقعت وورد ذكرها فى ثنايا حديث النسّابين ، ولعل هذه الفترة قد سبقت مطلع فجر الإسلام ، وإن كانت قد تجلت بصورة أوضح فى مبدأ الدعوة وإن كان قد بدا لنا أن أحدًا من الصحابة لم يعن بجمع الأخبار فذلك لأنهم كانوا مشغولين بالجهاد ، والفتوح ، والذى التفت إلى هذا هم فريق من التابعين الذين كانوا يعتمدون فى جمع مادتهم على سؤال من شاهدوا الغزوات من الصحابة ومَن صاحب الأحداث التى وقعت للمسلمين فى عهد صاحب الرسالة ﷺ ·

لكن الشكل التقليدى للتأريخ فى أبسط صوره ظهر على تلك الصورة فى العصر الأموى ، غير أن مؤرخى بنى أمية لم يعنهم من التاريخ إلاّ ما دعتهم إليه أسباب المحافظة على أركان الدولة من ثناء وإطراء بمن اشتهر منهم أو تحقيق لرواية نسب من الأنساب يكون فيها صالح لدولتهم · وإن كان الدافع إلى ذلك فى أغلب الأحيان هو الرغبة فى العطاء ، ومما يؤسف له أنه لم يصل إلينا من هذا التاريخ شىء مجموع إلا ما تناثر فى بطون بعض كتب الأدب نقلا عن الرواة ، وقد يرجع ذلك إلى أسباب الاضطرابات والفتن فى عصر بنى أمية ، ولعل العباسـيين قد تعمدوا إزالة آثار

الأمويين ، أو لعل الناس قد هجرت تلك الكتب وأهملتها مجاملة لرأى بنى العباس . على أن التاريخ الإسلامى فى حقيقة أمره لم يتمهد له السبيل إلا فى العصر العباسى حيث ظهرت بوادر التآليف فى التواريخ العامة والخاصة . والحق أن أول كتاب على الإطلاق ظهر وفيه لمحات تاريخية هو « القرآن الكريم » . كتاب رب العالمين ، وقد تجلى ذلك فى استخراج العبرة من بعض الحوادث التى وردت فى آيات الله البينات .

وعندما أخذ علماء الإسلام فى جمع القرآن الكريم وتفسيره ، وجمع الأحاديث وجدوا أنفسهم فى حاجة إلى تحقيق أماكن نزول الآيات وإيضاح حقائق الأحداث التى جرت وكذلك بالنسبة لجمع الأحاديث ، فكان لابد من الرجوع إلى السيـــرة النبوية أولا ؛ لأنها المنبت الخصب لذلك كله ، والمرجع الصادق فى هذا الشأن .

*** منهج السيرة**

ابتدأت السيرة عند المسلمين عمومًا بسرْد نسب النبى ﷺ وقد تطلب هذا إشارة إلى أنساب بعض أخيار العرب وأفاضلهم وذكر أخبارهم فى الجاهلية وعاداتهم وتقاليدهم وعباداتهم ، وذكر الأحداث الهامة التى وقعت بينهم كإعادة حفر بئر زمزم على يد عبد المطلب بن هاشم ، ومولد الرسول ﷺ ونشأته ومبعثه ومن استجاب لدعوته وآمن برسالته ، وما لقيه النبى ﷺ فى سبيل نشر الدعوة من أذى وتعنت وما قاساه من نصب وإرهاق ، وما عاناه المؤمنون من إيذاء الكفار لهم ، وهجرتهم الأولى والثانية إلى الحبشة فراراً بدينهم ، وعرض رسول الله نفسه على قبيلة ثقيف وغيرها من القبائل ليؤمنوا به ويتبعوا النور الذى أنزل معه ، حتى كان حُسن طالع أهل يثرب أن شرح الله صدورهم للإيمان بدعوة رسوله فهاجر إلى المدينة هو والذين آمنوا معه ، وكذلك ذكر ما وقع فى المدينة بين الرسول وبين اليهود من مفاوضات ومحادثات ومعاهدات نقضوها فدارت عليهم دائرة السوء وتطهرت منهم أرض يثرب وأعز الله المسلمين .

ومن المدينة المنورة انطلقت جحافل جيوش المسلمين تدعو إلى الحق وترفع لواء الإيمان ، ومنها أرسلت الوفود تنادى بالسلام إلى الإسلام فجاء نصر الله والفتح ودخل الناس فى دين الله أفواجًا .

وبعد ذلك توالت أخبار أزواج النبى ثم مرض الرسول وتمريضه فى بيت عائشة

رضى الله عنها . وانتقاله إلى الرفيق الأعلى ، وأمر ثقيفة بنى ساعدة ، واتفاق رأى المسلمين على اختيار الصدّيق خليفة لرسول الله وما كان من أمر تجهيز الرسول عليه السلام ودفنه ورثاء حسان له .

*** الروّاد الأوائل من كُتاب السِّير**

لقد عنى بكتابة السيرة كثير من الرواة والمؤرخين والعلماء ، ومن بين الأسماء الكثيرة التى عنيت بكتابة وجمع السيرة ما يلى :

- عروة بن الزبير بن العوام ، المتوفى سنة ٩٣ هـ .
- أبان بن عثمان بن عفان ، المتوفى سنة ١٠٥ هـ .
- شرحبيل بن سعد ، المتوفى سنة ١٢٣ هـ .
- ابن شهاب الزهرى ، المتوفى سنة ١٢٤ هـ فى كتابه « المغازى »
- عبد الله بن أبى بكر بن حزم ، المتوفى سنة ١٣٥ هـ .
- موسى بن عقبة ، المتوفى سنة ١٤١ هـ فى كتابه « المغازى » أيضًا .

وفى مكتبة برلين نسخة بهذا الاسم جمعها يوسف بن محمد بن عمر تشتمل على الغزوات النبوية . ومنها قطعة منتخبة طبعت فى أوربا سنة ١٩٠٤ م .

- معمر بن راشد ، المتوفى سنة ١٥٠ هـ .
- محمد بن إسحاق بن يسار ، المتوفى سنة ١٥١ هـ ، وكتابه الذى بين أيدينا الآن وهو المسمى بـ « **السِّير والمغازى** » .
- زياد بن عبد الله البكّائى ، المتوفى سنة ١٨٣ هـ .
- الواقدى صاحب كتاب « المغازى » المتوفى سنة ٢٠٧ هـ .
- أبو محمد عبد الملك بن هشام ، الشهير بـ « ابن هشام » صاحب كتاب « السيرة النبوية » المتوفى سنة ٢١٣ هـ .
- محمد بن سعد صاحب كتاب « الطبقات » المتوفى سنة ٢٣٠ هـ .

*** شُرّاح السيرة**

ولقد تناول السيرة بعد ابن هشام - فريق ممن شرح الله صدورهم للإيمان والعلم

بما فى سيرة سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام ، من نور يهدى به الله عباده الذين اتبعوا رضوانه سبل السلام ، فقام هؤلاء بتناول السيرة بالشرح والتوضيح والتحقيق أو الاختصار أو التهذيب ، ونخص بالذكر من هؤلاء :

● **السهيلى (٥٠٨ / ٥٨١ هـ) .**

أما السهيلى ، فهو الذى قام بشرح سيرة ابن هشام فى كتابه : « **الروض الأنف** » ومنهجه كما جاء فى مقدمة كتابه ما يلى : « إيضاح ما قع فى سيرة ابن إسحاق التى لخصها عبد الملك بن هشام من لفظ غريب ، أو إعراب غامض ، أو كلام مستغلق ، أو نسب عويص ، أو موضع فقه ينبغى التنبيه عليه أو خبر ناقص يوجد السبيل إلى تتمته .... » ، ولا يسعنا هنا فى هذه العجالة أن نؤرخ لهذه الشخصية الفذة ، ومن أراد ذلك فعليه الرجوع إلى كتاب « الروض الأنف تحقيق طه عبد الرءوف سعد » .

● ثم أبا ذر الخشنى (٥٣٥ / ٦٠٤ هـ) وهو مُصعب بن محمد بن مسعود ابن عبد الله بن مسعود الجيَّانى الخُشني ، كان عالماً بالعربية والحديث وعارفًا بالآداب واللغات ، وأحد من قرض الشعر وكان له ناقدًا ، وكان طويل الباع فى معرفة أخبار العرب وأحداثها وأشعارها وهو صاحب كثير من المؤلفات المشهورة وأهمها كتابه فى شرح الغريب من سيرة ابن إسحاق .

* **نسخ وطبعات السيرة رواية ابن هشام .**

إن النسخ المخطوطة من السيرة كثيرة ، ويوجد أغلبها فى معظم مكاتب أوربا ، وهناك نسخة ناقصة بالمكتبة التيمورية ، أما النسخه الأصلية رواية ابن إسحاق فقد كان « كربسيك Karabacek » يظن أنه عثر على ورقة منها بين مجموعة البردى الخاصة بالأرشيدوق « رينر Rainer » والمحفوظة فى مكتبة مدرسة كوبريلى باستانبول (دفتر ١١٤٠) ولكن ظهر أنها نسخة من سيرة ابن هشام ، ونحن نؤكد أن كتاب المغازى والسِّير لابن إسحاق « سيرة ابن إسحاق » باقيًا حتى اليوم فى بطون الكتب مثل ما جاء فى كتاب الماوردى « الأحكام السلطانية » وفى الفقرات التى أوردها الطبرى فى تاريخه أيضا فى بعض المخطوطات الناقصة .

١ - طبعة جوتنجن - وهى أصحها - بألمانيا سنة ١٨٦٠ م بعناية المستشرق وستنفيلد فى مجلدين ، مضبوطة بالشكل اللازم ، وألحقها بجزء ثالث فيه تعاليق وملاحظات وفهارس . وفى صـــدره ترجمة ابن إســـحاق نقلا عن ابن قتيبة

وابن خلكان وابن النجار ، ونقل عن كتاب عيون الأثر لابن سيد الناس اليعفرى من أهل القرن الثامن للهجرة ما قيل فى ابن إسحاق ومناقبه وما قيل فى الطعن فيه والرد على الطعن ، وغير ذلك من الفوائد الكثيرة .

٢ - طبعة بولاق فى ثلاثة أجزاء سنة ١٢٩٥ هـ .

٣ - المطبعة الخيرية فى مصر فى ثلاثة مجلدات سنة ١٢٢٩ هـ .

٤ - طبعة ليبزج سنة ١٩٠٠ م .

٥ - طُبعت على هامش كتاب « الروض الأُنف » بمطبعة الجمالية سنة ١٣٣٢هـ.

٦ - طبعت على هامش كتاب « زاد المعاد فى هدى خير العباد » سنة١٣٣٣هـ.

٧ - طبعت فى شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبى وأولاده طبعتين : الأولى سنة ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م ، والثانية سنة ١٢٧٥ هـ - ١٩٥٥ .

٨ - طبعت فى مطبعة حجازى للمكتبة التجارية سنة ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م .

وها نحن نجمع سيرة ابن إسحاق من المخطوطات التى وقعت لنا ولكنها - ناقصة فأكملناها من بطون بعض الكتب التى ذكرناها وما لم نجده أخذناه من سيرة ابن هشام والتى رواها عن ابن إسحاق حتى جاء كتابنا هذا أشمل مجموع للسير والمغازى (سيرة ابن إسحاق) والله الموفق إلى سواء السبيل .

* * *

ترجمة محمد بن إسحاق صاحب السيرة
٨٥ - ١٥١ هـ

١ - نسبه ونشأته

● كنيته أبو عبد الله ، وقيل أبو بكر ، محمد بن إسحاق بن يسار بن جبار ، وقيل : ابن يســار بن كونان ، وفى « عيون الأثر » يقول ابن سيد الناس : هو محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار ، ويقال : ابن يسار بن كوثان المدينى .

● كان جده يسار أول سبى دخل المدينة من العراق ، حيث سباه خالد بن الوليد وأسره عام ١٢ هـ . ٦٣٣م فى كنيسة بعين التمر (وهى بلد قرب الأنبار بالعراق) وأصبح من موالى قبيلة عبد الله بن قيــس بن مخـرمة بن المطلب بن عبد مناف القرشى ، ومن ثَم فيقال : يسار المطلبى بالولاء ، المدنى بالمُقام .

● وفى المدينة شب محمد بن إسحاق وكرَّس جهده لجمع الأخبار والقصص المتعلقة بحياة النبى ﷺ . وكان له أخــوان من رواة الحديــث هما : عُمر ، وأبو بكر .

٢ - أساتذته

رأى ابن إسحاق أنس بن مالك - مفتى المدينة وإمام دار الهجرة وصاحب الموطأ فى الفقه - وسعيد بن المسيَّب ، وسمع القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق ، وأبان بن عثمان بن عفان ، ومحمد بن على بن الحســن بن على بن أبى طالب ، وأبا سلمة بن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، ونافعًا مولى ابن عمر ، والزهرى وغيرهم وتعلم منهم جميعًا .

٣ - تلامذته

كما كان لابن إسحاق أساتذة عظماء كان له تلاميذ عظماء وأئمة علماء حدَّثوا عنه منهم : يحيى بن سعيد الأنصارى وسفيان الثورى ، وابن جريج وشعبة ، والحمادان ، وإبراهيم بن سعد ، وشريك بن عبد الله النخعى ، وسفيان بن عيينة ومن بعدهم من الحفَّاظ والعلماء .

كما كان لابن إسحاق تلامذة حفظوا روايته « رواية سيرته » وتناقلوها وهم الرواة الثقات : يونس بن بُكير المتوفى سنة ١٩٩ هـ ، وزياد بن عبد الله البكّائى ، المتوفى سنة ١٨٣ هـ ، ومحمد بن سلمة الحرانى المتوفى سنة ١٩١ هـ .

٤ - مكانة ابن إسحاق وثناء العلماء عليه

محمد بن إسحاق ثَبْتٌ فى الحديث عند أكثر العلماء ، ولا تُجهل إمامته فى المغازى والسِّير ، فهو رئيس أهل المغازى والسِّير .

- قال ابن شهاب الزهرى : من أراد المغازى فعليه بابن إسحاق .
- ذكره البخارى فى تاريخه مثنيًا عليه .
- قال الشافعى ﷺ مثنيًا على ابن إسحاق : من أراد أن يتبحر فى المغازى فهو عيال على ابن إسحاق .
- قال شعبة بن الحجاج : ابن إسحاق أمير المؤمنين فى الحديث .
- ذكر الساجى أن أصحاب الزهرى كانوا يلجأون إلى ابن إسحاق فيما شكُّوا فيه من حديث الزهرى ، ثقة منهم بحفظه .
- حكى عن يحيى بن مَعين والإمام أحمد بن حنبل ويحيى بن سعيد القطان أنهم وثّقوا محمد بن إسحاق واحتجوا بحديثه .
- قال عنه المرزبانى : محمد بن إسحاق أول من جمع مغازى رسول الله ﷺ وألّفها .

٥ - مؤلفاته

يبدو أن ابن إسحاق كان قد دوّن سيرة النبى ﷺ فى كتابين :

١ - « كتاب المبتدأ » أو « مبتدأ الخلق » أو « كتاب المبدأ وقصص الأنبياء » وهو تاريخ النبى حتى الهجرة ، ورواه عنه إبراهيم بن سعد ، ومحمد بن عبد الله بن نمير النفيلى المتوفى فى سنة ٢٣٤ هـ .

٢ - « كتاب المغازى » وهو الذى بين أيدينا الآن - وهو أهم مؤلفاته ولعل هذا الكتاب هو الذى اعتمد عليه الماوردى فى كتابه « الأحكام السلطانية » والحق أن الفائدة ستكون كبيرة فى هذا الكتاب - الذى بين يديك الآن - عزيزى القارئ ؛ الذى جمع النسخة الأصلية بالإضافة إلى كل ما رواه ابن إسحاق فى سيرة ابن هشام وزائدًا ومكمِّلا للنسخة الأصلية لسيرة ابن إسحاق ، وبذلك تكون السيرة النبوية لابن إسحاق كاملة فى كتاب واحد تضم سيـــرة الرسول ﷺ كاملة وتنشر لأول مرة بحمد الله .

ولابن إسحاق مؤلف آخر هو :

« كتاب الخلفاء » وقد رواه عنه الأموى ، وقد كان لظهور كتاب « المغازى » أثره على شهرة هذا الكتاب ، فيبدو أنه قلل من شأنه وأطفأ من بريقه ·

٦ - رحلات ابن إسحاق طلبًا للعلم

حدث أن اصطدم ابن إسحاق بعالم المدينة وأستاذه إمام دار الهجرة الإمام مالك ابن أنس ، فترك ابن إسحاق وطنه « المدينة » ورحل إلى مصر واستقر بها فترة ثم رحل إلى العراق « الكوفة » ولما كان مع العباس بن محمد بالجزيرة سمع منه أهلها ، وكان قد أتى أبا جعفر المنصور بالحيرة فكتب إليه « المغازى » فسمع منه أهل الكوفة ، وذهب إلى « الرَّىِّ » (وهى مدينة بخراسان) فسمع منه أهلها كذلك ، فرواته من هذه البلدان أكثر ممن روى عنه من أهل المدينة ، ثم رحل بعد ذلك إلى بغداد فأقام بها إلى أن لقى ربه ·

٧ - تقسيم سيرة ابن إسحاق

يبدو أن ابن إسحاق كان قد صنَّف جزءًا كبيرًا من السيرة قبل أن يغادر المدينة المنوَّرة ، وصنَّف جزءًا آخر فى الكوفة عندما نزل بها وحدَّث عنه كوفيون كثيرون ، وصنَّف جزءًا ثالثًا فى بغداد عندما انتقل إليها وحدَّث عنه بها كثير أيضًا ·

ولتصبح سيرة ابن إسحاق أقسام ثلاثة :

الأولى : من العهد المدنى ·

الثانية : من العهد الكوفى ·

الثالثة : من العهد البغدادى ·

٨ - لماذا كتب ابن إسحاق السيرة ؟

يرجع الفضل فى كتابة جزء من سيرة ابن إسحاق إلى الخليفة العباسى المنصور وذلك أن المنصور كلَّف ابن إسحاق بملازمة ابنه المهدى ، فلازمه ابن إسحاق وصحبــه طويلاً ، وكان يسافر معه ، وسافر معه إلى خراسان حيث حدَّث ابن إسحاق هناك بمدينة (الرىِّ) وأملى على من يكتبون وحدَّث عنه كثير من أهلها ·

وبأمر من الخليفة المنصور كُلِّف ابن إسحاق أن يصنِّف السيرة النبوية ، فكتبها

ابن إسحاق ، وسمَّاها « كتاب السِّير والمغازى » ولما اطَّلع عليها الخليفة المنصور طلب منه بعض التعديلات وهو التركيز على دور العباس بن عبد المطلب .

٩ - انتقادات لابن إسحاق والرد عليها .

• قال الشاذكانى : كان محمد بن إسحاق بن يسار يتشيع وكان قدريا ، وقال أحمد بن يونس : أصحاب المغازى يتشيعون كابن إسحاق وأبى معشر .

ورد على ذلك ابن سيد الناس فى « عيون الأثر » بقوله : أما ما رمى به ابن إسحاق من القدر والتشيع فلا يوجب رد روايته ولا يوقع فيها كبير وهن .

• ولقد طعن الإمام مالك فيه - مرة واحدة - وذلك أن ابن إسحاق كان يزعم أن مالكًا من موالى ذى أصبح ، وكان مالك يزعم أنه من أنفسها ، فوقع بينهما مفاوضة ، فلما صنَّف مالك « الموطأ » قال ابن إسحاق : ائتونى به فأنا بيطاره (أى طبيب بعلله) فبلغ ذلك مالك فقال : دجال من الدجاجلة يروى عن اليهود ، وحدث بينهما خلاف فعزم ابن إسحاق على الخروج إلى العراق ؛ ولم يكن مالك يقدح فيه من أجل الحديث ولكنه كان ينكر عليه تتبعه غزوات النبى ﷺ من أولاد اليهود الذين أسلموا وحفظوا قصة خيبر وقريظة والنضير وغير ذلك من الغرائب عن أسلافهم ، والحق أن ابن إسحاق ما كان فى تتبعه لذلك إلا ليزداد معرفة من غير أن يحتج برأيهم . وقد صالح الإمام مالك ابن إسحاق قبيل خروجه للعراق وأعطاه عند وداعه خمسين دينارًا ونصف ثمرته تلك السنة وقال فى حقه خيرًا لأنه لم يكن بالحجاز أحد أعلم بأنساب الناس وأيامهم من ابن إسحاق .

• ومن الانتقادات التى وُجِّهت لابن إسحاق أيضا روايته عن فاطمة بنت المنذر ابن الزبير وهى زوج هشام بن عروة بن الزبير .

يروى أن هشامًا ذكره فقال : العدو لله الكذاب يروى عن امرأتى ؟! من أين رآها ؟! والحق أن هذا ليس بمستنكر ، فقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يروون عن أزواجه فما منع ذلك أحد . وقد يكون ابن إسحاق استأذن عليها فأذنت له فروى عنها من وراء ستار ، أو كان معهما محرم وهى محجبة ، أو لعل هشام بن عروة لم يقل ذلك أصلاً ، وهذا الكلام مفترى على ابن إسحاق وهشام .

١٠ - وفاته وكم كان عمره

● توفى ابن إسحاق ببغداد سنة ١٥١ هـ وقيل : سنة ١٥٠ هـ أو ١٥٢ هـ ، أو ١٥٣ هـ ، والأول أصحها .

● وكان عمره - رحمه الله - ٦٦ عامًا .

دُفن - رضوان الله عليه - فى مقبرة باب الخيزران عند قبر أبى حنيفة بالجانب الشرقى ، وهى منسوبة إلى الخيزران أم هارون الرشيد ؛ لأنها مدفونة بها .

* * *

● وأخيرًا فإن كان هذا المؤرخ العظيم قد مات ، فإنه لا يزال حيًا بعلمه ورواياته وكتابه « المغازى » لأن الميت من مات ذكره ، وسيزال حيًّا ما دامت سيرته باقية تحكى سيرة خير الخلق .

وصدق الشاعر إذ يقول :

موتُ المحبِّ حياة لا انقطاعَ لها　　　قد ماتَ قومٌ وهم فى الناس أحياء

والحمد لله رب العالمين على إتمام هذا العمل الذى أخذ من الجهد أعواما والصلاة والسلام على نبيه الأمين وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما كثيرًا ، ونسأل الله أن يتقبل هذا العمل الكريم ويجعله سببًا لشفاعة النبى الأمين لنا يوم الدين ورحمة لنا ولوالدينا وأساتذتنا العلماء المستنيرين . اللهم آمين .

* * *

المحقّقان

طه عبد الرءوف سعد

بدوى طه بدوى

غرة رجب ١٤١٨ أول نوفمبر ١٩٩٧

مراجع المقدمة والترجمة

١ - الأعلام	قاموس تراجم لخير الدين الزركلى
٢ - بُغية الملتمس	الضبى
٣ - بُغية الوعاة	للسيوطى
٤ - تاريخ آداب اللغة العربية	جورجى زيدان
٥ - تاريخ الأدب العربى	لكارل بروكلمان
٦ - تاريخ بغداد (مدينة السلام)	للحافظ أبى بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى ٤٦٣ هـ .
٧ - تراث الإنسانية (سلسلة)	المجلد الأول العدد العاشر
٨ - دائره المعارف الإسلامية	
٩ - الروض الأُنف	للسهيلى
١٠ - ضحى الإسلام	أحمد أمين
١١ - عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير	لابن سيد الناس
١٢ - الفهرست	لابن النديم
١٣ - المطرب من أشعار أهل المغرب	لابن دحية
١٤ - معجم الأدباء	ياقوت الحموى
١٥ - النجوم الزاهرة	لابن تغرى بردى
١٦ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان	لابن خِلكان

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

ذكرُ سَرد النَّسَب الزَّكى (١)

من محمد صلى الله عليه وسلم إلى آدم عليه السلام

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب واسم عبد المطلب - شَيْبَة - بن هاشم واسم هاشم - عمرو - بن عبد مَنَاف - واسم عبد مَناف المُغِيْرَةُ - بن قُصىٍّ بن كلاب بن مُرة بن كعب بن لُؤَى بن غالب بن فهر بن مالك بن النَضر ، بن كنانة بن خُزَيمة بن مُدْرِكة - واسم مدركة عامر - بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أُدٌّ ويقال أُدَد - بن مُقَوَّم بن ناحور بن تَيرح بن يعرب بن يَشْجُب بن نابت بن إسماعيل ابن إبراهيم - خليل الرحمن - بن تارح - وهو آزر - بن ناحُور بن ساروغ بن راعو ابن فالخ بن عَيْبَر بن شالخ بن أرْفَخْشَذ بن سام بن نوح بن لَمْك بن مَتُّوشَلَخ بن أَخنُوخ ، وهو إدريس النبى - فيما يزعمون والله أعلم - وكان أول نبى أُعطى النبوة وخَطَّ بالقلم - بن يَرْد بن مَهْليل بن قَيْنن بن يانَش بن شيث بن آدم - عليه السلام -

قال ابن إسحاق : هذا الذى ذكرت من نَسب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى آدم عليه السلام وما فيه من حديث إدريس وغيره .

* * *

(١) كل ما رجعنا إليه من مخطوطات « سيرة ابن إسحاق » وجدناه بدأ بحفر زمزم ، فأوردنا الناقص من سيرة ابن هشام مما ذكره ابن إسحاق ورواه ابن هشام فى سيرته ، وذلك من أول ذكر سرد النسب الزكى إلى حفر زمزم لتتم الفائدة ، وتكون سيرة ابن إسحاق كاملة تامة .

سِيَاقَةُ النَّسَبِ من وَلَدِ إسماعيل عليه السلام

*** أولاد إسماعيل – عليه السلام ، ونسب أمهم :**

قال ابن إسحاق :

وَلَد إسماعيل بن إبراهيم – عليهما السلام ، اثنى عشر رجلاً : نابتًا ، وكان أكبرهم وقَيْذرُ ، وأَذْبُلَ ، ومبشار ، ومِسْمَعًا ، وماشى ، ودَما ، وأذر ، وطيما ويَطُور . ونَبش ، وقَيْذَمًا ، وأمهم رَعْلَة بنت مُضَاض بن عمرو الجرهمى [١] .

*** عُمْرُ إسماعيل – عليه السلام – ووفاته :**

قال ابن إسحاق :

وكان عُمْرُ إسماعيل – فيما يَذْكُرون – مائةَ سنة وثلاثين سنة . ثم مات – رحمة الله وبركاته عليه – ودفن فى الحِجْرِ [٢] مع أُمِّه هَاجر [٣] رحمهم الله تعالى .

*** حديث الوصاة بأهل مصر وسببها :**

قال ابن إسحاق :

حدَّثنى محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزُّهرى : أن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصارى ، ثم السُّلَمى حدَّثه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا افتتحتُم مِصْرَ ، فاستوصوا بأهلها خيرًا ، فإن لهم ذِمَّةً ورَحِمًا » فقلت لمحمد بن مسلم الزهرى : ما الرحمُ التى ذكر رسول الله ﷺ ؟

فقال : كانت هَاجَرُ أمُّ إسماعيلَ منهم .

قال ابن إسحاق : عَادُ بن عَوص بن إرم بن سَام بن نوح ، وثَمود وجَديس ابنا عابر بن إرَم بن سام بن نوح ، وطَسْمٌ وعملاق وأميم بنو لاوذ بن سام بن نوح عَربٌ كلهم ، فوَلَدَ نَابتُ بن إسماعيل : يَشْجُب بن نابت ، فولد يَشـجب: يَعرب بن

(١) ذكر ابن هشام أن مضاض وجرهم من قحطان ، وقحطان أبو اليمن كلها وإليه يجتمع نسبها ، انظر سيرة ابن هشام تحقيق طه عبد الرءوف سعد .

(٢) هو حجر الكعبة .

(٣) السيدة هاجر من أهل مصر .

يشجُب فولدَ يعرب : تَيرح بن يعرب : فولدَ تيرحُ ،ناحور بن تيرح فولد ناحور : مقَوَّم بن ناحور ، فولد مُقوَّم أدد بن مقوم ، فولد أُدَدُ : عدنان بن أدد ٠

* أولاد عدنان :

قال ابن إسحاق :

فمن عَدنانَ تفرقت القبائل من ولد إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام - فولد عدنانُ رجلين : مَعَدَّ بن عدنان ، وعَكٌّ بن عَدنان (١) ٠

* * *

(١) قال ابن هشام : فالعرب كلها من ولد إسماعيل وقحطان ، وبعض أهل اليمن يقول : قحطان من ولد إسماعيل ، ويقول : إسماعيل أبو العرب كلها ٠ انظر سيرة ابن هشام تحقيق طه عبد الرءوف سعد ط دار الجيل بيروت ٠

ذكر نسب الأنصار

قال حسن بن ثابت الأنصارى ، والأنصار بنو الأوس والخزرج ، ابنى حارثة ، ابن ثعلبة ، بن عمرو ، بن عامر ، بن حارثة ، بن امرئ القيس ، بن ثعلبة ، بن مازن ، بن الأسد بن الغوث :

إمّا سألت فإنّا معشر نُجُبٌ　　الأسدُ نسبتُنا والماءُ غسّانُ

وهذا البيت فى أبيات له ·

فقالت اليمن، وبعض عَك، وهم الذين بخراسان منهم: عك بن عدنان بن عبد الله بن الأسد بن الغَوث · ويقال: عدثان بن الذّيث بن عبد الله بن الأسد بن الغوث ·

قال ابن إسحاق : فولد معد بن عدنان أربعة نفر : نزار بن معد ، وقُضاعة بن معد ، وكان قضاعة بكر مَعدٍّ الذى به يُكنَى - فيما يزعمون - وقنصَ بن مَعد ، وإياد ابن معد ·

فأما قضاعة فَتيامنت إلى حِمير بن سبأ - وكان اسم سبأ : عبد شمس - وإنما سمى سبأ ، لأنه أول من سبى فى العرب ، ابن يَشجُب بن يَعرب بن قحطان ·

قُنُصُ بن مَعدٍّ ونسب النعمان بن المنذر :

قال ابن إسحاق : وأما قُنُص بن معد فهلكت بقيتهم - فيما يزعم نُسّاب معد - وكان منهم النعمان بن المنذر مَلك الحيرة ·

قال ابن إسحاق : حدثّنى محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهرى : أن النعمان بن المنذر كان من ولد قُنُص بن معد (١) ·

قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عُتبَة بن المغيرة بن الأخنَس ، عن شيخ من الأنصار من بنى زُرَيق أنه حدثه : أن عمر بن الخطاب ﷺ حين أتى بسيف(٢)

(١) قال ابن هشام : ويقال : قَنَص

(٢) وإنما أتى بهذا السيف حين افتتحت المدائن ، وكانت بها خرائب كسرى وذخائره فأخذت نفائسه من جملتها خمسة أسياف : أحدها : سيف كسرى أبرويز · والثانى سيف كسرى أنوشروان · وثالثها : سيف النعمان بن المنذر كان استلبه منه حين غضب عليه وقتله · ورابعًا : سيف خاقان ملك الترك ، وخامسا : سيف هرقل وكان تصير إلى كسرى أيام غلبته على الروم ·

النعمان بن المنذر ، دعا جُبَير بن مُطْعِم بن عَدِىٍّ بن نَوفل بن عبد مَناف بن قُصَى -

وكان جُبير من أنسب قريش لقريش ، وللعرب قاطبة ، وكان يقول : إنما أخذت النسب من أبى بكر الصديق رضي الله عنه ، وكان أبو بكر الصـديق أنسب العرب - فَسلَّحَهُ إياه ، ثم قال : ممن كان يا جُبير : النعمان بن المنذر ؟ فقال : كان من أشلاء قُنُص ابن معد .

قال ابن إسحاق : فأما سائر العرب فيزعمون أنه كان رجلا من لَخم [1] ، من ولد ربيعة بن نَصْر ، فالله أعلم أى ذلك كان .

* * *

(١) هو لخم بن عدى بن الحارث بن مُرة ، وقيل غير ذلك .

أَمْر عَمرو بن عَامِرٍ فى خروجه من اليمن وقصةُ سد مَأْرب

وكان بسبب خروج عمرو بن عامر من اليمن ، فيما حدثنى أبو زيد الأنصارى ، أنه رأى جُرذا يحفر فى سد مَأرب الذى كان يحبس عليهم الماء فيصرِّفونه حيث شاءوا من أرضهم ، فعلم أنه لا بقاء للسد على ذلك ، فاعتزم على النَّقلة من اليمن ، فكاد قومه ، فأمر أصغر ولده إذا أغلظ له ولطمه ، أن يقوم إليه فيلطمه ، ففعل ابنُه ما أمره به ، فقال عمرو : لا أقوم ببلد لطم وجهى فيه أصغر ولدى ، وعرض أمواله ، فقال أشراف من أشراف اليمن : اغتنموا غَضْبَة عمرو ، فاشتروا منه أمواله ، وانتقل فى ولده وولد ولده ، وقالت الأزد : لا نتخلَّف عن عمرو بن عامر ، فباعوا أموالهم ، وخرجوا معه ، فساروا حتى نزلوا بلاد عك مجتازين يرتادون البلدان فحاربتهم عك ، فكانت حربهم سجالا . ففى ذلك قال عباس بن مرداس البيت الذى كتبنا [(١)] ، ثم ارتحلوا عنهم ، فتفرقوا فى البلدان ، فنزل آل جَفْنَةُ بن عمرو بن عامر : الشامَ ، ونزلت الأوس والخزرج : يثرب ، ونزلت خُزَاعة : مَرًّا ، ونزلت أزد السُّراة : السراة ، ونزلت أزد عمان : عمانَ . ثم أرسل الله تعالى على السد السيل فهدمه ، ففيه أنزل الله - تبارك وتعالى - على رسوله محمد ﷺ : **﴿لقد كان لسبإٍ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور * فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم﴾**[(٢)] .

والعرم : السد ، واحدته : عَرِمة ، فيما حدثنى أبو عبيدة .

قال الأعشى : أعشى بن قيس ، بن ثعلبة ، بن عُكَابة ، بن صعب ، بن على ، بن بكر ، بن وائل ، بن هِنب ، بن أفصى ، بن جديلة ، بن أسد ، بن ربيعة ، بن نزار ، بن معدٍّ .

وفى ذاك للمؤتسى أسوة ... ومأرب عفى عليها العرم
رخام بنته لهم حمير ... إذا جاء مَوَّاره لم يَرِمْ
فأروى الزروع وأعنابها ... على سعة مائهم إذ قسم

---

(١) وهو قوله : وعك بن عدنان الذين تلقبوا ... بغسان حتى طُردوا كل مطرد
(٢) سورة سبأ : ١٥ ، ١٦ .

حَديثُ رَبيعة بن نصر ورؤياه

رؤيا ربيعة :

قال ابن إسحاق : وكان ربيعة بن نصر ملك اليمن بين أضعاف ملوك التبابعة فرأى رؤيا هالته ، وفظع بها ، فلم يدع كاهنًا ، ولا ساحرًا ، ولا عائفًا (١) ، ولا منجما من أهل مملكته إلا جمعه إليه ، فقال لهم : إنى قد رأيت رؤيا هالتنى ، وفظعت بها ، فأخبرونى بها وبتأويلها ، قالوا له : اقْصصها علينا نخبرك بتأويلها ، قال : إنى إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم عن تأويلها ، فإنه لا يعرف تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها ، فقال له رجل منهم : فإن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى سَطِيح (٢) وشقٍّ (٣) ، فإنه ليس أحد مثلهما، فهما يخبرانه بما سأل عنه .

قال ابن إسحاق : فبعث إليهما ، فقدم عليه سَطِيح قبل شق ، فقال له : إنى رأيت رؤيا هالتنى ، وفظعت بها ، فأخبرنى بها ، فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها .

قال : أفعل ؛ « رأيتُ حُمَمَة ، خرجت من ظلمة ، فوقعت بأرض تَهمة ، فأكلت منها كل ذات جُمجمة » (٤) .

فقال له الملك : ما أخطأت منها شيئا يا سَطِيح ، فما عندك فى تأويلها ؟ فقال : أحلف بما بين الحَرَّتين من حنش ، لتهبطن أرضكم الحبش ، فليملكن ما بين

---

(١) العائف : من يزجر الطير .

(٢) وسمى سطيحا : لأنه كان جسما ملقى لا جوارح له ولا يقدر على الجلوس ، إلا إذا غضب انتفخ فجلس . ويذكر أن وجهه فى صدره ، ولم يكن له رأس ولا عنق ويذكر عن وهب بن منبه أنه قال : قيل لسطيح : أنّى لك هذا العلم ؟ فقال : لى صاحب من الجن استمع أخبار السماء . من طور سيناء حين كلم الله تعالى موسى عليه السلام ، فهو يؤدى إلى من ذلك ما يؤديه .

(٣) وسمى بذلك لأنه كان نصف إنسان ، له يد واحدة . ورجل واحدة ، وعين واحدة وولد شق وسطيح فى اليوم الذى ماتت فيه طريفة الكاهنة وهى بنت الخير الحميرية امرأة عمرو ابن عامر فدعت بشق وسطيح قبل أن تموت فتفلت فى فيهما وأخبرت أنهما سيخلفانها فى كهانتها

(٤) الجمجمة : الفحمة المحرقة ، والظلمة : الظلام ، يريد خروج عسكر الحبشة من أرض السودان ، وأرض تهمة أى منخفضة وقوله : « أكلت منها كل ذات جمجمة » ولم يقل : كل ذى جمجمة لأن القصد إلى النفس والنسمة فهو أعم ، ويدخل فيه جميع ذوات الأرواح .

أبين إلى جُرَش (١) ، فقال له الملك : وأبيك يا سَطيح ، إن هذا لنا لغائظ موجع ، فمتى هو كائن ، أفى زمانى هذا ، أم بعده ؟ قال لا ، بل بعده بحين ، أكثر من ستين أو سبعين يمضين من السنين . قال : أفيدوم ذلك من ملكهم أم ينقطع ؟ قال : لا ، بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين ، ثم يقتلون ، ويخرجون منها هاربين . قال : ومن يلى ذلك من قتلهم وإخراجهم ؟ قال : يليه إِرَم ذى يَزَن (٢) ، يخرج عليهم من عدن ، فلا يترك أحدًا منهم باليمن .

قال : أفيدوم ذلك من سلطانه ، أم ينقطع ؟

قال : لا ، بل ينقطع .

قال : ومن يقطعه ؟ قال : نَبىٌّ زكى ، يأتيه الوحى من قبل العَلِي ، قال : وممن هذا النبى ؟

قال : رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر ، يكون الملك فى قومه إلى آخر الدهر .

قال : وهل للدهر من آخر ؟ قال : نعم ، يوم يُجمع فيه الأولون ، والآخــرون ، يسعدُ فيه المحسنون ، ويشقى فيه المسيئون . قال : أحق ما تُخبرنى ؟ قال : نعم . والشفق والغسق ، والفلق إذا اتسق ، إن ما أنبأتك به لحق .

ثم قدم عليه شق ، فقال له كقوله لسطيح ، وكتمه ما قال سطيح ، لينظر أيتفقان أم يختلفان . فقال : نعم ، رأيتُ حُمَمَة ، خرجت من ظُلمة ، فوقعت بين رَوضة أكمة ، فأكلت منها كل ذات نسمة .

قال : فلما قال له ذلك ، عرف أنهما قد اتفقا ، وأن قولهما واحد .

إلا أن سطيحًا قال : « وقعت بأرض تهَمَة ، فأكلت منها كل ذات جمجمة » .

---

(١) بنو حبش بن حام بن نوح وبه سميت الحبشة ، وابين هكذا رويت بفتح الهمزة ذكرها سيبويه بكسر الهمزة على مثل إصبع . وقال ابن ماكولا هو أبين بن زهير بن أيمن بن الهميسع من حمير ، أو من حمير سميت به البلدة . وذكر الطبرى : أن أبين وعدن ابنا عدنان سميت بهما البلدتان ، وجرش : مدينة باليمن .

(٢) المعروف أن اسمه : سيف بن ذى يزن ، ولكن جعله إرما ، إما لأن الإرم هو العلم فمدحه بذلك ، وإما شبهه بعاد إرم فى عظم الخلقة ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد ﴾ .

وقال شق : « وقعت بين روضة وأكمة ، فأكلت منها كل ذات نسمة » .

فقال له الملك : ما أخطأت يا شق منها شيئًا ، فما عندك فى تأويلها ؟ .

قال : أحلف بما بين الحرَّتين من إنسان ، لينزلن أرضكم السُّودان ، فليغلبن على كل طَفْلَة البنان (١) ، وليملكن ما بين أبين إلى نجران .

فقال له الملك : وأبيك يا شق ، إن هذا لنا لغائظ موجع ، فمتى هو كائن ؟ أفى زمانى . أم بعده ؟ .

قال : لا ، بل بعده بزمان ، ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شَان ، ويُذيقهم أشد الهوان .

قال : ومن هذا العظيم الشان ؟ قال : غلام ، ليس بِدَنِىٍّ ، ولا مُدَنٍّ (٢) ، يخرج عليهم من بيت ذى يزن ، فلا يترك أحدًا منهم باليمن .

قال : أفيدوم سلطانه أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع برسول مرسل يأتى بالحق والعدل ، بين أهل الدين والفضل ، يكون الملك فى قومه إلى يوم الفصل ، قال : وما يوم الفصل ؟ قال : يوم تجزى فيه الولاة ، ويدعى فيه من السماء بدعوات ، يسمع منها الأحياء والأموات ، ويجمع فيه بين الناس للميقات ، يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات .

قال : أحق ما تقول ؟ قال : إى ورب السماء والأرض ، وما بينهما من رفع وخفض ، إن ما أنبأتك به لحق ، ما فيه أمْضٌ (٣) .

* * *

---

(١) الطفلة : المرأة الناعمة الرخصة . والبنان : الإصبع .

(٢) المدن : الذى جمع الضعف مع الدناءة .

(٣) أى ما فيه باطل .

استيلاء أبى كَرِب تُبَانَ أَسعد على ملك اليمن وغزوه إلى يثرب

قال ابن إسحاق : فلما هلك ربيعة بن نصر ، رجع مُلك اليمن كله إلى حسان ابن تبان أسعد (١) أبى كَرِب - وتُبان أسـعد هو : تُبَّع الآخر ، ابن كُلى كَرِب بن زيد ، وزيد هو تُبَّع الأول بن عمرو ذى الأذعار (٢) ابن أبرهة ذى المَنَار (٣) ابن الرَّيش . قال ابن إسحاق : ابن عدى بن صيفى بن سبأ الأصغر ، بن كعب ، كهف الظُّلْم ، ابن زيد بن سهل ، بن عمرو ، بن قيس ، بن معاوية ، بن جشم ، بن عبد شمـس ، بن وائل ، بن الغوث ، بن قطن ، بن عريب ، بن زهير ، بن أيمن ، بن الهميسع ، بن العرنجج ، والعرنجج حمير بن سبأ الأكبر ، ابن يعرب ، بن يَشْجُب ، ابن قحطان .

قال ابن إسحاق:وتُبان أسعد أبو كرب الذى قدم المدينة،وساق الحَبْرين من يهود المدينة إلى اليمن وعمَّر البيت الحرام وكساه ، وكان ملكه قبل مُلك ربيعة بن نصر .

تُبان يَغضب على أهل المدينة :

قال ابن إسحاق : وكان قد جعل طريقـه - حين أقبل من المشرق - على المدينة ، وكان قد مر بها فى بَدْأته ، فلم يَهج أهلها ، وخلَّف بين أظهرهم ابنًا له ، فقُتل غِيلة ، فقدمهـا ، وهو مُجمع لإخرابها ، واستـئصال أهلها،وقطع نخلها (٤) ،

---

(١) اسمان جعلا اسمًا واحدًا ، ويصح جعل الإعراب فى الجزء الأول من الاسم وإضافة الاسم الثانى إليه ويجوز جعل الإعراب فى الجزء الثانى من الاسم . وتبان : من التبانة وهى الذكاء والفطنة . يقال : رجل تبن وطبن .

(٢) وسمى ذا الأذعار ، لأنه أوغر فى ديار المغرب وسبا أمة ذات شكل غريب ، فذعر الناس منهم فسمى بذلك .

(٣) وسمى بذلك لأنه رفع نيرانًا فى جبال ليهتدى بها فى إحدى غزواته .

(٤) يذكر القتبى أنه لم يقصد غزوها ، وإنما قصد قتل اليهود الذين كانوا فيها ، وذلك أن الأوس والخزرج كانوا نزلوها معهم ، حين خرجوا من اليمن على شروط وعهود كانت بينهم فلم يف بذلك يهود واستضاموهم ، فاستغاثوا بتبع ، فعند ذلك قدمها .

فجمع له هذا الحى من الأنصار ، ورئيسهم عمرو بن طلّة أخو بنى النجار ، ثم أحد بنى عمرو بن مبذول ، واسم مبذول : عامر ، بن مالك ، بن النجار ، واسم النجار : تيم الله بن ثعلبة ، بن عمرو بن الخزرج ، بن حارثة ، بن ثعلبة ، بن عمرو ، بن عامر .

قصةُ مقاتلة تُبان لأهل المدينة : قال ابن إسحاق : وقد كان رجل من بنى عدى بن النجار يقال له : أحمر ، عَدَا على رجل من أصحاب تُبَّع حين نزل بهم فقتله ، وذلك أنه وجده فى عَذْق له يَجُدُّه (١) فضربه بمنجله فقتله ، وقال : إنما التمر لمن أبره (٢) ، فزاد ذلك تُبعًا حَنَقًا عليهم قال : فاقتتلوا ، فتزعُم الأنصار أنهم كانوا يقاتلونه بالنهار ، ويَقْرُونَه بالليل ، فيعجبه ذلك منهم ، ويقول : والله إن قومنا لكرام !!

فبينا تُبَّع على ذلك من قتالهم ، إذ جاءه حبران من أحبار اليهود ، من بنى قريظة ، وقريظة والنضير والنحام وعمرو - وهو هَدَل (٣) - بنو الخزرج بن الصريح بن التومان (٤) ، بن السِّبط بن اليسع ، بن سعد ، بن لاوى ، بن خير ، ابن النحّام ، بن تنحوم ، بن عازر ، بن عزرى ، بن هارون ، بن عمران ، بن يصهر ، ابن قاهث ، بن لاوى ، بن يعقوب - وهو إسرائيل - بن إسحاق ، بن إبراهيم خليل الرحمن - صلى الله عليهم - عالمان راسخان فى العلم ، حين سمعا بما يريد من إهلاك المدينة وأهلها ، فقالا له : أيها الملك ، لا تفعل ، فإنك إن أبيت إلا ما تريد حيل بينك وبينها ، ولم نأمن عليك عاجل العقوبة ، فقال لهما : ولم ذلك ؟ فقالا : هى مُهَاجَرُ نبى يخرج من هذا الحرم من قريش فى آخر الزمان ، تكون داره وقراره ، فتناهى عن ذلك ، ورأى أن لهما علما ، وأعجبه ما سمع منهما ، فانصرف عن المدينة ، واتبعهما على دينهما ، فقال خالد بن عبد العُزَّى بن غزيّة بن عمرو بن عبد بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار يفخر بعمرو بن طلة :

أَصَحَا أَمْ قَدْ نَهَى ذُكَرَه ... أَمْ قَضَى مِنْ لَذَّة وَطَره (٥)

---

(١) العذق : النخل ، ويجده : يقطعه .

(٢) أبر النخل : لقحه وأصلحه .

(٣) هدل : بفتح الدال والهاء ، كأنه مصدر : هدل هدلا إذا استرخت شفته ، وذكره الأمير بن ماكولا عن أبى عبدة النسابة فقال فيه : هدل بسكون الدال .

(٤) التومان : على وزن فعلان . كأنه من لفظ التُّوَم ، وهو الدر .

(٥) الذكر : جمع ذكر ، والمستعمل فى هذا المعنى ذكرى بالألف وقلما يجمع فعلى على فُعل وإنما يجمع على فعال ، فإن كان أراد فى هذا البيت جمع ذكرى ، وشبه ألف التأنيث =

أَمْ تَذكرتَ الشبابَ ، ومَا ذِكْرُكَ الشباب او عُصُرَه (١)
إِنَّهـــــا حَربٌ رَباعِيَةٌ مثلها أَتى الفتى عِبَرهْ (٢)
فاسألا عِمْران ، أو اســـدًا إذ أتَتْ عَدْوا مع الزُّهَرَه (٣)
فَيلق فيهـــــا أبو كَرِبٍ سُبَّغٌ أبدانها ذَفِرَه (٤)
ثُم قالوا : مَـــــن نَؤُمُّ بها أبنى عَوف ، ام النَّجَره ؟ (٥)
بَل بَنى النجَّار إن لنا فيهم قَتلى ، وإنَّ تِرَه (٦)
فَتلقَّتهم مُسَايفـــــــة مَدُّها كالغيبة النَّثِره (٧)
فيهم عَمرو بن طَلَّة مَــــ ـــلَّى الإله قومه عُمرَه (٨)
سيِّدٌ سَامَ الملــــوك وَمن رَام عَمْرا لا يكن قَدرَه

= بهاء التأنيث ، فله وجه : قد يحملون الشىء على الشىء إذا كان فى معناه .

(١) أو عُصره ، أراد أو عَصْره وهما لغتان كما قال ابن جنى ليس شىء على وزن فعْل يمتنع فيه فُعُل . انظر الروض الأنف تحقيق طه عبد الرءوف سعد جـ ١ صـ ٣٧ .

(٢) حرب رباعية : مَثل . أى ليست بصغيرة ولا جذعة ، بل هى فوق ذلك ، وضرب سن الرباعية مثلا ، كما يقال : حرب عوان ، لأن العوان أقوى من الفتية وأدرب .

(٣) يريد صبحهم بغلس : وهى ظلمة آخر الليل قبل مغيب الزهرة : وهى نجم معروف شديد اللمعان .

(٤) سبغ : كاملة . والأبدان : الدروع . وذفرة من الذَّفر وهى سطوع الرائحة طيبة كانت أو كريهة ، وأما الدَّفر ، فإنه فيما كره من الروائح ، ومنه قيل للدنيا أم دَفر .

(٥) النجرة : جمع ناجر ، والناجر والنجار : بمعنى واحد ، وهذا كما قيل المناذرة فى بنى المنذر والنجار ، وهم : تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ، وسمى النجار ، لأنه نجر وجه رجل بقدوم فيما ذكر بعض أهل النسب .

(٦) فيهم قتلى وإنَّ تره : أظهر إن بعد الواو . أراد : إن لها قتلى وترة ، والترة الوتر انظر تفصيل ذلك فى الروض الأنف تحقيق طه عبد الرءوف سعد جـ ١ صـ ٣٨ .

(٧) مسايفة : أى كتيبة مسايفة ، والغيبة : الدفعة من المطر ، والنثرة ، المنتثرة ، وهى التى لا تمسك الماء .

(٨) ملى : من قولهم : تمليته حينًا ، أى عشت معه حينًا وهو مأخوذ من الملاوة والملوين . وفى القاموس . ملاك الله حبيبك تملية : متعك به ، وتملى عمره . استمتع فيه ، والملا : الصحراء ، والملوان : الليل والنهار .

وهذا الحى من الأنصار يزعمون أنه إنما كان حنق تبع على هذا الحى من يهود الذين كانوا بين أظهرهم ، وإنما أراد هلاكهم ، فمنعوهم منه ، حتى انصرف عنهم ، ولذلك قال فى شعره :

حَنقًا على سِبْطَين حلاًّ يثربا   أوْلَى لهم بعقابِ يوم مُفْسِد

تُبَّع يذهب إلى مكة ويطوف بالكعبة : قال ابن إسحاق : وكان تبع وقومه أصحاب أوثان يعبدونها ، فتوجه إلى مكة ، وهى طريقه إلى اليمن ، حتى إذا كان بين عُسْفان ، وأمَج أتاه نفر من هذيل بن مدرِكة بن إلياس بن مضـــر بن نزار بن معد ، فقالوا له : أيها الملك ألا ندلك على بيت مال دائر ، أغفله الملوك قبلك ، فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة ؟ قال : بلى ، قالوا : بيت بمكة يعبده أهله ، ويصلون عنده · وإنما أراد الهذليون هلاكه بذلك ، لما عرفوا من هلاك من أراده من الملوك وبغَى عنده · فلما أجمع لما قالوا ، أرسل إلى الحَبرين ، فسألهما عن ذلك ، فقالا له : ما أراد القوم إلا هلاكك وهلاك جندك · ما نعلم بيتا لله اتخذه فى الأرض لنفسه غيره ، ولئن فعلت ما دعوك إليه ، لتهلكن ، وليهلــكن من معك جميعا ، قال : فماذا تأمرانى أن أصنع إذا أنا قدمت عليه ؟ قالا : تصنع عنده ما يصنع أهله :تطـــوف به وتعظِّمه وتكرمه ، وتحلق رأسك عنده وتذل له ، حتى تخرج من عنده ، قال : فما يمنعكما أنتما من ذلك ؟ قالا : أما والله إنه لبيت أبينا إبراهيم ، وإنه لكما أخبرناك ، ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التى نصبوها حوله ، وبالدماء التى يهـرقون عنده ،وهم نجس أهل شرك - أو كما قالا له - فعرف نصحهما وصدق حديثهما فقـــرب النفر من هذيل ، فقطع أيديهم وأرجلهم ، ثم مضى حتى قدم مكة ، فطاف بالبيت ، ونحر عنده ، وحلق رأسه وأقام بمكة ستة أيام - فيما يذكرون - ينحر بها للناس ويطعم أهلها ،ويسقيهم العسل ، وأُرى فى المنام أن يكسو البيت ، فكساه الخَصْفَ [١] ثم أرى أن يكسوه أحسن من ذلك ، فكســاه المعافر (٢) ، ثم أُرى أن يكسوه أحسن من ذلك ، فكساه الملاء والوصائل (٣) ، فكان

---

(١) الخصف : جمع خصفة وهى شيء ينسج من الخوص والليف ، والخصف أيضاً : الثياب الغليظة ·

(٢) المعافر : ثياب يمنية ·

(٣) الملاء : جمع ملاءة ، وهى الملحفة · والوصائل : ثياب موصلة من ثياب اليمن · =

تُبع - فيما يزعمون - أول من كسا البيت(١) ، وأوصى به وُلاته · من جُرهم ، وأمرهم بتطهيره وألا يقربوه دما ، ولا ميتة ، ولا مِئلاتا - وهى المحايض (٢) - وجعل له بابا ومفتاحا ، وقالت سُبيعة بنت الأحب (٣) ، بن زَبينة ، بن جذيمة ، بن عوف ، بن معاوية ، بن بكر ، بن هوازن ، بن منصـور ، بن عكرمة ، بن خَصَفَة ابن قيس ، بن عيلان ، وكانت عند عبد مناف بن كعب ، بن سعد ، بن تيم ، بن مرة ، بن كعب ، بن لُؤى ، بن غالـب ، بن فهر ، بن مالك ، بن النضر ، بن كنانة ، لابن لها منه يقال له : خالد : تعظِّم عليه حرمة مـكة ، وتنهاه عن البغى فيها ، وتذكر تبعا وتذلُّله لها ، وما صنع بها :

أبُنَىَّ : لا تَظلـم بمكَةَ ... لا الصغيرَ ولا الكبيـرْ
واحفظْ مَحارمهَـا بُنَىَّ ... ولا يَغُرَّنـك الغَرور
أبُنَى : مَنْ يَظلم بمكـةَ ... يَلق أطراف الشـرورْ
أبُنى : يُضرب وجهُـهُ ... ويَلُحْ بخـديه السعيرْ
أبُنَى : قـد جَرَّبْتُهَا ... فَوجدتُ ظـالمها يَبورْ (٤) ·
اللهُ آمنهـا ، ومَا ... بُنيت بَعَرصَتهـا قُصورْ
اللهُ آمن طَيرهـا ... والعُصم تأمن فى ثَبِيـرْ (٥)
ولقد غَزاهـا تُبَّعٌ ... فكسا بَنِيَّتهـا الحبيرْ (٦)

= ويروى أن تبعًا لما كسا البيت المسوح والأنطاع انتفض البيت فزال ذلك عنه ، وفعل ذلك حين كساه الخصف ، فلما كساه الملاء والوصائل قبلها ·

(١) قال ابن إسحاق : أول من كسا الكعبة الديباج : الحجاج ، وذكر الدارقطنى : أنها قتيلة بنت جناب أم العباس بن عبد المطلب ، كانت قد أضلت العباس صغيراً ، فنذرت : إن وجدته أن تكسو الكعبة الديباج ، ففعلت ذلك حين وجدته · وقال الزبير النسابة : بل أول من كساها الديباج عبد الله بن الزبير ·

(٢) لم يرد النساء الحيض ، لأن حائضا لا يجمع على محائض ، وإنما هى جمع محيضة ، وهى خرقة المحيض ، ويقال للخرقة أيضا : مئلاء ، وجمعها : المآلى ·

(٣) وقال أبو عبيدة : بنت الأجب - بالجيم - وقد قالت هذا الشعر فى حرب كانت بين بنى السباق بن عبد الدار ، وبين بنى على بن سعد بن تيم حتى تفانوا ·

(٤) يبور : يهلك ·

(٥) العصم : الوعول تعتصم فى الجبال ، وثبير : جبل بمكة ·

(٦) بنيتها : الكعبة · والحبير : نوع موشّى من ثياب اليمن ·

وأذل ربى مُلْكَــه — فيها فأوفى بالنــذورْ
يَمشى إليهــا حافيا — بفنائها ألفَا بعيــرْ
ويَظل يُطعــم أهلها — لَحم المهارى والجزورْ (١)
يَسقيهمُ العَســلَ الــ — مصفَّى والرحيضَ من الشَّعيرْ (٢)
والفيل أهْلَك جَيشَــهُ — يُرْمَون فيها بالصُّخــورْ
والمَلْكَ فى أَقْصى البــلا — دِ وفى الأعاجم والخزير (٣)
فاسمعْ إذا حُدِّثتَ ، وافــ — ـهم كيف عاقبةُ الأمــورْ

أصل اليهودية باليمن : ثم خرج منها متوجها إلى اليمن بمن معه من جنوده وبالحَبرين حتى إذا دخل اليمن دعا قومه إلى الدخول فيما دخل فيه ، فأبَوْا عليه ، حتى يحاكموه إلى النار التى كانت باليمن .

* * *

(١) المهارى : الإبل النجيبة .
(٢) الرحيض : المنقى والمصفى .
(٣) الخزير : يريد الخزر وهم أمة من العجم .

« مُحَاكمة تُبَّع إلى النار »

قال ابن إسحاق : حدثنى أبو مالك بن ثعلبة بن أبى مالك القرظى ، قال : سمعت إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عُبيد الله يحدث : أن تبعًا لما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه وبين ذلك ، وقالوا : لاتدخلها علينا ، وقد فارقت ديننا ، فدعاهم إلى دينه وقال : إنه خير من دينكم ، فقالوا : فحاكمنا إلى النار قال : نعم . قال : وكانت باليمن - فيما يزعم أهل اليمن - نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه ، تأكل الظالم ولا تضر المظلوم ، فخرج قومه بأوثانهم وما يتقربون به فى دينهم ، وخرج الحبران بمصاحفهما فى أعناقهما متقلديها ، حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذى تخرج منه ، فخرجت النار إليهم ، فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها ، فذَمَرهم[١] من حضرهم من الناس ، وأمروهم بالصبر لها ، فصبروا حتى غشيتهم ، فأكلت الأوثان وما قرّبوا معها ، ومن حمل ذلك من رجال حمير ، وخرج الحبران بمصاحفهما فى أعناقهما تعرق جباههما لم تضرهما ، فأصفقت عند ذلك حمير على دينه ، فمن هنالك، وعن ذلك ، كان أصل اليهودية باليمن .

قال ابن إسحاق : وقد حدَّثنى مُحدِّث أن الحبرين ، ومن خرج من حمير ، إنما اتبعوا النار ليردوها ، وقالوا : من ردها فهو أولى بالحق ، فدنا منها رجال من حمير بأوثانهم ليردوها ، فدنت منهم لتأكلهم ، فحادوا عنها ولم يستطيعوا ردها ، ودنا منها الحبران بعد ذلك ، وجعلا يتلوان التوراة وتنكُص عنهما ، حتى ردَّاها إلى مخرجها الذى خرجت منه ، فأصفَقت[٢] عند ذلك حمير على دينهما . والله أعلم أى ذلك كان .

هدم البيت المسمَّى رئام[٣] : **قال ابن إسحاق** . وكان رِئام بيتا لهم يعظِّمـونه ، وينحرون عنده ويكلِّمون منه ، إذ كانوا على شركهم ، فقال الحبران لتبَّع : إنما هو شيطان يفتنهم بذلك فخل بيننا وبينه ، قال : فشأنكما به ، فاستخرجا منه - فيما يزعم أهل اليمن - كلبا أسود فذبحاه ، ثم هدما ذلك البيت ، فبقاياه اليوم[٤] - كما ذُكر لى - بها آثار الدماء التى كانت تهراق عليه .

(١) ذمرهم : شجعهم وحضهم . (٢) أصفقت : اجتمعت .

(٣) رئام : على وزن فعال ، مأخوذ من رامت الأنثى ولدها أى عطفت عليه ورحمته ، فاشتقوا لهذا البيت اسما لموضع الرحمة التى كانوا يلتمسونها فى عبادته على زعمهم .

(٤) أى زمن المؤلف ابن إسحاق - رحمه الله - وذلك قبل عام ١٥٠ هـ .

مُلك حَسان بن تُبَّان وقتله على يد أخيه عَمرو

فلما ملك حَسان بن تُبَّان أسعد أبى كرب ، سار بأهل اليمن ، يريد أن يطأ بهم أرض العرب ، وأرض الأعاجم ، حتى إذا كانوا ببعض أرض العراق كرهت حمير وقبائل اليمن المسير معه ، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم ، وأهلهم ، فكلموا أخًا له يقال له عمرو ، وكان معه فى جيشه ، فقالوا له : اقتـل أخاك حسان ، ونملكك علينا ، وترجع بنا إلى بلادنا ، فأجابهم ، فاجتمعوا على ذلك إلا ذا رُعين الحميرى فإنه نهاه عن ذلك فلم يقبل منه . فقال ذو رُعَين [(١)] :

ألاَ من يشترى سَهرا بنوم ... سَعيدٌ من يَبيتُ قَرير عَين [(٢)]

فإما حِميرٌ غَدرتْ وخَانتْ ... فَمعـذِرَةُ الإله لذى رُعَينِ

ثم كتبهما فى رقعة ، وختم عليها ، ثم أتى بها عمرًا ، فقال له : ضع لى هذا الكتاب عندك ففعل ، ثم قتل عمرو أخاه حسان ، ورجع بمن معه إلى اليمن . فقال رجل من حمير :

لاَهِ عينًا الذى رأى مِثلَ حسـا ... ن قَتيلا فى سَالف الأحقاب [(٣)]

قَتَلتْهُ مَقاولٌ خَشية الحبـس غَداةَ ... قالـوا : لَبَابِ لبابِ [(٤)]

مَيتُكُم خيرنـا وحَيُّكُم رَبٌّ ... عَلينا وكلكـم أربـابى

---

(١) ذو رعين : تصغير رعن ، والرعن : أنف الجبل ، ورعين : جبل باليمن وإليه ينسب ذو رعين .

(٢) معناه : أمن يشترى ، وحسن حذف ألف الاستفهام لتقدم همزة ألا . وفى البيت حذف تقديره : بل من يبيت قرير عين هو السعيد ، فحذف الخبر لدلالة أول الكلام عليه .

(٣) لاه : أراد لله وحذف لام الجر واللام الأخرى مع ألف الوصل ، وهذا حـذف كثير ، ولكنه جار فى هذا الاسم خاصة لكثرة دوره على الألسنة . مثل قول الفراء :

لهنَّك من برق على كريم

أراد : والله إنك . انظر هذا الموضوع مفصلا فى الروض الأنف لتحقيق طه عبد الرءوف سعد جـ ١ صـ ٤٣ .

(٤) المقاول : يريد الأقيال ، وهم الذين دون التبابعة واحدهم قيل وأصله قيل مثل سيد واستعمل بالياء فى إفراده وجمعه ، وإن كان أصله الواو ، لأن معـناه : الذى يقول ويسمع قوله .

قال ابن إسحاق :

وقوله : لَبَابِ لَبَاب : لا بأس لا بأس بلغة حمير .

● **هلاك عمرو وتفرُّق حمير :**

قال ابن إسحاق : فلما نزل عمرو بن تُبان اليمن مُنع منه النوم ، وسلِّط عليه السهر ، فلما جهده ذلك سأل الأطباء ، والحُزَاة من الكُهَّان ، والعرَّافين عمَّا به ، فقال له قائل منهم إنه والله ما قتل رجل قَطُّ أخاهُ أو ذا رَحِمه بغيا على مثل ما قتلت أخاك عليه ، إلاَّ ذهب نومه ، وسلِّط عليه السهر ، فلما قيل له ذلك جعل يقتل كل من أمره بقتل أخيه حسَّان من أشراف اليمن ، حتى خلص إلى ذى رعين فقال له :

يا ذو رعين : إن لى عندك بَراءة ، فقال وما هى ؟ قال : الكتاب الذى دَفَعْتُ إليك ، فأخرجه فإذا فيه البيتان ، فتركه ورأى أنه قد نصحه ، وهَلك عمرو فمرج (١) أمر حيمر عند ذلك وتفرقوا .

خبر لَخنيعَة وذى نُواس : فوثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت المملكة ، يقال لَه لخنيعة ينوف ذو شناتر ، فقتل خيارهم ، وعبث ببيوت أهل المملكة منهم ، وكان لخنيعة امرأ فاسقًا يعمل عمل قوم لوط ؛ فكان يرسل إلى الغلام من أبناء الملوك . فيقع عليه فى مَشْربَة له قد صنعها لذلك ، لئلا يُمَلَّكَ بعد ذلك ، ثم يطلع من مَشْربته تلك إلى حَرَسه ومن حضر من جنده ، قد أخذ مسواكا ، فجعله فى فيه ، أى : ليعلمهم أنه قد فرغ منه حتى بعث إلى زُرْعَةَ ذى نُواس بن تبان أسعدَ أخى حسَّان ، وكان صبيا صغيرا حين قُتِل حَسان ، ثم شَبَّ غلاما جميلا وسيما ذا هيئة وعقل ، فلما أتاه رسوله ، عرف ما يريده منه ، فأخذ سكينا حديدا لطيفا ، فَخَبأه بين قدمه ونعله ، ثم أتاه ، فلما خلا معه وثب إليه فواثبه ذو نُوَاس ، فوجأه (٢) حتى قتله ، ثم حز راسه ، فوضعه فى الكُوَّة التى كان يشرف منها ، ووضع مسواكه فى فمه ، ثم خرج على الناس ، فقالوا له : ذا نُوَاس أَرَطْبٌ أو يَبَاس فقال : « سَلْ تَحْمَاس ، استرطبان ذو نواس استرطبان لاباس » (٣) .

---

(١) أى اختلط والتبس ، وأصبحوا فى فوضى .

(٢) وجأه : ضربه .

(٣) قال ابن هشام : هذا كلام حمير .

وتَحماس (١) . الرأس . فنظروا إلى الكوة فإذا رأس لَخنيعَة مقطوع ، فخرجوا فى أثر ذى نُوَاس حتى أدركوه ، فقالوا : ما ينبغى أن يملكنا غيرك ؛ إذ أرحتنا من هذا الخبيث .

*** مُلْكُ ذى نُوَاس :**

فَملَّكوه ، واجتمعت عليه حمير وقبائل اليمن ، فكان آخر ملوك حمير وهو صاحب الأُخدُود ، وتَسمَّى : يوسفَ ، فأقام فى ملكه زمانا .

*** سبب وجود النصرانية بنَجْرَان :**

وبنجران بقايا من أهل دين عيسى ابن مريم عليه السلام على الإنجيل . أهل فضل واستقامة من أهل دينهم ، لهم رأس يقال له : عبد الله بن الثامِر .

وكان موقع أصل ذلك الدين بنَجْرَان ، وهى بأوسط أرض العرب فى ذلك الزمان ، وأهلها وسائر العرب كلها أهل أوثان يعبدونها ، وذلك أن رجلا من بقايا أهل ذلك الدين يقال له : فَيْمِيُون ، وقع بين أظهرهم ، فحملهم عليه ، فدانوا به .

*** فَيْمِيُون (٢) وصَالح ونشر النصرانية :**

قال ابن إسحاق : حدثنى المغيرة بن أبى لبيد مولى الأخنس ، عن وهب بن مُنَبِّه اليمانى أنه حدثهم : أن موقع ذلك الدين بنَجْرَان كان أن رجلا من بقايا أهل دين عيسى ابن مريم يقال له فَيْمِيُون ، وكان رجلا صالحا مجتهدا زاهدا فى الدنيا ، مُجَاب الدعوة ، وكان سائحا ينزل بين القُرى ، لا يُعرف بقرية إلا خرج منها إلى قرية لا يعرف بها . وكان لا يأكل إلا من كسب يديه وكان بَنَّاءً يعمل الطين ، وكان يعظِّم الأحد فإذا كان يوم الأحد لم يعمل فيه شيئا ، وخرج إلى فلاة من الأرض يصلى بها حتى يمسى ، قال : وكان فى قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفيا ، ففطن لشأنه رجل من أهلها يقال له : صالح ، فأحبه صالح حُبا لم يحبه شيئا كان قبله . فكان يتبعه حيث ذهب ، ولا يفطن له فيميون ، حتى خرج مرة فى يوم الأحد إلى فلاة من الأرض - كما كان يصنع - وقد أتبعه صالح . وفيميون لا يدرى ، فجلس

(١) تحماس : قيل هو رجل متهم ثم تاب .

(٢) فيميون . وذكر أن النقاش قال : إن اسمه يحيى ، وكان أبوه ملكا فتوفى . وأراد قومه أن يملكوه بعد أبيه . ففر من الملك ولزم السياحة ، انظر الروض الأنف تحقيق طه عبد الرءوف سعد .

صالح منه منظر العين مستخفيا منه ، لا يحب أن يعلم بمكانه ، وقام فيميون يصلى · فبينما هو يصلى إذا أقبل نحوه التِّنِّين - الحية ذات الرءوس السبعة (١) - فلما رآها فَيْمِيُون دعا عليها فماتت ورآها صالح ولم يدر ما أصابها فخافها عليه فَعيل عَوْلُهُ : فصرخ يا فيميون ، التِّنِّين قد أقبل نحوك فلم يلتفت إليه وأقبل على صلاته حتى فرغ منها وأمسى وانصرف وعرف أنه قد عُرف ، وعرف صالح أنه قد رأى مكانه · فقال له : يا فَيْمِيُون · تعلم والله أنى ما أحببت شيئا قط حبك وقد أردت صحبتك ، والكينونة معك حيث كنت ، فقال : ما شئت ، أمرى كما ترى ، فإن علمتَ أنك تقوى عليه فنعم ، فلزمه صالح ، وقد كاد أهل القرية يفطنون لشأنه ، وكان إذا فاجأه العبد به الضر دعا له فَشُفِى ، وإذا دعى إلى أحد به ضر لم يأته وكان لرجل من أهل القرية ابن ضرير ، فسألَ عن شأن فَيْمِيُون ، فقيل له إنه لا يأتى أحدا دعاه ، ولكنه رجل يعمل للناس البنيان بالأجر ، فعمد الرجل إلى ابنه ذلك ، فوضعه فى حجرته ، وألقى عليه ثوبا ثم جاءه فقال له يا فيميون ، إنى قد أردت أن أعمل فى بيتى عملا ، فانطلق معى إليه حتى تنظر إليه فأشَارِطك عليه فانطلق معه حتى دخل حجرته ، ثم قال له : ما تريد أن تعمل فى بيتك هذا ؟ قال : كذا وكذا ، ثم انْتَشَطَ الرجل الثوب عن الصبى (٢) ، ثم قال له : يا فيميون عبد من عباد الله أصابه ما ترى، فادع الله له ، فدعا له فيميون ، فقام الصبى ليس به بأس ، وعرف فيميون أنه قد عُرِف ، فخرج من القرية ، واتبعه صالح ، فبينما هو يمشى فى بعض الشام إذ مر بشجرة عظيمة ، فناداه منها رجل ، فقال : يا فيميون ! قال : نعم ، قال : ما زلت أنظُرك ، وأقول : متى هو جَاء ؟ حتى سمعت صوتك ، فعرفت أنك هو ، لا تبرح حتى تقوم عَلَىَّ فإنى مَيِّت الآنَ · قال فمات ، وقام عليه حتى واراه ، ثم انصرف وتبعه صالح ، حتى وطئا بعض أرض العرب · فَعَدَوا عليهما فاختطفتهما سَيَّارة من بعض العرب ، فخرجوا بهما ، حتى باعوهما بنَجْرَان ، وأهل نَجْرَان يومئذ على دين العرب ، يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم ، لها عيد فى كل سنة · إذا كان ذلك العيد علقوا كل ثوب حسن وجدوه ، وحُلِىَّ النساء ، ثم خرجوا إليها ، فعكفوا عليها يوما ·

---

(١) الرءوس السبعة أى : القرون السبعة ·

(٢) انتشط الثوب : رفعه بسرعة ·

فابتاع فيميونَ رجلٌ من أشرافهم ، وابتاع صالحا آخرُ ، فكان فيميون إذا قام من الليل - يتهجّد في بيت له أسكنه إياه سيُّده - يصلى - استسرج له البيت نورا حتى يصبح من غير مصباح ، فرأى ذلك سيده ، فأعجبه ما يرى منه . فسأله عن دينه ، فأخبره به ، وقال له فيميون : إنما أنتم في باطل ، إن هذه النخلة لا تضر ولا تنفع ، ولو دعوت عليها إلهى الذى أعبده ، لأهلكها وهو الله وحده لا شريك له . قال : فقال له سيده : فافعل ، فإنك إن فعلت دخلنا في دينك ، وتركنا ما نحن عليه قال : فقام فَيْميُون ، فتطهَّر وصلى ركعتين ، ثم دعا الله عليها ، فأرسل الله عليها ريحا فَجَعَفَتْهَا (١) من أصلها فألقتها ، فاتبعه عند ذلك أهل نجران على دينه ، فجعلهم على الشريعة من دين عيسى ابن مريم عليه السلام ثم دخلت عليهم الأحداث التى دخلت على أهل دينهم بكل أرض . فمن هنالك كانت النصرانية بنجران في أرض العرب .

قال ابن إسحاق : فهذا حديث وهب بن منبه عن أهل نَجْران .

* * *

خَبَرُ عبد الله بن الثَّامر وقصة أصحاب الأُخْدُود

*** فَيْميُون وعبد الله بن الثامر والاسمُ الأعظم :**

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن زياد عن محمد بن كَعب القُرَظى ، وحدثنى أيضًا بعض أهل نجران عن أهلها : أن أهل نَجْران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان وكان في قرية من قراها قريبا من نجران - ونجران : القرية العظمى التى إليها جماع أهل تلك البلاد - ساحر يُعَلِّم غلمان أهل نجران السِّحْر ، فلما نزلها فيميون - ولم يسموه لى باسمه الذى سماه وَهْب بن مُنَبِّه ، قالوا : رجل نزلها - ابتنى خَيمة بين نجران ، وبين تلك القرية التى بها الساحر ، فجعل أهل نَجْران يُرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر . ويعلِّمهم السحر ، فبعث إليه الثامر ابنَهُ عبدَ الله بن الثَّامِر مع غلمان أهل نجران ، فكان إذ مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى منه من صلاته وعبادته ، فجعل يجلس إليه ، ويسمع منه حتى أسلم فَوحَّد الله وَعبدهُ ، وجعل يسأله عن شرائع الإسلام حتى إذا فَقُه فيه ، جعل يسأله عن الاسم الأعظم ، وكان يعلمه -

(١) جعفتها : أسقطتها .

فكتمه إياه وقال له : يا ابن أخى ! إنك لن تحمله ، أخشى عليك ضعفك عنه . والثامر أبو عبد الله لا يظن إلا أن ابنه يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان ، فلما رأى عبد الله أن صاحبه قد ضن به عنه ، وتَخوَّف ضعفه فيه ، عمد إلى قداح (١) فجمعها ، ثم لم يبق لله اسما يعلمه إلا كتبه فى قدْح ، لكل اسم قدح ، حتى إذا أحصاها أوقد لها نارًا ، ثم جعل يقذفها فيها ، قدْحًا قدْحًا ، حتى إذا مر بالاسم الأعظم قذف بقدحه ، فوثب القدح حتى خرج منها لم تَضره شيئًا ، فأخذه ثم أتى صاحبه ، فأخبره بأنه قد علم الاسم الذى كتمه ، فقال : وما هو ؟ قال : هو كذا وكذا ، قال : وكيف علمته؟ فأخبره بما صنع ، قال : أى ابن أخى ! قد أصبته فأمسك على نفسك ، وما أظن أن تفعل .

عبد الله بن الثامر يدعو إلى التوحيد : فجعل عبد الله بن الثامر إذا دخل نَجران لم يلق أحدًا به ضر إلا قال : يا عبد الله ، أَتُوحِّدُ الله ، وتدخل فى دينى ، وأدعو الله ، فيعافيك مما أنت فيه من البلاء ؟ فيقول : نعم ، فيوحد الله ويُسلم ، ويدعو له فيُشفى ، حتى لم يبق بنجران أحد به ضر إلا أتاه فاتبعه على أمره ، ودعا له فعوفى ، حتى رفع شأنه إلى ملك نجران ، فدعاه فقال له : أفسدْتَ علىَّ أهل قريتى ، وخالفت دينى ودين آبائى ، لأمثِّلن بك . قال : لا تقدر على ذلك . قال : فجعل يُرسل به إلى الجبل الطويل ، فيطرح على رأسه ، فيقع إلى الأرض ليس به بأس ، وجعل يبعث به إلى مياه بنجران ، بحور لا يقع فيها شىء إلا هلك ، فيلقى فيها ، فيخرج ليس به بأس ، فلما غلبه ، قال له عبد الله ابن الثامر: إنك والله لن تقدر على قتلى حتى توحِّد الله فتؤمن بما آمنت به ، فإنك إن فعلت ذلك ، سُلِّطت علىَّ فقتلتنى ، قال : فوحد الله تعالى ذلك الملك ، وشهد شهادة عبد الله بن الثامر ، ثم ضربه بعصا فى يده ، فشجَّه شجة غير كبيرة ، فقتله ثم هلك الملك مكانه ، واستجمع أهل نجران على دين عبد الله بن الثامر ، وكان على ما جاء به عيسى ابن مريم من الإنجيل وحُكمه ثم أصابهم مثل ما أصاب أهل دينهم من الأحداث ، فمن هنالك كان أصل النصرانية بنجران ، والله أعلم بذلك .

قال ابن إسحاق : فهذا حديث محمد بن كعب القُرظى ، وبعض أهل نجران عن عبد الله بن الثامر ، والله أعلم أى ذلك كان .

(١) القداح : السهام .

ذُو نُوَاس يدعو أهل نَجران إلى اليهودية : فسار إليهم ذُو نُوَاس بجنوده ، فدعاهم إلى اليهودية ، وخيَّرهم بين ذلك والقتل ، فاختاروا القتل ، فخدَّ لهم الأخدود (١) ، فحرَّق من حرق بالنار وقتل من قتل بالسيف ، ومثَّل بهم ، حتى قتل منهم قريبا من عشرين ألفا ، ففى ذى نواس وجنده تلك أنزل الله تعالى على رسوله سيدنا محمد ﷺ : ﴿ **قُتل أصحاب الأخدود * النار ذات الوقود * إذ هم عليها قعود * وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود * وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد** ﴾ . (سورة البروج ٤ - ٨) .

نهاية عبد الله بن الثامر : **قال ابن إسحاق** : ويقال : كان فيمن قَتل ذُو نُواس ، عبد الله بن الثامر رأسهم وإمامهم .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أنه حُدِّث : أن رجلا من أهل نجران كان فى زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه - حَفَر خربة من خرب نجران لبعض حاجته ، فوجدوا عبد الله بن الثامر تحت دَفْن منها قاعدًا ، واضعا يده على ضربة فى رأسه ، ممسكا عليها بيده ، فإن أُخرت يده عنها تنبعث دما ، وإذا أرسلت يده ردها عليها ، فأمسكت دمها ، وفى يده خاتم مكتوب فيه : « ربى الله » فكُتب فيه إلى عمر بن الخطاب يُخبر بأمره ، فكتب إليهم عمر رضى الله عنه : أن أقروه على حاله وردوا عليه الدفن الذى كان عليه ، ففعلوا (٢) .

فرار دَوْسٌ ذى ثُعْلُبَان من ذى نُوَاس واستنجاده بقيصر :

قال ابن إسحاق : وأفلت منهم رجل من سَبأ ، يقال له دَوْسٌ ذُو ثُعْلُبان على

---

(١) روى ابن سنجر عن جبير بن نُفَير قال : الذين خددوا الأخدود ثلاثة : تبع صاحب اليمن ، وقسطنطين ابن هلانى - وهى أمه - حين صرف النصارى عن التوحيد ودين المسيح إلى عبادة الصليب ، وبختنصرَّ من أهل بابل حين أمر الناس أن يسجدوا له ، فامتنع دانيال وأصحابه ، فألقاهم فى النار ، فكانت بردًا وسلاما عليهم .

(٢) يصدق ذلك قوله تعالى : ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون** ﴾ وما وجد من شهداء أحد وغيرهم على هذه الصورة لم يتغيروا بعد الدهور الطويلة ، كحمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه - فإنه وجد حين حفر معاوية العين صحيحًا لم يتغير وأصابت الفأس أصبعه فدميت . وكذلك أبو جابر : عبد الله بن حرام ، وعمرو بن الجموح . وطلحة ابن عبيد الله ، استخرجته بنته عائشة من قبره حين أمرها فى المنام بنقله فاستخرجته من موضعه بعد ثلاثين سنة لم يتغير . وحدثنى من لا أشك فى قوله أنه رأى حين إصلاح بعض الطرق كثيرًا من الشهداء فى حرب فلسطين لم يتغيروا بعد السنين الطويلة .

فرس له ، فسلك الرمل فأعجزهم ، فمضى على وجهه ذلك ، حتى أتى قيصر ملك الروم ، فاستنصره على ذى نواس وجنوده ، وأخبره بما بلغ منهم ، فقال له : بعُدت بلادك منا ، ولكن سأكتب لك إلى ملك الحبشة فإنه على هذا الدين ، وهو أقرب إلى بلادك ، وكتب إليه يأمره بنصره والطلب بثأره .

النجاشى ينصر دوسا : فقدم دَوْسٌ على النَّجاشى بكتاب قيصر ، فبعث معه سبعين ألفا من الحبشة ، وأمَّر عليهم رجلا منهم يقال له : أرياط – ومعه فى جنده أبرهة الأشرم – فركب أرياط البحر حتى نزل بساحل اليمن ، ومعه دَوس ذو ثعلبان .

نهاية ذى نُوَاس : وسار إليه ذو نواس فى حمير ، ومن أطاعه من قبائل اليمن ، فلما التقوا انهزم ذو نواس وأصحابه ، فلما رأى ذو نواس ما نزل به وبقومه ، وَجَّهَ فرسه فى البحر ، ثم ضربه ، فدخل به فخاض به ضحْضَاح (١) البحر ، حتى أفضى به إلى غَمْرِه (٢) ، فأدخله فيه ، وكان آخر العهد به . ودخل أرياط اليمن ، فملكها (٣) .

فقال رجل من أهل اليمن – وهو يذكر ما ساق إليهم دوس من أمر الحبشة :

« لاَ كدَوْسٍ ولا كأعلاق رَحْله » (٤)

فهى مثل باليمن إلى هذا اليوم .

قول ذى جَدَن الحميرى فى هذه القصة : وقال ذو جَدَن الحميرى :

(١) الضحضاح من الماء : الذى يظهر قعره .

(٢) الغمر : الماء الكثير .

(٣) هذا ما ذكره ابن إسحاق وهناك رواية أخرى : أن ذا نواس أدخل الحبشة : صنعاء اليمن ، حين رأى أن لا قبل له بهم ، بعد أن استنفر جميع المقاول ليكونوا معه يدا واحدة عليهم فأبوا إلا أن يحمى كل واحد منهم حوزته على حدته ، فخرج إليهم ومعه مفاتيح خزانته وأمواله على أن يسالموه ومن معه ، فكتبوا إلى النجاشى بذلك فقبل ، ثم كتب ذو نواس إلى كل موضع ببلاده أن اقتلوا كل ثور أسود فقتل أكثر الحبشة فوجه النجاشى جيشًا إلي أبرهة وعليهم أرياط وأمره أن يقتل ذا نواس ، ويخرب ثلث بلاده ويسبى ثلث النساء والذرية ففعل ذلك أبرهة .

(٤) الأعلاق : النفائس .

هَوَنَكِ (١) ليس يَرُدُّ الدمعَ ما فاتا   لاَ تَهْلِكِي أَسَفًا فى إِثْر مـن مَاتا
أَبَعد بَيْنون لا عيــــنٌ ولا أثَـر   وبعد سِلْحِين يبنى الناس أبياتا ؟!

بَيْنُون وسِلحين وغُمدان : من حصون اليمن التى هدمها أرياط ، ولم يكن فى الناس مثلها ·

وقال ذو جَدن أيضًا :

دَعِينى - لا أبَالكِ - لن تُطيقى (٢)   لحَاكِ اللهُ ! قَد أنزفْتِ رِيقــى (٣)
لَدى عَزَف القِيَــان إذ انتــشينَا   وإذ نُسقَى من الخَمــر الرحيقِ (٤)
وشُــربُ الخَمر ليـــس علىَّ عَارًا   إذا لم يَشكُنى فيهــــا رَفيقى
فإن المــــوتَ لا ينهـــاهُ نَاه   ولو شَرِب الشفـاءَ مع النَّشُوق (٥)
ولا مُترهِّبٌ فــــى أُسطــــوانٍ   يُناطِـــح جُدره بَيْض الأَنُوق (٦)
وغُمْدانُ (٧) الذى حُدِّثت عـــنه   بَنوهُ مُسَـــمَّكا فى رأس نيق (٨)
بِمَنْهمَة ، وأســـفَلُه جُـرُون   وحُر المَوْحَلِ اللَّثق الزَّلِيـــق (٩)

---

(١) هونك : ترفقى ، وقد روى عن ابن إسحاق من غير رواية ابن هشام ، هونكما لن يرد · وهو من باب قول العرب للواحد : افعلا ·

(٢) أى لن تطيقى صرفى بالعذل عن شأنى ·

(٣) أى أيبست ريقى فى فمى ، وقلة الريق من الحَصْر ، وكثرته من قوة النفس وثبات الجأش ·

(٤) الرحيق : الخالص ·

(٥) أى لو شرب كل دواء يستشفى به ، وتنشق كل نشوق يجعل فى الأنف للتـداوى به ، ما نهى ذلك الموت عنه ·

(٦) مترهب يجوز أن يكون معطوفا على لفظ (ناه) فيكون المعنى : لا ينهى الموت ناه، ولا مترهب أى ولا دعاء مترهب ، ويجوز أن يكون مرفوعًا على الفاعلية · أى : ولا ينجو منه مترهب ·

والأسطوان : على وزن أفعوال والنون فيها أصلية ، جمعه ، أساطين ، وليس فى الكلام فاعين · والأسطوان جمع أسطوانة ، وهى السارية ، ويقصد هنا المكان الذى يختلى فيه الراهب · والأنوق : الذكر من الرخم وهو لا يبيض ·

(٧) غمدان : هو الحصن الذى كان لهوذة بن على ملك اليمامة ·

(٨) مسمكا : مرفعًا · من قوله سمك السماء ، والنيق : أعلى الجبل ·

(٩) المنهمة : موضع الرهبان ، والراهب يقال له النهامى ويقال للنجار أيضًا : نهامى=

مَصابيحُ السَّـــليطِ تَلوحُ فـيه ... إذا يمسى كَتَوماضِ البُـــروق (١)
ونخلتهُ التى غُرِســـتْ إليه ... يكادُ البُسر يهصرُ بالعُـــذوق (٢)
فَأصبحَ بعـــد جِدَّتِه رَمَادًا ... وغيَّر حُسْـنه لهَبُ الحـــريق
وأسلم ذُو نُــواسٍ مُســـتكينًا ... وحذَّر قَومــهُ ضَنْكَ المضيق

قول عمرو بن معدى كرب الزبيدى فى هذه القصة : وقال عَمرو بن مَعدى كَرب الزبيدى (٣) فىَ شىء كان بينه وبين قيس بن مكشُوح المرَادى (٤) ، فبلغه أنه يتوعده ، فقال يذكر حمير وعزها ، وما زال من مُلكها عنها :

أَتُوعِدُنى كأنَـــكَ ذُو رُعَينٍ ... بأفضلِ عِيْشَةٍ - أو ذُو نُواسِ
وكائنْ كَان قَبلك مـــن نَعيم ... ومُلْكٍ ثابت فى الناس رَاســى
قديمٍ عهدُهُ مـــن عهـــدْ عادٍ ... عظيم قَاهر الجبروتِ قَاســى
فأمسى أهلُهُ بادوا ، وأمســـى ... يُحـــوَّل من أُنَاسٍ فى أُنَاس

* * *

= فتكون منهمة أيضًا على هذا موضع نجر . والجرون . جمع جرن ، وهو النقير ، من جرن الثوب : إذا لان . روى أبو الوليد الوقشى جروب بالباء وكذلك ذكره الطبرى أيضا ، وفى حاشية كتاب الوقشى أنها الحجارة السوداء . وحر : الخالص من كل شىء . والموحل : من الوحل ، وفى كتاب أبى بحر عن الوقشى : وحر الموجل وفسرها بأنها حجارة ملس لينة ، واللثق من الثق وهو أن يختلط الماء بالتراب فيكثر منه الزلق والزليق الذى يزلق فيه ، انظر الروض الأنف تحقيق طه عبد الرءوف سعد جـ ١ صـ ٥٨ .

(١) السليط : الدهن .

(٢) يهصر : يميل . العزوق : جمع عزق بفتح العين وهى النخلة .

(٣) عمرو بن معدى كرب ﷺ صحابي ، يكنى : أبا ثور تضرب الأمثال بفروسيته وبسالته ، ومعنى معدى كرب : وجه الفلاح ، المعدى هو : الوجه ، والكرب هو : الفلاح .

(٤) ليس من مراد ، وإنما هو حليف لها ، واسم مراد : يحابر بن سعد العشيرة بن مذحج ونسبه فى بجيلة ثم فى بنى أحمس ، وأبوه مكشوح اسمه هُبيرة بن هلال . ويقال : عبد يغوث بن هبيرة بن الحارث بن عمرو بن عامر بن على بن أسلم بن أحسن بن الغوث بن أنمار ، وأنمار هو : والد بجيلة وخثعم ، وسمى أبوه مكشوحا ، لأنه ضرب بسيف على كشحه (ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف) ويكنى قيس : أبا شداد ، وهو قاتل الأسود العنسى الكذاب هو وذدويه وفيروز ، وكان قيس بطلا شجاعًا قتل مع على ﷺ - يوم صفين وله فى ذلك اليوم وفى حروب الشام ضد الروم وقائع لم يسمع بمثلها عن أحد بعد خالد بن الوليد .

النِّزاع على اليمن بين أَبْرَهة وأَرياط

قال ابن إسحاق : فأقام أرياط بأرض اليمن سنين في سلطانه ذلك ، ثم نازعه فى أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشى ، حتى تفرقت الحبشة عليهما ، فانحاز إلى كل واحد منهما طائفة منهم ثم سار أحدهما إلى الآخر ، فلما تقارب الناس أرسل أبرهة إلى أرياط : إنك لا تصنع بأن تلقى الحبشة بعضها ببعض ، حتى تفنيها شيئًا ، فابرز إلىَّ ، وأبرز إليك ، فأينا أصاب صاحبه انصرف إليه جنده ، فأرسل إليه أرياط : أنصفتَ ، فخرج إليه أبرهة - وكان رجلا قصيرًا لحيمًا ، وكان ذا دين فى النصرانية - وخرج إليه أرياط وكان رجلا جميلا عظيمًا طويلا ، وفى يده حربة له وخلف أبرهة غلام له ، يقال له : عَتَودَة (١) ، يمنع ظهره ، فرفع أرياط الحربة ، فضرب أبرهة يريد يافوخه ، فوقعت الحربة على جبهة أبرهة ، فَشَرَمَتْ حاجبه وأنفه وعينه وشفته ، فبذلك سمى : أبرهة الأشرم ، وحمل عتودة على أرياط من خلف أبرهة فقتله ، وانصرف جند أرياط إلى أبرهة ، فاجتمعت عليه الحبشة باليمن ووَدَى (٢) أبرهة أرياط .

غَضبُ النجاشى عَلى أبَرهة :

فلما بلغ النجاشى غضب غضبًا شديدًا وقال : عدا على أميرى فقتله بغير أمرى ، ثم حلف : لا يدع أبرهة حتى يطأ بلاده ، ويجز ناصيته فحلق أبرهة رأسه . وملأ جرابا من تراب اليمن ، ثم بعث به إلى النجاشى ، ثم كتب إليه :

« أيها الملك ، إنما كان أرياط عبدك ، وأنا عبدك ، فاختلفنا فى أمرك ، وكُلٌّ طاعته لك ، إلا أنى كنتَ أقوى على أمر الحبشة ، وأضبط لها ، وأسْوسَ منه ، وقد حلقت رأسى كله حين بلغنى قسم الملك ، وبعثت إليه بجراب تراب من أرضى ، ليضعه تحت قدميه ، فيبر قسمه فىَّ » .

فلما انتهى ذلك إلى النجاشى رضى عنه ، وكتب إليه . أن اثبت بأرض اليمن حتى يأتيَك أمرى ، فأقام أبرهة باليمن .

« القُلَّيس » أو كنيسة أبرهة : ثم إن أبرهة بنى القُلَّيس (٣) بصنعاء . فبنى

---

(١) العتودة : الشدة فى الحرب .

(٢) وداه : تحمل ديته .

(١) القليس : وهى الكنيسة التى أراد أبرهة أن يصرف حج العرب إليها وسميت بهذا =

كنيسة لم ير مثلها فى زمانها بشىء من الأرض ، ثم كتب إلى النجاشى : إنى قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يُبن مثلها لملك كان قبلك ، ولست بمنته حتى أصرف إليها حَجَّ العرب ، فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشى ، غضب رجل من النَّسأة ، أحد بنى فُقَيم بن عَدِى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مُدركة بن إلياس بن مضر .

النَّسَأة : والنسأة : الذين كانوا ينسئون الشهور على العرب فى الجاهلية ، فيحلُّون الشهر من الأشهر الحرم ، ويحرِّمون مكانه الشهر من أشهر الحل ، ليواطئوا عدة ما حرم الله ، ويؤخرون ذلك الشهر ، ففيهم أنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ **إنما النسئ زيادة فى الكفر يُضَلُّ به الذين كفروا يحلُّونه عاما ويحرِّمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرَّم الله** ﴾ . (سورة التوبة : ٣٧) .

أول من ابتدع النسئ : قال ابن إسحاق : وكان أول من نسأ الشهور على العرب ، فأحل منها ما أحل ، وحرم منها ما حرم . القَلَمَّس (١) ، وهو حُذيفة ابن عبد بن فُقيم بن عَدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة ، ثم قام بعده على ذلك ابنه عبَّاد بن حذيفة ، ثم قام بعد عباد : قَلَعُ بن عباد ، ثم قام بعد قلع : أُمية بن قلع ، ثم قام بعد أمية : عوف بن أمية ، ثم قام بعد عوف : أبو ثُمامة ، جُنادة بن عوف ، وكان آخرهم ، وعليه قام الإسلام (٢) ، وكانت العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت إليه ، فحرَّم الأشهر الحرم الأربعة : رجبا ، وذا القعدة ، وذا الحجة ، والمحرم ، فإذا أراد أن يحل شيئًا أحل المحرم فأحلوه وحرم

= الاسم لارتفاع بنائها وعلوها ومنه أخذت القلانس لأنها تعلو الرأس . وقلس طعاما : أى ارتفع من معدته إلى فيه . وقد استذل أبرهة أهل اليمن فى بنيان هذه الكنيسة وجشمهم أنواعا من السخر ، وكان ينقل إليها العدد من الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر بلقيس وكان من موضع الكنيسة على فراسخ ، ونصب فيها صلبانا من الذهب والفضة ومنابر من العاج والأبنوس وكان أراد أن يرتفع بها حتى يشرف منها على عدن . انظر قصة هذه الكنيسة مفصلة فى الروض الأنف تحقيق طه عبد الرءوف سعد جـ ١ صـ ٦٣ .

(١) وسمى القلمس لجوده : إذ إنه من أسماء البحر .

(٢) وجد السهيلى خبرًا عن إسلام أبى ثمامة فقد حضر الحج فى زمن عمر ، فرأى الناس يزدحمون على الحج فنادى : أيها الناس : إنى قد أجرته منكم ، فخفقه عمر بالدرة ، وقال : ويحك : إن الله أبطل أمر الجاهلية .

مكانه صفر فحرموه ، ليواطئوا عدة الأربعة الأشهر الحرم ، فإذا أرادوا الصَّدر (١) قام فيهم فقال : « اللهم إنى قد أحـللتُ لك أحد الصَّفرين ، الصفر الأول : ونَسأت الآخر للعام المقبل (٢) » . فقال فى ذلك عُمير بن قَيس ، جَذْل الطِّعان (٣) ، أحد بنى فراس بن غَنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة ، يفخر بالنسأة على العرب :

لَقد علمتْ مَعدٌّ أن قَومـــــى ... كِرامُ الناس أنَّ لهم كِرامـا (٤)

فَأىُّ الناسِ فَاتونا بـــــوِترِ ... وأى الناس لم نُعلك لِجاما (٥)

ألسنا الناسِـئينَ علـــى مَعدٍّ ... شُهور الحل نجعلُها حَرامـا ؟

الكنانى يحْدث فى القُلَّيس : قال ابن إسحاق : فخرج الكنانى حتى أتى القُلَّيس فقَعد (٦) فيها - يعنى أحدث فيها - قال ابن إســحاق : ثم خرج فلحق بأرضه ، فأخبر بذلك أبرهة فقال : من صنع هذا ؟ فقيل له : صنع هذا رجل من العرب من أهل هذا البيت الذى تحج العـرب إليه بمكة لما ســمع قولك : « أصرفُ إليها حَج العرب » غضب فجاء ، فقعد فيها ، أى أنها ليست لذلك بأهل .

خروج أبرهة لهدم الكعبة : فغضب عند ذلك أبرهة وحلف : ليسيرن إلى البيت

---

(١) الصدر هنا : الرجوع من الحج .

(٢) كان نسؤهم على ضربين . أحدهما : ما ذكر ابن إسحاق من تأخير شهر المحرم إلى صفر لحاجتهم إلى شن الغارات وطلب الثارات . والثانى : تأخيرهم الحج عن وقته تحريًا منهم للسنة الشمسية ، فكانوا يؤخرونه فى كل عام أحد عشر يوما أو أكثر قليلا ، حتى يدور الدور إلى ثلاث وثلاثين سنة ، فيعود إلى وقته ، ولذلك قال عليه السلام فى حـــجة الوداع : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض » وكانت حجة الوداع فى السنة التى عاد فيها الحج إلى وقته ، ولم يحج رســـول الله ﷺ من المدينة إلى مكة غير تلك الحجة ، وذلك لإخراج الكفار الحج عن وقته ، ولطوافهم بالبيت عراة - والله أعلم - إذ كانت مكة بحكمهم ، حتى فتحها الله على نبيه ﷺ .

(٣) وكان عمير من أطول الناس ، وسمى جذل الطعان لثباته فى الحرب كأنه جذل شجرة واقف ، وقيل : لأنه كان يستشفى برأيه ، ويستراح إليه ، كما تستريح البهيمة الجرباء إلى الجذل « عود ينصب للبهم الجرباء لتحتك به » .

(٤) أى : آباء كراما وأخلاقا كراما .

(٥) أى : لم ندعهم ونكفهم ، كما يقدع الفرس باللجام . تقول : أعلكت الفرس لجامه إذا رددته عن تنزعه ، فمضغ اللجام كالعلك من نشاطه ، فهو مقدوع .

(٦) قعد : أى أحدث فيها - وهذا شاهد لقول مالك وغيره من الفقهاء فى تفسير القعود على المقابر المنهى عنه وأن ذلك للمذاهب « للمتوضئين » .

حتى يهدمه ، ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت ، ثم سار وخرج معه بالفيل ، وسمعت بذلك العرب ، فأعظموه ، وفظعوا به ، ورأوا جهاده حقا عليهم ، حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة ، بيت الله الحرام .

أشراف اليمن يدافعون عن البيت : فخرج إليه رجل من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له : ذو نَفر ، فدعا قومه ، ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة ، وجهاده عن بيت الله الحرام ، وما يريد من هدمه وإخرابه ، فأجابه إلى ذلك من أجابه ، ثم عرض له فقاتله ، فهُزِم ذُو نَفر وأصحابه ، وأُخذ له ذو نفر ، فأتى به أسيراً ، فلما أراد قتله ، قال له ذو نفر : أيها الملك ، لا تقتلنى فإنه عسى أن يكون بقائى معك خيراً لك من قتلى ، فتركه من القتل ، وحبسه عنده فى وثاق ، وكان أبرهة رجلا حليما .

خَثْعم تُجاهد أبرهة : ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له ، حتى إذا كانَ بأرض خَثعم [١] عرض له نُفَيل بن حبيب الخثعمى فى قَبيلَتى خَثعم : شهران وناهس [٢] ، ومن تبعه من قبائل العــرب ، فقاتله فهزمه أبرهة ، وأخذ له نفيل أسيراً ، فأتى به ، فلما هم بقتله قال له نفيل : أيها الملك ، لا تقتلنى فإنى دليلك بأرض العرب ، وهاتان يداى لك على قبيلى خثعم : شهران وناهس بالسمع والطاعة ، فخلى سبيله .

وخرج به معه يدله ، حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب بن مالك ابن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف فى رجال ثقيف .

نَسب ثقيف [٣] : واسم ثقيف : قَسِيُّ بن النَّبيت بن منبه بن منصور بن يقدم ابن أفصى بن دُعْمِيِّ بن إياد بن نزار بن معد بن عدنان .

قال أمية بن أبى الصلت الثقفى [٤] :

---

(١) خثعم : اسم جبل سمى به بنو عفرس بن خلف بن أفتل بن أنمار ، لأنهم نزلوا عنده . وقيل : إنهم تخثعموا بالدم عند حلف عقدوه بينهم أى تلطخوا .

(٢) يقال إن خثعم ثلاث : شهران وناهس وأكلب ، غير أن أكلب عند أهل النسب هو : ابن ربيعة بن نزار ، ولكنهم دخلوا فى خثعم ، وانتسبوا إليهم .

(٣) اختلف النسابون فى نسب ثقيف فبعضهم ينسبهم إلى زياد ، والبعض إلى قيس وقد نسبوهم إلى ثمود أيضًا . وفى حديث رواه معمر بن راشد فى جامعـــه : إن أبا رغال من ثمود » .

(٤) واسم أبى الصلت : ربيعة بن وهب .

قَومى إِيادٌ لو أنهم أَمَـــم … أَو لو أقاموا فتُهــزَل النَّعَمُ (١)
قَومٌ لهم ساحةُ العراقِ إذا … ساروا جميعًا والقِطُّ والقَلم (٢)

وقال أمية بن أبى الصلت أيضا :

فإما تَسألى عنِّــى – لُبَيْنَى … وعن نَسبى – أُخبِّرك اليقينا
فإنا للنَّبيت أبـــى قسىٍّ … لمنصـور بن يَقدُم الأقْدمينا

ثَقيف تُهادن أَبرهة : قال ابن إسحاق : فقالوا له : أيها الملك ، إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون ، ليس عندنا لك خلاف ، وليس بيننا هذا البيت الذى تريد – يعنون اللات – إنما تريد البيت الذى بمكة ، ونحن نبعــث معك من يدلك عليه ، فتجاوز عنهم .

اللاَّتُ : واللاَّتُ : بيت لهم بالطائف كانوا يعظِّمونه نحو تعظيم الكعبة .

أبو رِغَال ورجم قبره : قال ابن إسحاق : فبعثوا معه أبا رِغَال يدله على الطريق إلى مكة فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله المُغَمَّس (٣) ، فلما أنزله به مات أبو رغال هناك ، فرجمتِ قبره العرب ، فهو القبر الذى يرجم الناس بالمغمَّس .

الأَسودُ بن مَقصود يُهاجم مكة : فلما نزل أبرهة المغمَّس ، بعث رجلا من الحبشة يقال له : الأسود بن مقصود (٤) على خيل له ، حتى انتهى إلى مكة ، فساق

---

(١) الأمم : القريب . أو لو أقاموا : أى بالحجاز لأنهم انتقلوا عنها حين ضاقت عن مسارحهم فصاروا إلى ريف العراق .

(٢) القط ما قط من الكاغد والرق وذلك أن الكتابة كانت فى تلك البلاد التى ساروا إليها . وقد قيل لقريش : ممن تعلمتم القط ؟ فقالوا : تعلمناه من أهل الحيرة ، وتعلمه أهل الحيرة من أهل الأنبار .

(٣) المغمس : بفتح الميم الثانية على زنة اسم المفعول فكأنه من غمست الشىء إذا غطيته وذلك أنه مكان مستور إما بهضاب وإما بعضاه (شجر له شوك) فقد روى على بن السـكن « أن رسول الله ﷺ إذ كان بمكة ، كان إذا أراد حاجة الإنسان خرج إلى المغمس » وهو على ثلث فرسخ من مكة .

أما على رواية كسر الميم الثانية بزنة اسم الفاعل فهو مشتق من الغميس وهـو الغمير « نبات أخضر ينبت فى الخريف » .

(٤) وهو الأسود بن مقصود بن الحارث بن منبه بن مالك بن كعب بن الحارث بن كعب ابن عمر بن علَّة ، ويقال فيه : عُلَم – على وزن عمر – ابن خالد بن مذحج بعثه النجاشى مع الفيلة والجيش ، وكانت الفيلة ثلاثة عشر فيلا هلكت كلها إلا (محمود) فيل النجاشى لامتناعه عن التوجه إلى الكعبة .

إليه أموال تهامة من قريش وغيرهم وأصاب فيها مائتى بعير لعبد المطلب بن هاشم ، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها ، فهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله ، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به ، فتركوا ذلك .

رسول أبرهة إلى مكة : وبعث أبرهة حُناطة الحِميرى إلى مكة ، وقال له : سل عن سيد أهل هذا البلد وشريفها ، ثم قل له : إن المَلك يقول لك : إنى لم آت لحربكم ، إنما جئت لهدم هذا البيت ، فإن لم تتعرضوا دونه بحرب ، فلا حاجة لى بدمائكم ، فإن هو لم يرد حربى فأتنى به ، فلما دخل حُنَاطة مكة ، سأل عن سيد قريش وشريفها ، فقيل له : عبد المطلب بن هاشم ، فجاءه ، فقال له ما أمره به أبرهة ، فقال له عبد المطلب : والله ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة ، هذا بيت الله الحرام ، وبيت خليله إبراهيم عليه السلام - أو كما قال - فإن يمنعه منه ، فهو بيته وحرمه ، وإن يُخَلِّ بينه وبينه ، فوالله ما عندنا دفع عنه . فقال له حُناطة : فانطلق معى إليه ، فإنه قد أمرنى أن آتيه بك .

أُنَيس يشفع لعبد المطلب : فانطلق معه عبد المطلب ، ومعه بعض بنيه ، حتى أتى العسكر ، فسأل عن ذى نَفْر ، وكان له صديقًا ، حتى دخل عليه وهو فى محبسه ، فقال له : يا ذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا ؟ فقال له ذو نفر : وما غناء رجل أسير بيدَىْ ملك ينتظر أن يقتله غُدوًّا أو عشيًّا ؟! ما عندنا غناء فى شىء مما نزل بك ، إلا أن أُنيسا سائس الفيل صديق لى ، وسأرسل إليه فأوصيه بك ، وأعظِّم عليه حقك ، وأسأله أن يستأذن لك على الملك ، فتكلمه بما بدا لك ، ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك . فقال : حسبى . فبعث ذو نفر إلى أُنيس ، فقال له : إن عبد المطلب سيد قريش ، وصاحب عِير مكة ، يطعم الناس بالسهل ، والوحوش فى رءوس الجبال ، وقد أصاب له الملك مائتى بعير ، فاستأذن عليه . وانفعه عنده بما استطعت ، فقال : أفعل .

فكلم أُنيس أبرهة ، فقال له : أيها الملك : هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك ، وهو صاحب عِير مكة ، وهو يطعم الناس فى السهل ، والوحوش فى رءوس الجبال ، فأْذن له عليك فيكلمك فى حاجته ، قال : فأذن له أبرهة .

الإبل لى والبيت له رَبٌّ يحميه : قال : وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجملهم وأعظمهم فلما رآه أبرهة أجلَّه وأعظمه وأكرمه عن أن يجلسه تحته ، وكره

أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه ، فنزل أبرهة عن سريره ، فجلس على بساطه ، وأجلسه معه عليه إلى جنبه ، ثم قال لترجمانه : قل له : ما حاجتك ؟ فقال له ذلك الترجمان . فقال : حاجتى أن يرد على الملك مائتى بعير أصابها لى ، فلما قال له ذلك ، قال أبرهة لترجمانه ، قل له : قد كنت أعجبتنى حين رأيتك ، ثم قد زهدت فيك حين كلمتنى ، أتكلمنى فى مائتى بعير أصبتها لك ، وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه ، لا تكلمنى فيه ؟! قال له عبد المطلب : إنى أنا رب الإبل وإن للبيت ربا سيمنعه ، قال : ما كان ليمتنع منى ، قال : أنت وذاك .

الوفد المرافق لعبد المطلب : وكان - فيما يزعم بعض أهل العلم - قد ذهب مع عبد المطلب إلى أبرهة ، حين بعث إليه حُنَاطة ، يَعمرُ بن نُفاثة بن عَدى بن الدُّئل ابن بكر بن مناة بن كنانة - وهو يومئذ سيد بنى بكر - وخُويلد بن واثلة الهذلى - وهو يومئذ سيد هذيل - فعرضوا على أبرهة ثلث أمـــوال تهامة ، على أن يرجع عنهم ، ولا يهدم البيت ، فأبى عليهم . والله أعلم أكان ذلك ، أم لا . فرد أبرهة على عبد المطلب الإبل التى أصاب له .

قريش تستنصر الله على أبرهة : فلما انصرفوا عنه ، انصرف عبد المطلب إلى قريش ، فأخبرهم الخبر ، وأمرهم بالخروج من مـــكة ، والتحرُّز [١] فى شَعَف الجبال [٢] والشِّعاب [٣] تخوفا عليهم من مَعَرَّة [٤] الجيش ،ثم قام عبد المطلب ، فأخذ بحلقة باب الكعبة ، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ، ويستنصرونه على أبرهة وجنده ، فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة :

لاَهُمَّ إنَّ العبـــــد يَمَـــــ ـــنعُ رَحلَهُ فامنع حِلاَلَك [٥]
لاَ يَغلِبنَّ صَـــــليبُهُمْ ومِحَالُهم غـــدواً مِحَالك [٦]

(١) التحرز : التمنع .
(٢) شعف الجبال : رءوسها .
(٣) الشعاب : المواضع الخفية بين الجبال .
(٤) معرة الجيش : شدته .
(٥) لاهم : أصلها : اللهم . والعرب تحذف منها الألف واللام . وكذلك تقـــول فى : والله إنك : « لاهنك » وذلك لكثرة دور هذا الاسم على الألسنة . بل قد قالوا فيما هو دونه فى الاستعمال : « إجنك » أي « من أجل إنك » . والحلال فى هذا البيت : الحلول فى المكان والحلال مركب من مراكب النساء ، والحلال أيضا :متاع البيت وجائز أن يستعيره ههنا.
(٦) غدوا : غداً والمحال : القوة والشدة .

إنْ كنتَ تاركهم وقِبـــ ـــلَتنا فأمرٌ ما بدَا لَكْ (١)

عكرمة بن عامر يدعو على الأسود : قال ابن إسحاق : وقال عِكرمة بن عامر بنَ هشام بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصى :

لاَهُمَّ أَخْزِ الأسودَ بن مقصودْ   الآخذ الهجمةَ فيها التقـــليدْ (٢)
بين حِراءَ وثَبـيرٍ فالبـــــيدْ   يحبسهَا وهى أُولاتُ التطـريد (٣)
فَضَمَّها إلى طماطم سُـــــود   أخْفره يا رب وأنت محمــود (٤)

قال ابن إسحاق : ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة ، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شعف الجبال فتحرزوا فيها ينتظـرون ما أبرهة فاعــل بمكة إذا دخلها .

أبرهة يهاجم الكعبة : فلما أصبح أبرهة تهــيأ لدخول مكة ، وهيأ فيَله ، وعبَّى (٥) جيشه - وكان اسم الفيل محمودا - وأبرهة مُجمع لهدم البيت ، ثم الانصراف إلى اليمن . فلما وجهوا الفيل إلى مكة أقبل نفيل بن حبيب (٦) حتى قام إلى جنب الفيل ثم أخذ بأذنه ، فقال : ابرك (٧) محمود أو ارجع راشدا من حيث

(١) روى السهيلى يبعد هذا البيت بيتًا آخر هو :

وانصر على آل الصليب   وعابديه اليوم آلك

(٢) الهجمة : هو ما بين التسعين إلى المائة مــن الإبل ، والمائة منها : هـنيدة ، والمائتان : هند ، قال بعضهم : والثلاثمائة أمامة . وأنشدوا :

تبَّين رويدا   ما أمامة من هند

وكأن اشتقاق الهجمة من الهجيمة ، وهو : الثخين من اللــبن ؛ لأنه لما كثر لبنها لكثرتها ، لم يمزج بماء ، وشرب صــرفا ثخينا ، ويقال للقدح الذى يحلب فيه إذا كان كبيرا : هجم . والتقليد : أى أن القلائد فى أعناقها .

(٣) حراء وثبير : جبلان بالحجاز . (٤) أخفره : أى انقض عزمه وعهده فلا تؤمنه .

(٥) يقال : عبى الجيش بغير همزة وعبأ المتاع بالهمز ، وقد حكى عبأت الجيش بالهمز وهو قليل .

(٦) وقيل هو نفيل بن عبد الله بن جَزء بن عامر بن مالك بن واهب بن جليحة بن أكلب بن ربيعة بن عفرس بن جلف بن أفتل ، وهو : خثعم . كذلك نسبه البرقى . ونفيل من المسمين بالنبات وهو تصغير نفل وهو نبت منبسط على الأرض .

(٧) الفيل لا يبرك ، ويحتمل أن يكون بروكه : سقوطه إلى الأرض لما جاءه من أمر الله . أو يكون فعَل فعْل البارك الذى يلزم موضعه ولا يبرح . ويقول الســهيلى فى الروض الأنف إنه سمع من يقول : إن فى الفيلة صنفا منها يبرك كما يبرك الجمل .

جئت ، فإنك فى بلد الله الحرام ، ثم أرسل أذنه . فبرك الفيل ، وخرج نفيل بن حبيب يشتد حتى أصعد فى الجبل ، وضربوا الفيل ليقوم فأبى ، فضربوا فى رأسه بالطَبرزين (١) ليقوم فأبى ، فأدخلوا محاجن (٢) لهم فى مَراقة (٣) فبزغوه (٤) بها ليقــوم فأبى ، فوجهوه راجعا إلى اليمن فقام يهرول ، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلى مكة فبرك .

عقاب الله لأبرهة وجنده : فأرسل الله تعالى عليهم طيرًا من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان (٥) ، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها : حجر فى منقاره ، وحجران فى رجليه ، أمثال الحمص والعَدس (٦) ، لا تصيب منهم أحدًا إلا هلك ، وليس كلهم أصابت وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذى منه جاءوا ، ويسألون عن نُفيل بن حبيب ، ليدلهم على الطريق إلى اليمن ، فقال نفيل حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته :

أَيَن المفَرُّ والإلهُ الطَّـــالبْ والأَشْرَمُ المغلُوبُ لَيسَ الغَالِبْ

قال ابن إسحاق : وقال نفيل أيضًا :

ألا حُيِّيـــتِ عَنَّا يـــارُدَيْنَا نعمناكم مع الإصباح عَينا (٧)
رُدَيْنة لو رأيتِ - ولا تريه لَدَى جَنْب المحصَّبِ ما رأينا
إذًا لعذرتنى وحمدتِ أمرى ولم تأسَىْ على ما فاتَ بَينَا

---

(١) الطبرزين : آلة من الحديد .
(٢) المحاجن : جمع محجن ؛ عصا معوجة .
(٣) المراق : أسفل البطن .
(٤) بزغوه : أدموه .
(٥) الخطاطيف والبلسان : نوعان من الطيور .
(٦) فى الشكل فقط وليس فى المقدار إذ ذكر البرقى أن ابن عباس قال : أصغر الحجارة كرأس الإنسان ، وكبارها كالإبل . وكانت قصة الفيل أول المحرم من سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة من تاريخ ذى القرنين .
(٧) ردينا : اسم امرأة ، كأنها سميت بتصغير ردنة وهى القطعة من الردن (الحرير) ونعمناكم : أى : نعمنا بكم .

حَمِدتُ اللهَ إذ أبصرتُ طيرًا   وخفتُ حجــارةً تُلْقَى عَلينا
وكلُّ القومِ يَسألُ عَن نُفَيلٍ   كأن عليَّ للحبشــان دَينا

فخرجوا يتساقطون بكل طريق ، ويهلكون بكل مهلك على كل منهل ، وأصيب أبرهة فى جسده ، وخرجوا به معهم يسقط أُنمُلَةً أُنمُلة [1] : كلما سقطت أنملة ، أتبعتها منه مدة تَمُثُّ [2] قيحًا ودما ، حتى قدموا به صنعاء ، وهو مثل فرخ الطائر ، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه ، فيما يزعمون ·

قال ابن إسحاق : حدثنى يعقوب بن عتبة أنه حُدِّث : أن أول ما رؤيت الحصبة والجُدْرى بأرض العرب ذلك العام ، وأنه أول ما رؤى بها مرائر الشجر ، والحرمل والحنظل والعُشَر ذلك العام ·

اللهُ – جل جلاله – يذكر حادثة الفيل ويمتنُّ على قريش :

قال ابن إسحاق: فلما بعث الله تعالى محمدًا ﷺ – كان مما يَعُدُّ الله على قريش من نعمته عليهم ، وفضله ما رد عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم ، فقال الله تبارك وتعالى : ﴿ **ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل * ألم يجعل كيدهم فى تضليل * وأرسل عليهم طيراً أبابيل * ترميهم بحجارة من سجيل * فجعلهم كعصف مأكول** ﴾ (سورة الفيل : ١ – ٥) · وقال : ﴿ **لإيلاف قريش * إيلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هذا البيت * الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف** ﴾ (سورة قريش : ١ – ٤) · أى لئلا يغير شيئا من حالهم التى كانوا عليها ، لما أراد الله بهم من الخير لو قبلوه ·

مصير قائد الفيل وسائسه : قال ابن إسحاق : حدَّثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن عَمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زَرارة ، عن عائشة رضى الله عنها – قالت : « لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مُقْعَدين يستطعمان الناس » [3] ·

* * *

---

(١) الأنملة : طرف الأصبع ، ولكن قد يعبر بها عن طرف غير الأصبع ، أى : ينتثر جسمه قطعة قطعة ·

(٢) تمث : ترشح ·

(٣) أى يطلبان من الناس أن يطعماهما ·

ما قيل فى قصة الفيل من الشِّعر

قال ابن إسحاق . فلما رد الله الحبشة عن مكة ، وأصابهم بما أصابهم به من النِّقمة ، أعظمت العرب قريشا ، وقالوا : هم أهل الله ، قاتل الله عنهم وكفاهم مُئونة عدوهم ، فقالوا فى ذلك . أشعاراً يذكرون فيها ما صنع الله بالحبشة ، وما رد عن قريش من كيدهم .

شعر عبد الله بن الزِّبَعْرَى : فقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى بن عدى بن قيس بن عدى بن سعيد (١) بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لُؤى بن غالب بن فِهر :

تَنَكَّلوا عن بَطنِ مكة ، إنها ... كانت قديما لا يُرامُ حَريمها
لم تَخلق الشِّعرى ليالى حُرِّمت ... إذ لا عزيز من الأنامِ يَرُومُها
سَائِل أميرَ الجيش عنها ما رأى ... ولسوف يُنْبِى الجاهلين عَليمُها
سِتون ألفًا لم يَؤبُوا أرضهم ... ولم يعش بعدَ الإياب سَقيمُها
كانت بها عَادٌ وجُرهُمُ قبلهم ... واللهَ من فوق العباد يُقيمُها

قال ابن إسحاق : يعنى ابنُ الزبعرى بقوله :

... بعد الإياب سقيمها

أبرهة إذ حملوه معهم حين أصابه ما أصابه ، حتى مات بصنعاء .

شعر ابن الأسلت : وقال أبو قيس بن الأسلت الأنصارى ثم الحطمى ، واسمه : صيفى .

وَمِنْ صُنْعه يَوم فيل الحُبُو ... شِ إذ كُلما بَعثوهُ رزَمْ (٢)
مَحاجِنُهم تحت أقرابه ... وقد شَرَّموا أنفه فانخرم (٣)
وقدَ جَعلوا سَوْطَه مغْولاً ... إذا يَمَّمُوه قَفَاهُ كُلِم (٤)

(١) نسب ابن إسحاق عبد الله بن الزبعرى إلى عدى بن سعيد بن سهم . والصواب . سعد بن سهم ، وإنما سعيد : أخو سعد .
(٢) رزم : ثبت فى مكانه ولزمه لا يبرحه .
(٣) المحاجن : جمع محجن . عصا معوجة ، والأقراب : جمع قرب . الخصر ، شرموا أنفه : شقوه .
(٤) المغول : سكين كبير . وكلم : جرح .

فَوَلَّى وأدبر أدراجَــــــهُ وقد باءَ بالظلــــم من كان ثَمْ
فأرسل من فوقهم حَاصبـــــًا فَلَفَّهم مثــــل لف القُزُم (١)
تَحضُّ على الصبر أحبارُهُم وقد ثأجوا كثُؤَاج الغَنَم (٢)

قال ابن إسحاق : وقال أبو قيس بن الأسلت :

فَقُوموا فَصلُّوا ربكـــم ، وتمسَّحوا بأركانِ هذا البيت بين الأخاشبِ(٣)
فعندكُمْ منـــــه بَلاءٌ مُصَدَّق غَداة أبى يَكْسُومَ هادى الكَتائب
كَتيبتُه بالسهل تُمشى ورجْلهُ على القاذفات فى رءوس المناقبِ(٤)
فلما أتاكم نصرُ ذى العرش رَدَّهم جنود المليك بين سَافٍ وحاصبِ (٥)
فَولَّوا سِراعا هاربين ولم يَؤُب إلى أهله مِلْحبْشِ غير عصائبِ (٦)

شعر طالب بن أبى طالب : قال ابن إسحاق : وقال طالب (٧) بن أبى طالب ابن عبد المطلب :

أَلم تَعلموا ما كـان فى حَرب دَاحسٍ وَجيش أبى يكسوَم إذ مَلأوا الشِّعْبا (٨)
فلولا دفـــــاعُ الله لا شَىءَ غيرهُ لأصبحتم لا تَمنعون لكـــم سِربًا (٩)

شعر أَبى الصَّلت الثقفى : قال ابن إسحاق : وقال أبو الصـــلت (١٠) بن أبى ربيعة الثقفى فى شأن الفيل ، ويذكر الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام ·

---

(١) القزم : صغار الغنم ، ويقال : رذال المال · (٢) ثأج : صاح ·
(٣) صلوا : ادعوا · والأخاشب : جبال مكة ·
(٤) القاذفات : أعالى الجبال ، والمناقب : الطرق فى رءوس الجبال ·
(٥) الساف : الذى غطاه التراب · والحاصب : الذى أصيب بالحجارة ·
(٦) ملحبش : أى من الحبش · والعصائب :الجماعات ·
(٧) أكبر أولاد أبى طالب وهو أسن من عقيل بعشرة أعوام ، وعقيل أسن من جعفر بعشرة أعوام وجعفر أسن من على ﷺ - بعشرة أعوام ، ولم يذكر أنه أسلم أى طالب ·
(٨) داحس : الفرس الشهيرة التى كانت حرب داحس والغبراء بسببها ، والشعب : الطريق فى الجبل ·
(٩) السرب بفتح السين : المال الراعى ، وبالكسر : القطيع من البقر والظباء ، ومن النساء أيضًا ·
(١٠) واسم أبى الصلت : ربيعة بن وهب بن علاج ·

إنَّ آيــــاتِ ربِّنا ثاقبَاتٌ ... لا يُمارِى فيهن إلا الكَفُورُ
خلَقَ الليلَ والنهـــارَ فكلٌّ ... مُستبينٌ حســـابُهُ مقْدورُ
ثم يَجلُو النَهارَ ربٌّ رَحيمٌ ... بمَهاةٍ شُعَاعها مَنشــــورُ (١)
حَبس الفيلَ بالمغمَّس ، وحتى ... ظَلَّ يَحبـــو كأنه مَعقورُ
لازمًا حَلقة الجِران كما قُـــ ... ـــطِّرَ من صخرٍ كبكبٍ محدور (٢)
حَولهُ من مُلوكِ كِنْدة أبطَا ... لٌ مَلاويثٌ فى الحروب صُقورُ
خلَّفُوهُ ثم ابذعــــروا جَميعًا ... كلهم عظـــمُ ساقه مكسورُ (٣)
كُلُّ دِين يوم القيـــامة عندَ ... اللهِ إلا دِين الحَنيفـــة بُورُ (٤)

ولدا أبرهة : قال ابن إسحاق : فلما هلك أبرهة ، ملك الحبشة ابنُه يَكْسُوم بن أبرهة ، وبه كان يُكنى ، فلما هلك يكسُوم بن أبرهة ، ملك اليمن فى الحبشة أخوه مَسروق بن أبرهة .

* * *

(١) المهاة : اسم من أسماء الشمس ، سميت بذلك لصفائها . والمها من الأجسام : الصافى الذى يرى باطنه من ظاهره ، والمهاة : البلورة . والمهاة : الظبية .
(٢) الجران : العنق . وقطِّر : رمى على قطره وهو الجانب . وكبكب : اسم جبل . والمحدور الذى : حدر من جبل أى وقع .
(٣) ابذعروا : أى تفرقوا .
(٤) الحنيفة : يريد الأمة الحنيفة أى المسلمة التى على دين إبراهيم الحنيف -عليه السلام- ، وذلك أنه حنف عن اليهودية والنصرانية ، أى : عدل عنهما فسمِّى حنيفًا . أو حنف عما كان يعبد آباؤه وقومه .

خروج سيف بن ذى يَزَن وملك وَهْرِز على اليمن

سيف يشكو لقيصر :فلما طال البلاء على أهل اليمن ، خرج سيف بن ذى يزن الحِميرى (١) وكان يكنى بأبى مُرة ، حتى قدم على قيصر ملك الروم ، فشكا إليه ما هم فيه ، وسأل أن يخرجهم عنه ، ويليهم هو ، ويبعث إليهم من شاء من الروم ، فيكون له مُلك اليمن ، فلم يُشْكِه (لم يستجب لشكواه) .

النُّعْمَان يتشفع لسيف عند كسرى : فخرج حتى أتى النعمان بن المنذر (٢) ، وهو عامل كسرى (٣) على الحيرة ، وما يليها من أرض العراق - فشكا إليه أمر الحبشة ، فقال له النعمان : إن لى على كسرى ،وفادة فى كل عام ، فأقم حتى يكون ذلك ، ففعل ، ثم خرج معه فأدخله على كسرى ، وكان كسرى يجلس فى إيوان مجلسه الذى فيه تاجه ، وكان تاجه مثل القَنْقَل العظيم (٤) - فيما يزعمون - يُضرب فيه الياقوت واللؤلؤ والزبرجد بالذهب والفضة ، معلقا بسلسلة من ذهب فى رأس طاقة فى مجلسه ذلك ، وكانت عنقه لا تحمل تاجه ، إنما يستر بالثياب حتى يجلس فى مجلسه ذلك ، ثم يدخل رأسه فى تاجه ، فإذا استوى فى مجلسه كشفت عنه الثياب ، فلا يراه رجل لم يره قبل ذلك ، إلا برك هيبة له ، فلما دخل عليه سيف ابن ذى يزن برك .

---

(١) وهو سيف بن ذى يزن بن ذى أصبح بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس ابن معاوية بن جشيم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن ابن الهميسع بن العرنجج وهو : حمير بن سبأ .

(٢) النعمان : اسم منقول من النعمان الذى هو الدم .

(٣) وكسرى هذا هو : أنوشروان بن قباذ ، ومعناه مجدد الملك ، لأنه جمع ملك فارس بعد شتات .

(٤) القنقل الذى شبه به التاج هو مكيال عظيم . قال الراجز يصف الكمأة :

ما لك لا تجرفها بالقنقل　　لا خير فى الكمأة إن لم تفعل

وفى الغريبين للهروى : القنقل : مكيال يسع ثلاثة وثلاثين منًّا ، والمن وزن رطلين وهذا التاج قد أتى به عمر بن الخطاب رضي الله عنه - حين استُلب من يزدجرد بن شهريار ، تصير إليه من قبل جده أنوشروان المذكور ، فلما أتى به عمر رضي الله عنه ، دعا سراقة بن مالك المُدْلجى ، فحلاه بأسورة كسرى ، وجعل التاج على رأسه ، وقال له : قل : الحمد لله الذى نزع تاج كسرى ، ملك الأملاك من رأسه ، ووضعه فى رأس أعرابى من بنى مدلج ، وذلك بعز الإسلام وبركته لا بقوتنا ، وإنما خص عمر سراقة بهذا ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قال له : « يا سراق كيف بك إذا وضع تاج كسرى على رأسك ، وإسواره فى يديك » أو كما قال صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : ثم قال له : أيها الملك ، غلبتنا على بلادنا الأغْربةُ ، فقال له كسرى : أى الأغربة : الحبشة أم السند ؟ فقال : بل الحبشة ، فجئتك لتنصرنى ، ويكون ملك بلادى لك ، قال : بعُدتْ بلادك مع قلة خيرها ، فلم أكن لأوَرِّط جيشا من فارس بأرض العرب ، لا حاجة لى بذلك ، ثم أجازه بعشرة آلاف درهم واف ، وكساه كسوة حسنة ، فلما قبض ذلك منه سيف خرج ، فجعل ينثر ذلك الورِق (الفضة) للناس ، فبلغ ذلك الملك ، فقال : إن لهذا لشأنا ، ثم بعث إليه ، فقال : عمدت إلى حِباء الملك تنثره للناس ، فقال : وما أصنع بهذا ؟ ما جبال أرضى التى جئت منها إلا ذهب وفضة - يرغبه فيها - فجمع كسرى مَرَازِبَته [١] ، فقال لهم : ماذا ترون فى أمر هذا الرجل ، وما جاء له ؟ فقال قائل : أيها الملك ، إن فى سجونك رجالا قد حبستهم للقتل ، فلو أنك بعثتهم معه ، فإن يهلكوا كان ذلك الذى أردت بهم ، وإن ظفروا كان ملكا ازددته ، فبعث معه كسرى من كان فى سجونه ، وكانوا ثمانمائة رجل .

انتصارُ سيف : واستعمل عليهم رجلا يقال له وَهْرِز ، وكان ذا سن فيهم ، وأفضلهم حسبا وبيتا ، فخرجوا فى ثمان سفائن ، فغرقَت سفينتان ، ووصل إلى ساحل عَدَن ست سفائن [٢] فجمع سيف إلى وهرز من استطاع من قومه وقال له : رجلى مع رجلك حتى نموت جميعا ، أو نظفر جميعًا . قال له وهرز : أنصفت . وخرج إليه مسروق بن أبرهة ملك اليمن ، وجمع إليه جنده ، فأرسل إليهم وهرز ابنا له ، ليقاتلهم ، فيختبر قتالهم فَقُتِل ابن وهرز ، فزاده ذلك حَنَقًا عليهم ، فلما تواقف الناس على مَصَافهم ، قال وهرِز : أرونى ملكهم ، فقالوا له : أترى رجلا على الفيل عاقداً تاجه على رأسه ، بين عينيه ياقوتة حمراء ؟ قال : نعم ، قالوا : ذاك ملكهم ، فقال : اتركوه ، قال : فوقفوا طويلا ، ثم قال : علام هو ؟ قالوا : قد تحوَّل على الفرس ، قال اتركوه ، فوقفوا طويلا ، ثم قال : علام هو ؟ قالوا : قد تحول على البغلة . قال وهرز : بنت الحمار ؟! ذلّ وذل ملكه ، إنى سأرميه ، فإن رأيتم أصحابه لم يتحركوا فاثبتوا حتى أوذِنكم ، فإنى قد أخطأت الرجل ، وإن

---

(١) مرازبته : وزراؤه .

(٢) وذكر ابن قتيبة أنهم كانوا سبعة آلاف وخمسمائة ، وانضافت إليهم قبائل من العرب .

رأيتم القوم قد استداروا ولاثوا به فقد أصبت الرجل ، فاحملوا عليهم . ثم وتَّرَ قوسه ، وكانت فيما يزعمون لا يوترها غيره من شدتها ، وأمر بحاجبيه ، فعُصبا له ، ثم رماه ، فصك الياقوتة التى بين عينيه ، فتغلغلت النُّشَّابة فى رأسه حتى خرجت من قفاه ونكس عن دابته ، واستدارت الحبشة ولاثت به ، وحملت عليهم الفرس ، وانهزموا ، فقتلوا وهربوا فى كل وجه ، وأقبل وهرز ، ليدخل صنعاء (١) ، حتى إذا أتى بابها ، قال : لا تدخل رايتى مُنَكَّسة أبدًا ، اهدموا الباب ، فهدم ، ثم دخلها ناصبًا رايته .

شعر سيف بن ذى يزن فى هذه القصة : فقال سيف بن ذى يزن الحميرى :

يَظُنُّ النـاسُ بالملكيـ ـن أنهما قد التأمَا (٢)
وَمَنْ يَسمع بلأمهـا فإن الخَطْب قـد فَقُمَا (٣)
قَتلْنا القيَل مَسروقًا وروَّيْنَا الكثيبَ دَمَـا (٤)
وإنَّ القَـيْلَ قيَـل النا سِ وهرِزَ مُقْسِمٌ قَسَمَا
يذوقُ مُشعشعًا حتى يُفىء السبى وَالنَّعـمَا (٥)

---

(١) وإنما كانت تسمى قبل ذلك أوال بفتح الهمزة وكسرها .

قال ابن الكلبى : وسميت صنعاء لقول وهرز حين دخلها : صَنْعة صنعة ، يريد أن الحبشة أحكمت صنعها ، قال ابن مقيل يذكر أوال :

عمد الحُداة بها لعارض قرية   وكأنها سفن بسيف أوال

وقال جرير :

وشبهت الحدوج غداة قَوٍّ   سفين الهند رَوَّح من أوالا

وقال الأخطل :

خوص كأن شكيمهن معلق   بقنا ردينة أو جذوع أوال

وقد قيل : إن صنعاء اسم الذى بناها ، وهو : صنعاء بن أوال بن عيير بن عابر بن شالخ فكانت تعرف تارة بأوال ، وتارة بصنعاء .

(٢) التأما : اصطلحا .

(٣) فقم : ازداد واشتد .

(٤) القيل : الملك .

(٥) المشعشع : الخمر الممزوجة بالماء .

شعر أبى الصلت : قال ابن إسحاق : وقال أبو الصلت بن أبى ربيعة الثقفى :

لِيَطْلُبِ الوِتْرَ أمثالُ ابن ذى يَزَن ... رَيَّم فى البحر للأعداء أحْوالا (١)
يَمَّمَ قَيصرَ لـمَّا حَانت رحلتُهُ ... فلم يجد عنده بعضَ الذى سَالا
ثم انثنى نحو كسرى بعد عَاشِرة ... من السنين يُهين النفسَ والمَالا
حتى أتى ببنى الأحرار يَحملُهم ... إنَّك عَمرى لقد أسرعت قلْقَالا (٢)
لله دَرُّهم مَنْ عُصبة خَرجوا ... ما إن أرى لهمُ فى الناس أمثالا
بيضًا مرازبةً ، غُلبًا أساورَة ... أُسْدًا تُربِّبُ فى الغيضات أشبالاً (٣)
يَرمون عن شُدُف كأنها غُبُط ... بزمخرٍ يُعجلُ المرمىَّ إعجالاً (٤)
أرسلتَ أُسدًا على سُود الكلاب فقدْ ... أضحى شريدُهم فى الأرض فُلاَّلا
فاشربْ هَنيئا عليك التاج مرتفقًا ... فى رأس غُمدان دارًا منك محلالا (٥)

---

(١) ريَّم فى البحر : أى : أقام فيه ، ومنه الروايم ، وهى الأثافى ، كذلك وجدته فى حاشية الشيخ التى عارضها بكتاب (أبى الوليد الوقشى) ، وهو عندى غلط ، لأن الروايم من رأمت إذا عطفت ، وريَّم ليس من رأم ، وإنما هو من الريم ، وهو الدرج ، أو من الريم الذى هو الزيادة والفضل ، أو من رام يريم إذا برح ، كأنه يريد : غاب زمانا وأحوالا ثم رجع للأعداء ، وارتقى فى درجات المجد أحوالا إن كان الرِّيم الذى هو الدرج ، ووجدته فى غير هذا الكتاب ، خيَّم مكان ريم ، فهذا معناه ، أقام . انظر الروض الأنف تحقيق طه عبد الرءوف سعد جـ ١ ص ٨٤ .

(٢) عمرى : أراد : لعمرى ، وقد قال الطائى :

عمرى لقد نصح الزمانُ ، وإنه ... لمن العجائب ناصح لا يشفق

وأسرعت قلقالا بفتح القاف وكسرها ، وكقول الآخر ، « وقلقل يبغى العز كل مقلقل » . وهى شدة الحركة .

(٣) غلبًا : شدادًا ، والأساورة : الرماة ، والغيضات : جمع غيضة الشجر الكثير الملتف .

(٤) « يرمون عن شُدُف كأنها غبط » الشدَف : الشخص ، ويجمع على شُدف ، ولم يرد ههنا إلا القسى ، وليس شدف جمعًا لشدَف ، وإنما هو جمع شدوف ، وهو النشيط المرح يقال : شدفَ ، فهو شدف ، ثم نقول : شدوف ، كما تقول مروح ، وقد يستعار المرح والنشاط للقسى لحسن تأتيها وجودة رميها وإصابتها ، فيرمون عن شدف أى : يدفعون عنها بالرمى . ويكون الزمخر : القسى ، أو النبل ، والغبط : الهوادج ، والزمخر : القصب الفارسى .

(٥) غمدان أسسه : يعرب بن قحطان ، وأكمله بعده ، واحتله : وائل بن حمير بن سبأ وكان ملكا متوجا كأبيه وجده .

واشرب هنيئا فقد شالت نَعامتهم   وأسبل اليوم فى بُرديك إسبالاً (١)
تلك المكارمُ لا قعبان من لَبَن   شِيبا بَماءٍ فَعادا بَعْدُ أبوالاَ

شعر عَدىٍّ بن زَيد : قال ابن إسحاق : وقال عَدىٌّ بن زيد الحميرىٌّ ، وكان أحد بنى تميم من العباد (٢) :

مَا بَعد صَنعَـــاءَ كان يَعمُرهَا   وُلاة مُلك جَزل مَواهبهـــا
رَفَعها من بنى لَـــدى قَزع الــ   ـمُزْن وتَنْدى مسكا مَحاربهـا (٣)
مَحفوفة بالجبال دُون عُرىَ الــ   ـكائد ما تُرتقى غواربُها (٤)
يأنسُ فَيها صَـــوتُ النُّهام إذا   جَاوبها بالعشِـى قَاصبها (٥)
سَاقَت إليه الأسباب جُند بنى الـ   أحرارِ فُرسَانهـــا مَواكبها
وَفَوَّزَت بالبغال تُوسَقُ بالــ   ـحَتْفِ وتَسعى بِهَا تَوالبهَا (٦)

(١) شالت نعامتهم ، أى : هلكوا ، والنعامة : باطن القدم ، وشالت : ارتفعت ، ومن هلك ارتفعت رجلاه ، وانتكس رأسه ، فظهرت نعامة قدمه . تقول العرب : تَنَعَّمْتَ إذا مشيت حافيًا ، قال الشاعر :

تنعمت لما جاءنى سوء فعلهم   ألا إنما البأســاء للمتنعم

(٢) العباد ، وهم من عبد القيس بن أفصى بن دُعْمىٍّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة ، قيل : إنهم انتسلوا من أربعة : عبد المسيح ، وعبد كُلال ، وعبد الله ، وعبد ياليل ، وكذلك سائرهم فى اسم كل واحد منهم : عبد ، وكانوا قدموا على ملك فتسموا له ، فقال : أنتم العباد فسموا بذلك ، وقد قيل غير هذا ، وفى الحديث المسند : أبعد الناس عن الإسلام الروم والعباد ، وأحسبهم هؤلاء ، لأنهم تنصَّروا ، وهم من ربيعة ، ثم من بنى عبد القيس ، والله أعلم . والذى ذكره الطبرى فى نسب عدى بن زيد أنه ابن زيد بن حماد بن أيوب بن مجروف ابن عامر بن عُصَيّة بن امرئ القيس بن زيد بن مناة بن تميم . وقد دخل بنو امرئ القيس بن زيد مناة فى العباد ، فلذلك ينسب عدى إليهم .

(٣) قزع المزن : السحاب المتفرق .

(٤) دون عُرى الكائد : يريد : عرى السماء وأسبابها ، ووقع فى نسخة أخرى : عَرى بفتح العين ، وهى الناحية ، وأضافها إلى الكائد ، وهو الذى كادهم ، والبارى - سبحانه وتعالى - كيده متين .

(٥) صوت النهام ، يريد ذكر البوم ، وقاصبها : الذى يزمر فى القصب .

(٦) فَوَّزَت بالبغال : أى ركــبت المفاوز ، تُوسق بالحتف ، أى : أوســق البغال=

حَتى رآها الأقوالُ من طَرَفِ المَــ ... ـنقَلِ مُخضرةً كَتائبُهـــــا (١)

يَومَ يُنادونَ آلَ بَربَر واليكـــ ... ـسُومَ لا يُفلحَنَّ هَاربُهـــــا (٢)

وكان يوم بـــاقى الحديثِ وَزا ... لتْ إمَّةٌ ثابت مَرَاتبهـــــا (٣)

وبُدِّل الفيْجُ بالزرافـــــة والأيا ... مُ جُونٌ جَمٌّ عَجائبهـــــا (٤)

بَعدَ بَنى تُبَّعٍ نَخـــــاورة ... قَدِ اطمأنتْ بهـــــا مَرازبها (٥)

* * *

= الحتوف ، وتوالبها : جمع تولب ، وهو ولد الحمار ، والتاء فى تولب بدل من واو ، كما هى فى توءم وتولج وفى توراة على أحد القولين ، لأن اشتقاق التولب من الوالبة ، وهى ما يولده الزرع ، وجمعها : أوالب .

(١) من طرف المنقَل أى : من أعالى حصونها ، والمنقال : الخرج ينقل إلى الملوك من قرية إلى قرية ، فكأن المنقل من هذا ، والله أعلم . مخضرة كتائبها . يعنى من الحديد ، ومنه الكتيبة الخضراء .

(٢) ينادون آل بربر ، لأن البربر والحبشة من ولد حام ، وقد قيل إنهم من ولد جالوت من العماليق .

وقد قيل فى جالوت إنه من الخزر ، وإن أفريقس لما خرج من أرض كنعان سمع لهم بربرة ، وهى اختلاط الأصوات ، فقال : ما كان أكثر بربرتهم ! فسموا بذلك ، وقيل غير هذا . (٣) الإمة : النعمة .

(٤) الفيج : المتفرد فى مشيته ، والزرافة : الجماعة من الناس .

(٥) النخارة : الكرام ، والمرازبة : الوزراء .

ذكرُ ما انتهى إليه أَمْرُ الفُرس باليمن

مُدَّةُ مُكث الحبشة باليمن : قال ابن إسحاق : فأقام وَهْرِز والفرس باليمن ، فمن بقية ذلك . الجيش من الفرس : الأبناء الذين باليمن اليوم ، وكان ملك الحبشة باليمن ، فيما بين أن دخلها أرياط إلى أن قتلت الفرس مسروق بن أبرهة ، وأخرجت الحبشة ، اثنتين وسبعين سنة ، توارث ذلك منهم أربعة : أرياط ، ثم أبرهة ، ثم يكسوم بن أبرهة ، ثم مسروق بن أبرهة .

أُمراءُ الفرس باليمن : ثم مات وَهْرِز ، فأمَّر كسرى [1] ابنه المرْزبان بن وَهْرِز على اليمن ، ثم مات المَرْزبان ، فأمَّر كسرى ابنه التينُجان بن المرزبان على اليمن ، ثم مات التينجان ، فأمَّر كسرى ابن التَّيْنُجَان على اليمن ، ثم عزله وأمَّر باذان ، فلم يزل باذان عليها حتى بعث الله محمداً النبي ﷺ .

محمد ﷺ يتنبأ بموت كسرى : قال ابن إسحاق فبلغني عن الزهرى أنه قال :

كتب كسرى إلى باذان : إنه بلغني أن رجلا من قريش خرج بمكة ، يزعم أنه نَبى ، فسر إليه فاستتبه ، فإن تاب ، وإلا فابعث إلىَّ برأسه ، فبعث باذان بكتاب كسرى إلى رسول الله ﷺ ، فكتب إليه رسول الله ﷺ : « إن الله قد وعدنى إن يقتل كسرى فى يوم كذا من شهر كذا » [2] فلما أتى باذان الكتابُ توقف لينظر ،

(١) كسرى هذا هو : أبرويز بن هرمز بن أنوشروان ، ومعنى أبرويز بالعربية : المظفَّر، وهو الذى غلب الروم حـــين أنزل الله : ﴿ الم ۝ غُلبت الروم فى أدنى الأرض ﴾ وهو الذى عُرض على الله فى المنام ، فقال له : سلم ما فى يديك إلى صاحب الهراوة ، فلم يزل مذعوراً من ذلك ، حتى كتب إليه النعمان بن المنذر بظهور - النبى ﷺ ، بتهامة ، فعلم أن الأمر سيصير إليه ، حتى كان من أمـــره ما كان ، وهو الذى كتب إليه النبى ﷺ وحفيده : يزدجرد بن شهريار بن أبرويز ، وهو آخر ملوك الفرس ، وكان سلبُ ملكه ، وهدم سلطانه على يدى عمر بن الخطاب ، ثم قتل هو فى أول خلافة عثمان ، وجد مستخفيا فى رحى فقتل وطرح فى قناة الرحى ، وذلك بمرو من أرض فارس .

(٢) وكان مقتل كسرى حين قتله بنوه ليلة الثلاثاء لعشر من جمادى الأولى سنة سبع من الهجرة ، وأسلم باذان باليمن فى سنة عشر ، وفيها بعث رسول الله ﷺ إلى أبناء الفرس الذين استوطنوا اليمن يدعوهم إلى الإسلام ، فمن الأبناء : وهب بن مُنَبِّه بن سَيج بن ذُكبار ، وطاوس وذادويه وفيروز اللذان قتلا الأسود العنسى الكذاب ، وقد قيل . فى طاوس : إنه ليس من الأبناء ، وإنه من حمير ، وقد قيل : من فارس ، واسمه : ذكوان بن كيسان ، وهو مولى بجير بن ريسان ، وقد قيل : مولى الجَعْد ، وكان يقال له : طاوس القراء لجماله .

وقال : إن كان نبيًّا ، فسيكون ما قال ، فقتل الله كسـرى فى اليـوم الذى قال رسول الله ﷺ [(١)] .

وقال خالد بن حق الشيبانى :

وكِسرى إذ تقسَّمه بَنوهُ   بأسياف كما اقتسَـم اللِّحامُ
تَمخَّضتِ المنونُ لهَ بيومٍ   أَنَى ، ولَكلِّ حَامِلة تمامُ [(٢)]

إسلام باذان : قال الزهرى : فلما بلغ ذلك باذن بعث بإسلامه ، وإسلام من معه من الفرس إلى رسـول الله ﷺ ، فقالت الرسل من الفرس لرسول الله ﷺ ، إلى من نحن يا رسول الله ؟ قال : « أنتم منا وإلينا أهل البيت » .

كتاب الحَجَر الذى فى اليمن : قال ابن إسحاق : وكان فى حَجر باليمن - فيما يزعَمون - كتاب بالزَّبور كتب بالزمان الأول : لمن مُلْك ذمار [(٣)] ؟ لحمـير الأخيار [(٤)] ، لمن ملك ذِمار ؟ للحبشة الأشرار [(٥)] . لمن مـلك ذمار ؟ لفارس الأحرار [(٦)] . لمن ملك ذمار ؟ لقريش التجار » .

---

(١) قال ابن هشام : قتل على يد ابنه شيرويه انظر سيرة ابن هشام ١ / ٦٣ تحقيق طه عبد الرءوف سعد ط مكتبة الكليات الأزهرية .

(٢) تمخضت : حملت ، والمنون : المنية ، وهو أيضًا من أسماء الدهر ، وهو من مننت الحبل إذا اقطعته ، وأنى : أى حان ، وهذه الرواية لابن هشام .

(٣)حكى ابن هشام عن يونس ذمار بفتح الذال ، فدل على أن رواية ابن إسـحاق بالكسـر ، فإذا كان بكسر الذال فهو غير مصروف ، لأنه اسم لمدينـة ، والغالب عليه التأنيـث ، ويجوز صرفه أيضًا ، لأنه اسم بلد ، وإذا فتحت الذال ، فهو مبنى مثل : رقاش وحذام .

(٤) وقوله : لحمير الأخيار ، لأنهم كانوا أهل دين ، كما تقدم فى حديث فيميون وابن الثامر .

(٥) وأما قوله للحبشة الأشرار : فلما أحدثوا في اليمن من العيث والفساد ، وإخراب البلاد ، حتى هموا بهدم بيت الله الحرام ، وسيهدمونه فى آخر الزمان إذا رفع القرآن ، وذهب من الصدور الإيمان يشير بذلك إلى حديث : « اتركوا الحبشة ما تركوكم ، فإنه لا يستخرج كنز الكعبة إلا ذو السويقتين من الحبشة » وقد رواه أبو داود بسند ضعيف .

(٦) ولقوله : لفارس الأحرار ، فلأن الملك فيهم متوارث من أول الدنيا من عـهد جيومرت فى زعمهم إلى أن جاء الإسلام ، لم يدينوا لملك من غيرهم ، ولا أدوا الإتاوة لذى سلطان من سواهم ، فكانوا أحراراً لذلك .

وذمار : اليمن أو صنعاء .

الأعشى يذكر نبوءة شق وسطيح : قال ابن إسحاق : وقال الأعشى - أعشى ابن قيس بن ثعلبة فى وقوع ما قال سطيح وصاحبه .

مَا نَظرتْ ذَاتُ أَشفارٍ (١) كَنظراتِها حقًّا كما صَدقَ الذِّئْبِى إذ سَجَعا

وكانت العرب تقول لسطيح : الذئبى : لأنه سطيح بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب .

* قصة مَلك الحَضْر (٢)

سَابور يستولى على الحضر : وكان كسرى سابور ذو الأكتاف غزا ساطرون (٣) ملك الحضر فحصره سنتين ، فأشرفت بنتُ سَاطرون (٤) يوما ، فنظرت إلى سابور ، وعليه ثياب ديباج وعلى رأسه تاج من ذهب مُكلَّل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ ، وكان جميلا ، فدست إليه : أتتزوجنى إن فتحت لك باب الحَضَر ؟ فقال : نعم . فلما أمسى سَاطرون شرب حتى سكر ، وكان لا يبيت إلا سكران ، فأخذت مفاتيح باب الحضر من تحت رأسه ، فبعثت بها مع مولى لها ففتح الباب ، فدخل سابور ، فقتل ساطرون ، واستباح الحضر وخربه (٥) ، وسار بها معه فتزوجها ، فبينا هى نائمة على

(١) يريد زرقاء اليمامة ، وكانت تبصر على مسيرة ثلاثة أيام ، وقبل هذا البيت :

قالت : أرى : رجلا فى كفه كتف أو يخصف النعـــل لهفى أية صنعا
فكذبوها بما قالت فصبَّحهـــــم ذو آل غسان يزجى الموتَ والشرعـــا

(٢) الحضر : حصن عظيم كالمدينة ، كان على شاطىء الفرات .

(٣) الساطرون بالسريانية : هو الملك ، واسم الساطرون : الضيزان بن معاوية : قال الطبرى : هو جُرْمُقانى ، وقال ابن الكلبى : هو قضاعى من العرب الذين تنخوا بالسواد ، فسموا : تنوخ ، أى : أقاموا بها ، وهم قبائل شتى ، ونسبه ابن الكلبى ، فقال : هو ابن معاوية بن عبيد ، ووجدته بخط أبِى بحر ، عبيد بضم العين بن أجرم من بنى سليح بن حلوان ابن الحاف بن قضاعة ، وأمه : جيْهَلة ، وبها كان يعرف ، وهى أيضا قضاعية من بنى تزيد الذين تنسب إليهم الثياب التزيدية .

(٤) وتسمى النضيرة .

(٥) وقال المسعودى : دلته على نهر واسع كان يدخل منه الماء إلى الحضر ، فقطع لهم الماء ، ودخلوا منه .

وقال الطبرى : دلته على طلسم كان فى الحضر ، وكان فى علمهم أنه لا يفتـــح =

فراشها ليلا إذ جعلت تتململ لا تنام ، فدعا لها بشمع ففتَّش فراشها ، فوجد عليه ورقة آس ، فقال لها سابور : أهذا الذى أسْهَرَك ؟! قالت : نعم ، قال : فما كان أبوك يصنع بك ؟! قالت : كان يفرش لى الديباج ، ويلبسنى الحرير ، ويطعمنى المخ ، ويسقينى الخمر ، قال : أفكان جزاء أبيك ما صنعت به ؟! أنت إلىَّ بذلك أسرع ، ثم أمر بها ، فرُبطت قُرُون رأسها بذَنَب فرس ، ثم ركض الفرس ، حتى قتلها (١) : ففيه يقول أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

قول أعشى قيس فى قصة الحَضْر :

أَلم تَرَ لِلحَضْرِ إذَ أهلُه ... بنُعْمَى ، وهل خَالدٌ مَن نَعِمْ ؟!

أَقامَ به شَاهبُورُ الجُنُو ... دَ حَولين تضرب فيه القُدُمْ (٢)

فَلمَّا دَعا رَبَهُ دَعوةً ... أَناب إِليهَ فَلم يَنتقِمْ

وهذه الأبيات فى قصيدة له .

قَولُ عدى بن زيد فى هذه القصة : وقال عدى بن زيد فى ذلك :

والحَضْرُ صَابتْ عَليهِ دَاهيةٌ ... من فَوقه أيِّدٌ مَناكِبُها (٣)

رَبيَّةٌ لم تُوَقِّ والدَهَا ... لِحَينِهَا إذ أضَاع رَاقِبُها (٤)

= حتى تؤخذ حمامة زرقاء ، وتخضب رجلاها بحيض جارية بكر زرقاء ، ثم ترسل الحمامة ، فتنزل على سور الحضر ، فيقع الطلسم ، فيفتح الحضر .

(١) قال ابن إسحاق : المستبيح للحضر سابور ذو الأكتاف ، وجعله غير سابور بن أزدشير بن بابك ، وقد تقدم أن أزدشير هو أول من جمع ملك فارس ، وأذل ملوك الطوائف ، حتى دان الملك له ، والضيزن ، كان من ملوك الطوائف ، فيبعد أن تكون هذه القصة لسابور ذى الأكتاف ، وهو سابور بن هرمز ، وهو ذو الأكتاف ، لأنه كان بعد سابور الأكبر بدهر طويل ، وبينهم ملوك مسمَّون فى كتب التاريخ ، وهم : هرمز بن سابور ، وبهرام بن هرمز ، وبهرام بن بهرام ، وبهرام الثالث ، ونرسى بن بهرام ، وبعده كان ابنه سابور ذو الأكتاف والله أعلم .

(٢) شاهبور : معناه ابن الملك .

(٣) أيد : شديدة .

(٤) رَبيَّة لم تُوق والدها : يحتمل أن تكون فعيلة من ربيت ، إلا أن القياس فى فعيلة بمعنى مفعولة أن تكون بغير هاء ، ويحتمل أنه أراد معنى الربو والنماء ، لأنها ربت فى =

إذَ غَبقتهُ صَهبــــــاء صَافيةً والخمرُ وهْل يَهيــم شَاربُهَا (١)
فأسلمتْ أهْلَهــــــا بليلتِها تَظُنُّ أنْ الرئيس خَاطِبُهــــا
فَكانَ حَظُّ العَروسِ إذَا جَــشر الصبـحُ دِماءً تَجرى سَبائبِها (٢)
وخُرِّبَ الحَضرُ ، واستُبِيحَ ، وقَد أُحْرِق فى خِدْرِهَا مشاجِبُهـا (٣)

* ذكر ولد نزار بن معد :

قال ابن إسحاق : فولد نزار بن معد ثلاثة نفر ، مُضر (٤) بن نزار ، ورَبيعة بن نزار وأنمار بن نزار ·

أولاد أنْمَار : **قال ابن إسحاق** : فأنمار (٥) : أبو خَثْعَم وبَجيلة · قال جرير بن عبد الله البجلى وكان سيد بجيلة ، وهو الذى يقول له القائل :

=نعمة فتكون بمعنى فاعلة ، ويكون البناء موافقا للقياس ، وأصح من هذين الوجهين أن يكون أراد : ربيئة بالهمزة ، وسهل الهمزة فصارت ياء ، وجعلها ربيئة ، لأنها كانت طليعة حيث اطلعت ، حتى رأت سابور وجنوده ، ويقال للطليعة ذكراً كان أو أنثى : ربيئة ، ويقال له : رباء على وزن فعال وأنشدوا :

رباء شماء لا يأوى لقلتها - البيت

وقوله : أضاع راقبها ، أى أضاع المربأة الذى يرقبها ويحرسها ، ويحتمل أن تكون الهاء عائدة على الجارية أى : أضاعها حافظها ·

(١) والخمر وهْل · يقال : وهل الرجل وهْلا ، ووهَلا إذا أراد شيئًا ، فذهب وهمه إلى غيره · ويقال فيه : وهم أيضا بفتح الهاء ، وأما وهم بالكسر ، فمعناه غلط وأوهم بالألف معناه : أسقط ·

(٢) جشر : ظهر ووضح · سبائبها : السبائب جمع : سبيئة ، وهى كالعمامة أو نحوها ، ومنه السب وهو : الخمار ·

(٣) مشاجبها : المشاجب : جمع مشجب ، وهو ما تعلق منه الثياب ·

(٤) فأما مضر فإنه أول من سن حداء الإبل ، وســببه - فيما ذكروا - أنه سقط عن بعير ، فوثبت يده ، وكان أحسن الناس صوتًا ، فكان يمشى خلف الإبل ، ويقول : وايدياه وايدياه ، يترنم بذلك فأعنقت الإبل ، وذهب كلالها ، فكان ذلك أصل الحداء عند العـرب ، وذلك أنها تنشط بحدائها الإبل ، فتسرع ·

(٥) وأما أنمار فسمى : بالأنمار جمع نَمر ، كما سموا بسباع ،وكلاب ، وأم بنيه : بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة ولد له من غَيرها أفتل وهو : خثعم ، وولدت له عبقر =

لَوْلاَ جَرِيرٌ هَلَكَتْ بَجِيلَهْ نِعْمَ الفَتى ، وَبِئْسَتِ القَبِيلَهْ !! (١)

وهو ينافر (٢) الفُرَافصة (٣) الكلبى إلى الأقرع بن حابس التميمى :

يَا أَقْرَعُ بنَ حَابسٍ يَا أَقرعُ إِنك إِنْ يُصْرَعْ أَخــــوك تُصرَعُ (٤)

قال :

أَبَنِي نِزَارٍ انصُرَا أَخَاكُما إِنَّ أبى وجـــــدتُهُ أَبَاكُما
لَنْ يُغلبَ اليوم أَخٌ والاَكُما

وقد تيامنت ، فلحقت باليمن .

ولدا مُضَر : **قال ابن إسحاق** : فولد مُضر بن نزار رجلين : إلياس بن مُضر ، وعَيلان (٥) بن مضر .

= في خمسة عشر ، سماهم أبو الفرج ، عنهم تناسلت قبائل بجيلة وهم : وداعة وخزيمة وصهيبة والحارث ومالك وشيبة وطريفة وفهم والغوث وسهل وعبقر وأشهل كلهم بنو أنمار ، ويقال : إن بجيلة حبشية حضـــنت أولاد أنمار الذين سمينا ، ولم تحضن أفتل ، وهو : خثعم . فلم ينسب إليها .

(١) قال لما سمع هذا : ما مُدح رجل هُجى قومه : وجرير هذا هو : ابن عبد الله بن جابر ، وهو ، الشُّليل بن مالك بن نصر بن ثعلبة بن جشم بن عويف بن جذيمة .

(٢) ينافر : أى يحاكم ، قال قاسم بن ثابت : لفظ المنافرة مأخوذ من النَّفر ، وكانوا إذا تنازع الرجلان ، وادعى كل واحد منهم أنه أعز نفراً من صاحبه ، تحاكموا إلى العلامة فمن فضَّل منهما قيل : نفره عليه أى فضَّل نفره على نفر الآخر : فمن هذا أخذت المنافرة .

وقال زهير :

فإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء

(٣) الفرافصة بالضم : اسم الأسد ، وبالفتح اسم الرَجل ، وقد قيل : كل فُرافصة فى العرب بالضم إلا الفَرافصة أبا نائلة صهر عثمان بن عفان فإنه بالفتح .

(٤) الأشهر فى الرواية : إن يُصرع أخوك ، وإنما لم ينجزم الفعل الآخر على جواب الشرط ، لأنه فى نية التقديم عند سيبويه ، وهو على إضمار الفاء عند المبرد .

(٥) وأما عَيلان أخو إلياس ، فقد قيل : إنه قيس نفسه لا أبوه ، وسمى بفرس له اسمه : عيلان ، وكان يجاوره قيس كُبَّة من بجيلة عرف بكبة اسم فرسه ، فُرِّق بينهما بهذه الإضافة ، وقيل : عيلان اسم كلب له . =

أولاد إلياس : قال ابن إسحاق : فولد إلياس بن مضر ثلاثة نفر : مُدْرِكة بن إلياس ، وطابخة بن إلياس ، وقَمَعَة بن إلياس ، وأمهم : خِنْدِف [(١)] ، امرأة من اليمن .

قال ابن إسحاق : وكان اسم مُدْرِكة عامرًا ، واسم طابخة عَمْرًا ، وزعموا أنهما كانا فى إبل لهما يرعيانها ، فاقتنصا صيدًا ، فقعدا عليه يطبخانه ، وعدَتْ عادية على إبلهما فقال عامر لعمرو : أتدرك الإبل ، أم تطبخ هذا الصيد ؟ فقال عمرو : بل أطبخ ، فلحق عامر بالإبل فجاء بها ، فلما راحا على أبيهما حدثاه بشأنهما ، فقال لعامر : أنت مُدْرِكة ، وقال لعمرو : وأنت طابخة [(٢)] .

وأما قَمَعَة فيزعم نُسَّاب مُضر : أن خزاعة من ولد عمرو بن لُحَى بن قمعة بن إلياس .

* * *

= وذكر ابن إسحاق أم إلياس ، وقال فيها : امرأة من جُرهم ، ولم يسمها ، وليست من جرهم ، وإنما هى الرِّباب بنت حَيْدَة بن معد بن عدنان فيما ذكر الطبرى .

(١) وخندف التى عُرِف بها بنو إلياس . وهى التى ضربت الأمثال بحزنها على إلياس ، وذلك أنها تَركت بنيها ، وساحت فى الأرض تبكيه ، حتى ماتت كمدًا ، وكان مات يوم خميس ، وكانت إذا جاء الخميس بكت من أول النهار إلى آخره .

قال الزبير : وإنما نسب بنو إلياس لأمهم ، لأنها حين تركتهم شغلا لحزنها على أبيهم ، رحمهم الناس فقالوا : هؤلاء أولاد خندف الذين تركتهم ، وهم صغار أيتام ، حتى عرفوا ببنى خندف .

(٢) وفى الخبر زيادة : وهو أن إلياس قال لأمهم - واسمها ليلى - وأمها ، ضَرِيَّة بنت ربيعة بن نزار التى ينسب إليها : حمَى ضرية ، وقد أقبلت تُخَنْدف فى مشيتها : - مالك تخندفين ؟ فسميت : خندف ، والخندَفَةُ : سرعة فى مشى ، وقال لمدركة :

وأنت قد أدركْتَ ماطلبتـــا

وقال لطابخة :

وأنت قد أنضجت ماطبختا

وقال لقَمَعَة وهو عُمير :

وأنت قد قعدت فانقمعـــتا

حديث عَمرو بن لُحَيٍّ وذكر أَصنام العرب

عَمرو بن لُحَى يَجر قُصْبَهُ فى النار : قال ابن إسحاق : وحدَّثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه قال :

حُدِّثت أن رسول الله ﷺ قال : « رأيت عَمرو بن لُحَيٍّ يجر قُصْبَه (١) فى النار فسألته عمن بينى وبينه من الناس ، فقال : هلكوا » .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيمى أن أبا صالح السَّمَّان حدَّثه أنه سمع أبا هريرة . يقول :

سمعت رسول الله ﷺ يقول لأَكْثم بن الجَوْن الخزاعى : « يا أكثم ، رأيت عمرو بن لحى ابن قَمعة ابن خِندف يجر قُصْبه فى النار ، فما رأيت رجلا أشبه برجل منك به ، ولا بك منه ، فقال أكثم : عسى أن يَضُرَّنى شبهه يا رسول الله ؟ قال لا ، إنك مؤمن وهو كافر ، إنه كان أول من غَيَّر دين إسماعيل ، فنصب الأوثان ، وبَحَر البحيرة (٢) وسيَّب السائبة ، ووصل الوصيلة ، وحَمَى الحامى » .

سبب عبادة الأصنام : قال ابن إسحاق : ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة فى بنى إسماعيل ، أنه كان لا يَظْعَنُ من مكة ظاعن منهم ، حين ضاقت عليهم ، والتمسوا الفُسَح فى البلاد ، إلا حمل معه حجراً من حجارة الحَرم تعظيمًا للحرم ، فحيثما نزلوا وضعوه ، فطافوا به كطوافهم بالكعبة ، حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة وأعجبهم ، حتى خَلَف الخُلُوفُ ، ونسُوا ما كانوا عليه ، واستبدلوا بدين إبراهيم ، وإسماعيل غيره ، فعبدوا

---

(١) قصبه : أمعاءه

(٢) وقد روى أيضًا أن أول من بحَّر البحيرة : رجل من بنى مُدلج كانت له ناقتان فجدع آذانهما ، وحرم ألبانهما . قال رسول الله ﷺ : فرأيته فى النار يخبطانه بأخفافهما ، ويَعَضَّانه بأفواههما ، وقال عليه السلام : « قد عرفت أول من سيَّب السائبة ، ونصب النصب عمرو بن لحى رأيته يؤذى أهل النار بريح قُصْبه » رواه ابن إسحاق عن عبد الله بن أبى بكر مرسلا .

الأوثان(١)، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات ، وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم يتمسكون بها : من تعظيم البيت ، والطواف به ، والحج والعمرة والوقوف على عرفة والمزدلفة ، وهدى البُدْن ، والإهلال بالحج والعمرة ، مع إدخالهم فيه ما ليس منه . فكانت كنانة وقريش إذا أهلوا قالوا : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك ، إلا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك » ، فيوحِّدونه بالتلبية ، ثم يدخلون معه أصنامهم ، ويجعلون ملكها بيده . يقول الله تبارك وتعالى لمحمد ﷺ : ﴿ **وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون** ﴾ (يوسف : ١٠٦) أى ما يوحِّدوننى لمعرفة حقى إلا جعلوا معى شريكا من خلقى (٢) .

أَصنامُ قَومِ نُوح : وقد كانت لقوم نوح أصنام قد عكفوا عليها ، قَصَّ الله - تبارك وتعالى - خبرها على رسول الله ﷺ ، فقال : ﴿ **وقالوا لا تَذَرُنَّ آلهتكم ولا تذرن ودًّا ولا سُوَاعا ولا يَغُوثَ ويَعُوقَ ونَسْراً** * **وقد أضلوا كثيراً** ﴾(٣).

(نوح : ٢٣ ، ٢٤)

القبائل العربية وأصنامها : فكان الذين اتخذوا تلك الأصنام من ولد

---

(١) وكان عمرو بن لحي حين غلبت خزاعة على البيت ، ونفت جرهم عن مكة ، قد جعلته العرب ربًّا لا يبتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شرعة ، لأنه كان يطعم الناس ، ويكسو فى الموسم ، فربما نحر فى الموسم عشرة آلاف بدنة ، وكسا عشرة آلاف حُلة ، حتى ليقال : إنه اللاتُ الذى : يلت السويق للحجيج على صخرة معروفة تسمى صخرة اللات ، ويقال إن الذى يلت كان من ثقيف ، فلما مات قال لهم عمرو ، إنه لم يمت ، ولكن دخل فى الصخرة ، ثم أمرهم بعبادتها ، وأن يبنوا عليها بيتًا يسمى : اللات : ويقال : دام أمره وأمر ولده على هذا بمكة ثلاثمائة سنة ، فلما هلك سميت تلك الصخرة : اللات مخففة التاء ، واتخذ صنما يعبد ، وقد ذكر ابن إسحاق ، أنه أول من أدخل الأصنام الحرم ، وحمل الناس على عبادتها .

(٢) وكانت التلبية من عهد إبراهيم : لبيك ، لا شريك لك لبيك . حتى كان عمرو ابن لحى ، فبينما هو يلبى تمثل له الشيطان في صورة شيخ يلبى معه ، فقال عمرو : لبيك لا شريك لك ، فقال الشيخ : إلا شريكا هو لك ، فأنكر ذلك عمرو ، وقال : وما هذا ؟ فقال الشيخ قل : تملكه وما ملَك ، فإنه لا بأس بهذا ، فقالها عمرو ، فدانت بها العرب .

(٣) وتلك هى الجاهلية الأولى التى ذكر الله فى القرآن فى قوله : ﴿ **ولا تبرَّجن تبرج الجاهلية الأولى** ﴾ وكان بدء ذلك فى عهد مهلايل بن قَيْنان فيما ذكروا ، وقد ذكر البخارى عن ابن عباس قال : « صارت الأوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب بعدُ ، وهى أسماء قوم صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا فى مجالسهم التى =

إسماعيل وغيرهم وسمَّوا بأسمائهم حين فارقوا دين إسماعيل : هُذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر ، اتخذوا سُواعا ، فكان لهم بُرهَاط (١) ، وكلبُ بن وَبْرَة من قضاعة ، اتخذوا ودًّا بِدومْة الجَنَدل (٢) .

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك الأنصارى :

ونَنسى اللاَّتَ والعُزَّى وودًّا وَنَسْلُبُها القَلائِدَ والشُّنُــــوفَا (٣)

عُبَّاد يَغوث : قال ابن إسحاق : وأنعُم من طَيىء ، وأهل جُرَش من مَذْحج اتخذوا يغوث بجُرَش .

عُبَّاد يعوق : قال ابن إسحاق : وخَيْوان بطن من هَمْدان ، اتخذوا يعوق بأرض همدان من أرض اليمن .

عُبَّاد نسر : قال ابن إسحاق : وذو الكُلاَع من حِمير ، اتخذوا نسرًا بأرض حِمير .

عُبَّاد عُميانس : وكان لخَوْلاَن صنم يقال له : عُمْيَانس بأرض خَوْلاَن ، يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قسما بينه وبين الله بزعمهم ،فما دخل فى حق

= كانوا يجلسونها أنصابا ، وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ، فلم تعبد ، حتى إذا هلك أولئك وتُنوسخ العلم عُبدت ، وذكر الطبرى هذا المعنى وزاد : أن سواعا كان : ابن شيث ، وأن يغوث كان : ابن سواع وكذلك يعوق ونسر ، كلما هلك الأول صورت صورته ، وعُظمت لموضعه من الدين ، ولما عهدوا فى دعائه من الإجابة ، فلم يزالوا هكذا حتى خلفت الخلوف ، وقالوا : ما عظم هؤلاء آباؤنا إلا لأنها ترزق وتنفع وتضر ، واتخذوها آلهة وهذه أسماء سريانية وقعت إلى الهند فسمَّوا بها أصنامهم التى زعموا أنها صور الدرارى السبــعة ، وربما كلمتهم الجن من جوفها ففتنتهم ، ثم أدخلها إلى العرب عمرو بن لحى كما ذكر أو غيره ، وعلمهم تلك الأسماء ، وألقاها الشيــطان على ألسنتهم موافقة لما كانوا فى عهد نوح .

(١) رهاط : من أرض ينبع .

(٢) ودومة هذه - بضم الدال - ذكروا أنها سميت بدُومى بن إسماعيل كان نزلها ودومة أخرى بضم الدال عند الكوفة ودوْمة - بفتح الدال - أخرى مذكورة فى أخبار الرِّدة ، كذا وجدته للبكرى مقيداً فى أسماء هذه المواضع . راجع الروض الأنف تحقيق طه عبد الرءوف سعد جـ ١ صـ ١٠٣ .

(٣) الشنوفا : مفرده شنف - القرط .

عميانس من حق الله تعالى الذى سموه له تركوه له ، وما دخل فى حق الله تعالى من حق عميانس ردوه عليه · وهم بطن من خولان ، يقال لهم : الأديم ، وفيهم أنزل الله - تبارك وتعالى - فيما يذكرون : **﴿ وجعلوا لله مما ذَرأ من الحرث والأنعام نصيبًا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون ﴾** · (الأنعام : ١٣٦) ·

عُبَّاد سَعْد : قال ابن إسحاق : وكان لبنى مِلكان [١] - بن كِنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر - صنم ، يقال له : سَعْد : صخرة بفلاة من أرضهم طويلة ، فأقبل رجل من بنى ملكان بإبل له مؤبَّلة · ليقفها عليه ، التماس بركته فيما يزعم - فلما رأته الإبل وكانت مَرْعية لا تُركَب ، وكان يهراق عليه الدماء ، نفـــرت منه ، فذهبت فى كل وجه ، وغضب ربها الملكانى ، فأخذ حجرًا فرماه به ، ثم قال لا بارك الله فيك ، نفَّرْتَ علىَّ إبلى ، ثم خرج فى طلبها حتى جمعها ، فلما اجتمعت له قال :

أَتَيْنا إلى سَعْد ، ليجْمـــــع شَملنا فَشتَّتنا سَعْدٌ ، فَلا نَحنُ مـن سَعْد [٢]

وَهل سَعدُ إلا صـــــخرةٌ بتنُوفَـة من الأرض لا تَدعو لِغَى ولا رُشْد [٣]

دَوْس وصنمهم : وكان فى دَوْسٍ صنم لعمرو بن حُمَمَة الدَّوسى ·

ودوس بنُ عَدنان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعـــب بن

---

(١) ملكان بن كنانة بكسر الميم · قال أبو جعفر بن حبيب النسابة : كل شىء فى العرب فهو مِلْكان بكسر الميم ساكن اللام ، غير مَلَكان فى قضاعة ، وملكان فى السَّكون ، فإنهما بفتح الميم واللام ، فملكان قضاعة هو : ابن جَرم بن زبَّان بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، وملكان السَّكون هو : ابن عباد بن عياض بن عقبة بن السَّكون بن أشرس من كندة ·

(٢) ويمتنع فى العربية دخول لا على الابتداء المعرفة والخبر إلا مع تكرار : لا ، مثل أن تقول لازيد فى الدار ولا عمرو ، وذكر سيبويه قولهم : لا نَوْلُك أن تفعل ، وقال : إنما جاز هذا ، لأن معناه معنى الفعل ، أى : لا ينبغى لك أن تفعل ، وكذلك ينبغى أن يقال فى بيت الملكانى ، أى : لم يقلها على جهة الخبر ، ولكن على قصد التبرى منه ، فكان معنى الكـــــلام : فلا نتولى سعدًا ، ولا ندين به ، فهذا المعنى حسَّن دخول لا على الابتداء ·

(٣) بتنوفة : بأرض جرداء ·

عبد الله بن مالك بن نصر بن الأسد بن الغوث . ويقال : دَوسُ بن عبد الله بن زهران بن الأسد بن الغوث .

عُبَّاد هُبَل : قال ابن إسحاق : وكانت قريش قد اتخذت صنما على بئر فى جَوْف الكعبة يقال له : هُبَل (١) .

إسَاف ونائلة : قال ابن إسحاق : واتخذوا إسافًا ونائلة ، على موضع زمزم ينحرون عندهما ، وكان إساف ونائلة رجلا وامرأة من جُرْهُم – هو إساف بن بَغْى ، ونائلة بنت دِيك – فوقع إساف على نائلة فى الكعبة : فمسخهما الله حجرين (٢) .

حديث عائشة ﵂ عن إساف ونائلة : قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم . عن عَمْرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زُرارة أنها قالت : سمعت عائشة ﵂ – تقول : ما زلنا نسمع أن إسافا ونائلة كانا رجلا وامرأة من جرهم ، أَحْدثا (٣) فى الكعبة : فمسخهما الله تعالى حجرين والله أعلم .

قال ابن إسحاق : وقال أبو طالب :

وَحيثُ يُنيخُ الأشْعَرونَ رِكَابَهم ... بمُفْضَى السيول مِن إساف ونائِل (٤) .

فعل العرب مع أصنامهم : قال ابن إسحاق : واتخذ أهل كل دار فى دارهم صنمًا يعبدونه ، فإذا أراد الرجل منهم سفرًا تمسَّح به حين يركب ، فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه إلى سفره ، وإذا قدم من سفره تمسح به ، فكان ذلك أول ما يبدأ

(١) وأما هُبَل فإن عمرو بن لحى جاء به من هيت ، وهى من أرض الجزيرة حتى وضعه فى الكعبة .

(٢) وأخرجه رزين فى فضائل مكة عن بعض السلف : ما أمهلهما الله إلى أن يفجرا فيها ، ولكنه قَبَّلها ، فمسخا حجرين ، فأخرجا إلى الصفا والمروة ، فنصبا عليهما ، ليكونا عبرة وموعظة ، فلما كان عمرو بن لحى نقلهما إلى الكعبة ، ونصبهما على زمزم ، فطاف الناس بالكعبة وبهما ، حتى عُبدا من دون الله .

(٣) أرادت الحدث الذى هو الفجور كما قال عليه السلام : « من أحدث حدثًا ، أو آوى محدثًا ، فعليه لعنة الله » وقال عمر – حين كانت الزلزلة بالمدينة : أحدثتم . والله لئن عادت لأخرجن من بين أظهركم وهذا يؤكد أن من أسباب وقوع الزلازل ارتكاب المعاصى والفحشاء .

(٤) هو ترخيم فى غير النداء لضرورة الوزن فى البيت .

به قبل أن يدخل على أهله ، فلما بعث الله رسوله محمدًا ﷺ - بالتوحيد ، قالت قريش : ﴿ أجعل الآلهة إلهًا واحدًا إن هذا لشيء عُجاب ﴾ (١) .

الطواغيت : وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طواغيت ، وهى بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة ، لها سَدَنَة وحُجَّاب ، وتهدى لها كما تهدى للكعبة ، وتطوف بها كطوافها بها ، وتنحر عندها ، وهى تعرف فضل الكعبة عليها ، لأنها كانت قد عرفت أنها بيت إبراهيم الخليل ومسجده .

العُزى وسدنتها وحجَّابها : فكانت لقريش وبنى كنانة : العُزَّى بنخْلة ، وكان سدنتها وحجابها بنو شَيبان من سُلَيم ، حلفاء بنى هاشم .

قال ابن إسحاق : فقال شاعر من العرب :

لَقَدْ أُنكحَتْ أسمـــاءُ رأسَ بُقَيْرةٍ ... من الأُدْمِ أهْداهَا امرؤٌ من بنى غنْم

رأى قَدعـــا فى عَينها إذ يَسُوقهَا ... إلى غَبْغَبِ العُزَّى فوسَّع فى القسْم (٢)

وكذلك كانوا يصنعون إذا نحروا هَدْيًا قسَموه فى مَن حضرهم ، والغَبْغَب : المَنْحَر ومُهراق الدماء .

من هم السَّدَنَةُ : والسدنة : الذين يقومون بأمر الكعبة قال رؤبة بن العجاج .

فَلا وَربِّ الآمِناتِ القُطَّنِ ... يَعْمُرنَ أَمنًا بالحرامِ المأمَنِ

بمحبس الهَدْيِ وبيتِ المَسْدن

---

(١) وقد حكى الله تعالى ذلك عنهم فى سورة (ص) الآية : ٥ .

(٢) والقدع : ضعف البصر من إدمان النظر .

وقوله : فى الغبغب : وهو المنحر ومهراق الدم ، كأنه سمى بحكاية صوت الدم عند انبعاثه ، ويجوز أن يكون مقلوبًا من قولهم : بئر بُغبغ وبغيغ إذا كانت كثيرة الماء .

قال الراجز :

بُغيبغ قصيرة الرِّشاء

ومعنى هذا البيت : الذم وتشبيه هذا المهجو برأس بقرة قد قربت أن يذهب بصرها ، فلا تصلح إلا للذبح والقسم .

وهذان البيتان فى أرجوزة له : وسأذكر حديثها إن شاء الله تعالى فى موضعه .

اللاَّت وسدنتها : قال ابن إسحاق : وكانت الَّلات لثقيف بالطائف ، وكان سدنتها وحجَّابها بنو معتِّب من ثقيف .

مَناة وسدنتها : قال ابن إسحاق : وكانت مَناةُ للأوس والخزرج ، ومن دان بدينهم من أهل يثرب ، على ساحل البحر من ناحية المُشَلَّل بقُدَيْد [(١)] .

ذُو الخَلَصَة وعبَّاده وهدمه : قال ابن إسحاق : وكان ذُو الخَلَصَة لدوس وخَثعم وبجيلة ومن كان ببلادهم من العرب بتَبَالة .

فبعث إليه رسول الله ﷺ جرير بن عبد الله البجلى فهدمه [(٢)] .

فَلْسٌ وعبَّاده وهدمه : قال ابن إسحاق : وكانت فلس [(٣)] لطيىء ومن يليلها بجبلى طيىء ، يعنى سَلْمى وأَجَا .

ذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ ، بعث إليها على بن أبى طالب فهدمها ، فوجد فيها سيفين ، يقال لأحدهما : الرَّسوب ، وللآخر : المِخْذَم فأتى بهما رسول الله ﷺ ، فوهبهما له ، فهما سيفا على رضي الله عنه .

رِئام : قال ابن إسحاق : وكان لحِمْيَر وأهل اليمن بيت بصنــــعاء يقال له : رِئام .

---

(١) قال ابن هشام : فبعث رسول الله ﷺ إليها أبا سفيان بن حرب فهدمها ، ويقال على بن أبى طالب ، انظر سيرة ابن هشام ١ / ٧٩ ط . الكليات الأزهرية تحقيق طه عبد الرءوف سعد .

(٢) وذلك قبل وفاة النبى ﷺ بشهرين أو نحوهما ، قال جرير بعثنى رسول الله ﷺ ، فى مائة وخمسين راكبًا من أحمس إلى ذى الخلصة ، فقلت : يا رسول الله إنى لا أثبت على الخيل ، فدعا لى ، وقال : « اللهم ثبته واجعله هاديًا مهديًا » .

(٣) هكذا وجدته مضبوطا فى القاموس ، وضبطه ابن الكلبى بفتح فسكون ، وضبطه ياقوت بضم الفاء واللام ، وتروى فى بعض المراجع : قاسا ويذكر عن ابن الكلبى أو غيره أن أجأ اسم رجل بعينه ، وهو : أجأ بن عبد الحى ، وكان فجر بسلمى بنت حام ، أو اتهم بذلك ، فصلبا فى ذينك الجبلين ، وعندهما جبل يقال له : العوجاء ، وكانت العوجاء ، حاضنة سلمى - فيما ذكر - وكانت السفير بينهما وبين أجأ فصُلبت فى الجبل الثالث ، فسمى بها .

رُضَاءُ وعبَّاده وهدمه : **قال ابن إسحاق** : وكانت رُضَاء بيتا لبنى رَبيعة بن كعب بن سعد بن زيد مَناة بن تميم ، ولها يقول المستوغِر (١) بن ربيعة بن كعب بن سعد حين هدمها فى الإسلام :

ولقد شَددتُ على رُضَاءٍ شَدَّةً ... فتركتُها قَفْرًا بِقَاعٍ أَسْحَمَا

عُمْرُ المستوغر : ويقال : إن المستوغر عُمِّر ثلاثمائة وثلاثين سنة ، وكان أطول مضر كلها عمرًا ، وهو الذى يقول :

ولَقد سَئِمتُ من الحياةِ وَطُولِها ... وَعَمِرتُ من عَدَدِ السـنينَ مِئينَا
مائةً حَدَتْها بعدها مِئتـــان لى ... وازْدَدْتُ من عَدَد الشهور سِنينا
هَل ما بَقِى إلاَّ كَما قد فاتنــا ... يَوْمٌ يَمـرُّ وَلَيلةٌ تَحـــدونَا

وبعض الناس يروى هذه الأبيات لزهير بن جناب الكلبى (٢) .

ذُو الكَعَبات وعبَّاده : **قال ابن إسحاق** : وكان ذُو الكَعبات لبكر وتغلب ابنى وائل وإياد بِسَنْدادَ ، وله يقول أعشى بنى قَيس بن ثَعلبة :

بَينَ الخَورنَقِ والسَّدير وبَارقٍ ... والبيتِ ذِى الكَعَبات من سِنْدادِ (٣)

---

(١) واسمه : كعب . قال ابن دريد : سمى مستوغرًا بقوله :

ينش الماء فى الربلات منها ... نشيش الرضف فى اللبن الوغير

والوغير : فعيل من وَغرة الحر وهى شـدته ، وذكر القتبى أن المستوغر حضر سوق عكاظ ، ومعه ابن ابنه ، وقد هرم ، والجد يقوده ، فقال له رجل : ارفق بهذا الشيخ ، فقد طالما رفق بك ، فقال : ومن تراه ؟ فقال : هو أبوك أو جدك ، فقال : ما هو إلا ابن ابنى فقال : ما رأيت كاليوم ولا المستوغر بن ربيعة ، فقال : أنا المستوغر .

(٢) وهو زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عُذرة أو عُذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة ، وزهير هذا من المعمرين ، وهو الذى يقول :

أبُنى إن أهلـك فإنى ... قد بنيـت لكم بنيَّهْ
وتركتكم أولاد سـادا ... ت وزنادهـم وريَّه
من كل ما نال الفتـى ... قد نلته إلا التحـيه

(٣) الخورنق قصر بناه النعمان الأكبر ملك الحيرة لسابور ، ليكون ولده فيه عنده ، وبناه بنيانا عجيبًا لم تر العرب مثله ، واسم الذى بناه له : سنمار ، وهو الذى رُدِّى من أعـلاه =

البَحيرَة والسَّائبة والوَصيلة والحَامى

رأى ابن إسحاقَ فيها : قال ابن إسحاق : فأما البَحيرة فهي : بنت السائبة ، والسائبة الناقة إذا تابعت بين عشر إناث ليـــس بينهن ذكر ، سُيِّبت ، فلم يُركب ظهرها ، ولم يجز وبرها ، ولم يشرب لبنها إلا ضيف ، فما نتجت بعد ذلك من أنثى شُقت أذنها ، ثم خلى سبيلها مع أمها ، فلم يركب ظهرها ، ولم يجز وبرها ، ولم يشرب لبنها إلا ضيف ، كما فُعل بأمها ، فهى البحيرة بنت السائبة . والوصيلة : الشاة إذا أتأمت [(١)] عشر إناث متتابعات فى خمسة أبطن ، ليس بينهن ذكر ، جعلت وصيلة . قالوا : قد وصلت ، فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور منهم دون إناثهم ، إلا أن يموت منها شيء ، فيشتركوا فى أكله ذكورهم وإناثهم .

قال ابن إسحاق : والحامى : الفحل إذا نتج له عشر إناث متتابعات ليس بينهن ذكر ، حَمى ظهره فلم يُركب ، ولم يجز وبره ، وخُلِّىَ فى إبله يَضرب فيها ، لا ينتفع منه بغير ذلك [(٢)] .

قال ابن إسحاق : فلما بعث الله تبارك وتعالى رسوله محمدًا ﷺ أنزل عليه :

= حتى قالت العرب : جزانى جزاء سنمار ، وذلك أنه لما تم الخورنق ، وعجب الناس من حسنه ، قال سنمار : أما والله لو شئت حين بنيته جعلته يدور مع الشمس حيث دارت فقال له الملك : إنك لتحسن أن تبنى أجمل من هذا ؟ وغارت نفسه أن يبتنى لغيره مثله ، وأمر به فطرح من أعلاه ، وكان بناه فى عشرين سنة .

ومعنى السدير بالفارسية : بيت الملك . يقولون له : « سهدلى » أى : له ثلاث شعب وقال البكرى : سمى السدير ، لأن الأعراب كانوا يرفـــعون أبصارهم إليه ، فتسدر من علوه يقال : سدر بصره إذا تحير ، والكعبات : المربعة ، وكل بناء مربع فهو كعبة .

(١) أتأمت : جاءت باثنين فى بطن واحد .

(٢) ابن هشام يخالف ابن إسحاق فى هذه المسألة: قال ابن هشام : وهذا عند العرب على غير هذا إلا الحامى ، فإنه عندهم على ما قال ابن إسحاق . فالبحيرة عندهم : الناقة تشق أذنها فلا يركب ظهرها ، ولا يجز وبرها ، ولا يشرب لبنها إلا ضيف ، أو يتصدق به ، وتهمل لآلهتهم . والسائبة : التى ينذر الرجل أن يسيبها إن برئ من مرضه أو إن أصاب أمرًا يطلبه ، فإذا كان أساب ناقة من إبله ، أو جملا لبعض آلهتهم ، فسابت فرعت لا ينتفع بها . والوصيلة : التى تلد أمها اثنين فى كل بطن ، فيجعل صاحبهما لآلهته الإناث منها ، ولنفسه الذكور أما الوصيلة فهى التى ولدتها أمها ومعها ذكر فى بطن ، فيقولون : وصلت أخاها ، فيسيب أخوها معها ، فلا ينتفع به .

قال ابن هشام : حدثنى به يونس بن حبيب النحوى وغيره . روى بعض ما لم يرو بعض .

﴿ ما جعل الله من بَحيرَة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون ﴾ (المائدة : ١٠٣) .

وأنزل الله تعالى : ﴿ وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومُحَرَّم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم ﴾ (الأنعام : ١٣٩) .

وأنزل عليه : ﴿ قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آللهُ أذنَ لكم أم على الله تفترون ﴾ (يونس : ٥٩) .

وأنزل عليه : ﴿ ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أم الأُنْثَيَيْنِ أمَّا اشتملت عليه أرحامُ الأُنثيينِ نبئونى بعلم إن كنتم صادقين * ومن الإبل اثنينَ ومن البقر اثنين قل آلذَّكَرَيْنِ حرَّم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين أم كنتم شهداء إذا وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ (الأنعام : ١٤٣ ، ١٤٤) .

* عود إلى النسب :

ونَسبُ خُزَاعة : قال ابن إسحاق : وخزاعة تقول : نحن بنو عمرو بن عامر من اليمن .

وسميت خُزاعة ، لأنهم تَخزَّعوا [١] من ولد عمرو بن عامر حين أقبلوا من اليمن يريدون الشام فنزلوا بمرِّ الظَّهْرَان ، فأقاموا بها . قال عوف بن أيوب الأنصارى أحد بنى عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة من الخزرج فى الإسلام :

فَلما هَبطنا بَطْنَ مَـرٍّ [٢] تَخزَّعتْ ... خُزاعَةُ منا فى خُيولٍ كَراكِرِ [٣]
حَمَتْ كل واد من تِهامة واحتَمتْ ... بِصُـمِّ القَنا والمرهَفاتِ البواترِ

وهذان البيتان فى قصيدة له .

---

(١) تخزعوا ، تأخروا وانقطعوا .

(٢) يريد : مر الظهران ، وسمى : مرًّا لأنه فى عرق من الوادى من غير لون الأرض شبه (الميم) الممدودة وبعدها (را) خلقت كذلك ، ويذكر عن كثير أنه قال : سميت : مرًّا لمرارتها .

(٣) الخيول الكراكر : المجتمعة .

وقال أبو المطَهَّر إسماعيل بن رافع الأنصارى ، أحد بنى حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس :

فَلما هَبطنا بَطْـــنَ مكَة أَحْمــدتْ ... خُزَاعة دَارَ الآكِــل المتَحامِل

فَحلَّتْ أكاريســـًا ، وشتَّتْ قَنابلاً ... على كل حى بين نَجْدٍ وسَاحِل

نَفوْا جُرهُمًا عن بطن مكة ، واحتَبوْا ... بعزٍّ خُزاعىٍّ شديد الكــواهِل

أولاد مُدْركة وخزيمة : قال ابن إسحاق : فولد مُدْركة بن إلياس رجلين : خُزَيمة بن مدركة ، وهُذَيل بن مُدركة ، وأمهما : امرأة من قُضَاعة ، فولد خزيمة ابن مدركة أربعة نفر ، كنانة بن خزيمة ، وأسَدَ بن خُزيمة ، وأسَدَة بن خزيمة ، والهُونَ بن خُزيمة ، فأم كنانة عُوَانة بنت سَعد بن قيس بن عَيْلان بن مضر .

أولا كنانة وأمهاتهم : قال ابن إسحاق : فَولَدَ كنانة بن خزيمة أربعة نفر : النضر بن كنانةَ ، ومالك بن كنانة ، وعبد مناة بن كنانة ، وملْكان بن كنانة [1] ، فأم النــضر : بَرَّةُ بنتُ مُر بن أُدٍّ بن طَابخة بن إلياس بن مُضَر ، وســائر بنيه لامرأة أخرى .

● **سبب تسمية قريش :**

قال ابن إسحاق : ويقال . إنما سُمــيت قريش قريشًا : لتجمعـها من بعد تفرقها .

ويقال للتجمع : التقرش [2] .

أولاد النَّضْر وأمهاتهم : فولد النضرُ بن كِنانة رجلين : مالك بن النضر ، ويخلُد بن النضر ، فَأم مالك : عاتِكَةُ بنت عَدْوان بنَ عمرو بن قيس بن عَيْلان ، ولا أدرى أهى أم يخلُد أو لا .

أولاد مالك وفهْر وأمهاتهم : قال ابن إسحاق : فولد مالك بن النضر : فِهْر ابن مالك ، وأمه : جَنَدَلة بنت الحارث بن مِضاض الجُرهَمى

---

(١) وزاد الطبرى فى ولد كنانة : عامراً والحارث والنضير وغَنْما وسعداً وعوفًا وجرول والحدال وغزوان . انظر الروض الأنف تحقيق طه عبد الرءوف سعد جـ ١ ص ١١٥ .

(٢) انظر ما قيل فى قريش مفصلا فى الروض الأنف تحقيق طه عبد الرءوف سعد جـ ١ صـ ١١٥ - ١١٧ .

قال ابن إسحاق : فولد فِهْر بن مالك أربعة نفر : غالب بن فِهر ، ومُحارب بن فهر والحارث بن فهر ، وأسد بن فهر ، وأمـــهم : ليلى بنت سَعد بن هُذيل بن مُدْركة .

أولا غَالب وأمهاتهم : **قال ابن إسحاق** : فَولدُ غالب بن فِهر رجلين : لُؤَىَّ ابن غَالب ، وتَيْم بن غالب ، وأمهما : سَلْمى بنت عَمرو الخُزَاعى : وتَيْم بن غالب الذين يقال لهم : بنو الأدْرَم (١) .

أولاد لُؤى وأمهاتهم : **قال ابن إسحاق** : فولدَ لُؤىُّ بن غالب أربعة نفر : كَعب بن لُؤى وعامر بن لؤى ، وسَامة بن لؤى ، وعَوف بن لؤى ، فَأُم كعب وعامر وسامة : مَاويَّةُ (٢) بنت كعب بن القَين بن جَسْر ، من قُضاعة .

وسعد بن لُؤى ، وهم بُنانة : فى شَيبان بن ثَعلبة بن عُكَابة بن صَعب بن على ابن بكر بن وائل ، من ربيعة .

وبُنانة : حاضنَة لهم من القَيْن بن جَسْر بن شَيْع الله ، ويقال : سَيْع ، ابن الأسد بن وَبْرة بن ثَعَلبة بن حُلْوان بن عمران بن الحاف بن قُضاعة ، ويقال : بنت النمر بن قاسط من ربيعة ، ويقال : بنت جَرْم بن رَبَّان بن حُلْوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة .

---

(١) الأدرم : المدفون الكعبين من اللحم ، يقال : امرأة درمـــاء وكعب أدرم ، قال الراجز :

قامت تريه خشية أن تُصرما ساقًا بَخَنْداة وكعبًا أدرما
وكَفَلا مثل النقا أو أعظَما

والأدرم أيضًا : المنقوض الذقن ، وكان تيم بن غالب كذلك ، فسمى : الأدرم ، قاله الزبير ، وبنو الأدرم هؤلاء هم : أعراب مكة ، وهم من قريش الظواهر (النازلون بظهر مكة) لا من قريش البطاح ، (قبائل عبد مناف) وكذلك بنو محارب من فهر ، وبنو معيص بن عامر .

(٢) سميت بالماوية ، وهى : المرآة ، كأنها نسبت إلى الماء لصفائها ، وقلبت همزة الماء واوا .

وخزيمة بن لؤى بن غالب ، وهم عائذة فى شيبان بن ثعلبة ، وعائذة امرأة من اليمن [١] ، وهى أم بنى عبيدة بن خُزيمة بن لؤى ·

وأم بنى لُؤى كلهم - إلا عامر بن لُؤى : ماويَّة بنت كعب بن القين بن جَسْر ، وأم عامر بن لؤى : مَخْشِيَّة بنت شَيبان بن مُحارب بن فِهر ، ويقال : ليلى بنت شيبان بن مُحارب بن فِهر ·

* أَمْرُ سَامَةَ بن لُؤَىٍّ :

هروبه من أخيه وموته : قال ابن إسحاق : فأما سَامَةُ بن لؤى فخرج إلى عمان ، وكان بها · ويزعمون أن عامر بن لؤى أخرجه ، وذلك أنه كان بينهما شىء ، ففقأ سامة عين عامر ، فأخافه عامر ، فخرج إلى عمان ، فيزعمون أن سامة ابن لؤى بينا هو يسير على ناقته ، إذ وضعت رأسها ترتع ، فأخذت حية بمشفَرِها ، فهصرتها حتى وقعت الناقة لِشقها ، ثم نهشت سامة فقتلته · فقال سامة حين أحس بالموت فيما يزعمون :

شعر سامة ابن لؤى :

عَينُ فَابكِى لِسَامَةَ بْنِ لُؤىٍّ   عَلِقَتْ ما بِسَامَةَ العَلاَّقَهْ
لاَ أَرى مثْل سَامَةَ بْنِ لُؤى   يَومَ حَلُّوا بِهِ قتيلاً لِنَاقَهْ
بلِّغا عَامِرًا وكعبًا رَسولاً   أن نَفْسى إليهما مُشْتَاقَهْ [٢]
إن تكُن فى عُمَان دَارى ، فإنى   غَالبِىٌّ ، خَرَجْتُ من غير فَاقَهْ
رُبَّ كَأسٍ هَرقتَ يا ابن لُؤىٍّ   حَذَرَ الموتِ لَم تَكن مُهْراقَهْ
رُمتَ دَفع الحتُوفِ يا ابنَ لُؤىٍّ   مَا لمن رَامَ ذاك بالحتفِ طَاقَهْ

(١) وقال غيره : هي بنت الخمس بن قحافة من خثعم ولدت لعبيد بن خزيمة مالكا وحارثا ، فهم بنو خزيمة وعائدة من بنى خزيمة أيضًا : بنو حرب بن خزيمة ، قتلتهم المسوِّدة (العباسيون) فى قريتهم بالشام ، وهم يحسبونهم بنى حرب بن أمية ·

(٢) بلِّغَا عامرًا وكعبا رسولا : يجوز أن يكون « رسولا » مفعولا : ببلغا إذا جعلت الرسول بمعنى : الرسالة ، كما قال الشاعر :

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم   بليلى ، ولا أرسلتهم برسول

أى : برسالة ، وإنما سموا الرسالة : رسولا إذا كانت كتابا ، أو ما يقوم مقام الكتاب من شعر منظوم ونحوه ·

وَخَرُوس السُّرَى تَرَكْت رَذِيًّا بَعْدَ جِدٍّ وجِدَّةٍ وَرَشَاقَهْ (١)

* أَمْرُ عَوْف بْن لُؤَىٍّ ونَقْلَته :

سبب انتمائه إلَى غَطْفَان : قال ابن إسحاق : وأما عَوف بن لُؤى فإنه خرج - فيما يزعمون - فى ركب من قريش ، حتى إذا كان بأرض غَطْفان بن سعد بن قيس ابن عَيلان أبطىء به فانطلق من كان معه من قومه ، فأتاه ثعلبة بن سعد ، وهو أخوه فى نسب بنى ذبيان - ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريْث بن غطفان · وعوف ابن سعد بن ذبيان بن بغيض بن رَيْث بن غـطفان - فحبسه وزوَّجه والتاطه (٢) وآخاه ، فشاع نسبه فى بنى ذبيان ، وثعلبة - فيما يزعمون - الذى يقول لعوف حين أُبطىء به ، فتركه قومه :

احْبِسْ علىَّ ابْنَ لُؤَىٍّ جَملكْ تَرَكَكَ القومُ ولا مَتْرَكَ لَكْ

مكانة مُرَّة : قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جَعفر بن الزُّبير : أو محمد ابن عبد الرحمن بن عبد الله بن حُصين أن عُمر بن الخطاب قال : لو كنت مدَّعيا حيًّا من العرب ، أو ملحقهم بنا ، لادَّعيت بنى مُرة بن عوف ، إنَّا لنعرف فيهم الأشباه مع ما نعرف من موقع ذلك الرجل حيث وقع ، يعنى : عوف بن لُؤى ·

نسب مُرَّة : قال ابن إسحاق : فهو فى نسب غطفان : مُرَّةُ بن عوف بن سعد ابن ذُبيان بن بَغيض بن رَيْث بن غَطْفان ، وهم يقولون إذا ذكر لهم هذا النسب ما ننكره ، وما نجحده ، وإنه لأحب النسب إلينا ·

وقال الحارث بن ظالم بن جَذيمة بن يربوع حين هـرب من النعمان بن المنذر ، فلحق بقريش :

فَما قَوْمى بثَعلبةَ بْنِ سَعْـد ولاَ بفَزارَةَ الشُّـعْر الرِّقَابَا
وَقَومى - إن سـألتَ - بنو لُؤَىٍّ بمكةَ عَلَّموا مُضَرَ الضِّـرابَا

(١) قوله : وخَروسِ السُّرى تركت رذيًّا يريد : ناقة صموتا صبوراً على السرى لا تضجر منه ، فسراها كالأخرس ، والرذى التى سقطت من الأعياء ·

(٢) التاطه : ألصقه به وألحقه بنسبه ·

سَفِهنَا باتباعِ بنـــــى بِغِيضٍ   وَترك الأقـــــربينَ لنَا انتسابَا

سَفَاهَةَ مُخْلف لَمَّا تَـــــروى   هَراق الماءَ واتَّبعَ السَّرابَا (١)

فَلو طُووعتُ - عَمْرك - كُنتُ فيهم   وَما أُلفيتُ أَنتجعُ السَّحَابَا (٢)

وَخَشَّ رَواحَةُ القُرشــــىُّ رَحْلِى   بناجيةٍ ولم يطــــلب ثَوابا (٣)

قال ابن إسحاق : فقال الحُصَين بن الحُمام المرَّى ، ثم أحد بنى سَهْم بن مُرةَ يرد على الحارث بن ظالم ، وينتمى إلى غطفان :

ألا لستم منا ، ولَسْـــنا إليكُم   بَرئنَا إليكُم مـــنْ لُؤَىِّ بْنِ غَالب

أقمنا عَلى عِزِّ الحِجَازِ ، وأنتُمُ   بمُعتلجِ البطْحاءِ بين الأخَاشبِ (٤)

يعنى : قُريشًا ، ثم نَدم الحصين على ما قال ، وعـــرف ما قال الحارث بن ظالم ، فانتمى إلى قريش ، وأكذب نفسه ، فقال :

نَدِمْتُ عَلى قَوْلٍ مَضَى كُنْتُ قُلْتُه   تَبيَّنتُ فيه أنه قَــــولُ كَـــاذبِ

فَليتَ لِسَانى كَان نِصفين منهمـــا   بُكَيمٌ ، ونصفٌ عند مَجرى الكَواكب

أَبُونَا كنــــانىٌّ بمكــــةَ قَبْرهُ   بمُعتلجِ البَطْحَاءِ بـــينَ الأخَاشــبِ

لنا الرُّبع من بيت الحـــرام وراثةً   وربع البِطَاح عند دار ابن حــاطب (٥)

أى إن بنَى لُؤى كانوا أربعة : كعبًا ، وعامرًا ، وسامة ، وعوفا .

---

(١) المخلف : المستقى للماء .

(٢) وما ألفيت أنتجع السحابا . أى : كانوا يغنوننى بِسَيْبهم ومعروفهم عن انتجاع السحاب ، وارتياد المراعى فى البلاد .

(٣) وخش رَوَاحة القرشى رحلى بناجية . أي : بناقة سريعة يقال : خش السهم بالريش ، إذا راشه به ، فأراد : راشنى وأصلح رحلى بناجية ، ولم يطلب ثوابا بمدحه بذلك ، ورواحة هذا : هو رواحة بن مَنقذ بن مَعيص بن عامر كان قد ربع فى الجاهلية أى : رأس ، وأخذ ربع الغنيمة .

(٤) بمعتلج البطحاء : أى حيث تعتلج السيول ، والاعتلاج عمل بقوة ، والأخاشب : جبال مكة ، وقد يقال لكل جبل : أخشب .

(٥) قوله : لنا الربع بضم الراء ، يريد : إن بنى لؤى كانوا أربعة : أحدهم : أبوهم وهو عوف ، وبنو لؤى هم : أهل الحرم ، ولهم وراثة البيت .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم أن عمر بن الخطاب ﷺ قال لرجال من بنى مُرة : إن شئتم أن ترجعوا إلى نسبكم ، فارجعوا إليه .

أشراف مُرة : قال ابن إسحاق : وكان القوم أشرافا فى غَطفان ، هم سادتهم وقادتهم ، منهم هرِم بن سنَان بن أبى حَارثة ، وخَارجة [1] بن سنان بن أبى حارثة ، والحارث بن عَوف ، والحُصين بن الحمام ، وهاشم بن حَرْملة الذى يقول له القائل :

أَحْيَا أباهُ هَاشِمُ بْنُ حَرْمَلَه [2]
يَوْمَ الهبَاءَات وَيَومَ اليَعْمَلَهْ
تَرىَ الملوكَ عندَهُ مُغَرْبَلَهْ [3]
يَقْتُلَ ذَا الذَّنْبِ ، وَمَنْ لا ذَنْبَ لَهْ
وَرُمْحُهُ للوالِدات مُثْكِلَهْ

قال ابن إسحاق : قَومٌ لهم صِيتٌ وذكر فى غطفان وقيس كلها ، فأقاموا على نسبهم ، وفيهم كان البَسْلُ [4] .

* * *

---

(١) خارجة بن سنان الذى تزعم قيس أن الجن اختطفته لتستفحله نساؤها لبراعته ونجدته ونجابة نسله .

(٢) هاشم بن حرملة هو : جد منظور بن ربَّان بن يسار الذى كانت بنته زجلة عند ابن الزبير ، فهو جد منظور لأمه ، واسمها : قهْطم بنت هاشم ، كانت قهطم قد حملت بمنظور أربع سنين ، وولدته بأضراسه ، فسمى منظورا لَطول انتظارهم إياه .

(٣) قيل معناه : منتفخة ، وذكر أنه يقال : غربل القتيل إذا انتفخ ، وهذا غير معروف ، وإن كان أبو عبيد قد ذكره فى الغريب المصنف ، وأيضًا : فإن الرواية بفتح الباء مغربلة وقال بعضهم : معناه يتخير الملوك فيقتلهم ، والذى أراه فى ذلك أنه يريد بالغربلة استقصاءهم وتتبعهم .

(٤) البسل وهو الحرام ، والبسل أيضا : الحلال ، فهو من الأضداد ومنه : بُسْلة الراقى ، أى ما يحل له أن يأخذه على الرقية ، وبسلِ فى الدعاء بمعنى : آمين : قال الراجز :

لا خاب من نفعك من رجاك   بَسْلا ، وعادى الله من عاداك

وكان عمر بن الخطاب يقول فى أثر الدعاء : آمين وبسلا ، أى : استجابة .

أَمْرُ البَسْلُ

تَعريف بالبَسْل : والبَسلُ ، فيما يزعمون ، نسيئهم ثمانية أشهر حُرُم ، لهم من كل سنة من بين العَرب ، قد عَرفت ذلك لهم العرب لا ينكرونه ، ولا يدفعونه ، يسيرون به إلى أى بلاد العرب شاءوا ، ولا يخافون منهم شَيْئا ، قال زهير بن أبى سلمى ، يعنى بنى مُرَّة .

تأمل ، فإن تقو المرولاة منهم وداراتها لا تقوم منهم إذا تحل
بلاد بها نادمتهم وألفتهم فإن تقويا منهم فإنهم بَسْلُ

أى حرام : ساروا فى حرمهم

أولاد كَعب وأمهم : قال ابنِ إسحاق : فولَدُ كعب بن لُؤى ثلاثة نفر ، مُرَّة ابن كَعب ، وعَدى بن كعب ، وهُصَيص بن كعب ، وأمهم : وَحشيةُ بنت شَيْبان بن مُحارب بن فِهر بن مالك بن النضر .

أولادَ مرة وأمهاتهم : فَولدُ مُرَّة بن كعب ثلاثة نفر ، كلاب بن مرة ، وتيم ابن مرة ويقظة بن مُرة (١) .

فَأم كِلابُ : هندُ بنت سُرَير بن ثعلبة بن الحارث بن فِهر بن مالك بن كنانة بن خزيمة وأم يَقظة : البارقيةُ ، امرأة من بارق ، من الأَسْد من اليمن ، ويقال : هى أم تيم ، ويقال : تَيم هند بنت سُرَير أم كلاب .

ولدا كلاب وأمهما : قال ابن إسحاق : فولد كِلابُ بن مُرة رجلين : قُصَىَّ ابن كِلاب ، وزُهرة بن كلاب . وأُمهما : فاطمة بنتَ سعد بن سَيَل أحد بنى الجَدرَة ، ومن جُعْثُمة الأزد ، من اليمن ، حلفاء فى بنى الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة (٢) .

قال ابن إسحاق : ولَسعد بن سَيَل يقول الشاعر :

مَا نَرى فى الناس شَخصًا وَاحدًا مَنْ عَلمناهُ كسعد بن سَيَلْ
فَارسًا أَضبطَ ، فيه عُسْرَةُ وإذا مَا واقفَ القِرْن نَزَلْ (٣)

---

(١) يقظة بن مرة بفتح القاف ، وقد وجدته بسكون القاف فى أشعار مُدح بها خالد بن الوليد ، فمنها قول الشاعر :

وأنت لمخزوم بن يقْظة جُنته كلا اسميك فيها ماجد وابن ماجد

وأم مخزوم بن يقظة جد بنى مخزوم : كلبة بنت عامر بن لؤى .

(٢) قال ابن هشام : ونعم بنت كلاب وهى أم سعد وسعيد ابنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى ، وأمها فاطمة بنت سعد بن سيل .

(٣) الأضبط الذى يعمل بكلتا يديه ، والعسرة : الشدة ، والقرن : الشديد فى الحرب .

فَارسًا يَسْتَدرِجُ الخيل كما اسْـ ــتَـدرَجَ الحُرُّ القَطامِيٌّ الحَجَلْ (١)

أولاد قُصَيٍّ وأُمهم : **قال ابن إسحاق** : فولَد قَصى بن كلاب أربعة نفر وامرأتين : عبد مَناف بن قُصَى ، وعبد الدار بن قُصَى ، وعبد العُزَّى بن قُصَى ، وعبد قُصَى بن قُصَى ، وتَخْمُر بنت قُصَى ، وبَرَّة بنت قُصَى ، وأمهم : حُبَّى بنت حُلَيل بن حَبَشيَّة بن سَلول بن كعب بن عمرو الخزاعى ·

أولاد عبد مَناف وأمهاتهم : **قال ابن إسحاق** : فولد عبد مناف - واسمه : المغيرة بن قصى - أربعة نفر : هاشم بن عبد مناف ، وعبد شمس (٢) بن عبد مناف ، والمطَّلب بن عبد مناف ، وأمهم : عاتكة بنت مُرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بُهثَة بن سُليم بن منصور بن عكرمة ، ونَوفل بن عبد مَناف ، وأمه ، واقدة بنت عمرو المازنية ، مازن : بن منصور بن عكرمة ·

أولاد هاشم وأمهاتهم : فَولدَ هاشم بن عبد مناف أربعة نفر وخمس نسوة : عبد المطلب بن هاشم ، وأسد بن هاشم ، وأبا صَيْفى بن هاشم ، ونَضلة بن هاشم ، والشِّفاء ، وخالدة ، وضعيفة ، ورُقية ، وحَية ، فأم عبد المطلب ، ورقية : سَلمى (٣) بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش بن عامر بن غَنْم بن عَدى بن النجار، واسم النجار : تَيْم الله بن ثَعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو ابن عامر ·

وأُمها : عميرة بنت صخر بن حبيب بن الحارث بن ثعلبة بن مازن بن النجار ، وأم عَميرة : سلمى بنت عبد الأشهل النجَّارية · وأم أسد : قَيْلَة بنت عامر بن مالك الخزاعى · وأم أبى صيفى وَحَيَّة : هند بنت عمرو بن ثعلبة الخزرجية ، وأم نَضْلة والشِّفاء ، امرأة من قُضاعة · وأم خالدة وضعيفة : واقدةُ بنت أبى عَدى المازنية ·

* * *

(١) الحر القطامى : الصقر ·

(٢) وكان تلوا لهاشم ، ويقال : كانا توأمين ، فولُد هاشم ، ورجله فى جبهة عبد شمس ملتصقة ، فلم يقدر نزعها إلا بدم ، فكانوا يقولون : سيكون بين ولدهما دماء ، فكانت تلك الدماء ما وقع بين بنى هاشم ، وبين بنى أمية بن عبد شمس ·

(٣) وأمها : عُميرة بنت صَخر المازنية ، وابنها : عمرو بن أُحيحة بن الجلاح وأخوه : معبد ، ولدتهما لأحيحة ·

* أولادُ عبد المطَّلب بن هاشم وأمهاتهم :

فَولد عبد المطلب بن هاشم عشرة نفرٍ وستَّ نِسوة : العباسَ ، وحمزةَ ، وعبد الله ، وأبا طالب - واسمه : عبدُ مَناف (١) ، والزبير (٢) ، والحارث ، وجَحْلا (٣) ، والمقوِّم (٤) ، وضِرارا ، وأبا لهب (٥) ، واسمه : عبد العُزَّى ، وصفيَّة ، وأم حكيم البيضاء ، وعاتكة ، وأميمة ، وأروى وبرَّة . فَأُم العباس وضرار : نُتَيلة بنت جَناب ابن كُليب بن مالك بن عَمرو بن عامر بن زيد مَناة بن عامر - وهو الضَّحيان - بن سعد بن الخزرج بن تيم اللاَّت بن النَّمر بن قاسط بن هِنْب بن أفصى بن جَديلة بن أسد ين ربيعة بن نزار . ويقال : أفصى بن دُعْمِى بن جَديلة .

وأم حمزةَ والمقوِّم وجَحْل - وكان يلقب بالغَيْدَاق لكثرة خَيرِه ، وسعة ماله - وصفية : هَالةُ بنتُ وهيب بن عبد مَناف بن زُهرة بن كِلاب بـــن مُرة بن كَعب بن لُؤَى .

---

(١) وله يقول عبد المطلب :

أوصيك يا عبد مناف بعدى   بمؤتم بعـــــد أبيه فرد
مات أبوه وهو حلف المهد

(٢) الزبير ، وهو أكبر أعمام النبى ﷺ وهو الذى كان يُرقِص النبى ﷺ ، وهو طفل ، ويقول :

محمد بن عبْدَمِ   عشت بعيش أنعَم
فى دولة ومغنم   دام سجين الأرلم

وبنته : ضباعة كانت تحت المقداد . وعبد الله ابنه : مذكور فى الصحابة ﷺ - وكان الزبير ﷺ ، يكنى أبا الطاهر بابنه : الطاهر ، وكان من أظرف فتيان قريش ، وبه سمى رسول الله ، ابنه الطاهر ، وأخبر الزبير عن ظالم كان بمكة أنه مات ، فقال : بأى عقوبة كان موته ؟ فقيل : مات حتف أنفه ، فقال : وإن ، فلابد من يوم ينصف الله فيه المظلومين ، ففى هذا دليل على إقراره بالبعث .

(٣) جَحْلا : بتقديم الجيم على الحاء ، هكذا رواية الكتاب ، وقال الدارقطنى هو : حجْل بتقديم الحاء .

(٤) المقوم : لم يعقب إلا بنتا اسمها : هند .

(٥) واسمه : عبد العُزَّى ، وكنى : أبا لهب لإشراق وجهه ، وأمه : لبنى بنت هاجر بكسر الجيم ، من بنى ضاطرة بضاد منقوطة .

وأم عبد الله ، وأبى طالب ، والزبير ، وجميع النساء غير صَفية : فاطمةُ بنتُ عَمرو بن عائذ بن عمران ، بن مَخزوم بن يَقظة بن مُرة بن كَعب بن لُؤى بن غَالب ابن فِهر بن مَالك بن النَّضْر .

وأمها : صَخرةُ بنت عبد بن عِمران بن مَخزوم بن يقظة بن مُرة بن كعب بن لُؤى بن غَالب بن فهر بن مالك بن النضر .

وأم صَخرةَ : تَخْمُرُ بنت عبد بن قصى بن كلاب بن مُرة بن كعب بن لُؤى بن غالب بن فِهر بن مالك بن النضر .

وأم الحارث بن عبد المطلب : سَمراءُ بنت جُندب بن جُحَير بن رئاب بن حُبَيْب ابن سُوَاءة بن عامر بن صَعصعة بن مُعاوية بن بكر بن هَوازن بن منصور بن عِكرمة .

وأم أبى لهب : لُبْنَى بنت هاجِر بن عبد مَناف بن ضَاطِر بن حُبْشِيَّة بن سلول ابن كعب بن عمرو الخزاعى .

أُم رسول الله ﷺ وأمهاتها : فولَدُ عبدُ الله بن عبد المطَّلب : رسولَ الله ﷺ وشرَّف وعظَّم ، سيد ولد آدم ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، صلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته عليه وعلى آله .

وأُمه : آمنة بنت وَهْب ، بن عبد مَناف بن زُهْرة (١) بن كِلاب بن مُرَّة بن كَعب ابن لُؤى بن غَالب بن فِهر بن مالك بن النَّضْر .

وأمها : بَرَّةُ بنت عبد العُزَّى بن عثمان بن عبد الدار بن قُصى بن كلاب بن مُرة ابن كَعب بن لُؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

وأم بَرَّة : أُمُّ حَبيب بنت أسد بن عبد العُزى بن قُصى بن كِلاب بن مُرة بن كعب بن لُؤى بن غَالب بن فِهر بن مالك بن النضر .

وأُم أُمِّ حَبيب : بَرَّةُ (٢) بنتُ عَوفِ بن عُبيد بن عُوَيج بن عَدى بن كَعب بن

---

(١) فى المعارف لابن قتيبة : أن زهرة اسم امرأة عرف بها بنو زهرة ، وهذا منكر غير معروف ، وإنما هو اسم جدهم - كما قال ابن إسحاق : والزهرة فى اللغة : إشراق فى اللون أىِّ لون كان من بياض أو غيره .

(٢) ذكر فى آخر أمهاته ﷺ - برة بنت عوف بن عُبَيْد بن عُوَيج بن عدى وهن كلهن قرشيات ، ولذلك وقف فى بَرَّة ، وإن كان قد ذكر أهل النسب بعد هذا : أم برة ، وأم أمها=

لُؤى بن غَالب بن فهر بن مالك بن النَّضْرِ .

فرسولُ الله ، ﷺ ، أشرفُ ولد آدم حَسبًا . وأفضلهم نسبًا من قِبَل أبيه ، وأمِّه ﷺ وكرَّم وشرَّف وعظَّم .

أمر جُرهم ودفن زمزم

ولاة البيت من ولد إسماعيل : قال محمد بن إسحاق المطلبى : لما توفى إسماعيل بن إبراهيم ولى البيت بعده ابنه نابت بن إسماعيل - ما شاء الله أن يليه - ثم ولى البيت بعده : مُضاض بن عمرو الجرهمى .

* * *

= وأم أم الأم ، ولكنهن من غير قريش ، قال محمد بن حبيب : وأم برة : قلابة بنت الحارث بن مالك بن طابخة بن صعصعة بن غادية بن كعب بن طابخة بن لحيان بن هذيل ، وأم قلابة : أميمة بنت مالك بن غَنْم بن لحيان بن غادية بن كعب ، وأم أميمة : دبَّة بنت الحارث بن لحيان ، بن غادية ، وأمها : بنت كهف الظلم من ثقيف ، وذكر الزبير قلابة بنت الحارث ، وزعم أن أباها الحارث كان يكنى : أبا قلابة وأنه أقدم شعراء هذيل .

القسم الأول

من سيرة رسول الله ﷺ

رواية يونس بن بُكير
عن محمد بن إسحاق

حفر زمزم (١)

حدَّثنا أحمد بن عبد الجبَّار (٢) ، قال : نا يونس (٣) بن بُكير قال : كل شيء من حديث ابن إسحاق مسند ، فهو أملاه عليَّ ، أو قرأه عليَّ ، أو حدثني به ، وما لم يكن مسندًا ، فهو قراءة ؛ قرئ على ابن إسحاق .

حدثنا أحمد قال : نا يونسُ ، عن محمد بن إسحاق ، قال : بينا عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف نائمًا في الحِجر ، عند الكعبة ، أُتي (٤) ، فأُمر بحفر زمزم .

ويقال إنها لم تزل دفينًا (٥) بعد ولاية بني إسماعيل الأكبر وجرهم (٦) ، حتى أمر بها عبد المطلب ، فخرج عبد المطلب إلى قريش ، فقال : يا معشر قريش ، إني قد أُمرت أن أحفر زمزم ، فقالوا له : أبيِّن لك أين هي ؟ فقال : لا ، قالوا : فارجع إلى مضجعك الذي أريت فيه ما أريت ، فإن كان حقًّا من الله عز وجل بيِّن لك ، وإن كان من الشيطان لم يعد إليك ، فرجع فنام في مضجعه ، فأتى فقيل له : احفر زمزم ، إنك إن حفرتها لم تندم ، هي تراث من أبيك الأقدم ، لا تنزف الدهر ،ولا تُذم ، تسقي الحجيج الأعظم مثل نعام حافل لم يقسم ، ينذر فيها ناذر لمنعم ، فهي ميراث وعقد محكم ، ليست كبعض ما قد يعلم ، وهي بين الفرث والدم .

* عبد المطلب يحفر زمزم

فقال حين قيل له ذلك : أين هي ؟ فقيل له : عند قرية النمل ، حيث ينقر

---

(١) اسمها : زمزم ، زُمازمُ ، زمزمة الماء (أي صوته) . (٢) هكذا في المخطوطة .

(٣) رمز بمعنى حدثنا ، انظر الباعث الحثيث وكتب مصطلح الحديث .

(٤) أي جاءه هاتف في المنام .

(٥) أي دَفْنٌ بين صنمي قريش : إساف ونائلة ، عند منحر قريش ، وكانت قبيلة جرهم دفنتها حين ظعنت من مكة . انظر السيرة النبوية لابن هشام تحقيق الأستاذ . طه عبد الرءوف سعد « بتصرف » ط . دار الجيل بيروت ١ / ٢٣٩ .

(٦) هو قحطان بن عامر بن شالخ بن أرفخشذ ين سام بن نوح ، ويقال : جرهم بن عابر ، وقيل إنه كان مع نوح - عليه السلام ، في السفينة وأنه من ولد ولده وهم العرب العاربة ومنهم تعلم إسماعيل العربية .

الغراب غداً ، فغدا عبد المطلب ومعه الحارث ابنه ، ليس له ولد غيره (١) ، فوجد قرية النمل (٢) ، ووجد الغراب ينقر عندها ، بين الوثنين : إساف ونائلة (٣) ، اللذين كانت قريش تنحر عندهما (٤) .

حدثنا أحمد قال : نا يونس بن بُكير ، عن ابن إسحاق قال : حدثنى عبد الله ابن أبى بكر بن حَزْم ، عن عَمْرة ابنة عبد الرحمن بن أسعد بن زُرارة ، عن عائشة زوج النبى ﷺ أنها قالت : ما زلنا نسمع أن إسافا ونائلة رجل وامرأة من جُرهم زنيا فى الكعبة ، فمسخا حجرين .

حدثنا أحمد ، نا يونس عن ابن إسحاق قال : فجاء عبد المطلب بالمِعول (٥) ، فقام ليحفر ، فقالت له قريش حين رأوا جده : والله لا ندعك تحفر بين صنمينا هذين اللذين ننحر عندهما ، فقال عبد المطلب لابنه الحارث : دعنى - أو : ذد عنى - حتى أحفر ، فوالله لأمضين لما أمرت به ، فلما رأوا منه الجد ، خلوا بينه وبين الحفر ،

---

(١) وقد اصطحب معه الحارث فقط لأنه لم يكن أنجب غيره وقتئذ وهو أكبر أعمام النبى ﷺ انظر السيرة النبوية لابن هشام بتحقيق طه عبد الرءوف سعد ط . مكتبة الكليات الأزهرية ١ / ٢٣٦ .

(٢) المقصود بقرية النمل أن زمزم هى عين مكة التى يردُها الحجيج والعمَّار من كل جانب فيحملون إليها البر والشعير وغير ذلك ، وهى لا تحرث ولا تزرع كما قال سبحانه وتعالى مخبراً عن إبراهيم عليه السلام ﴿ ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع ﴾ ، إلى قوله : ﴿ وارزقهم من الثمرات ﴾ وقرية النمل لا تحرث ولا تبذر وتجْلب الحبوب إلى قريتها من كل جانب ، وفى مكة قال الله سبحانه : ﴿ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان ﴾ .

(٣)يروى أنهما كانا رجلا وامرأة من جرهم فعلا الفاحشة فى الكعبة فمسخهما الله حجرين فأقامهما أهل مكة للعبرة والاتعاظ وبمرور الزمان أصبحا وثنين مقدسين فى مكة .

(٤) ذكر ابن هشام أن ابن إسحاق قال فى هذا الموضع : فزعموا أنه حين قيل له ذلك قال ، وأين هى ؟ قيل له عند قرية النمل حيث ينقر الغراب غدا ، والله أعلم أى ذلك كان . انظر سيرة ابن هشام تحقيق طه عبد الرءوف سعد . ط مكتبة الكليات الأزهرية ١ / ١٣٥ .

(٥) الفأس العظيمة التى يُنقر بها الصخر والجمع المعاول انظر مختار الصحاح تحقيق د . عبد الفتاح البركاوى ص ٢١٨ .

فكفوا عنه ، فلم يمكث إلا قليلا حتى بدا له الطوى ، فكبَّر (١) . فعرفت قريش أنه قد صُدق وأدرك حاجته ، فقاموا إليه ، فقالوا : إنها بئر أبينا إسماعيل ، وإن لنا فيها حقًّا ، فأشركنا معك فيها .

قال : ما أنا بفاعل ، وإن هذا لأمر قد خُصصتُ به دونكم ، وأُعطيته من بينكم ، قالوا : فأنصفنا ، فإنَّا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها ، قال : فاجعلوا بينى وبينكم من شئتم أخاصمكم إليه ، فقالوا : كاهنة بنى سعد بن هُذَيم ، قال : نعم ، وكانت بأشراف الشام (٢) .

حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، قال : نا يونسُ عن ابن إسحاق قال : حدثنى يزيد بن أبى حبيب المصرى عن مرثد بن عبد الله اليزنى عن عبد الله بن زُرَير الغَافقى قال : سمعت على بن أبى طالب ، وهو يحدِّث حديث زمزم فقال : بينا عبد المطلب نائم فى الحجر ، أُتى ، فقيل له : احفر بَرَّة ، فقال : وما بَرَّة ؟ ثم ذهب عنه ، حتى إذا كان الغد نام فى مضجعه ذلك ، فأُتى ، فقيل له : احفر المضنونة ، فقال : وما المضنونة ؟ ثم ذهب عنه ، حتى إذا كان الغـد عاد فنام فى مضجعه ، فأتى ، فقيل له : احفر طيبة ، فقال : وما طيبة ؟ ثم ذهب عنه ، فلما كان الغد عاد لمضجعه فنام فيه ، فأتى فقيل له : احفر زمزم ، فقال : وما زمزم ؟ فقال : لا تنزف ولا تذف ، ثم نعت له موضعها (٣) .

* * *

* قريش تُنازع عبد المطلب زمزم :

فقام فحفر حيث نُعت له ، فقالت له قريش : ما هذا يا عبد المطلب ؟ فقال : أمرتُ بحفر زمزم ، فلما كشف عنه ، وأبصروا الطوى ، قالوا : يا عبد المطلب إن لنا لحقًّا فيها ، إنها لبئر أبينا إسماعيل ، فقال : ما هى لكم ، لقد خُصصت بها

---

(١) ذكر ابن هشام هنا أن ابن إسحاق قال : فلما بُين له شأنها ودُل على موضعها وعرف أنه قد صُدق ، غدا بمعوله ومعه ابنه الحارث بن عبد المطلب ليس له يومئذ ولد غيره فحفر فيها ، فلما بدا لعبد المطلب الطى كبَّر انتهى كلام ابن إسحاق . وتكبير عبد المطلب دليل على فطرته السليمة الخالصة .

(٢) أى على حدود ومشارف الشام .

(٣) أى وصف له مكانها .

دونكم ، قالوا : فحاكمنا ، فقال : نعم ، فقالوا : بيننا وبينك كاهنة بنى سعد بن هُذيم ، وكانت بأشراف الشام ·

* التحاكم فى بئر زمزم :

فركب عبد المطلب فى نفر من بنى أبية ، وركب من كل بطن من أفناء قريش نفر ، وكانت الأرض إذ ذاك مفاوز فيما بين الشام ، والحجاز ، حتى إذا كانوا بمفازة من تلك البلاد ، فنى ماء عبد المطلب وأصحابه حتى أيقنوا الهلكة ، فاستسقوا القوم ، قالوا ما نستطيع أن نسقيكم ، وإنَّا لنخاف مثل الذى أصابكم ، فقال عبد المطلب لأصحابه : ماذا ترون ؟ قالوا : ما رأينا إلاَّ تَبع لرأيك ، قال : فإنى أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرته بما بقى من قوته ، فكلما مات رجل منكم ، دفعه أصحابه فى حفرته ، حتى يكون آخركم يدفعه صاحبه ، فضيعة رجل أهون من ضيعة جميعكم ، ففعلوا ·

ثم قال : والله إن لقاءنا بأيدينا للموت ، لا نضرب فى الأرض ونبتغى ، عجز · فقال لأصحابه : ارتحلوا ، فارتحلوا ، وارتحل ، فلما جلس على ناقته ، وانبعثت به ، انفجرت عين من تحت خفها بماء عذب ، فأناخ وأناخ أصحابه ، فشربوا ، واستقوا وسقوا ، ثم دعوا أصحابهم : هلموا إلى الماء ، فقد سقانا الله عز وجل ، فجاؤوا فاستقوا وسقوا ، ثم قالوا : يا عبد المطلب ، قد والله قُضى لك ، إن الذى سقاك هذا الماء بهذه الفلاة ، لهو الذى سقاك زمزم ، انطلق ، فهى لك ، فما نحن بمخاصميك (١) ·

حدثّنا أحمد بن عبد الجبار : نا يونُس بن بُكير عن ابن إسحاق ، قال : فانصرفوا ومضى عبد المطلب فحفر ، فلما تمادى به الحفر ، وجد غَزالين من ذهب ،

(١) ذكر ابن هشام أن ابن إسحاق قال فى هذا الموضع ، فهذا الذى بلغنى من حديث على بن أبى طالب ﷺ فى زمزم ، وقد سمعت من يحدث عن عبد المطلب أنه قيل له حين أمر بحفر زمزم :

ثم ادع بالماء الرّوىّ غير الكدر   يسقى حجيج الله فى كل مبر
ليس يخاف منه شىء ما عَمَر

وهما الغزالان اللذان كانت جُرهم دفنت فيها حين أُخرجت من مكة ، وهى بئر إسماعيل بن إبراهيم ، التى سقاه الله عز وجل حين ظمىء ، وهو صغير (١) .

حدثنا أحمد : نا يونُس عن ابن إسحاق ، قال : حدثنى عبد الله بن أبى نَجيح ، عن مُجاهد ، قال : مازلنا نسمع أن زمزم همزة جبريل بعقبه لإسماعيل حين ظمىء (٢) .

حدثنا أحمد : نا يونُس ، عن سعيد بن مَيْسَرة البكرى ، قال : حدثنا أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : لما طردت هاجر أم إسماعيل القبطية سارة ، ووضعها إبراهيم بمكة ، عطشت هاجر ، فنزل عليها جبريل ، فقال لها : من أنت ؟ فقالت : هذا ولد إبراهيم ، فقال : أعطشانة أنت ؟ قالت : نعم ، فبحث بجناحه الأرض ، فخرج الماء ، فأكبت عليه هاجر تشربه ، فلولا ذلك لكانت أنهارًا جارية .

أنا (٣) أحمد : حدثنا يُونُس ، عن ابن إسحاق ، قال : فلما حفر عبد المطلب زمزم ، ودله الله عز وجل عليها ، وخصه بها ، زاده الله عز وجل شرفًا وخطرًا فى قومه ، وعطلت كل سقاية كانت بمكة حين ظهرت ، فأقبل الناس عليها التماس بركتها ومعرفة فضلها ، لمكانها من البيت ، وأنها سُقيا الله عز وجل إسماعيل .

* فضل زمزم على سائر المياه :

حدثنا أحمد ، قال : ثنا يُونس عن طلحة بن يحيى ، عن عائشة بنت طلحة ، عن عائشة زوج النبى ﷺ أنها قالت : ماء زمزم طعام طعُم وشِفاء سُقم (٤) .

---

(١) ذكر البرقى عن ابن عباس أنها سميت زمزم لأنها زمت بالتراب لئلا يأخذ الماء يمينا وشمالاً ولو تركت لساحت على الأرض حتى تملأ كل شىء ، وقيل الزمزمة عند العرب الكثرة والاجتماع .

(٢) وذلك أن جرهم كانت تتولى أمر الزعامة فى مكة وولاية البيت فجاءت قبيلة خزاعة وقاتلت قبيلة جرهم حتى أخرجتها من مكة وصارت الزعامة لها حتى جاء قصى بنى كلاب فقاتل خزاعة قتالا شديداً وأخرجهم من مكة وولى أمر مكة والبيت وصارت الزعامة لقريش .

(٣) من رموز الحديث بمعنى أخبرنا .

(٤) ذكر ابن هشام هنا أن ابن إسحاق قال : فعفت (أى غطت على غيرها) زمزم على البئار التى كانت قبلها يسقى عليها الحاج وانصرف الناس إليها لمكانها من المسجد الحرام ، ولفضلها على ما سواها من المياه ، ولأنها بئر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام . قال الشاعر مسافر بن أبى عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف : =

* ما وجده عبد المطلب فى بئر زمزم :

حدثنا أحمد قال : ثنا يونُس ، عن ابن إسحاق قال : ووجد عبد المطلب أسيافًا مع الغزالين (١) ، فقالت قريش : لنا معك يا عبد المطلب فى هذا شـرك وحق ، فقال : لا ، ولكن هلموا إلى أمر نصف بينى وبينكم ، نضرب عليها بالقداح (٢) ، فقالوا : فكيف تصنع ؟ قال : أجعل للكعبة قدحين ، ولكم قدحين ، ولى قدحين ، فمن خرج له شىء كان له ، فقالوا : قد أنصفت ، وقد رضينا ، فجعل قدحين أصفرين للكعبة ، وقدحين أسودين لعبد المطلب ، وقدحين أبيضين لقريش ، ثم أعطوها الذى يضرب بالقداح ، وقام عبد المطلب يدعو الله ويقول :

اللَّهُم أَنتَ المَلكُ المحمودُ ... رَبِّى وأَنتَ المُبـــدئ المعيدُ
وَمُمْسكُ الراسية الجَلمُودُ ... منْ عندك الطَـارف والتَّليدُ
إنْ شئتَ أَلهمـتَ مَا تُريدُ ... لموضع الحلْيَة والحَــديد
فَبيِّن اليـومَ لِمَـــا تُريدُ ... إنى نَذرتُ عَاهد العُهــود
أجعله ربِّى فَلا أَعودُ

وضرب صاحب القداح ، فخرج الأصفران على الغزالين للكعبة ، فضربهما عبد المطلب فى باب الكعبة ، فكانا أول ذَهب حُلِيَتْهُ ، وخرج الأسودان على السيوف والأدراع لعبد المطلب فأخذها .

وكانت قريش ومن سواهم من العرب إذا اجتهدوا فى الدعاء ، سجعوا وأَلَّفوا الكلام ، وكانت فيما يزعمون قَلما (٣) تُرد إذا دعا بها داع .

حدثنا أحمد قال : نا يونُس عن ابن إسحاق ، قال : حدثنـــى عبد الله بن

= ورثنا المجد من آبا ... ئنا فمشى بنا صـعدا
وزمزم فى أرومتنــا ... ونفقا عين من حسدا

انظر السيرة النبوية لابن هشام .

(١) قال ابن إسحاق عن هذين الغزالين إنهما اللذان دفنت جُرهم فيها حين خرجت من مكة . انظر سيرة ابن هشام بتحقيق طه عبد الرءوف سعد . ط . دار الجيل ١ / ٢٨٢ .

(٢) القداح هو السهم قبل أن ينصل ، والجمع القِدْحُ انظر لسان العرب ٥ / ٣٥٤٢ ط. دار المعارف .

(٣) أى نادراً .

أبى نجيح ، عن عبد الله بن عُبيد بن عُمير عن عبد الله بن خريِّت - وكان قد أدرك الجاهلية - قال : لم يكن من قريش فخذ إلاّ ولهم ناد معلوم فى المسجد الحرام ، يجلسونه ، فكان لبنى بكر مجلس تجلسه ، فبينا نحن جلوس فى المسجد ، إذ أقبل غلام ، فدخل من باب المسجد مسرعًا حتى تعلق بأستار الكعبة ، فجاء بعده شيخ يريده ، حتى انتهى إليه ، فلما ذهب ليتناوله يبست يداه ، فقلنا ما أخلق هذا أن يكون من بنى بكر ، فتحقبناه العرب مع ما تحدَّث به عنا ، فقمنا إليه ، فقلنا : ممن أنت ؟ فقال : من بنى بكر ، فقلنا : لا مرحبًا بك ، ما لك ولهذا الغلام ؟ فقال الغلام (١) : ولا والله ، إلا أن أبى مات ونحن صبيان صغار ، وأُمنا مؤتمة لا أحد لها فعاذت بهذا البيت فنقلتنا إليه وأوصت فقالت : إن ذهبت وبقيتم بعدي فظلم أحد منكم ، أو ركب بكم أمر ، فمن رأى هذا البيت فليأته فيتعوذ به فإنه سيمنعه ، وإن هذا أخذنى واستخدمنى سنين ، واسترعانى إبله ، فجلب من إبله قطيعًا ، فجاء بى معه ، فلما رأيت البيت ذكرت وصاة أمى ، فقلنا : قد والله أرى منعك ، فانطلقنا بالرجل ، وإن يديه لمثل العصوين قد يبستا ، فأحقبناه (٢) على بعير من إبله ، وشددناه بالحبال ، ووجَّهنا إبله ، وقلنا : انطلق لعنك الله .

حدثنا أحمد قال : أنا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه القاسم بن محمد عن أبى بكر أنه قال : كنت امرءًا تاجرًا ، فسلكت ثَنية فى سفر لى ، فإذا رجل منها يقول : أتؤمنى أؤمنك ؟ فقلت : نعم ، فقال : أدنه ، فأتيته ، فإذا هو نهيش قد أنيبته حية أصابته ، فقال : يا عبد الله هل أنت مُبلغى إلى أهلى ها هنا ، تحت هذه الثنية ؟ فقلت : نعم ، فاحتملته على بعيرى ، فأتيت به على أهله ، فقال لى رجل من القوم : يا عبد الله ممن أنت ؟ فقلت : رجل من قريش ، فقال : والله إنى لأظنك مصنوعًا لك ، والله ما كان لص أعدى منه .

قال : وأضلتنى ناقة لي قد كنت أعلفها العجين ، فلما أيست منها ، اضطجعت عند رحلى ، وتقنَّعت بثوبى ، فوالله ما أهبنى إلاّ حس مشفرها تحرك به قدمى ، فقمت إليها ، فركبتها .

(١) واضح أن جواب الشيخ البكرى سقط من الأصل كما سقط أيضا بداية جواب الغلام .

(٢) أى أردفناه ، أحقب الرجل أردفه (انظر المعجم الوجيز ص ١٦٢) .

حدثنا أحمد قال : نا يُونُس عن ابن إسحاق ، قال : حدثنى من سمع عِكْرِمة يذكر عن ابن عباس قال : بينا (١) أنا جالس عند عمر بن الخطاب ، وهو يعرض الناس على ديوانهم ، إذ مرَّ شيخ كبير أعمى يجبذ قائده جبذًا شديدًا ، فقال عمر : ما رأيت كاليوم منظرًا أسوأ ·

قال : فقال له رجل : يا أمير المؤمنين هذا ابن صَبغاء البهزى ، ثم السُّلَمى بَهيك بريق ، فقال عمر : قد أعلـــم أن بريقًا لقب ، فما اسم الرجل ؟ قالوا : عِياض ، قال عمر : ادعوا لى عِياضًا ، فدعى ، فقال : أخبرنى خبرك وخبر بنى صبغاء - وكانوا عشرة نفر ·

فقال عِياض : شيء كان فى الجاهلية قد جاء الله بالإسلام ، فقال عمر : اللهم غفرًا ، ما كان أحرانا نتحدَّث عن أمر الجاهلية منَّا حين هدانا الله عز وجل للإسلام ، وأنعم علينا به ! فقال : يا أمير المؤمنين كنت امرءًا قد نفانى أهلى ، وكان بنو صبغاء عشرة ، وكانت بينى وبينهم قرابة وجوار ، فتنقصونى ما بى وتذللونى ، فسألتهم بالله والرحم والجوار إلا ما كفوا عنى ، فلم يفعلوا ، ولم يمنعنى ذلك منهم ، فأمهلتهم حتى دخل الشهر الحرام ، ثم رفعت يدى إلى الله عز وجل فقلت :

اللَّهُمَّ أدعوكَ دُعـــاءً جَاهدَا   اقتُل بَنى الصَّبغاء إلاَّ وَاحدَا

ثُم اضرِب الرجلَ فَذَرهُ قَاعدَا   أعمى إِذا ما قيد عنِّى القَائدَا

فتتابع منهم تسعة فى عام واحد ، وضرب الله عز وجل هذا ، وأعمى بصره ، فقائده يلقى منه ما رأيت ، فقال عمر : إن هذا لعجب ·

فقال رجل من القوم : يا أمير المؤمنـــين شأن أبى تقاصف الخناعى ، ثم الهُذلى ، وأخوته أعجب من هذا ، فقال عمر : وكيف كان شأن أبى تقاصف وإخوته ؟ فقال : كان لهم جار هو منهم بمنزلة عياض من بنى صَبغاء ، فتنقَّصوه وتذللوه فذكَّرهم الله والرحم والجوار ، فلم يعطفهم ذلك عليه ، فأمهلهم حتى إذا دخل الشهر الحرام ، رفع يديه ثم قال :

---

(١) بمعنى بينما ·

اللَّهُمَّ رَبَّ كل آمن وخَائفْ   وسَامِعَ هتَاف كَـــل هَاتفْ
إنَّ الخنَاعِي أبـــا تَقاصِفْ   لَم يُعطِنى الحقَّ ولَم يُنَاصِفْ
فَاجمع لهُ الأَحبـةَ الأَلاَطِفْ   بَين قِران ثـــم وَالتواصِفْ

قال فنزلوا فى قَلِيب (١) لهم يحفرونه حيث وصف ، فتهور عليهم ، فإنه لقبرهم إلى يومهم هذا ·

فقال رجل من القوم : شأن بنى مؤمل من بنى نصر أعجب من هذا ، كان بطن من بنى مُؤَمل ، وكان لهم ابن عم قد استولى على أموال بطن منهم وراثة (٢) فألجأ نفسه وماله إلى ذلك البطن ، فتنقصوا ماله وتذللوه وتضعفوه ، فقال : يا بنى مُؤمل ، إنى قد ألجأت نفسى ومالى إليكم لتمـنعونى ،وتكـفُّوا عنى ، فقطعتم رحمى ، وأكلتم مالى وتذللتمونى ، فقام رجل منهم يقال له رياح ، فقال : يا بنى مؤمل صدق ، فاتقوا الله فيه وكفوا عنه ، فلم يمنعهم ذلك منه ، ولم يكفوا عنه ، فأمهلهم حتى إذا دخل الشهر الحرام وخرجوا عُمَّارا (٣) ، رفع يديه فقال :

اللَّهُمَّ زِلْهمْ عَنْ بَنِى مُؤَمـــلْ   وَارم على أقفَائِهمْ بِمنكَلْ
بِصَخْرة أو بعضِ جَيْشٍ جَحفلْ   إلاَّ رِياحًا إنه لَـــم يَفْعَلْ

فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق نزلوا إلى جبل فأرسل الله عز وجل من رأس الجبل صخرة تجر ما مرت به من حجر أو شجر ، حتى دكتهـم (٤) به دكة واحدة ، إلاَّ رياحًا وأهل خِبائه (٥) ، لأنه لم يفعل ·

فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إن هذا للعجب ، لمَ ترون هذا كان ؟ فقالوا : يا أمير المؤمنين أنت أعلم ، فقال : أما إنى قد علمت ذاك ، كان الناس أهل

---

(١) القَلِيب : البئر والجمع قلب انظر المعجم الوجيز صـ ٥١٢ ·

(٢) هكذا فى الأصل وقد تكون « ورثوها » أو أن فعله هذا وراثة عن أبيه والله أعلم ·

(٣) يريدون أداء العمرة ·

(٤) أى أهلكهم وأماتهم وسوَّاهم بالأرض ·

(٥) أى من معه من أهله ·

الجاهلية لا يعرفون ربًّا ولا بعثًا ، ولا قيامة ولا جنة ، ولا نارًا ، فكان الله عز وجل يستجيب لبعضهم على بعض ، للمظلوم على الظالم ، ليكف بذلك بعضهم عن بعض ، فلما بعث الله عز وجل هذا الرسـول ، وعرفوا الله عز وجل والبعث والقيامة ، والجنة والنار ، وقال الله عز وجل : ﴿ **بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر** ﴾ (١) فكانت المدد والإملاء (٢) .

* * *

(١) سورة القمر : الآية ٤٦ .

(٢) أى الإمهال وتأخير الحساب للآخرة ،فالله يمهل ولا يهمل .

نَذْر عبد المطَّلب

حدَّثنا أحمد بن عبد الجبار قال : نا يونُس بن بُكير عن ابن إسحاق قال : وكان عبد المطلب بن هاشم فيما يذكرون ، قد نذر حين لقى من قريش - عند حفر زمزم - ما لقى : لئن وُلِدَ له عشرة نفر ، ثم بلغوا معه حتى يمنعوه ، ليَنحرن أحدهم لله عز وجل عند الكعبة ، فلما توافى بنوه عشرة : الحارث ، والزبير ، وجُحل ، وضِرار ، والمقوَّم ، وأبو لهب ، والعبَّاس ، وحمزة ، وأبو طالب ، وعبد الله ، وعرفَ أنهم سيمنعونه ، جمعهم ثم أخبرهم بنذره الذى نذر ، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك ، فأطاعوا له ، وقالوا له : كيف تصنع ؟ فقال : يأخذ كل رجل منكم قدحًا ، فيكتب فيه اسمه ، ثم تأتونى ، ففعلوا ، ثم أتوه ، فدخل بهم على هُبل فى جوف الكعبة ، وكان هُبل عظيم أصنام قريش بمكة ، وكان على بئر فى جوف الكعبة ، وكانت تلك البئر التى يجمع فيها ما يهدى للكعبة ، وكان عند هُبل سبعة أقداح [1] ، فى كل قدح منها كتاب ، قدح فيه « العقل » [2] ، إذا اختلفوا فى العقل من يحمله [3] منهم ضربوا بالقداح السبعة ، فعلى من خرج حمله ، وفيها قدح « الغفل » [4] ، وقدح فيه « نعم » للأمر إذا أرادوه ضرب به فى القداح ، فإن خرج قدح « نعم » ، عملوا به ، وقدح فيه « لا » ، فإذا أرادوا أمرًا ضربوا به فى القداح ، فإذا خرج ذلك القدح ، لم يفعلوا ذلك الأمر ، وقدح فيه « منكم » وقدح فيه « من غيركم » وقدح فيه « ملصق » وقدح فيه « المياه » فإذا أرادوا أن يحفروا للماء ضربوا بالقداح ، وفيها ذلك ، فحيثما خرج عملوا به ، وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلامًا ، أو ينكحوا منكحًا ، أو يدفنوا ميتًا ، أو شكُّوا فى نسب أحد منهم ، ذهبوا به إلى هُبل ، وذهبوا معهم بجزور ومائة درهم إلي صاحبه (صاحب القداح) التى يضرب بها ، فأعطوها إياه ، ثم قربوا صاحبهم الذى يريدون به ما يريدون ، وقالوا : اضرب ، اللهم أخرج على يديه اليوم الحق ، ثم استقبلوا هُبل ، فقالوا : يا إلهنا ، هذا فلان ابن فلان كما زعم أهله ، يريدون كذا وكذا ، فإن كان كذلك فأخرج فيه « الغفل » ، أو « نعم » أو « منكم » وأقبل هديته ، فإن خرج من هؤلاء

---

(١) سبق تعريفها .
(٢) أى الدية .
(٣) أى يتحمله .
(٤) أى بدون كتابة .

الثلاثة كتب فى قومه وسيطًا (١) ، وإن خرج عليه « من غيركم » كان حَليفًا ، وإن خرج عليه « ملصق » كانت منزلته فيهم لا نسب ولا حلف ، وإن خرج فيه شىء مما سوى هذا مما يعملون به « نعم » عملوا به ، وإن خرج « لا » أخروه عامه ذلك حتى يأتوا به مرة أخرى ، ينتهون من أمورهم إلى ذلك مما خرجت به القداح .

* عبد المطلب يحتكم إلى القداح :

فقال عبد المطلب : اضرب على بنىَّ هؤلاء بقداحهم هذه ، وأخبره بنذره ، وأعطاه كل رجل منهم قدحه الذى فيه اسمه ، وكان عبد الله بن عـــبد المطلب ، أبو رسول الله ﷺ أصغر بنى أبيه (٢) ، كان هو والزبير وأبو طالب لفاطمة بنت عَمرو بن عَائذ بن عبد الله بن عُمران بن مَخزوم ، وكان - فيما يزعمون - أحب ولد عبد المطلب إليه ، وكان عبد المطلب يرى أن السهم إذا أخطأه فقد أشوى (٣) ، فلما أخذ صاحب القِداحِ القداحَ ليضرب بها ، قام عبد المطلب عند هُبَل يدعو ويقول :

اللَّهُمَّ لا يَخرجْ عليه القدْح ... إنى أَخافُ أَن يكون قَدْح

إنْ كَان صَاحبـــى للذَّبح ... إنى أَراهُ اليـوم خَيْرَ قدْح

حَتى يكون صَاحبــى للمنْح ... يُغْنِى عَنى اليَوم كَل سَرْح

* خروج القدح على عبد الله :

فخرج القدح على عبد الله ، فأخذ عبد المطلب بيده ، وأخذ الشفرة (٤) ، ثم أقبل به إلى إساف ونائلة ، الوثنين اللذَين تنحر عندهما قريش ذبائحها ، ليذبحه ، فقامت إليه قريش من أنديتها ، فقالوا : ماذا تريد يا عبد المطلب ؟ فقال : أذبحه ، وأنشأ يقول :

عَاهَدْتُ رَبِّى وأَنَـــا مُوفٍ عَهْدَهُ ... أَيامَ أَحْفُرُ وبُنَــىَّ وَحْـــــــدَهُ

---

(١) وسيطًا : أى خالص النسب أو شريفًا فى قومه .

(٢) أى حين أراد نحره ثم وُلد له بعد ذلك حمزة والعباس لأن حمزة أصغر من عبد الله والعباس أصغر من حمزة .

(٣) أى أبقى انظر القاموس المحيط ٢ / ٧٨١ .

(٤) الشفرة : السكين العظيم انظر القاموس المحيط ٢ / ٦٣ .

وَاللهِ لاَ أحمدُ شَيْئًا حَمْدَهُ كَيفَ أُعَادِيهِ وأَنَا عَبْدَهُ
إنِّى أَخافُ إنْ أَخَّرتُ وَعْدَهُ أَنْ أُضَلَّ إنْ تَركتُ عَهْدَهُ
مَا كُنْتُ أَخشَى أَنْ يكونَ وَحْدَهُ مثْل الذى لَقيتُ يَومًا عِنْدَهُ
أَوجَع قَلبِى عِندَ حَفْرِى رَدَّهُ وَاللهِ ربِّى لاَ أعيشُ بَعْدَهُ

حدثنا أحمد قال : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : ذكروا أن العباس بن عبد المطلب اجتره من تحت رجل أبيه حتى خدش وجه عبد الله خَدشًا ، لم يزل فى وجهه حتى مات .

* **عبد المطلب يحاول ذبح ابنه وقريش تمنعه :**

قال ابن إسحاق : فقالت قريش وبنوه : والله لا تذبحه أبدًا ونحن أحياء حتى نعذر فيه ، لئن فعلت هذا لا يزال رجل يأتى بابنه حتى يذبحه ، فما بقاء الناس على ذلك .

قال ابن إسحاق : وقال المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم - وكان عبد الله بن عبد المطالب ابن أخت القوم - : والله لا تذبحه أبدًا حتى نعذر فيه ، فإن كان فداء ، فديناه بأموالنا ، وقال فيما يزعمون فى ذلك شعرًا حين أجمع عبد المطلب فى ذبح عبد الله بما أجمع :

وَاعَجَبى مِنْ قَتْلِ عَبدِ المطَّلبْ وَذبحِه خرقًا كَتمثالِ الذَّهَبْ
يَا شَيبَ لاَ تَعجلْ عَلينا بالعَجبْ فَما ابْننا بِشرطِ القوم النَّجبْ
وَلاَ ابنكُم بالمُستذَلِّ المغْتَصبْ نُفَاديه بالمال حَتى نُختَربْ
فَسَوف أَفديه بمالى والسَّلَبْ وَسوف ألقى دُونَه من الغَضبْ
أشوس آباء قَبيحات الخَطَبْ مَا ذبح عبد الله فينا باللَّعبْ
ذَبحًا كما يُذْبَح مَعتُوبى النُّصب كَلاَّ ورَب البيَت مَستَور الحُجَبْ
لاَ يَعجَل المَذبوح حَتى نَضْطَرب ضَربًا يزيل الهَام من بعْد الغضَبْ
بِكُل مَصقُولِ رَقيق ذِى شَطَبْ كَالبرقِ أو كالنارِ فى الثوبِ العَطَبْ

قال أبو عمرو : ويقال : القطب والعطب ، القطن .

قال ابن إسحاق : وقد قال أبو طالب حين أراد عبد المطلب ذبح عبد الله - وكان ابن أمه - وحين قال الغميرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ما قال :

كَلاَّ ورَبِّ البيــــتِ ذِى الأنصابِ ... ورَبِّ مَا أنضَى مَـــــنَ الركابِ
كُل قَريبِ الــــدارِ أو مُنْتَابِ ... يَزورُ بَيْتَ اللهِ ذَا الحِجَــــابِ
مَا قَتْلُ عَبْدِ اللهِ باللِّعَـــــابِ ... مِنْ بَينِ رَهْطٍ عُصبةٍ شَبابِ
ابن نِساءِ سِطة (١) الأنســــابِ ... أغر بينَ البيضِ مِنْ كلابِ
وَبين مَخْزومٍ ذَوى الأحْسَـــابِ ... أَهْلِ الجِيَادِ القَبِ وَالقِبــــابِ
لَستم عَلى ذَلـــــك بالأذنابِ ... حَتى تَذوقوا حَمس الضِّرابِ
بِكُلِ عصْبٍ ذَائب اللعــــابِ ... ذِى رَونَقٍ فى الكف كالشِّهابِ
تَلقاه فى الأقرانِ ذَا أنداب ... إن لم يجعل أجــــلِ الكتَابِ
قلت وما قـــــولى بالمعَابِ ... يَا شيب إنَّ الجورَ ذُو عقابِ
إنَّ لنَا إنْ جَرت فى الخطابِ ... أَخْوال صِدْقٍ كأُسُودِ الغَابِ
لَنْ يُسْلِموهُ الدَّهرَ للعذَابِ ... حَتى يَمصَّ القَاعَ ذُو الترابِ
دماءَ قَوْمٍ حَرم الأسلابِ

فقال عبد المطلب عند ذلك :

اللهُ ربِّـــــــى وَأنَا مُوفٍ نَذْرَهُ ... أَخافُ رَبِّى إنْ عَصَيْتُ أَمـــــرهُ
وَاللهِ لاَ يَقــــــدرُ شَىءٌ قَدْرَهُ ... فَهو وَلِيِّى وإليــــــــه عُمرهُ
هَذا بُنىَّ قَــــــد أَردتُ نَحرهُ ... فإن نُؤَخِّره وَتُقبــــــلِ عُذْرَهُ
وَتَصْرِفِ المـــــوتَ لَهُ وَحَذَرَهُ ... وَتصْرِفِ المـــــوتَ فَلا يَضرُهُ
مِنْ جَهدِ إنسَـــــانٍ وَلا تَعره ... سواكَ رَبِّى ويكـــــونَ قَرهُ
لِكُلِّ عَـــــــينٍ نَاظِرٌ تُسرهُ ... أَعْطيتَهُ رَبٌ فَـــــلا تَعرهُ
لحزَن يوجـــــــعنى مَسرهُ

(١) السطة : النسب العريق .

* ما أشارت به عرَّافة الحجاز على عبد المطلب :

فقالت له قريش وبنوه : لا تفعل وانطلق إلى الحــجاز فإن به عرَّافة يقال لها نجاح (١) ، لها تابع فسلها ، ثم أنت على رأس أمرك ، فإن أمرتك بذبحه ، ذبحته ، وإن أمرتك بغير ذاك مما لك وله فيه فرج قبلته ، فقال : نعم .

فانطلقوا حتى قدموا المدينة ، فوجدوها فيما يزعمون بخيبر ، فركبوا حتى جاءوها ، فسألوها ، وقص عليها عبد المطلب شأنه وشأن ابنه وما كان نذر فيه ، فقالت لهم : ارجعوا عنى اليوم حتى يأتينى تابعى ، فأسأله ، فخرجوا من عندها ، وقام عبد المطلب يدعو الله عز وجل ويقول :

يَا رَبِّ لاَ تُحقِّق حَــــذَرِى   وَاصْرِفْ عَنه شَرَّ هَذا القَدَرِ
فَإِنِّى أَرجُو لِمــــا قَد أذَرِ   لأَن يكون ســيداً للبَشَرِ

ثم غدوا إليها ، فقالت : نعم ، قد جاءنى الخبر ، فكم الدية فيكم ؟ فقالوا : عشرة من الإبل (٢) ، وكانت كذلك ، فقالت : فارجعوا إلى بلادكم ، فقدموا صاحبكم ، وقدموا عشراً من الإبل ، ثم اضربوا عليها بالقداح ، فإن خرجت القداح على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم عز وجل ، فإذا خرجت القداح على الإبل ، فقد رضى ربكم ، فانحروها عنه ، ونُجِّى صاحبكم .

فخرجوا حتى قدموا مكة ، فلما أجمعوا لذلك الأمر ، قام عبد المطلب يدعو الله عز وجل ، ويقول :

اللَّهُمَّ إنكَ فَاعِــــلٌ لَمَا تُرِدْ   إنْ شِئْتَ أَلْهَمْتَ الصَّوابَ والرَّشَدْ
إنِّى مُوَالِيكَ عَلَى رَغْــمِ معَدْ   وسَــاقى حَجِيْجكَ الأَبَـــــدْ
أَوَرثَنِى سُقِياهم أَبى وَجَــدْ   فَإِنَّ وَجْدِى فَاعلمــن وَجْدُ وَجدْ
أَنْتَ الذى تَعْلَم كُل صَــمدْ   فَلا تُحقق حَــــذَرِى بَــولدْ
واجعل فِداه فى الجلاه الجعدْ

(١) قيل اسمها : قطبة ، ذكرها عبد الغنى فى كتاب الغوامض والمبهمات ، وذكر ابن إسحاق فى رواية يونس أن اسمها : سجاح .

(٢) وهذا دليل على أن الدية كانت عشرة من الإبل وأن عبد الله جعلها مائة فهو أول من وُدِىَ بمائة من الإبل .

حدثنا أحمد بن عبد الجبَّار قال : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : فلما قربوا عبد الله وعشرًا من الإبل ، وعبد المطلب فى جوف الكعبة يدعو ويقول :

اللَّهُم رَبُّ العَشْرِ بعد العَشْرِ ‏ ‏ ‏ ‏ وَرَبُّ مَن يأتى بِكُلِ نَذْرِ
أَنْجِ عَبْدَ اللهِ عَنْدَ النَّحْـــرِ ‏ ‏ ‏ ‏ ونَجِّه مِنْ شَفْعِهَا وَالوَتْرِ

ثم ضربوا ، فخرج السهم على عبد الله ، فزادوا عشرًا ، فبلغت الإبل عشرين وقام عبد المطلب يدعو ويقول :

يَا رَبِّ عِشْرِين وَربِّ الشَّفْـــعِ ‏ ‏ ‏ ‏ أَنْجِ عِبْدَ اللهِ رَب النَّـــفْعِ
مِنْ ضَرْبَةِ القِدْحِ التى فِى الجِذْعِ ‏ ‏ ‏ ‏ وَأَعْطه الرَّفْعَ الذى فِى الرَّفْعِ
وَلا يكونَ ضَرْبَـــــهُ كَاللذْعِ ‏ ‏ ‏ ‏ كَلَذْعَةَ النَّارِ التى فى السَّـفْعِ

ثم ضربوا ، فخرج السهم على عبد الله ، فزادوا عشرًا ، فبلغت الإبل ثلاثين ، وقام عبد المطلب يدعو الله ويقول :

رَبُّ الثَّلاثِينَ وَلِـــىُّ النِّعَمْ ‏ ‏ ‏ ‏ امْنُن أَنْ نُـــصَابَ بِالدَّمْ
هَذا الغُلاَمُ جُنَّةٌ لَـــم يَعْلَمْ ‏ ‏ ‏ ‏ فَطار قَلبى فَهوــ مِثل المَغرمْ
لذكر عَبْدِ اللهِ حَتى يَســلَمْ ‏ ‏ ‏ ‏ وَتُنْحرِ الذَّودُ التى لـم تُقْسَمْ
وَنَجه مِنْ ضَرَبةٍ لم تكلَمْ

ثم ضربوا ، فخرج السهم على عبد الله ، فزادوا عشرًا ، فبلغت الإبل أربعين ، فقام عبد المطلب يدعو الله ويقول :

اللَّهُمَّ رَب الأَربعين إذْ بَلغتْ ‏ ‏ ‏ ‏ أَنْجِ بَنِىَّ مِنْ قداح كُتِبَتْ
وَانْحرِ الذُّودَ التى هــملتْ ‏ ‏ ‏ ‏ وَجُلِّلتْ فى قَتلـه وذيخَتْ
بَلِّغْ رِضَاك رَبَّنا إذ جعــلت ‏ ‏ ‏ ‏ عَدْلَ بَنِى عَبْد مَناف وَقَعَتْ

ثم ضربوا فخرج السهم على عبد الله ، فزادوا عشرًا ، فبلغت الإبل خمسين وقام عبد المطلب يدعو الله عز وجل ويقول :

يَا رَبِّ خَمسِينَ سِمَان بُدْنْ ‏ ‏ ‏ ‏ مِنْ كُل كَوْمَاءَ لَه لم تُعْطَنْ
إلا لِرَبٍّ مَاجِـــدٍ مُمَكَّنْ ‏ ‏ ‏ ‏ أَنْجِ عَبْـدَ اللهِ رَب الأَركن
وانْحَرِ الذَّودَ التى لم تَسْكُنْ

ثم ضربوا ، فخرج السهم على عبد الله ، فزادوا عشراً ، فبلغت الإبل ستين وقام عبد المطلب يدعو ويقول :

اللَّهُمَّ رَب السِّتِّينَ وربَ المَشْعَرْ ورَب مَنْ حَــجَّ لَهُ وكَبَّرْ
يَسْعَى لِربٍّ قَادر ليــــــغفِرْ أَنجِ عَبْدَ اللهِ عِنْـدَ المَنحَرْ
وَعافِهِ مِنْ ضَربَةٍ لا تُـــجبَرْ لِتَبلغ العَظْمَ بِهَا فَيُكْـــسَرْ

ثم ضربوا ، فخرج السهم على عبد الله ، فزادوا عشراً ، فبلغ الإبل سبعين ، وقام عبد المطلب يدعو ويقول :

يَا رَبُّ سَبْعِينَ له قد جُمِعتْ فَاذبح الذَّودَ التـى قد عُطِّلتْ
وَحُسِبَتْ فِى قَتْلِهِ وخيِـستْ وَأَخرِجِ السَّــهم لَها إذ بُذِلَتْ
حَتى تكُونَ دِيَة قد كَمُلَـتْ عَنْ مَقْتُـــــول لَه إذ قبلَتْ

ثم ضربوا ، فخرج السهم على عبد الله ، فزادوا عشراً ، فبلغت الإبل ثمانين وقام عبد المطلب يدعو ويقول :

يَا رَبَّ الثمانين ورَبَّ الإهلالْ ورَبَّ مَنْ يَأتيكَ للإجْـــــلالْ
اجْعَل فِدَاء ولَدى ذُود أبَـــالْ سَوفَ تَرى شُكْرى عِنْدَ الإحلاَلْ
كَشُكْرِ مَنَ يَسْعَـــى بِغَيرِ أنْعَالْ أمْنِنْ به عَلَيَّ رَبَّ الأفْـــضَالْ

ثم ضربوا ، فخرج السهم على عبد الله ، فزادوا عشراً ، فبلغت الإبل تسعين وقام عبد المطلب يدعو ويقول :

يَا رَبَّ تسعينَ ورَبَّ المشْــرعْ ورَبَّ مَنْ يَدْفَعُ عِنْـدَ المدْفَعْ
حَتى يُجِيزُوا مَعْشَراً للمَجْمَعْ أَنجِ لِى عَبْدَ اللهِ عَنْد الأذْرَعْ
وَنجِّهِ من ضَرْبَةٍ لاَ تُرْجِعِ

ثم ضربوا ، فخرج السهم على عبد الله ، فزادوا عشراً ، فبلغت الإبل مائة وقام عبد المطلب يدعو ويقول :

اللَّهُمَّ رَبَّ مَائَة تُقْسَـــمْ ورَبَّ مَن يَهْوِى بكُلِّ مَعلَم
ورَبَّ مَنْ أهدَى لِكَل مَحرَمْ قَد بَلَغَتْ مَائَةً لَمْ تُقْسَـــم
أرْغِم أعدَائِى بَهَا ليرغَموا

ثم ضربوا ، فخرج السهم على الإبل ، فقالت قريش ومن حضره : قد رضى ربك ، وخلص لك ابنك .

* نجاة عبد الله من الذبح :

حدثنا أحمد بن عبد الجبار قال : نا يونُس عن ابن إسحاق قال : فذكروا أن عبد المطلب قال : لا والله حتى أضرب عليها ثلاث مرات ، فضربوا على الإبل وعلى عبد الله ، وقام عبد المطلب يدعو ويقول :

اللَّهُمَّ أَنتَ هَدَيتنـــــى لِزَمْزَمَ ... إنَّ بُنَىَّ أَحَبُّ مَنْ أن تكلم
فَلا تُرينيه الغَـــــداة فى الدَّمْ ... فَإن حُزْنى يُدخل فى الأَعْظمْ
فَاجعل فداَه مَائة لَـــــم تُقْسَمْ ... حَتَّى نُفَاديه بكُـــــل أَعْجَمَ
امنن علـــىَّ ذا الجلاَل المُنعم ... وَأَوْقِع المـــــوتَ لِذُود عتم
وثُمَّ رَبٌّ فَاجْعَـــــلَنَّ مَا تَمْ ... ثُم اصْرِف الموتَ إليها يَسْلَمْ
بَحَوْلك اللَّهُـــــمَّ عَيْشَ خَرمْ ... وأَنتْ إنْ سَلمتَهُ لَـــــمْ يكْلَمِ
فَبَلِّغ العَيْـــــشَ به فَيَهْـــرَمْ ... حَتى أَراهُ عِنْـــــدَ كل مقْدمْ

يُبيِّنُ الخيرَ لِمـــــن توسَّمْ

ثم ضربوا ، فخرج السهم على الإبل ، ثم أعادوا الثانية ، وعبد المطلب مكانه عند هُبل ، فلما أرادوا أن يضربوا ، قال :

يَا رَبُّ لاَ تُشْمتْ بِى الأَعَادى ... إن بـــنَىَّ ثَمـــــرةُ فُؤَادى
فَلا تَسيل دَمَهُ فِى الوَادى ... وَاجْعَل فِداَهُ اليَوم من تلادَى
ذَودٌ لقـــــاح بُدْنًا أَنْدَادى ... حَتى تكـــــون فدْية الأولاد
وَلا تُرِنْيـــــه الأَذْواد ... إن بنَىَّ رَبٌّ لَمْ يُفَـــــادى
لَكن يَميـــــن قَسَّمَ الجَواد ... فَقَدْ تَرانى رَبٌّ لـــــم أُضَادى

ثم ضربوا ، فخرج السهم على الإبل ، ثم أعادوا الثالثة ، وقام عبد المطلب يدعو ويقول :

يَا رَبٌّ قَدْ أَعْطَيتنى سُؤالى ... أَكْثَرتُ بَعْـــدَ قِلَّة عِيالى
فَاجْعَل فِداهُ اليَوم جُلَّ مَالى ... مُعْلات تَســـحَبُ الأَجْلاَل
وَلا تُرِيْـــنَهُ بِشَرٌّ حَال ... فَإِنهُ يُدْخِلنـــــى سُلاَلى
بَأن يكـــون النَّحْرُ للهِلال ... أَو تَصرِفَ الموتَ فَلا أُبَالى
عَن ابْنى الأَصْغَرِ ذَا الجَلال ... أَنْتَ الولىُّ المُنْعِمُ المفضَال
فَأنعِم اليَـــومَ لِذَاك بَالى ... فَإِنَّه قَدْ نَـــزل المَوالى
كُلهُمُ يَبْكـــــى مَن ... كَل فَتَى أَبيَض كَالهـــلال

وقالت آمنة أم النبى ﷺ (١) :

يَا رَبٌّ بَارِك فَى الغُلامِ الأَزْهَرْ ... فِى الهَاشِمِّى وَالكَرِيمِ العُنْصُرْ

ثم ضربوا بالقداح على الإبل ، فنحرت ، ثم تركت لا يُصد عنها أحد (٢) .

* * *

---

(١) هذا ليس حقه أن يأتى هنا والمفروض أن يأتى بعد ذكر ميلاد النبى ﷺ ولكن تركناه التزاما بالترتيب حسب أصل المخطوطة .

(٢) هنا يظهر التكلف والاختراع على هذه القصة شديد الوضوح ، وهى كما يبدو اخترعت من قبل أكثر من إنسان وعبر فترات طويلة ، ويبدو أيضًا أن فكرتها مستوحاة من القرآن حيث تم ذكر النبى إبراهيم مع قصة ذبحه ابنه ومسألة الفداء ، ولا شك أن هذه الرواية استهدفت رفع مكانة النبى محمد ﷺ والعناية الخاصة التى أحيط بها والده ، ومن الأدلة على اختراعها انعدام الأضاحى البشرية فى مجتمع مكة لما قبل الإسلام ، ذلك أن القرآن لم يشر لوجود مثل هذه العادة كما لم يشر من جهة ثانية إلى حادثة من هذا القـــبيل وقعت لأبى النبى ، والمشكلة العويصة فى هذه الرواية هى الشعر ، فهو منظوم ركيك محال ضبطه وبالتالى من العبث شرح كلماته ، وسبق لابن هشام أن واجه هذه المسألة حين أورد هذه القصة فحذف الشعرَ وقال : وبين أضعاف هذا الحديث رجز لم يصح عندنا عن أحد من أهل العلم بالشعر . انظر سيرة ابن هشام ط . مكتبة الكليات الأزهرية ١ / ١٤٣ تحقيق طه عبد الرءوف سعد .

تزويج عبد الله بن عبد المطلب

• عبد الله يرفض المرأة التى عرضت نفسها عليه :

حدثنا أحمد بن عبد الجبار قال : نا يُونُس ، عن ابن إسحاق قال : ثم انصرف عبد المطلب آخذًا بيد عبد الله ، فمر به - فيما يزعمون - على امرأة (١) من بنى أسد ابن عبد العُزَّى بن قُصَى ، وهى عند الكعبة ، فقالت له حين نظرت إلى وجهه - فيما يذكرون - : أين تذهب يا عبد الله ؟ قال : مع أبى ؛ قالت : لك عندى مثل الإبل التى نحرت عنك ، وقع علىَّ الآن ، فقال : إن معى أبى الآن ، ولا أستطيع خلافه ولا فراقه ، ولا أريد أن أعصيه شيئًا » .

* عبد الله يتزوج آمنة بنت وهب :

فخرج به عبد المطلب حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زُهرة - ووهب يومئذ سيد بنى زُهرة نسبًا وشرفًا - فزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زُهرة ، وهى يومئذ أفضل امرأة فى قريش نسبًا وموضعًا ، وهى لِبَرَّة (٢) .

---

(١) يروى أن عبد الله دعته المرأة الأسدية إلى نفسها لما رأت فى وجهه من نور النبوة، ورجحت أن تحمل بهذا النبى ، فتكون أمه دون غيرها ، فقال عبد الله لها :

أما الحرام فالحمـــام دونه   والحل لا حِلَّ فأستبيـــــــنه
فكيف بالأمر الذى تبغينه   يحمى الكريم عرضه ودينه ؟!

واسم هذه المرأة : رقية بنت نوفل أخت ورقة بن نوفل ، تكنى : أم قتال ، وبهذه الكنية وقع ذكرها فى رواية يونس عن ابن إسحاق ، وذكر البرقى عن هشام بن الكلبى قال : إنما مر على امرأة اسمها : فاطمة بنت مر ، وكانت من أجمل النساء وأعفهن ، وكانت قرأت الكتب فرأت نور النبوة فى وجهه فدعته إلى نكاحها فأبى ، وفى غريب ابن قتيبة : أن التى عرضت نفسها عليه هى : ليلى العدوية .

(٢) أى اسم أمها برة .

أمهات آمنة[1]

بَرَّة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قُصى .

وأم بَرَّة : أمُّ حبيب بنت أسد بن عبد العُزى بن قُصى ، وأمُّ حبيب بنت أسد لِبَرَّة بنت عوف بن عبيد بن كعب بن لُؤى .

قال ابن إسحاق : فذكروا أنه دخل عليها حين ملكها مكانه [2] ، فوقع عليها عبد الله ، فحملت برسول الله ﷺ ، فخرج من عندها حتى أتى المرأة التى قالت له ما قالت ، وهى أخت ورقة بن نَوفل بن أسد بن عبد العزى ، وهى فى مجلسها فجلس إليها ، وقال : مالك لا تعرضين علىَّ اليوم مثل الذى عرضت علىَّ أمس ؟ قالت : فارقك النور الذى كان فيك ، فليس لى بك اليوم حاجة .

حدثنا أحمد قال : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : وكانت فيما ذكروا ، تسمع من أخيها ورقة بن نوفل ، وكان قد تنصَّر واتبع الكتب - يقول : إنه لكائن فى هذه الأمة نبىٌّ من بَنى إسماعيل ، فقالت فى ذلك شعرًا ، واسمها أم قبال ابنة نَوفل بن أسد [3] كذا قال : « أُم قِبال » :

الآنَ وَقَدْ ضيَّعت ما كنتَ قَادرا ... عَليه وفَارقك الذى كَان جَاكَ
غَدَوتَ عَلىَّ حافلاً قَدْ بَذَلْتَهُ ... هَناك لِغَيْرِى فَالْحَقَنَّ بِشَأنكَا
وَلا تَحْسَبَنِّى اليَوم جَلْوا ولَيْتَنِى ... أَصَبتُ حَبيبًا مِنْك يَا عَبْدَ دَارِكَا
وَلكن ذَاكُم صَار فى آلِ زُهْرَةَ ... بِه يَدْعَمُ اللهِ البَرية نَاسِـــكا

فأجابها عبد الله فقال :

تَقُولِينَ قَولاً لَسْتُ أَعلَمُ مَا الذِى ... يكونُ ومَا هُو كَائِن قبل ذَلِك

(١) تكرر هذا الموضوع لفائدة زائدة .

(٢) أى : دخل بالسيدة آمنة حين أملكها .

(٣) سبق الإشارة أن كنيتها : أم قتال وهنا جاء كنيتها أم قبال فيجوز أن تكون الكنيتان صحيحتين ، ويجوز أن يكون هذا الاختلاف نتج عن أن المخطوطة كتبت بعدة خطوط ، هذا بالإضافة إلى ما حدث للمخطوطة من تأثر بالرطوبة فى المكتبة مما أدى إلى طمس بعضها أحيانا . والله أعلم .

فَإِنَ كُنتُ ضَيَّعتُ الذى كَان بيْنَنَا   مَنِ العَهدِ وَالميثاق فى ظِلٍّ دَارِك
فَمثْلُك قَد أَصبْت عنَد كل حلّه   ومثلى لا يستام عند الفَوارِك

فقالت له أيضا أم قبال :

عَليك بآل زُهْرةَ حيث كَانُوا   وآمنةَ التـــى حَملَتْ غُلاَمَا
يرى المهــــدى حينَ يَرى   عَلَيْه نُورٌ قَدْ تَقَدَّمه أمَامَا
فَيَمْنَعُ كُلَّ مُحصــــنة خَريد   إذا مَا كان مُرْتَديًا حسَـــامَا
وَتخفره الشمَـــال وبانَ منها   رِياحُ الجَذْبِ تَحْسَبُه قَتَامَا
فَانْجَبَه ابن هَاشم غير شَك   وأَدته كَريمَتـــــهُ هُمَاما
فَكُلُّ الخَلْق يَرْجُوهُ جَميعًـــا   يَسُودُ النَاس مُهْتَـــديًا إمَامَا
بَراهُ اللهُ منْ نُور مُصَفَّــــى   فَأذْهبَ نُوْرهُ عَنَّــــا الظَّلامَا
وَذلكَ صُنْعُ رَبِّكَ إذْ حَبَاهُ   إذا مَا سَار يَومًا أَوْ أَقَامَا
فَيُهدى أَهْلَ مَكَّة بَعْدَ كُفْرٍ   وَيَفْرضُ بَعْدَ ذَلكمُ الصِّيَامَا

وقال عبد المطلب :

دَعوت رَبِّى مُخْفيًا وَجَهْرا   أَعلنتُ قَولى وحَمدتُ الصَّبْرَا
يَا رَبِّ لاَ تَنْحَر بُنَيَّ نَحرًا   وفَاده بِالمـــال شَفْعًا ووترا
أُعْطيكَ منْ كُل سَوام عَشْرًا   أَوْ مَائة دَهْمًا وكمتا وحُمْرا
معْرُوفَة أَعلامُهَا وَصَــحْرًا   لله منْ مَالـــى وفَاءً ونَذْرا
عَفْوًا ولَم تُشْمتْ عُيُونًا خُزْرًا   بِالواضح الوجه المزينِ عُذْرا
فَالحمدُ لله الأَجَلِّ شُـــكرا   أَعْطَانى البِيْضَ بَنِى زُهْرا
ثُمَّ كَفَانى فى الأُمُورِ أَمرًا   قَدْ كَان أَشْجَانى وَهدَّ الظَّهْرَا
فَلَسْتُ وَالبيتُ المغطَّى سِترا   وَاللاَّت والرُّكْن المحَاذى حجرا
مِنكَ لأَنْعُمِــــك إلهى كُفْرًا   مَا دُمتُ حيًّا حتى أزور القَبرا

* * *

* قصة حمل آمنة برسول الله ﷺ :

حدثنا أحمد قال : نا يُونُس بن بُكير ، عن ابن إسحاق قال : حدثنى والدى إسحاق بن يسار قال : حدِّثت أنه كان لعبد الله بن عبد المطلب امرأة مع آمنة ابنة وهب بن عبد مناف ، فمر بامرأته تلك ، وقد أصابه أثر طين عمل به ، فدعاها إلى نفسه ، فأبطأت عليه لما رأت به أثر الطين ، فدخل فغسل عنه أثر الطين ، ثم دخل عامداً إلى آمنة ، ثم دعته صاحبته التى كان أراد إلى نفسها ، فأبى للذى صنعت به أول مرة ، فدخل على آمنة فأصابها ، ثم خرج فدعاها إلى نفسه ، فقالت : لا حاجة لى بك ، مررت بى وبين عينيك غرة ، فرجوت أن أصيبها منك ، فلما دخلت على آمنة ، ذهبت بها منك .

حدثنا أحمد قال : حدثنا يُونُس بن بُكير عن محمد بن إسحاق قال : حدثت أن امرأته تلك كانت تقول : مرَّ بى وإن بين عينيه لنوراً مثل الغرة ، فدعوته رجاء أن يكون لى ، ودخل على آمنة فأصابها ، فحملت ، برسول الله ﷺ .

* رؤيا آمنة وهي حامل برسول الله ﷺ :

حدثنا أحمد نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : فكانت آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ تحدث أنها أُتيت حين حملت محمداً ﷺ فقيل لها : إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ، فإذا وقع الأرض (١) فقولى :

أُعيذُهُ بَالواحــــدْ ... مَنْ شَرِّ كُلِّ حَاســـدْ
فِى كُلِّ بَر عَابِـــدْ ... وكُلِّ عَبْدٍ رَائـــدْ
نَزولُ غَيْرِ زَائـــدْ ... فَإنه عَبْدُ الحميد الماجِدْ
حَتى أَراهُ قَد أَتى المشَاهدْ

فإن آية ذلك أن يخرج معه نور يملأ قصور بُصرى من أرض الشام ، فإذا وقع فسميه محمداً (٢) ، فإن اسمه فى التوراة أحمد، يحمده أهل السماء وأهل الأرض ، واسمه فى الفرقان محمد فسميه بذلك .

---

(١) فى سيرة ابن هشام « وقع إلى الأرض » وهكذا يستقيم المعنى . انظر سيرة ابن هشام ط . دار الجيل ١ / ٢٩٣ تحقيق طه عبد الرءوف سعد .

(٢) لا يعرف فى العرب من تسمى بهذا الاسم قبله ﷺ إلا ثلاثة وذلك أن آباءهم طمعوا حين سمعوا بذكر محمد ﷺ - ويقرب زمانه وأنه يبعث فى الحجاز - أن يكون ولداً=

* وفاة عبد الله :

فلما وضعته ، بعثت إلى عبد المطلب جاريتها - وقد هلك أبوه عبد الله وهى حبلى ، ويقال إن عبد الله هلك والنبى ﷺ ابن ثمانية وعشرين شهرًا ، فالله أعلم أى ذلك كان [(١)] - فقالت : قد ولد لك الليلة غلام فانظر إليه ، فلما جاءها أخبرته خبره ، وحدثته بما رأت حين حملت به ، وما قيل لها فيه ، وما أمرت أن تسميه ، فأخذه عبد المطلب فأدخله فى جوف الكعبة ، فقام عبد المطلب يدعو الله ، ويشكر الله الذى أعطاه إياه ، فقال :

الحَمْدُ لله الَّذِى أَعْطَــــانِى ... هَذا الغُلاَمَ الطَّيبَ الأَرْدَانِ
قَدْ سَادَ فِى المَهدِ عَلَى الغلْمانِ ... أُعيذُهُ باللهِ ذِى الأَرْكَـــانِ
حَتى يكُون بلغــــةَ الفتيَانِ ... حَتَّــــى أَراه بَالِغَ البَنَانِ
أُعيذُهُ مِنْ كُلِّ ذِى شَنَئَانِ ... مِنْ حَاسِدٍ مُضْطَرِبِ العِنَانِ
ذِى هَمة لَيْــــسَ لَهُ عَيْنَانِ ... حَتَّى أَرَاهُ رَافِعَ اللِّســـانِ
أَنْتَ الذِى سُمِّيتَ فِى الفُرْقَانِ ... فِى كُتُبٍ ثَابِتَةِ المَثَــــانِى
أَحمَـــــدَ مكتوبًا عَلَى اللِّسَانِ

= لهم . وقد ذكرهم ابن فورك فى كتاب الفصول وهم : محمد بن سفيان بن مجاشع جد جد الفرزدق الشاعر ، والآخر : محمد بن أحيحة بن الجلاح بن الحريش بن جمحى بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس . والآخر . محمد بن حمران بن ربيعة وكان آباء هؤلاء الثلاثة قد وفدوا على بعض الملوك وكان عنده علم من الكتاب الأول فأخبرهم بمبعث النبى ﷺ وباسمه ، وكان كل واحد منهم قد خلف امرأته حاملا فنذر كل واحد منهم إن ولد له ذكر أن يسميه محمداً ، ففعلوا ذلك ، وهذا الاسم منقول من الصفة ، فالمحمد فى اللغة هو الذى يحمد حمداً بعد حمد ، ولا يكون مفعل مثل : مضرب وممدح إلا لمن تكرر فيه الفعل مرة بعد مرة انظر السيرة النبوية لابن هشام ، مكتبة الكليات الأزهرية ١ / ١٤٦ .

(١) أكثر العلماء على أنه كان فى المهد . ذكره الدولابى وغيره ، وقيل : ابن شهرين ، ذكره ابن أبى خيثمة ، وقيل أكثر من ذلك ، ومات أبوه عند أخواله بنى النجار ، ذهب ليمتار لأهله تمرا ، وقد قيل مات أبوه وهو ابن ثمان وعشـــرين شهرًا انظر السيرة النبوية لابن هشام ط . دار الجيل ١ / ٢٩٤ .

وقال عبد المطلب حين فرغ من شأن عبد الله ، وفرَّج عنه ما كان فيه من البلاء والهم بذبحه [(١)] :

دَعَوْتُ ربِّى دَعْوَةَ المناصِحْ ... دَعْوَة مُبْتَاعٍ رِضَاهُ رَابِحْ
فَاللهُ عِنْدَ قِسْمَـــــه المنَائِحْ ... أَعْطَى عَلَى الشُّحِّ من المشَاحِحْ
زَمْزَم لاَ يَمتاحُهـــــا المائحْ ... إلا الدلاءَ الزبد السَّوافحْ
كَم مِنْ حَجِيجٍ مُغْتَدٍ وَرائحْ ... جَادَ بها مِن بَعْدِ لَوْحِ اللائحْ
سُقْيًا عَلى رَغم العدو الماشِحْ ... بَعْد كُنوز الحُلى والصَفَائحْ
حُلِىٌّ لبيت الله ذِى المسَارِحْ ... بَيْتٌ عَليه النُّورُ كَالمصَــــابِحْ
بُنْيانُ إبراهيم ذِى المسابِحْ ... بَنَاهُ بالرِفْقِ وَحِلــــمٍ رَاجِحْ
بَيْن الجبال الصُّمِّ والصَرادِحْ ... فَهو مثَابٌ لِـــــذوى الطلائح
ينتابه مِنْ كُـــــلِ فَجٍّ نَازِحْ ... مُشْتَبِهِ الأعلامِ والصَّحَاصِحْ

وقال عبد المطلب :

الحَمدُ للْخَـــــالق لا العبَاد ... لما رأى جِـــــدِّى وَاجْتَهادى
وَإنَّنى مُوفِيـــــــه بالميعَاد ... وَالعهد إنَّ العَـــهْدَ ذُو مَعَاد
فَرَّج عَنِّى كُرْبَةَ الفُؤاد ... وَنَال مِنِّى فِـــــدْيَة المفادى
فَادَيْتُ عَبْدَ الله مِنْ تلاَدى ... إنَّ البَنِـــــينَ فَلَذُ الأكبَاد
ثمَار كَالقَــــرْعِ لِلفُؤَاد ... أَدَمٌ وَحمــــر كلها تلاَد
قُلْتُ للحَبَـــاسى لها ذَواد ... هَل مِنكم من صيـــت يُنَادى
الإبل نَهْبٌ بينَ أهل الوادى ... فَتركوها وَهــــى فى عَصْواد
يَركبــــــها بالآلة الحدَاد ... كأنها رَهْوٌ مـــــن المزَاد
يَردى بها ذُو أحبـــل صياد ... وَرَاح عَبْــــد الله فَى الأبْرَاد

(١) من هنا وحتى نهاية الصفحة التالية كان حقه أن يكـــــون فى آخر فصل «نذر عبد المطلب » لأن مكانه وموضوعه هناك وليس هنا ، ولكن للأمانة العلمية تركناه هنا كما جاء فى الأصل الذى نحققه وهذا حسب ترتيب صفحات المخطوطة .

يَغيظُ أَعْدائى مـــن الحُسَّاد نَجَّيْتَه مِنْ كَـــربٍ شِدَادِ

وقال عبد المطلب أيضًا :

الحَمدُ لله عَلَى مَا أَنْعَما أَعْطَى على رَغْمِ العَدُوِّ زَمْزَمَا
تُرَاثُ قَوْمٍ لَم يكُنْ مُهَدَّمَا وَالحاسِدُونَ يَخرقُونَ الأَدمَا
ولَم يكُنْ حَافِرُهَا لِيَنْدَمَا أَصَاب فيها حِلْيَةَ فَتُسلما
لله مَا أَجْرى عَلَيه الأَسْهُمَا وَاللهُ أَوفَى نَذْرَهُ إذْ أَقْسَما
أَعْطَى بَنِينَ عُصبَة وَخَدمَا فَلَسْتُ وَالله أُرِيدُ مَأثَمَا
فِى النَّذْرِ أَهْرِيق لله دَمَا مِنْهُم وَقَدْ أَوفَيْتُهمْ فَتَمَّما
مِنْ بَعْدِ ما كُنْتُ وَحِيدًا أَيِّما يَرانى الأَعداءُ قَرْنًا أَعْصَما
أَعضَب أَو ذَا ارتياب أَعْسَما

وقال عبد المطلـــب :

دَعَوْتُ رَبِّى دَعْوَةَ المغْلُوبِ وَنِعْمَ مُدَّعِى السَّائل المكْرُوبِ
فَالحمدُ للمستمعِ العَجِيبِ أَعْطَى على رَغْم ذَوِى الذُّنُوبِ
إلىَّ والشَّحْنَاء والعُيُوبِ زَمْزَم ذَات الموضِعِ العَجيبِ
بَيْنَ سَوادِ الصَنَمِ المنْصُوبِ وَبينَ بَيْت الله ذِى الحَجُوبِ
وَتَحْتَ فَرْثِ النَّعَمِ المغْصُوبِ

* * *

مولد رسول الله ﷺ

حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، نا يُونُس بن بُكير ، عن ابن إسحاق قال : حدثنى المطلب بن عبد الله بن قَيس ، عن أبيه ، عن جده قيس بن مَخْرمة قال وُلدت أنا ورسول الله ﷺ عام الفيل (١) ، كنا لِدَّين (٢) .

حدثنا أحمد : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : وكان رسول الله ﷺ عام عكاظ (٣) ابن عشرين سنة (٤) .

---

(١) ذكر أن مولده ﷺ كان فى ربيع الأول وهو المعروف ، وقال الزبير : كان مولده فى رمضان ، وهذا القول موافق لقول من قال : إن أمه حـــملت به فى أيام التشريق ، والله أعلم ، وذكروا أن الفيل جاء مكة فى المحرم ، وأنه ﷺ ولد بعد مجىء الفيل بخمســـين يومًا ، وهو الأكثر والأشهر ، وأهل الحساب يقولون وافق مولده من الشهور الشمســـية نيسان (إبريل) فكانت لعشرين مضت منه ، وولد بالغَفْر من المنازل ، وهو مولد النبيين ، ولذلك قيل : خير منزلتين فى الأبد بين الزنابا والأسد ، لأن الغفر يليه من العقرب ذناباها ، ولا ضرر فى الذنابا إنما تضر العقرب بذنبها ، ويليه من الأسد أليته ، وهو السماك ، والأسد لا يضر بأليته إنما يضر بمخلبه ونابه ووُلد بالشعب ، وقيل بالدار التى عند الصفا ، وكانت لمحمد ابن يوسف أخى الحجاج ثم بنتها زبيدة مسجداً حين حجت ، وقيل فى تفسير بقى بن مخلد إن إبليس - لعنه الله ، رن أربع رنات :رنة حين لُعن ورنة حين أهبط ، ورنة حين ولد رسول الله ﷺ ، ورنة حين أنزلت فاتحة الكتاب : قال : والرنين والنخار هو صوت يخرج من الخياشيم كالأصوات التى تخرج من حلق النائم الشخير انظر السيرة النبوية لابن هشام تحقيق طه عبد الرءوف سعد ط . دار الجيل ١ / ٢٩٤ .

(٢) جاء هذا الحديث بهذا السند فى سيرة ابن هشام وهو منسوب لابن إسحاق أيضا ولكن بدلاً من « كنا لدِّين » عبارة « فنحن لِدَتان » . انظر على سبيل المثال السيرة النبوية لابن هشام ط . دار المنار ١ / ١٦٥ .

(٣) أى وقت حروب الفجار .

(٤) ذكر ابن هشام أن ابن إسحاق قال : وُلد رسول الله ﷺ يوم الإثنين ، لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول عام الفيل . (انظر السيرة النبوية لابن هشام بتحقيق طه عبد الرءوف سعد ط مكتبة الكليات الأزهرية ١ / ١٤٦) . وروى عن عثمان بن أبى العاص عن أمه أم عثمان الثقفية ، واسمها فاطمة بنت عبد الله قالت : حضرت ولادة رسول الله ﷺ فرأيت البيت حين وضع ، قد امتلأ نوراً ورأيت النجوم تدنو حتى ظننت أنها ستقع علىَّ ، ووُلد رسول الله ﷺ معذوراً مـــسروراً ، أى مختونًا مقطوع السرة ، يقال : عَذر الصبى وأعذر إذا ختن ، وكانت أمه تحدث أنها لم تجد حين حملت به ما تجده الحوامل من ثقل ولا وحم ولا غير ذلك ، لما وضعته ﷺ - وقع إلى الأرض مقبوضة أصابع يديه مشيراً بالسبَّابة كالمسبح بها ، انظر السيرة النبوية لابن هشام تحقيق طه عبد الرءوف سعد ط دار الجيل١/ ٢٩٥ .

قال ابن إسحاق : فدفع رسول الله ﷺ إلى أمه ، والتمس له الرضعاء ، واسترضع له حليمة ابنة أبى ذُؤَيب ، وأبو ذُؤَيب عبد الله بن الحارث بن شَجِنة بن جَابر بن رِزَام بن نَاصرة بن قُصية بن نَصر بن سَعد بن بكر بن هوازن بن مَنصور بن عكرمة بن خَصَفَة بن قَيس بن عَيلان بن مُضر ، واسم أبى رسول الله الذى أرضعه الحَارث بن عبد العُزى بن رفاعة بن فَلان بن نَاصرة بن قُصية بن نَصر بن سَعد بن بكر ابن هوازن .

* إخوته من الرضاعة :

وإخوته من الرضاعة : عبد الله بن الحارث ، وأنيسة ابنة الحارث ، وحذافة ابنة الحارث ، وهى الشَّيماء [١] ، غلب عليها ذلك ، ولا تعرف فى قومها إلاَّ به ، وهى لحليمة أم رسول الله ، وذكروا أن الشيماء كانت تحضن رسول الله ﷺ مع أمه إذ كان عندهم .

* حليمة ترضع النبى ﷺ :

حدثنا أحمد ، نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : حدثنى جهم بن أبى جهم - مولى لامرأة من بنى تيم ، كانت عند الحارث بن حاطب ، فكان يقال مولى الحارث ابن حاطب - قال : حدثنى من سمع عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، يقول : حُدِّثتُ عن حليمة ابنة الحارث - أم رسول الله ﷺ ، التى أرضعته أنها قالت : قدمت مكة فى نسوة من بنى سعد بن بكر ، نلتمس بها الرضعاء [٢] ، وفى سنة شَهباء [٣] ، فقدمت على أتان [٤] لى قمراء كانت أذمت بالركب ، ومعى صبى لنا ، وشارف لنا [٥] ، والله ما ننام ليلنا ذلك أجمع مع صبينا ذاك ، ما نجد فى ثديى ما يغنيه ، ولا فى شارفنا ما يغذيه ، فقدمنا مكة ، فوالله ما علمت منا امرأة إلاَّ وقد

---

(١) ورد أن اسمها أيضًا خذامة .

(٢) هذا غير صحيح لغويًا وقال ابن هشام المراضع ، لأنها جمع مرضع ، وهذا حق لأن الرضعاء جمع رضيع ، ولكن لرواية ابن إسحاق مخرج من وجهين أحدهما : حذف المضاف كأنه قال : ذوات الرضعاء ، والثانى : أن يكون أراد بالرضعاء الأطفال على حقيقة اللفظ لأنهم إذا وجدوا له مرضعة ترضعه فقد وجدوا له رضيعا يرضع معه ، فلا يبعد أن يقال : التمسوا له رضيعًا ، علمًا بأن الرضيع لابد له من مرضع .

(٣)أى مجدبة شديدة القحط . (٤)أى أنثى الحمار . (٥)أى ناقة كبيرة فى السن .

عرض عليها - رسول الله ﷺ - فإذا قيل « إنه يتيم » تركناه ، وقلنا : ماذا عسى أن تصنع إلينا أمه ، إنما نرجو المعروف من أبى الوليد ، فأما أمه فما عسى أن تصنع إلينا ؟ فوالله ما بقى من صواحبى امرأة إلاَّ أخذت رضيعًا غيرى ، فلما لم أجد غيره ، قلت لزوجى الحارث بن عبد العزى : والله إنى أكره أن أرجع من بين صواحبى ليس معى رضيع ، لأنطلقن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه ، قال : لا عليك ، فذهبت ، فأخذته ، فوالله ما أخذته إلاَّ أنى لم أجد غيره .

* الخير الذى أصاب حليمة بسببه ﷺ :

فما هو إلاَّ أن أخذته ، فجئت به رحلى ، فأقبل عليه ثدياى بما شاء من لبن ، فشرب حتى روى ، وشرب أخوه حتى روى ، وقام صاحبى إلى شارفنا تلك فإذا إنها لحافل ، فحلب ما شرب وشربتُ حتى روينا ، فبتنا بخير ليلة ، فقال صاحبى : يا حليمة ، والله إنى لأراك قد أخذت نسمة مباركة ، ألم ترى إلي ما بتنا به الليلة من الخير حين أخذناه ؟! فلم يزل الله يزيدنا خيرًا ، حتى خرجنا راجعين إلى بلادنا ، فوالله لقطعت أتانى بالركب حتى ما يتعلق بها حمار ، حتى إن صواحبى ليقلن : ويلك ، يا بنت أبى ذُؤيب ، أهذه أتانك التى خرجت عليها معنا ؟ فأقول : نعم ، وَالله إنها لهى ، فيقلن : والله إن لها لشأنا ، حتى قدمنا أرض بنى سَعد ، وما أعلم أرضًا من أرض الله عز وجل أجدب منها ، فإن كانت غنمى لتسرح ثم تروح شباعًا ، لُبَّنًا ، فنحلب ما شئنا ، وما حولنا أحد تَبُضُّ له شاة بقطرة لبن ، وإن أغنامهم لتروح جياعًا ، حتى إنهم ليقولون لرعيانهم : ويحكم انظروا حيث تسرح غنم بنت أبى ذُؤيب ، فاسرحوا معهم ، فيسرحون مع غنمى حيث نسرح ، فيريحون أغنامهم جياعًا وما فيها قطرة لبن ، وتروح غنمى شباعًا ، لبنًا ، نحلب ما شئنا ، فلم يزل الله عز وجل يرينا البركة ، ونتعرفها حتى بلغ سنتيه ، وكان يشب شبابًا لا يشبه الغلمان ، فوالله ما بلغ سنتيه حتى كان غلامًا جفرا (١) ، فقدمنا به على أمه ، ونحن أضَنُّ شىء به مما رأينا فيه من البَركة ، فلما رآته أمه ، قلنا لها : دعينا نرجع ببنينا هذه السنة ، فإنا نخشى عليه أوباء مكة ، فوالله ما زلنا بها حتى قالت : فنعم ، فسرحته معنا .

(١) جفرا : أى قوى الجسم شديدًا

* حادثة شق الصدر :

فأقمنا به شهرين أو ثلاثة ، فبينا نحن خلف بيوتنا ، وهو مع أخ له من الرضاعة فى بُهم [١] لنا ، جاءنا أخوه يشتد ، فقال : ذاك أخى القُرشى قد جاءه رجلان عليهما ثياب بياض ، فأضجعاه فشقا بطنه [٢] ، فخرجت أنا وأبوه [٣] نشتد نحوه ، فنجده قائمًا ، منتقعًا لونه [٤] ، فاعتنقه أبوه ، وقال : أى بنى ، ما شأنك ؟ قال : جاءنى رجلان عليهما ثياب بياض ، فأضجعانى فشقا بطنى ، ثم استخرجا منه شيئًا فطرحاه ، ثم رداه كما كان ، فرجعنا به معنا ، فقال أبوه : يا حليمة لقد خشيت أن يكون ابنى قد أصيب ، انطلقى بنا ، فلنرده إلى أهله قبل أن يظهر به ما يتخوف .

* حليمة ترد محمداً ﷺ إلى أمه :

قالت : فاحتملناه ، فلم ترع أمه إلاَّ به قد قدمنا به عليها ، فقالت : ما ردكما به ، قد كنتما عليه حريصين ؟! فقلنا : لا والله يا ظئر [٥] ، إلاَّ أن الله عز وجل قد أدى عنا وقضينا الذى علينا ، وقلنا : نخشى الإتلاف والأحداث ، نرده إلى أهله ، فقالت : ما ذلك بكما ، فاصدقانى شأنكما ، فلم تدعـنا حتى أخبرناها خبره ، فقالت : أخشيتما عليه الشيطان ، كلا والله ما للشيطان عليه سبيل ، وإنه لكائن لابنى هذا شأن ، ألا أخبركما بخبره ؟ قلنا : بلى ، قالت : حملت به ، فما حملت حملاً قط أخف منه ، فأريت فى النوم حين حملت به كأنه خرج منى نور أضاءت له قصور الشام ، ثم وقع حين ولدته وقوعًا ما يقعه المولود ، معتمدًا على يديه ، رافعًا رأسه إلى السماء ، فدعياه [٦] عنكما .

---

(١) البهم : صغار الغنم .

(٢) فى رواية أخرى عن ابن إسحاق أيضًا أنه نزل عليه كُرْكيان ، فشق أحدهما بمنقاره جوفه ، ومج الآخر بمنقاره فيه ثلجًا أو بردًا أو نحو هذا ، وهى رواية غريبة ذكرها يونس عنه ، واختصر ابن إسحاق حديث نزول الملكين عليه وهو أطول من هذا كثيرًا انظر الروض الأنف بتحقيق طه عبد الرءوف سعد ١ / ١٨٨ .

(٣) أى أبوه من الرضاعة وهو الحارث بن عبد العزى زوج حليمة السعدية .

(٤) أى تغير لونه انظر ترتيب القاموس ٤ / ٤٣٠ .

(٥) الظئر : تطلق على الذكر والأنثى ، ومعناها فى الأصل : التى تعطف على ولد غيرها وترضعه . انظر ترتيب القاموس ٣ / ١١٩ .

(٦) خطاب للمثنى أى اتركاه ، وهو خطاب لحليمة وزوجها ، والمخاطبة هى السيدة آمنة أم رسول الله ﷺ .

* الرسول ﷺ يُسأل عن نفسه ويجيب :

حدثنا أحمد قال : نا يُونُس بن بكير عن ابن إسحاق قال : حدثنى ثور بن يزيد عن خالد بن مَعْدان ، عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا : يا رسول الله ، أخبرنا عن نفسك ، فقال : دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورأت أُمى حين حملت بى أنه خرج منها نور أضاءت له قصور بُصرى من أرض الشام ، واسترضعت فى بنى سعد بن بكر ، فبينا أنا مع أخ فى بهـــم لنا ، أتانى رجلان عليهما ثياب بياض ، معهما طست من ذهب مملوءة ثلجًا ، فأضجعانى ، فشقا بطنى ، ثم استخرجا قلبى فشقاه ، فأخرجا منه علقة سوداء ، فألقياها ، ثم غسلا قلبى وبطنى بذاك الثلج ، حتى إذا أنقياه [١] ، رداه كما كان ، ثم قال أحدهما لصاحبه : زنه بعشرة من أمته ، فوزننى [٢] بعشرة ، فوزنتهم ، ثم قال : زنه بألف من أمته ، فوزنني بألف ، فوزنتهم ، فقال : دعه عنك ، فلو وزنته بأمته لوزنهم .

حدثنا أحمد قال : نا يُونس بن بُكير عن أبى سنان الشَّيبانى ، عن حَبيب بن أبى ثابت ، عن يحيى بن جَعْدة ، قال : قال رسول الله ﷺ : إن ملكين جاءانى فى صورة كركيين ، معهما ثلج وماء بارد ، فشرح أحدهما صدرى ، ومجَّ الآخر منقاره ، فغسله [٣] .

* * *

(١) وهذا الخبر يروى عنه ﷺ على وجهين ، أحدهما : أنه شق عن قلبه وهو مع رابَّته ومرضعته فى بنى سعد ،وأنه جىء بطست من ذهب فيه ثلج فغسل به قلبه ، والوجه الثانى : أنه غسل بماء زمرم ، وأن ذلك كان ليلة الإسراء حين عرج به إلى السماء بعدما بعث بأعوام . وفيه أنه أتى بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيماناً فأفرغ فى قلبه . وذكر بعض من ألف فى شرح الحديث أنه تعارض فى الروايتين ، وجعل يأخذ فى ترجيح الرواة وتغليط بعضهم ، وليس الأمر كذلك ، بل كان هذا التقديس وهذا التطهير مرتين ، الأولى : فى حال الطفولية لينقى قلبه من مغمز الشيطان ، وليطهر ويقدس من كل خلق ذميم ، حتى لا يتلبس بشىء مما يعاب على الرجال ، وحتى لا يكون فى قلبه شىء ، إلا التوحيد ، ولذلك قال : فوليا عنى يعني الملكين - وكأنى أعاين الأمر معاينة . والثانية : فى حال الاكتهال وبعدما نُبِّىء وعندما أراد الله أن يرفعه إلى الحضرة المقدسة التي لا يصعد إليها إلا مقدس . وعرج به هناك لتفرض عليه الصلاة ، وليصلى بملائكة السموات ، ومن شأن الصلاة الطهور ، فقدس ظاهراً وباطنا وغسل بماء زمزم انظر الروض الأنف بتحقيق طه عبد الرءوف سعد ١ / ١٩٠ .

(٢) الوزن هنا معنوى ويفيد علو القدر والمنزلة العالية .

(٣) قال ابن إسحاق وكان رسول الله ﷺ ، يقول لأصحابه : « أنا أعربكم ، أنا قرشى ، واسترضعت فى بنى سعد بن بكر ،وذكر ابن هشام أيضًا أن ابن إسحاق قال : وكان رسول الله ﷺ يقول وما من نبى إلا وقد رعى الغنم قيل وأنت يا رسول الله ؟ قال : وأنا » انظر السيرة النبوية لابن هشام تحقيق طه عبد الرءوف سعد ط دار الجيل ١ / ٣٠٣ ، ٣٠٤) .

حديث تُبَّع (١) الحِميرى (٢)

* سبب قتاله أهل المدينة :

حدثنا أحمد بن عبد الجبار : نا يُونسُ بن بُكير عن ابن إسحق قال : ثم إن تبعًا أقبل من مسيره الذى كان سار يجول الأرض فيه ، حتى نزل على المدينة ، فنزل بوادى قِباء ، فحفر فيها بئراً ، فهى اليوم تدعى بئر الملك ، وبالمدينة إذ ذاك يهود ، والأوس والخزرج ، فنصبوا له فقاتلوه ، فجعلوا يقاتلونه بالنهار ، فإذا أمسى أرسلوا إليه بالضيافة وإلى أصحابه ، فلما فعلوا ذلك به ليالى استحيا (٣) ، فأرسل إليهم يريد صلحهم ، فخرج إليه رجل من الأوس يقال له : أُحيحة بن الجَلاح بن حُريش بن جَحجبا بن كلدة بن عَوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، وخرج إليه من يهود بنيامن القُرظى ، فقال له أحيحة : أيها الملك نحن قومك ، وقال بنيامن : أيها الملك هذه بلدة لا تقدر أن تدخلها لو جهدت بجميع جهدك ، فقال : ولمَ ؟ قال : لأنها منزل نبى من الأنبياء ، يبعثه الله عز وجل من قريش ، وجاء تُبَّعا مخبر خبره عن اليمن أنه بعث الله عليها ناراً تحرق كل ما مرت به ، فخرج سريعًا ، وخرج معه بنفر من يهود فيهم بنيامن وغيره ، وهو يقول :

إِنى نَذَرْتُ يَمينًا غَير ذِى خَلْف ... أَلاَّ أَجُوزَ وبَالحجَازِ مَخْلَد

---

(١) تُبَّع فى لغة اليمن : أى الملك المتبوع ، وتبع هذا هو حسان بن تبان أسعد ، وتبان أسعد : اسم مركب وتبان من التبانة أى الذكاء والفطنة ، يقال رجل تبن أى فطن ، وتبَّع هذا هو تبع الآخر ، وكنيته ابو كرب .

(٢) كان حق هذا الباب أن يأتى فى أول الكتاب نظراً للترتيب الزمنى للأحداث وكما هو فى سيرة ابن هشام ؛ لأنه سابق لميلاد النبى ﷺ فوجب أن يأتى قبله ليكون الكلام مسلسلا ومرتباً ولكن جاء ترتيبه مؤخراً هكذا فى أصل المخطوطة فآثرنا أن نلتزم بالأصل للأمانة العلمية وإن كان ذكر قبل وإنما هنا فائدة زائدة .

(٣) ذكر ابن هشام هنا أن ابن إسحاق قال وقد كان رجل من بنى عدى بن النجار يقال له أحمر عدا على رجل من أصحاب تُبَّع حين نزل بهم فقتله وذلك أنه وجده فى عذق له أى نخله يجـــده (يقطعه) فضربه بمنجله فقتله ، وقال : إنما التمر لمن أبَّره (أى أصلحه) فزاد ذلك تبعاً حنقًا (غضبا وحقدًا) عليهم ، فاقتتلوا فتزعم الأنصار أنهم كانوا يقاتلونه بالنهار ، ويقرونه بالليل ، فيعجبه ذلك منهم ، ويقول : والله إن قومنا لكرام . انظر السِيرة النبوية لابن هشام ط . دار الجيل ١ / ١٣٣ .

حَتَّى أَتانى مِنْ قُرِيظَةَ عَالِــم حَبْرٌ لَعَمْرُكَ فى اليهود مسود
أَلْقَى إلىَّ صيحةً كَى أَزْدَجِر عَنْ قَرْيَةٍ مَحجُورةٍ بمحَـــمد

* كسوته البيت وطوافه به وتعظيمه:

حدثنا أحمد : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : ثم خرج يسير حتى إذا كان بالدف من جمدان ، من مكة على ليلتين أتاه ناس من هُذيل بن مُدْركة ، وتلك منازلهم ، فقالوا : أيها الملك ألا ندلك على بيت مملوء ذهبًا وياقوتًا وزبرجدًا تصيبه وتعطينا منه ؟ فقال : بلى ، فقالوا : هو بيت بمكة ، فراح تبع وهو مجمع لهدم البيت ، فبعث الله عز وجل عليه ريحًا فقفعت يديه ورجليه ، وشجت جسده ، فأرسل إلى من كان معه من يهود ، فقال : ويحكم ما هذا الذى أصابنى ؟ فقالوا : أحدثت شيئًا ؟ فقال : وما أحدثت ؟ فقالوا أَحدَّثت نفسك بشىء ؟ قال : نعم جاءنى نفر من أهل هذا المنزل الذى رحنـا منه ، فدلونى على بيت مملوء ذهبًا وياقوتًا وزبرجدًا ، ودعونى إلى تخريبه وإصابة ما فيه ، على أن أعطيهم منه شيئًا ، فرأيت لهم بذلك ، فرحت ، وأنا مُجمع لهدمه ، فقال النفر الذين كانوا معه من يهود : ذلك بيت الله الحرام ، ومن أراده هالـــك ، فقال : ويحكم فما المخرج مما دخلت فيه ؟ قالوا : تحدث نفسك أن تطوف به كما يصنع به أهله وتكسوه وتهدى له ، فحدث نفسه بذلك ، فأطلقه الله عز وجل وقال في شعره :

بالدُّفِّ من جَمْدانَ فَوزٌ مُصْعدُ حَتّى أَتانى من هُذَيـــــل أَعْبَد
ذَكروا إلىَّ البيْتَ ، قَالوا كنْزهُ دُرٌ وَياقُوتٌ وَفيه زَبَرْجَـــــد
فَأَرَدْتُ أَمراً حالَ رَبّى دونَـــهُ وَالربُّ يَدْفَعُ عنَ خَرابِ المَسْجد

ثم سار حتى دخل مكة ، فطاف بالبيت ، وسَعى بين الصَّفا والمروة ، فأُرى فى المنام أن يكسو البيت فكساه الخصف (١) ، وكان أول من كساه ، ثم أرى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه المعافرى ، ثم أُرى أن يكسوه أحسن من ذلك ، فكساه الوصائل ، وصائل اليمن ، وأقام بمكة ستة أيام - فيما ذكر لى - ينحر بها للناس ، ويطعم من كان بها من أهلها ويسقيهم العسل ، قال : فكان تبع فيما ذكر لى أول من

---

(١)هى حصر تصنع من سعف النخيل والليف ، والخصف جمع خصفة ، ويروى أن تبعًا لما كسا البيت المسوح والأنطاع انتفض البيت فزال ذلك عنه ، وفعل ذلك حين كساه الخصيف ، فلما كساه الملأ والوصال قبلها ، والملأ جمع ملاءة وهى الملحفة ، والوصال ثياب موصولة من ثياب اليمن . انظر السيرة النبوية لابن هشام ط مكتبة الكليات الأزهرية ١ / ٢١ .

كساه وأوصى به ولاته من جرهم ، وأمرهم بتطهيره ، [1] ولا يقربوه ميتة ، ولا دمًا ولا مثلانا [2] - وهو المحائض - وجعل له بابًا ومفتاحًا ، وقال تُبَّع فى الشعر :

وَنَحرنَا بالشِّعْبِ ستَّةَ أَلف   تَرى النَّاسَ نحْوهنَّ وُرودَا
وَكَسَوْنَا البيتَ الذى حَرَّمَ اللهُ   مَلاءً مُعَضَّـــــدًا وبُرودا
وأَقمنَا بِها مِـــن الشَّهرِ ستا   وَجعلنا لبَابِــــــه إقْليدا
وأَمَرْنَا به الجُرهميين خَيرًا   وكَانوا لحَافتيــــــه شُهودا
وأَمْرنا أَلاَّ يَقْربنَّ مثلانا   وَلا ميتًا ولا دمًا مَفْصُــــودا
ثُمَّ سِرنا نَؤُمُّ قَصْدَ سُهَيلٍ   قَد رَفَـــعنَا لِواءَنَا مَعْقُودَا

حدثنا أحمد قال : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : فلما أراد الشخوص إلى اليمن ، أراد أن يخرج حِجْر الركن ، فيخرج به معه ، فاجتمعت قريش إلى خُويلد ابن أسد بن عبد العزى بن قُصى ، فقالوا : ما دخل علينا يا خُويلد إن ذهب هذا بحجرنا ، قال : وما ذاك ؟ قالوا : تبع يريد أن يأخذ حجرنا يحمله إلى أرضه ، فقال خُويلد : الموت أحسن من ذلك ، ثم أخذ السيف ، وخرج وخرجت معه قريش بسيوفهم حتى أتوا تبعًا ، فقالوا : ماذا تريد يا تبع إلى الركن ؟ فقال : أردت أن أخرج به إلى قومى ، فقالت قريش : الموت أقرب من ذاك ، ثم خرجوا حتى أتوا الركن ، فقاموا عنده ، فحالوا بينه وبين ما أراد من ذلك ، فقال خويلد فى ذلك شعرًا :

دَعينى أُمَّ عَمْــــرٍو لا تَلُومِى   وَمَهْلاً عَاذِلى لاَ تُعْــذِلينى

(١) ذكر ابن هشام أن ابن إسحاق قال : وتبان أسعد أبو كرب الذى قدم المدينة ، وساق الحبرين من يهود المدينة إلى اليمن وعمَّر البيت الحرام وكساه ، وكان ملكه قبل مُلك ربيعة بن نصر .

(٢) مثلانا : أى خرقة المحيض وتسمى أيضًا مثلاة وجمعها مآلى ، ولم يقصد النساء الحيَّض لأن حائضًا لا تجمع على محائض ومفرد حيض : محيضة .

دَعِينى لاَ أَخذتُ الخســفَ مِنْهُم وبَيتُ الله حَتى يَقتُلُــــونى

فَما عُذْرى وَهَذا السَّيــفُ عِنْدِى وَعَضْبٌ نَال قَائمهُ يَميــنـــى

ولَكِنْ لَم أَجِد عَنها مَحيــــدًا وإنى رَاهِق مَا أَرْهَــــقونِى

* أصل اليهودية باليمن :

حدثنا أحمد قال : حدثنا يُونسُ عن ابن إسحاق ، قال : ثم خرج متوجِّها إلى اليمن بمن معه من جنوده ، حتى إذا قدمها ، وكان لأهل اليمن مدينتان يقال لإحداهما مأْرب ، والأخرى ظِفار ، وكان منزل الملك فى مأرب مبنيًّا بصفائح الذهب ، وكان منزله فى ظفار مبنيا بالرخام ، وكان إذا شتى ، شتى فى مأْرب ، وإذا صاف ، صاف فى ظفار ، وكانت مأْرب بها ينشأ أبناء الملوك ويتعلمون الكلام ، وكان ابن الحميرى إذا بلغ قال : أرسلوا به إلى مأرب يتعلم المنطق ، وكان فى ظفار اصطوان من البلد الحرام مكتوب فى أعلاها بكتاب من الكتاب الأول : لمن الملك ، ظفار ، لحمير الأخيار ، لمن الملك ظفار ، لفارس الأخيار ، لمن الملك ظفار ، لقريش التجار ، فلما قدمها تبع ، نشرت يهود التوراة ، وجعلوا يدعون الله عز وجل على النار حتى أطفأها الله عز وجل ·

* هدم البيت المسمى رئام :

وكان لأهل اليمن شيطان يعبدونه ، قد بنوا له بيتًا من ذهب ، وجعلوا بين يديه حِياضًا ، فكانوا يذبحون له فيها ، فيخرج ، فيصــيب من ذلك الدم ، ويكلمهم ، ويسألونه ، فكانوا يعبدونه (١) ، فلما أطفأت يهود النار قالوا لتبع : إن ديننا هذا الذى نحن عليه خير من دينك ، فلو أنك تابعتنا على ديننا ، فقد رأيت أن إلهك هذا لم يغن عنك شيئًا ، ولا عن قومك عند الذى نزل بكم ، فقال تُبع : فكيف نصنع به ونحن نرى منه ما ترون من الأعاجيب ؟ قالوا : أفرأيت إن أخرجناه عنك تتبعنا على ديننا ؟ قال : نعم ، فجاءوا إلى باب ذلك البيت ، فجلسوا عليه بتوراتهم ثم جعلوا يذكرون أسماء الله عز وجل ، فلما سمع ذلك الشيطان ، لم يثبت

(١) فلما جاء الحَبران مع تُبّع نشرا التوراة عنده ، وجعلا يقرآنها ، فصار ذلك الشيطان حتى وقع فى البحر ·

وخرج جهارًا حتى وقع فى البحر ، وهم ينظرون ، وأمر تبع ببيته الذى كان فيه ، فهدم ، وتهود بعض ملوكِ حمير ، ويزعم بعض الناس أن تبعًا قد كان تهوَّد [(١)] .

حدثنا أحمد قال : نا يونس عن زَكريا بن يحيى المدَنى قال : حدثنا عِكرمة قال: سمعت ابن عباس يقول : لا يشبهن عليكم أمر تبع ، فإنه كان مُسلمًا .

* * *

(١) ذكر ابن هشام أن ابن إسحاق قال : وكان رِئام بيتًا لهم يعظمونه ، وينحرون عنده ويكلِّمون منه ، إذ كانوا على شركهم ، فقال الحبران لتُبّع : إنما هو شيطان يفتنهم بذلك فخلِّ بيننا وبينه ، فاستخرجا منه - فيما يزعم أهل اليمن - كلبا أسود فذبحاه ثم هدما ذلك البيت ، فبقاياه اليوم - كما ذكر لى - بها آثار الدماء التى كانت تهراق . السيرة النبوية لابن هشام ط . دار الجيل - بيروت ١ / ١٤١ .

مَقْتَلُ تُبَّعٍ

حدثنا أحمد بن عبد الجبار : نا يُونسُ بن بُكير عن ابن إسحاق قال : لما فعل تبع ما فعل ، غضبت ملوك حمير ، وقالوا : ما كان يرضى أن يطيل غزونا ، ويبعدنا فى المسير من أهلينا حتى طعن أيضًا فى ديننا وعاب آباءنا ، فاجتمعوا على أن يقتلوه ، ويستخلفوا أخاه (١) من بعده ، فاجتمع رأى الملوك على ذلك كلهم إلا ذا غَمدان (٢) فإنه أبى أن يمالئهم على ذلك ، فثاروا به ، فأخذوه ليقتلوه فقال لهم : أتراكم قاتلى ؟ قالوا : نعم ، قال : أما أنا فإذا قتلتمونى فادفنونى قائمًا ، فإنه لن يزال لكم ملك قائم ما دمت قائمًا ، فلما قتلوه ، قالوا : والله لا يملكنا حيًّا وميتا ، فنكسوه على رأسه ، فقال فى ذلك ذو غَمدان ، فى الذى كان من أمره :

*** ذُو رُعيْن يرى تبعًا :**

إن تَكُ حمير غَدَرَتْ وَخَانَتْ ... فَمَعذرَةَ الإله لـذى رُعَيْنِ
أَلا مَنْ يَشْتَرى سَهـراً بنَوم ... سَعيد مَنْ يَبيتُ قَرِيرَ عَيْنِ

*** عمرو يرثى أخاه تبعا :**

وقال فى ذلك عبد كلال (٣) بعد قتل أخيه واستخلافهم إياه حين قتَل وجوه حمير :

شَفيتُ النَّفسَ ممَّن كَان أَمْسَى ... قَريرَ العَيْنِ قَد قَتلوا كَرِيمى
فَلما أَنْ فَعلتُ أَصَابَ قَلْبى ... بِما قَدْ جئت منْ قَتْلِ رَغيمِ
أَشَارُوا لِى بِقَتْلِ أخٍ كَرِيمٍ ... ولَيس لذى الضَّرائب باللَّئيم
فَعُدْتُ كَأنَ قَلْبِى فى جَنَاحٍ ... بِعَيشٍ لَيْسَ يَرْجِعُ فى نَعيمِ
وَعَادَ القَلْبُ كالمجنونِ يَنْمِى ... إِلى الغَايَاتِ لَيْسَ بذى حَمِيمِ

(١) ذُكر أن أخاه هذا اسمه عمرو .

(٢) ذكر ابن هشام أن اسمه ذو رُعَين وليس ذو غمدان ، ذو رُعين تصغير رَعن ، والرَّعنُ : أنف الجبل ، ورعين جبل باليمن وإليه ينسب ذو رعين . انظر السيرة لابن هشام ط مكتبة الكليات الأزهرية ١ / ٢٣ .

(٣) أخى تُبع الذى ولَّوه عليهم بعد مقتل تبع ، وسبق الإشارة إلى أن اسمه عمرو .

فَلمَّا أَنْ قَتَلْتُ بِـــــه كِرَامًا وَصَارُوا كُلهـــــم كَالمسْتَلِيم
رَجَعْتُ إلى الَّذى قَدْ كَان منِّى كَأنْ القَلْبَ لَيْسَ بذى كـــلوم
جَزى رَبُّ البَرِيَّة ذَا رُعـــين جَزَاءَ الخُلْد مِـــنْ دَاعٍ كرِيم
فَإنِّى سَـــوْفَ أحفَظُهُ وَرَبِّى وأُعْطِيهِ الطَّرِيـــف مَع القَدِيم

وقال عبد كلال أيضًا يرثى أخاه:

أَطَعْتُ القَوْمَ إذْ غَشُّوا جَمِيعًا وَقَد اتُّهمْتُ فى غِشِّ النَّصِيح
وَلَو طَاوَعْتُ فـــى رَأْيى رُعَينًا لَقُلْتُ له وَقـــولى ذُو نَدُوح
فَلَمْ أَرْفَع بِقَوْله لـــى كَلامًا وَعُدْتُ كَأنَّنِى عَبْـــد أَسِيح
فَلما أَنْ قَبلْتُ القَـــولَ منْهُ عَلى الأَرْوَاحِ منْ حَقِّ الفُضُوح
فَمَنْ أَمْسَى يُطَـــاوِعُنى فَإنِّى سَأجْهَدُ فى المَقَال به أَبُوح
فَلما أنْ لَقِيتـــهُمْ أَقَامتْ لذاكَ النَّفْسُ فِى هَمٍّ مَرِيح

* * *

* هلاك عمرو وتفرق تُبع :

ثم استخلفوا أخًا له ، يقال له عبد كلال ، فزعموا أنه كان لا يأتيه النوم بالليل ، فأرسل إلى من كان ثَم من يهود ، فقال : ويحكم ، ما ترون شأنى ؟ فقالوا: إنك غير نائم حتى تقتل جميع من مالأك على قتل أخيك ، فتتبعهم ، فقتل رؤوس حمير ووجوههم » (١) .

* * *

(١) ذكر ابن هشام أن ابن إسحاق قال : فلما نزل عمرو بن تبان اليمن مُنع منه النوم ، وسلط عليه السهر ، فلما جهده ذلك سأل الأطباء والحزاة (المنجمين) من الكهان والعرافين عما به فقال له قائل منهم : إنه ما قتل رجل قط أخاه أو ذا رحمه بغيًا على مثل ما قتلت أخاك عليه إلا ذهب نومه ، وسُلط عليه السهر ، فلما قيل له ذلك جعل يقتل كل من أمره يقتل أخيه حسان من أشراف اليمن ، وهلك عمرو ، فمرج (أى اختلط) أمر حمير عند ذلك وتفرقوا . انظر السيرة النبوية لابن هشام دار الجيل تحقيق طه عبد الرءوف سعد ١ / ١٤٣ وإذا كان هناك تكرار فنحن نذكر أكثر من رواية لفائدة زائدة .

* ابتداء مُلك الحبشة :

ثم خرج ابن لتبع يقال له دَوس [١] ، حتى أتى قيصر ، فهو مثل في اليمن يضرب بعد : « لا كَدَوس ولا كمعلق رَحْله » فلما انتهى إلى قيصر ، دخل عليه ، فقال له : إني ابن ملك العرب ، وإن قومي عدوا على أخي [٢] فقتلوه ، فجئت لتبعث معي من يملك لك بلادي ، وذلك لأن ملكهم الذى ملكهم بعد أبي قد قتل أشرافهم ورؤوسهم ، فدعا قيصر بطارقته فقال : ما ترون في شأن هذا ؟ قالوا : لا نرى أن تبعث معه أحدًا إلى بلاد العرب ، وذلك لأنا لا نأتمن هذا عليهم ليكون إنما جاء ليهلكهم ، فقال قيصر فكيف أصنع به وقد جاءني مستغيثًا ؟ قالوا : اكتب له إلى النَّجَاشي ملك الحبشة ، وملك الحبشة يدين لملك الروم .

* النجاشي ينصر دوسًا :

فكتب له إليه ، وأمره أن يبعث معه رجالاً إلى بلاده ، فخرج دوس بكتاب قيصر حتى أتى به النجاشي ، فلما قرأه نخر وسجد له ، وبعث معه ستين ألفًا واستعمل عليهم روزبة [٣] ، فخرج في البحر ، حتى أرسى إلى ساحل اليمن .

* * *

فخرج عليهم هو وقومه ، فخرجت عليهم حمير [٤] - وحمير يومئذ فرسان أهل اليمن - فقاتل أهل اليمن قتالا شديدًا على الخيل ، فجعلوا يكردسونهم كَراديس ، ثم يحملون عليهم ، فكلما مضى منهم كردوس تبعه آخر ، فلما رأى ذلك روزبة قال لدوس : ما جئت بي ههنا إلا لتجزرني قومك ، فأبدأن بك فلأقتلنك قبل

---

(١) ليس ابن تبع ، والدليل ما ذكره ابن هشام أن ابن إسحاق قال عنه إنه رجل من سبأ يقال له . دوس ذو ثعلبان ، انظر مختصر سيرة ابن هشام ط . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١ / ٣٦ .

(٢) هنا لَبْس بيِّن ؛ لأن دوس لو كان ابن تبع حقا لقال هنا « عمي » أو « أبي » بدلاً من « أخي » .

(٣) ذكر ابن هشام أن اسمه أرياط . السيرة النبوية لابن هشام ط . مكتبة الكليات الأزهرية ١ / ٣١ .

(٤) ذكر أن ذا نواس هو الذى تزعم حمير يومئذ ضد أرياط وأبرهة وجنودهما . انظر مختصر سيرة ابن هشام ١ / ٣٦ .

أن أُقتل ، قال : لا تفعل أيها الملك ، ولكن أُشير عليك فتقبل منى ، قال : نعم فأشر على ، قال له دوس : أيها الملك ، إن حمير قوم لا يقاتلون إلاَّ على الخيل ، فلو أنك أمرت أصحابك ، فألقوا بين أيديهم ترسهم ودرقهم ، ففعلوا ذلك ، فجعلت حمير تحمل عليهم فتزلق الخيل على الترسة والدَّرْق ، فتطرح فرسانها ، فيقتل الآخرون ، فلم يزالوا كذلك حتى دقوا ، وكثرهم الآخرون وإنهم ساروا حتى دخلوا صنعاء ، فملكوها وملكوا اليمن (١) ، وكان فى أصحاب روزبة رجل يقال له أَبْرَهَة بن الأَشْرم (٢) ، وهو أبو يكسوم ، فلما ملكوا اليمن ، قال أبرهة لروزبة : أنا أولى بهذا الأمر منك ، فقال الآخر : وكيف ، والملك بعثنى ؟ قال : وإن كان الملك بعثك ، فأنا أولى بهذا الأمر منك ، ففاته الآخر ، واتبع أبرهة ناس من قومه ، فخرجوا للقتال ، فلما تواقفوا ليقتتلوا ، قال أبرهة لروزبة : ما لك ولأن نفنى الحبشة ، فيذهب ملكنا من هذه البلاد ، اخرج ، فأينا قتل صاحبه كان الملك ، فقال الآخر : نعم ، وكان روزبة رجلاً جسيما ، وكان أبرهة رجلاً حادرًا قصيرًا ، فقال أبرهة لغلام (٣) له : إذا خرجت إليه لأبارزه ، فائته من خلفه فاقتله ، فإن أصحابه لن يزيدوا على أن يفروا ، ولك عندى ما سألتنى من ملكى ، فلما خرجا سل روزبة على أبرهة سيفه ، فضربه ضربة وسط رأسه بالسيف ، وضربه غلام أبرهة من خلفه فقطعه باثنتين ، فاحتمله أصحابه ، واحتمل هذا أصحابه ، ثم إنهم اصطلحوا على أبرهة ، ولم يكن فيهم بعد صاحبهم مثله ، وبلغ ذلك النجاشى ، فكتب إليه يتهدده ، فحلق أبرهة رأسه ، وأخذ ترابًا من تراب أرضه ، فبعث به إليه وقال : أيها الملك ، هذا رأسى وتراب أرضى ، فهو تحت قدميك ، وإنما كنت أنا ورُوزَبَة عَبْدَيك ، فرأيت أنى أقوى على أمر الملك منه ، فلذلك فعلت ما فعلت ، فكتب إليه النجاشى بالرضى ، وأقره على ملكه .

ثم إن أبرهة بن الأشرم ، وهو أبو يَكْسُوم ، بنى كعبة باليمن (٤)

---

(١) ذكر ابن إسحاق أن أرياط أقام بأرض اليمن سنين فى سلطانه انظر السابق ١/ ٣٧ .

(٢) سُمى بذلك لشرم أنفه وشفته أى شقهما .

(٣) قيل اسم هذا الغلام : عَتْودة أى شديد فى الحرب .

(٤) هى كنيسة القُلَّيس التى أراد أبرهة أن يصرف حج العرب إليها وسميت بذلك لارتفاع بنائها وعلوها ومنه أخذت القلانس لأنها تعلو الرأس ، ويقال تقلنس الرجل إذا لبس القلنسوة ، وكان أبرهة قد استذل أهل اليمن فى بنيان هذه الكنيسة وجشمهم أنواعا من السخرة=

وجعل عليها قبابًا من ذهب ، وأمر أهل مملكته بالحج إليها ، يضاهى بذلك البيت الحرام .

* * *

= وكان ينقل إليها العدد من الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر بلقيس - صاحبة سليمان عليه السلام ، وكان قريبا من موضع الكنيسة ، وكان فيه بقايا من آثار مُلكها ، وكان أراد أن يرفع فى بنائها حتى يشرف منها على عدن ونصب فيها صلبانًا من الذهب والفضة ومنابر من العاج والأبنوس ، وكان حكمه فى العامل إذا طلعت عليه الشمس قبل أن يأخذ فى عمله أن يقطع يده ، فنام رجل منهم ذات يوم ، حتى طلعت الشمس ، فجاءت معه أمه وهى امرأة عجوز ، فتضرعت إليه تستشفع لابنها ، فأبى إلا أن يقطع يده ، فقالت اضرب بمعولك اليوم فاليوم لك ، وغدًا لغيرك . انظر الروض الأنف تحقيق طه عبد الرءوف سعد ١ / ٦٣ .

حادث الفيل (١)

* إحداث الكنانى فى الكنيسة وانتقام أبرهة

حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، قال : نا يونُس عن ابن إسحاق قال : وإن رجلاً من بنى ملْكَان بن كِنانة ، وهو من الحُمس (٢) ، خرج حتى قدم أرض اليمن ، فدخلها (٣) ، فنظر إليها ، ثم قعد فَخَرِى فيها (٤) ؛ فدخلها أبرهة ، فوجد تلك العذرة فيها ، فقال : من اجترأ علىَّ بهذا ؟ فقال له أصحابه : هذا رجل من أهل ذلك البيت الذى يحجه العرب ، قال : فعلىَّ اجترأ بهذا ، ونصرانيتى لأهدمنَّ ذلك البيت ولأخربنه حتى لا يحجه حاج أبدًا ، فدعا بالفيل ، وأذن فى قومه بالخروج ، ومن اتبعه من أهل اليمن ، وكان أكثر من تبعه من عك والأشعريون ، وخثعم ، فخرجوا وهم يرتجزون :

إِنَّ البَلَدَ لَبلدٌ مَاْ كُولْ ‏ ‏ ‏ ‏ يَأكله عَكٌّ وَالأشْعَرِيونَ وَالفِيلْ

* * *

* ما حدث بين نُفَيْل وأبرهة :

فخرج يسير ، حتى إذا كان ببعض طرقه ، بعث رجلاً من بنى سُلَيْم ، ليدعو الناس إلى حج بيته الذى بناه ، فتلقاه أيضًا رجل من الحمس ، من بنى كِنانة ، فقتله ، فازداد بذلك - لما بلغه - حنقًا وحردا ، وأحث السير والانطلاق ، حتى إذا أشرف على وادى وَجٍّ من الطائف ، خرجت إليه ثَقيف فقالوا : أيها الملك ، إنما نحن عبيدك ، وليست ربتنا هذه بالتى تريد - يعنون اللات صنمهم - وليست بالتى تحج إليها العرب ، وإنما ذلك بيت قريش ، الذى تجىء إليه العرب ، قال : فابغونى

---

(١) نذكر القصة مرة أخرى من رواية يونس بن بكير وقد ذكرت سابقا من رواية ابن هشام لفائدة زائدة .

(٢) الحمس هم المتشددون في العبادة . .

(٣) أى دخل الكنيسة التى بناها أبرهة .

(٤) أى أحدث فيها - تبرز وعبر هنا ابن هشام بقوله قعد فيها .

دليلا يدلني عليه ، فبعثوا معه رجلاً من هذيل ، يقال له نُفيل (١) ، فخرج بهم يهديهم ، حتى إذا كانوا بالمغمَّس (٢) ، نزلوا المغمَّس من مكة على ستة أميال ، فبعثوا مقدماتهم إلى مكة (٣) ، فخرجت مكة عباديد في رؤوس الجبال ، وقالوا : لا طاقة لنا بقتال هؤلاء القوم ، فلم يبق بمكة أحد إلاَّ عبد المطلب بن هاشم ، أقام على سقايته ، وغير شيبة بن عثمان بن عبد الدار ، أقام على حـــجابة البيت ، فجعل عبد المطلب يأخذ بعضادتي الباب ، ثم يقول :

اللَّهُمَّ إنَّ المرءَ يَمْـــــ ... ـنـعُ حِلَّهُ فَامنَعْ حلاَلَكْ
لاَ يَغْلبُوا بِصَليبِـــهِـمْ ... وَمَحالُهُمْ غَدْرًا محَالَـكْ
إنْ يَدْخُلوا البَلَدَ الحَرَامَ ... غَدًا فَأَمْرٌ مَا بَـــــدا لَكْ

يقول : أي شيد ما بدا لك ، لم تكن تفعله بنا ، ثم إن مقدمات أبرهة أصابت نَعمًا لقريش ، فأصابت فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم ، فلما بلغه ذلك ، خرج حتى انتهى إلى القوم .

* * *

* رسول أبرهة إلى مكة :

وكان حاجب أبرهة رجلاً من الأشعريين (٤) ، وكانت له بعبد المطلب معرفة قبل ذلك ، فلما انتهى إليه عبد المطلب ، قال له الأشعرى : ما حاجتك ؟ فقال : حاجتي أن تستأذن لي على الملك ، فدخل عليه حاجبه .

---

(١) ذكر بعض الرواة عن ابن إسحاق أن اسمه أبو رغال انظر السيرة النبوية لابن هشام ط . دار الجيل ١ / ١٦٦ .

(٢) المغمس : النبات الأخضر الذى ينبت فى الخريف تحت اليابس ، المغمَّس : المكان المستور إما بهضاب وإما بعضاه ويؤيد ذلك ما روى عن رسول الله ﷺ أنه « كان إذا أراد حاجة الإنسان خرج إلى المغمَّس » أى استتر بعيداً ، وكذلك حـــديث « كان ﷺ إذا أراد البراز أبعد » . انظر الروض الأنف تحقيق طه عبد الرءوف سعـــــد ١ / ٦٨ .

(٣) ذكر أن أبرهة لما نزل المغمس بعث رجلا من الحبشة يقال له : الأسود بن مقصود حتى سار ، إلى مكة وكان النجاشى قد بعثه مع الفيلة والجيش . انظر مختصر سيرة ابن هشام ١ / ٤٢ .

(٤) اسمه حناطة الحميرى .

فقال له : أيها الملك ، جاءك سيد قريش الذى يطعم أنيسها فى السهل ووحوشها فى الجبل ، فقال : ائذن له ، وكان عبد المطلب رجلاً جسيمًا جميلا ، فأذن له ، فدخل عليه ، فلما أن رآه أبو يكْسوم ، أعظمه أن يجلسه تحته ، وكره أن يجلسه معه على سريره ، فنزل من سريره ، فجلس على الأرض ، وأجلس عبد المطلب معه ، ثم قال : ما حاجتك ؟ فقال : حاجتى مائتا بعير ، أصابتها مقدمتك ، لى ، فقال أبو يكسوم : والله لقد رأيتك فأعجبتنى ، ثم تكلمت فزهدت فيك ، فقال له : ولمَ أيها الملك ؟ قال : لأنى جئت إلى بيت هو منعتكم من العرب ، وفضلكم فى الناس ، وشرفكم عليهم ، ودينكم الذى تعبدون ، فجئته لأكسره ، وأصيبت لك مائتا بعير ، فسألتك عن حاجتك ، فكلمتنى فى إبلك ، ولم تطلب إلىَّ فى بيتكم ! فقال له عبد المطلب : أيها الملك ، إنما أكلمك فى مالى ، ولهذا البيت رب هو يمنعه ، لست أنا منه فى شىء ، فراع ذلك أبا يكسوم ، وأمر برد إبل عبد المطلب عليه ، ورجع عبد المطلب .

* * *

* أبرهة يهاجم الكعبة وعقاب الله له ولفيله وجنوده :

وأمسوا فى ليلتهم تلك ، فأمست ليلة كالحة ، نجومها كأنما تكلمهم كلاما ، لاقترابها منهم ، وأحست أنفسهم بالعذاب ، وخرج دليلهم حتى دخل الحرم ، وتركهم ، وقام الأشعريون وخَثْعَم ، فكسروا رماحهم ، وسيوفهم ، وبرئوا إلى الله تعالى أن يعينوا على هدم البيت ، فباتوا كذلك بأخبث ليلة ، ثم أدلجوا بسحَر ، فبعثوا فيلهم يريدون أن يصبِّحوا مكة ، فوجهوه إلى مكة ، فربض ، فضربوه فتمرغ ، فلم يزالوا كذلك حتى كادوا يصبحون ، ثم إنهم أقبلوا على الفيل ، فقالوا : لك الله ألا نوجهك إلى مكة ، فجعلوا يقسمون له ، ويحرك أذنيه ، يأخذ عليهم ، حتى إذا أكثروا من القسم ، انبعث ، فوجهوه إلى اليمن راجعًا ، فتوجه يهرول ، فعطفوه حين رأوه منطلقًا ، حتى إذا ردوه إلى مكانه الأول ، ربض وتمرغ ، فلما رأوا ذلك ، أقسموا له ، وجعل يحرك أذنيه يأخذ عليهم ، حتى إذا أكثروا ، انبعث ، فوجهوه إلى اليمن ، فتوجه يهرول ، فلما رأوا ذلك ردوه ، فرجع معهم حتى إذا كان فى مكانه الأول ، ربض فضربوه ، فتمرغ ، فلم يزالوا كذلك ،

فعالجوه ، حتى كان مع طلوع الشمس ، طلعت عليهم الطير معها ، وطلعت عليهم طير من البحر أمثال اليحاميم سُود [١] ، فجعلت ترميهم وكل طائر فى منقاره حجر [٢] ، وفى رِجلَيه حَجران ، فإذا رمت بتلك مضت ، وطلعت أخرى ، فلا تقع حجرة من حجارتهم تلك على بطن إلا خرقته ، ولا عظم إلاَّ أوهاه ونقبه .

وثار أبو يكسوم راجعًا ، قد أصابته بعض الحجارة ، فجعل كلما قدم أرضًا انقطع منه فيها أرب(عضو) ، حتى إذا انتهى إلى اليمن ، ولم يبق منه شىء إلا أباده ، فلما قدمها انصدع صدره ، وانشق بطنه ، فهلك ، ولم يصب من الأشعريين وخَثعم أحد .

ولما فزعوا إلى دليلهم ذلك ، يسألون عنه ، فجعلوا يقولون : يا نُفيل ، يا نُفيل ، وقد دخل نُفيل الحرم ، ففى ذلك يقول نُفيل :

أَلاَ رُدِّى جِمَالك يَا رُدَيْنَا نَعِمنَاكُم مَعَ الإصبَاحِ عَيْنَا
فَإنكَ لَو رَأَيْتِ ، وَلَنْ تُرِيه إلى جَنْبِ المُحَصَّبِ مَا رَأَينَا
إذًا لَخشيته وَفَزِعْتِ مِنْهُ وَلَم تَأسَى عَلى مَا فَات عَيْنَا
خشِيت اللهَ لَمَا رَأيت طَيرًا وَقَذْف حِجَارَة تُرْمَى عَلَيْنَا
وَكُلُّهمُ يُسَائِلُ عَن نُفَيل كَأن عَلَىَّ لِلحُبْشَان دَيْنَا [٣]

وقال المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم :

أَنْتَ حَبَسْتَ الفِيَلَ بالمُغَمَّسْ أهْلَكْتَ أَبا يَكْسُومُ والمُغَلَّس
كَردستهم وأنْت غَيْر مُكَرْدَسْ تُدْعِسهُمْ وأنَتْ غَيْرَ مُدَعَّسْ

وقال عبد المطلب ، وهو يرتجز ويدعو على الحبشة :

يَا رَبِّ لاَ أَرجُو لَهم سِوَاكَا يَا رَبِّ فَامنَع مِنهم حِمَاكَا

---

(١) ورد فى وصف هذا الطير أيضًا أنه أمثال الخطاطيف والبلسان وهما نوعان من أنواع الطيور ، وذكرا أيضا أن الطير كانت لها أنياب كأنياب السبع وأكف كأكف الكلاب .

(٢) فى رواية أخرى أن الحجر مثل الحمص والعدس ولكن فى الشكل فقط .

(٣) ورد أن نُفيل حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته قال :

أين المفر والإلهُ الطالب والأشرم المغلوب ليس الغالب

إنَّ عَدو البَيْتِ مَنْ عَادَاكا ... إنهم لَنْ يَقْهـــروا قِوَاكَا

وقال عبد المطلب حين انصرفوا :

مَنَعْتُ الأَرضَ التــــى حُمِيَتْ ... من اللِّئام فَلم تُخْلَق لَهم دَارا
مَنعتُ مكَّةَ منهـــــم إننى رَجُلٌ ... ذَو أسرة لم نكن فى الحُب غَدَّارَا
إذ قلتُ يَا صَاحِب الحِبْشَان إن لنا ... مِنْ دون أن يُهْدَم المعمُور أَخْطَارَا
فَسار فى جَيْشه بِالفيلِ مُقْتَدرًا ... وَسِرتُ مُسْتَبْسلا للَموت صَبَّارَا
فِى فِتَيةٍ من قُرَيش لَيْسَ مَيِّتُهم ... بِمورث حَيِّهـــــم شَيْنًا وَلا عَارَا

حدثنا أحمد ، نا يُونُس بن بُكير ، عن عبد الله بن عـــون ، عن محمد بن سيرين ، عن عبد الله بن عباس فى قوله : ﴿ **وأرسل عليهم طيراً أبابيل** ﴾ [١] ، قال: طير لها خراطيم كخراطيم الطير ، وأكف كأكف الكلاب .

حدثنا أحمد قال : نا أبى ، ويونُس جميعًا ، عن قيس بن الربيع ، عن جابر ابن عبد الرحمن بن أسباط ، عن عُبيد بن عُمير : ﴿ **وأرسل عليهم طيراً أبابيل** ﴾ قال : طيرًا أقبلت من قبل البحر كأنها رجال الهند : ﴿ **ترميهم بحجارة من سجيل**﴾[٢] . أصغرها مثل رؤوس الرجال ، وأعظمها مثل الإبل الهزل ، وما رمت أصابت ، وما أصابت قتلت ، وزاد فيه أبى : الأبابيل المتتابعة ، ما أرادت أصابت ، ما أصابت قتلت .

حدثنا أحمد قال: نا يونُس عن ابن إســـحاق ، قال : حــــدثنى عبد الله بن أبى بكر بن حزم ، عن عمرة ابنة عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة عن عائشة زوج النبى ﷺ قالت : لقد رأيت قائد الفيل ، وسائسه أعميين مقعدين ، يستطعمان بمكة .

حدثنا أحمـــــد ، نا يونس عن ابن إســـحاق قال : حدثنى يعقوب بن عتبة ابن المغيرة بن الأخنس قال : حدِّثت أنه أول ما رُؤى فى أرض العرب : الحصبة ،

(١) سورة الفيل : الآية ٢ . (٢) سورة الفيل : الآية ٣ .

والجـــدْرى ، ومرائر الشجـــر (١) من العشر (٢) والحرمل وأشـباه ذلك ، عام الفيل .

*** وفاة السيدة آمنة بنت وهب :**

حدثنا أحمد : نا يونُس بن بُكير ، عن ابن إسحاق قال : حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن حزم قال : قدمت آمنة بنت وهب ، أم رسول الله ﷺ ، برسول الله ﷺ على أخواله من بَنى عَدى بن النجَّار بالمدينة ، ثم رجعت به ، حتى إذا كانت بالأبواء هلكت بها ، ورسول الله ﷺ ابن ست سنين .

*** كفالة عبد المطلب محمدا ﷺ :**

حدثنا أحمد : نا يونُس ، عن ابن إسحاق ، قال : وكان رسول الله ﷺ مع جده عبد المطلب ، فحدثنى العباس بن عبد الله بن معْبد ، عن بعض أهله قال : كان يوضع لعبد المطلب جد رسول الله ﷺ فراش فى ظل الكعبة ، فكان لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له ، وكان رسول الله ﷺ يأتى حتى يجلس عليه ، فيذهب أعمامه يؤخِّرونه ، فيـقول جده عبد المطـلب : دعوا ابنى ، فيمسح على ظهره ، ويقول : إن لِبُنَى هذا شأنا ، فتوفى عبد المطلب ، ورسول الله ﷺ ابن ثمانى سنين ، بعد الفيل بثمانى سنين .

حدثنا أحمد : نا يُونُس ، عن ابن إسحاق قال : نا عبد الله بن أبى بكر بن حزم قال : ذهب رجل بصنعاء يحفر خَرِبة من خربها لبعض ما ينتفع به الناس ، فكشف عن عبد الله بن الثامر ، قاعداً يده على شجة برأسه موضوعة ، إذا أخروا يده عنها ، نبعت دمًا ، وإذا أرسلوها ردها فوضعها علـــيها ، فى يده خاتم ، نقشه (ربى الله) ، فكتب فى ذلك إلى عمر بن الخطاب ، فكتب أن : ارددوا عليه ما كان عليه ، وأقروه - حدثنا أحمد : نا يونُس عن ابن إسحاق قال : وكان على دين عيسى عليه السلام (٣) .

---

(١) مرائر الشجر : الشجر المر . (٢) العُشر : شجر مر أيضًا .

(٣) سبق أن ذكرت هذه الرواية فى أول الكتاب تحت عنوان « عبد الله بن الثامر يدعو للتوحيد » من رواية ابن هشام وذكرناها هنا من رواية يونس رحمهما الله تعالى .

حدثنا أحمد قال : نا يُونُس [(١)] بن بُكير عن أبى خلدة خالد بن دينار قال : نا أبو العالية قال : لما فتحنا تَسْتُر ، وجدنا فى بيت مال الهُرمُزَان سريرًا عليه رجل ميت ، عند رأسه مصحف له ، فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر بن الخطاب ، فدعا له كعبًا [(٢)] ، فنسخه بالعربية ، فأنا أول رجل من العرب قرأه ، قرأته مثلما أقرأ القرآن هذا ، فقلت لأبى العالية: ما كان فيه ؟ فقال: سيرتكم وأموركم ، ولحون كلامكم ، وما هو كائن بعدُ ، قلت : فما صنعتم بالرجل ؟ قال : حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبرًا متفرقة ، فلما كان الليل دفناه، وسوينا القبور كلها، لنعميه على الناس، لا ينبشونه ، قلت : وما يرجون منه ؟ قال : كانت السماء إذا حُبست عليهم ، برزوا بسريره فيمطرون ، قلت : من كنتم تظنون الرجل ؟ قال : رجل يقال له دانيال ، فقلت : منذ كم وجدتموه مات ؟ قال :منذ ثلاثمائة سنة، قلت : ما كان تغير بشىء ؟ قال : لا ، إلاَّ شعيرات من قفاه ، إن لحوم الأنبياء لا تُبليها الأرض ، ولا تأكلها السباع .

* وفاة عبد المطلب ورثائه :

حدثنا أحمد قال : نا يُونُس بن بُكير عن ابن إسحاق قال : لما حضرت عبد المطلب الوفاة ، قال لبناته : ابكين حتى أسمع كيف تقلن ، وكن ست نسوة ، وهن: أميمة ، وأم حكيم ، وبرَّة ، وعاتكة ، وصفية ، وأروى فقالت أميمة :

أَلاَ هَلَكَ رَاعِى العَشِير ذُو العُقَدْ ... وَسَاقِى الحَجِيج المُحَامِى عَن الحَمدْ
وَمَنْ يُؤَلِّف الجارَ الغَرِيبَ لِبَيْتِهِ ... إِذَا مَا سَماءُ البيت تَبْخَل بَالرَّعَدْ

وقالت عاتكة :

أَعَينَىَّ جُــودَا وَلا تَبْخَلا ... بِدَمْعكُما بَعْدَ نَوْمِ النِّيَامْ
أَعَيْنى وَاسحَنْفِزا وَاسْكُبَا ... وَشَوبا بُكاء كمَا بالنِّدامْ
عَلى الجَحْفَل الغَمر فى النَّائبا ... تِ كَرِيم المساعى وفِىِّ الذِّمَامْ
عَلى شَيْبَة الحَمْدِ وَارِى الزِّنَادِ ... وَذِى مُصْدِق بَعد ثَبْت المَقامْ

وقالت صفية :

أَرِقتُ لِصَوتِ نَائِحَةٍ بليل ... عَلى رَجُل بقَارِعَةِ الصَّعِيدِ

---

(١) بمعنى حدثنا ، أنا بمعنى أخبرنا ، ثنا : حدثنا ، ثنى : حدثنى ، وهى من رموز علم مصطلح الحديث ، راجع فى ذلك هدى السارى لابن حجرتحقيق طه عبد الرءوف سعد .

(٢)هو سيدنا كعب الأحبار كان من علماء اليهود فأسلم وكان على علم ودراية بالديانات

فَفَاضَتْ عِنْدَ ذَالِكُمُ دُمُوعِى عَلَى خَدِّى كَمُنْحَدِرِ الفَرِيد
عَلَى الفَيَّاضِ شَيْبَةَ ذِى المَعَالِى أَبِيْك الخَيْر وَارث كُلِّ جُود
طَوِيل البَاعِ أَرْوَع شَيْظَمِى مُطَاع فِـــى عَشِيرَتِهِ حَمِيدْ
عَظِيمُ الحِلْـــمِ مِنْ نَفَر كِرَامٍ خَضَارِمَةٌ مَلاوِثَة أُسُـــود

وقالت البيضاء أم حكيم ، والبيضاء جدة عثمان بن عفان أم أمه وكانت البيضاء عند كريز بن رَبِيعة بن حَبِيب بن عبد شمس فولدت له عامرًا وأروى :

أَلا يَا عَيْنُ جُودِى وَاسْتَهِلِّى وبكِّـى ذا الندى والمَكْرُمات
أَلا يَا عَيْنُ وَيْحكَ أَسْعِفِينِى بِدَمْعٍ مِنْ دُمُـــوعٍ هَاطِلاَت
فَبكى خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المطَايَا أَبَاك الخَيْـــرَ تَيَّارَ الفُرَات
طَوِيلُ البَاعِ شَيْبَةَ ذَا المعَالى كَرِيمُ الخَيم مَحْمود الهِبَات
وَصُـــولاً لِلْقَرَابَة هَبْرِزِيًّا وغيَّاثًا فى السِّنِين المُمْحلاَت
فَبكِيه وَلا تسمـــى بحُزْنٍ وَبكى مَا بكَـــينَ البَاكِيات

وقالت بَرَّه :

أَعَيْنَى جُـــودَا بِدَمْعٍ دُرَرْ عَلى طَيِّبِ الخِيْـــمِ والمعْتَصَرْ
عَلى مَاجِدِ الجَد وارِى الزِّنَا دِ جَمِيل المُحَيَّا عَظِيم الخَطَرْ
عَلى شَيْبَةَ الحَمْدِ ذِى المَكْرُمَا تِ وَذِى المجد والعِزِّ والمفْتَخَر
وذِى الفَضْلِ والحِلْمِ فى النَّائِبا تِ كَثِير المكَارِم جَم الفَخَرْ
لَه فَضْل مَجْد عَلى قَوْمِه مُبِيْن يَلوحُ كَضَوْءِ القَمَرْ
أَتَتْه المنَايا [1] فَلَـــم تسؤه بِصَرفِ اللَّيَالى وَرِيبِ القَدَرْ

وقالت أَرْوَى :

بكَتْ عَيْنى وَحقَّ لهَا البُكَاءُ عَلى سَـــمْحٍ سَجِيَّته الحَيَاءُ
عَلى سَـــهْلِ الخَلِيقَة أَبْطَحِىٌّ كَرِيمُ الجَـــد نِيَّتهُ العَلاءُ
عَلى الغَيَّاضِ شَيْبَةَ ذِى المَعَالى أَبِيك الخَيْر لَيس لَه كِفَـــاءُ

(١) أى الموت .

طَوِيْل البَاعِ أَمْلَس شَيْظَمى أَغَر كَأن غرتَّـــــه ضِيَاءُ
ومْعقِل مالـــــك وَرَبيعُ فِهر وَفَاصِلُهَا إذا التَبسَ القَضَـــاءُ

* * *

حدثنا أحمد : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : ومات عبد المطلب ، ورسول الله ﷺ ابن ثماني سنين ، فلم يُبك أحد كان قبله بكاه .

* ولاية زمزم والسقاية بعد عبد المطلب :

وولى زمزم والسقاية من بنى عبد المطلب بعده العباس بن عبد المطلب ، وهو يومئذ أحدث إخوته سنًا ، فلم تزل إليه حتى قام الإســلام وهى بيده ، فأقرها رســول الله ﷺ على ما مضى ، فهى إلى آل العباس بولاية العباس إياها إلى هذا اليوم (١) .

حدثنا أحمد قال : نا يونُس عن ابن إسحاق قال : ولما هلك عبد المطلب ، كانت الرئاسة بعده والشرف والسن فى قومه بنى عبد مـــناف لحرب بن أميـــة بن عبد شمس بن عبد مناف ، فأطعم الناس ، وحاط العشيرة ، وشرف قومه ، ونصب قبة بمكة للضيف ، يطعم فيها من جاءه .

* * *

* عبد المطلب يوصى أبا طالب برعاية محمد ﷺ (٢)

وكان عبد المطلب - فيما يزعمون - يوصى أبا طالب برسول الله ﷺ ، وذلك أن عبد الله وأبا طالب لأم (٣) ، فقال عبد المطلب - فيما يزعمون - فيما يوصيه به ، واسم أبى طالب عبد مناف :

---

(١) أى زمن المؤلف ابن إسحاق .

(٢) كان حق هذا الموضوع أن يأتى قبل موضوع وفاة عبد المطــلب وذلك لترتيب الأحداث .

(٣) أى أخوين شقيقين .

أُوصيكَ يا عبدَ مَنَاف بَعْدى ... بمُوحِّد بَعـــــد أَبيه فَرْد
فَارقَه وهـــــو ضَجيعُ المهْد ... فكُنْتُ كَالأُم لَه فى الوَجْد
تُدْنيه مَن أَحْشَائها وَالكَبْد ... حتى إذا خفْتُ مدَادَ الوَعْد
أَوصيتُ أَرْجى أَهْلنا للوفْد ... بابنِ الَّذى غَيَّبْتُهُ فى اللَّحْد
بالكُره منى ثُم لاَ بَالعمد ... فقال لى والقول ذُو مَرَد
مَا ابن أَخِى مَا عشْت فِى مَعد ... إلا كَأدنى وَلَدى فى الوُدِّ
عنْدى أَرى ذَلك بَاب الرُّشْد ... بَل أحمد قَد يُرْتَجى للرُّشْد
وَكل أمْر فى الأُمُور ودُّ ... قَدْ عَلمت عَلام أهل العَهْد
إن ابنى (١) سَيد أَهْلِ نَجْد ... يَعْلُو عَلى ذى البدنِ الأَشَد

وقال عبد المطلب أيضًا :

أَوْصَيتُ مَنْ كَنَيْتُه بطَالبْ ... عَبْدَ مَنَاف وَهو ذُو تَجاربْ
بابن الذى قَد غَابَ غَيرَ آئبْ ... بابن أَخ والنِّسْوَة الحَبائبْ
بابن الحبيب أَقْرَبُ الأقَاربْ ... فَقال لـــــى كَشبه المعاتبْ
لا تُوصنى إنْ كُنْتَ بالمَعَاتبْ ... بثَابت الحَـــق عَلىَّ وَاجبْ
مُحمد ذُو العُرْف والذَوائبْ ... قَلْبى إلَيــــه مُقْبل وَائبْ
فَلَسْـــتُ بالآيس غَيْر الرَّاغب ... بَأن يَحقَّ اللهُ قَوْلَ الرَّاهبْ
فيه وَأنْ يَفْضُلَ آلَ غَالبْ ... إنى سَمعْتُ أَعْجَبَ العَجَائبْ
منْ كُل حَبْر عَالمٍ وكَاتب ... هَذا الَّذى يُقْتَادُ كَالجنائبْ
منْ حل بالأَبْطح وَالأخَاشبْ ... أيضاً ومَنْ ثَاب إلى المثاوبْ

منْ سَاكن للحَرمِ أو مُجَانبْ

---

(١) يقصد رسول الله ﷺ لأن الابن يطلق على الابن وابنه .

*** إلى هنا تم بحمد الله :**

آخر الجزء الأول من كتاب المغازى لابن إسحاق - يتلوه الجزء الثانى إن شاء الله

قصة بَحِيراَ الراهب

والحمد لله حق حمده ، وصلواته على محمد خير خلقه ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

* * *

القسم الثانى

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمـــــــد لله

* قصة بَحيرا الراهب [(١)]

أخبرنا الشيخ أبو الحسين أحمد بن محمد بن النَّقُور البزاز قراءة عليه وأنا أسمع قال : أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص قال : قرئ على أبى الحسين رضوان بن أحمد وأنا أسمع قال : حدثنا أبو عمر أحمد بن عبد الجبـار العُطاردى قال : حدثنا يُونُس بن بُكير عن محمد بن إسحاق قال : وكان أبو طالب هو الذى أضاف أمر رسول الله ﷺ إليه بعد جده ، فكان إليه ومعه [(٢)] .

* محمد يخرج مع عمه إلى الشام

ثم إن أبا طالب خرج فى ركب إلى الشام تاجرًا ، فلما تهيأ للرحيل ، وأجمع السير صبَّ [(٣)] له رسول الله ﷺ فأخذ بزمام ناقته وقال : يا عمِّ إلى من تكلنى لا أب لى ولا أم ؟ فرقَّ له أبو طالب وقال : والله لأخرجن به معى ولا يفارقنى ولا أفارقه أبدًا ؛ أو كما قال [(٤)] .

---

(١) كان حق هذا الحديث أن يأتى فى آخر الجزء الأول تحت عنوان « كفالة أبى طالب رسول الله ﷺ » ولكن نظرًا لالتزامنا بالأصل أردنا التنبيه .

(٢) جاء فى سيرة ابن هشام : المسير راجع أى طبعة من طبعات السيرة النبوية لابن هشام .

(٣) أى تعلق به وحن إليه ، والصبابة : رقة الشوق ، ويذكر عن بعض السلف أنه قرأ الآية رقم (٣٣) فى سورة يوسف : ﴿ **أصب إليهن وأكن من الجاهلين** ﴾ ، وفى غير رواية أبى بحر : ضبث به رســـول الله ﷺ : أى لزمه . انظر السيرة النبوية لابن هشام ط . دار الجيل تحقيق طه عبد الرءوف سعد ١ / ٣٢٠ .

(٤) كان رسول الله ﷺ إذ ذاك ابن تسع سنين كما ذكر بعض أهل السير ، وقال الطبرى : ابن اثنتى عشرة سنة .

* بحيرا يحتفى بتجار قريش :

فخرج به معه ، فلما نزل الركب بُصرى من أرض الشام ، وبها راهب يقال له بَحيرًا فى صومعة له ، وكان أعلم أهل النصرانية ، ولم يزل فى تلك الصومعة قط راهب إليه يصير علمهم عن كتاب فيهم فيما يزعمون يتوارثونه كابرًا عن كابر ، فلما نزلوا ذلك العام ببَحيرا (١) وكانوا كثيرًا مما يمرون به قبل ذلك لا يكلمهم ولا يعرض لهم ، حتى إذا كان ذلك العام نزلوا به قريبًا من صومعته ، فصنع لهم طعامًا كثيرًا ، وذلك - فيما يزعمون - عن شىء رآه وهو فى صومعته فى الركب ، حين أقبلوا وغمامًا تظله من بين القوم ، ثم أقبلوا حتى نزلوا بظل شجرة قريبًا منه ، فنظر إلى الغمامة حتى أظلت الشجرة ، وتهصَّرت (٢) أغصان الشجرة على رسول الله ﷺ حتى استظل تحتها ، فلما رأى ذلك بَحيرًا نزل من صومعته وقد أمر بذلك الطعام فصنع ، ثم أرسل إليهم فقال : إنى قد صنعت لكم طعامًا يا معشر قريش ، وأنا أحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم ، وحرُّكم وعبدكم ، فقال له رجل منهم : يا بَحِيرا (٣) إن لك اليوم لشأنا ما كنت تصنع هذا فيما مضى ، وقد كنا نمر بك كثيرًا فما شأنك اليوم ؟ فقال له بحيرا : صدقت قد كان ما تقول ، ولكنكم ضيف ، وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعامًا تأكلون منه كلكم ، صغيركم وكبيركم ، فاجتمعوا إليه ، وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم - لحداثة سنه - فى رحال القوم تحت الشجرة ، فلما نظر بَحيرا فى القوم لم ير الصفة التى يعرف ويجد عنده ، قال : يا معشر قريش لا يتخلف أحد منكم عن طعامى هذا ، قالوا له : يا بحيرا ما تخلف عنك أحد ينبغى له أن يأتيك إلاّ غلام هو أحدث القوم سنًّا تخلف فى رحالهم ، قال : فلا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم ، فقال رجل من

---

(١) جاء فى سيرة الزهرى أن بحيرا كان حبرًا من يهود تيماء ، وجاء فى المسعودى : أنه كان من عبد القيس ، واسمه : سَرجس ، وذكر ابن قتيبة فى المعارف أنه سُمع قبل الإسلام بقليل هاتف يهتف : ألا إن خير أهل الأرض ثلاثة : بحيرا ، ورباب بن البراء الشنِّى ، والثالث : المنتظر ، فكان الثالث رسول الله ﷺ .

(٢) أى مالت وتدلت .

(٣) الصواب فتح أوله وكسر ثانيه وليس ما ينطقه العامة .

القوم من قريش: واللاَّت والعُزَّى إن هذا للؤم بنا، يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن الطعام من بيننا ! ثم قام إليه فاحتضنه، ثم أقبل به حتى أجلسه مع القوم .

*** بحيرا يتثبت من محمد ﷺ :**

فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظًا شديدًا وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده فى صفته ، حتى إذا فرغ القوم من الطعام وتفرقوا قام بَحِيرا فقال له : يا غلام أسألك باللاَّت والعُزى إلاَّ أخبرتنى عما أسألك عنه ، وإنما قال له بَحيرا ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما ، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال له : لا تسلنى باللات والعُزى شيئًا فوالله ما أبغضتُ شيئًا قط بغضهما ، فقال له بحيرا : فبالله إلاَّ أخبرتنى عما أسلك عنه ، قال : سلنى عما بدا لك ، فجعل يسأله عن أشياء من حـاله : من نومه ، وهيئته ، وأموره ، فجعل رسول الله ﷺ يخبره فيوافق ذلك ما عند بَحِيرا من صفته ، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التى عنده [١] .

*** بحيرا يوصى أبا طالب بمحمد ﷺ :**

فلما فرغ منه أقبل على عمه أبى طالب فقال له ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابنى ، قال له بحيرا : ما هو بابنك ، وما ينبغى لهذا الـغلام أن يكون أبوه حيًّا ، قال : فإنه ابن أخي ، قال : فما فعل أبوه ؟ قال : مات وأمه حبلى به ، قال : صدقت ، ارجع بابن أخيك إلى بلده ، واحذر عليه اليهود ، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرًّا ، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن فأسرع به إلى بلاده ، فخرج به عمه أبو طالب سريعًا حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام .

*** بعض أهل الكتاب يريدون بمحمد ﷺ الشر :**

فزعموا فيما يتحدث الناس أن زبيرا [٢] وتَمَّامًا ، ودريسا ، وهم نفر من أهل الكتاب قد كانوا رأوا من رسول الله ﷺ - فى ذلك السفر الذى كان فيه مع عمه

---

(١) لمزيد من المعرفة فى هذا الموضوع انظر كتاب الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية للترمذى تحقيق طه عبد الرءوف سعد ط مؤسسة روز اليوسف .

(٢) جاء فى سيرة هشام « زريراً » .

أبى طالب - أشياء ، فأرادوه ، فردهم عنه بحيرا (١) ، وذكرهم الله عز وجل ، وما يجدون فى الكتاب (٢) من ذكره وصفته ، أنهم إن أجمعوا لما أرادوا لم يخلصوا إليه ، حتى عرفوا ما قال لهم ، وصدقوه بما قال ، فتركوه وانصرفوا ، فقال أبو طالب فى ذلك من الشعر ، يذكر مسيره برسول الله ﷺ وما أرادوا منه - أولئك النفر ، وما قال لهم فيه بحيرا :

إنَّ ابنَ آمنَةَ النبــــى مُحمدًا ... عِنْدِى بِمثْل مَنَازِل الأَوْلاَدِ
لَمَّا تَعلَّقَ بِالزمَام رَحمتُهُ ... وَالعيسُ قَد قَلَّصن بِالأَزْوَادِ
فَارفضَّ مِنْ عَيْنَىَّ دَمْعٌ ذَارِفٌ ... مِثْلَ الجُمَان مُفرَّق الأَفْرَادِ
رَاعيتُ فيــــه قَرابَةً مَوصُولَةً ... وَحَفظتُ فيه وَصِيَّة الأَجْدَادِ
وَأَمَرتُه بالسيـــــر بَيْنَ عُمُومَةٍ ... بِيضِ الوُجوه مَصالِتٍ أَنْجَادِ
سَاروا لأبعــــد طَيَّة مَعْلُومَة ... فَلَقد تَباعد طَــــيه المرتَادِ
حَتَّى إذا ما القوم بُصرى عَاينوا ... لاقوا على شـــرك من المرصَادِ
حَبْرًا فأخبرهم حَدِيثًا صادقًا ... عَنْهُ وَرَدَّ مَعاشـــــر الحسَّادِ
قَوما يَهودًا قد رأوا ما قد رَأى ... ظَل الغمامُ وعز ذى الأَكْيَادِ
سَاروا لقتْل مُحمــــد فَنهاهُمُ ... عنه وأَجْهَدَ أَحْسَنَ الإِجْهَادِ
فَثَنى زَبيرًا بَحــــيرٌ فَانثنى ... فى القوم بَعْدَ تَجادُلٍ وبعَادِ
وَنَهى دَرِيسًا فَانتهى عَنْ قَوْلِه ... حَبْرٌ يُوافِقُ أَمْـــرهُ بِرشَادِ

وقال أبو طالب أيضًا :

أَلَمْ تَرنى مِنْ بَعْد هَمٍّ هممته ... بِفُرقَةِ حُرِّ الوالــــدين كِرام

(١) أورد السهيلى فى الروض : ١ / ٢٠٥ خلاصة المادة الإخبارية العربية حول شخصية بحيرا الراهب ، هذا وتحوى مدينة بصرى بين خرائبها بقايا كنيسة كبيرة يعتقد الأهلون أنها بقايا كنيسة بحيرا ، كل هذا فى حين أن غالبية علماء السيرة لهذا العصر ينفون وجود شخصية بحيرا تاريخيا ، ويرون أن الأخبار حولها مخترعة ، أملاها مجاراة ما جاء فى سير حياة الأنبياء الكتابيين وغيرهم من نبوءات وبشائر . انظر سيرة ابن إسحاق تحقيق د / سهيل زكار .
(٢) أى فى التوراة .

بأحمد لما أن شَدَدْتُ مَطِيَّتِى ... برَحْلِى وَقَدْ ودَّعته بِسَلاَم
بَكى حُزْنًا والعِيسُ قَد فَصلَتْ بنا ... وَأَخذتُ بالكَفَّينِ فَضْل زِمَام
ذَكرتُ أَبَاهُ ثُم رَقْرقت عَبْرةً ... تَجُودُ مِنَ العَينين ذَات سِجَام
فَقلتُ : تَروحُ رَاشدًا فى عُمومَة ... مُواسِينَ فى البَأساء غَير لِئَام
فَرُحْنَا مَع العِير التى رَاح أَهْلُها ... شَآمَى الهوَى والأَصْل غير شَآمى
فَلما هَبطْنَا أَرض بُصْرَى تَشرَّفُوا ... لَنا فوق دور يَنظرون جِسَام
فَجاد بَحيرا عند ذلك حاشدًا ... لَنَا بِشَرابٍ طَيِّبٍ وَطَعَام
فَقال : اجْمعوا أَصْحَابكم لطَعامنَا ... فَقُلْنَا جَمعنا القَوم غَير غُلاَم
يَتيم فَقال : ادْعُوهُ إن طَعامنَا ... كَثيرٌ ، عَليه اليوم غَيْرَ حَرام
فَلَما رآهُ مُقْبلاً نَحو دَاره ... يُوقيه حَرَّ الشَمس ظِلٌّ غَمام
حَنَا رَأسه شِبْه السجُودِ وَضَمَّهُ ... إلى نَحْرِه والصَّدْر أى ضَمام
وَأقبل رَكْب يَطلبون الذى رَأى ... بَحيرًا من الأعلام وَسْطَ خِيَام
فَثَارَ إليهم خَشْيَة لِعَرامِهم ... وكَانوا ذَوِى دهًى مَعا وعِرَام
دَريسًا وتَمَّامًا وقَد كَان فِيهمُ ... زَبيرًا وكل القَوم غَيْر نِيام
فَجاءوا وقَد هَمُّوا بِقَتل مُحمد ... فَردَّهُم عَنه بِحُسْنِ خِصَام
بِتَأويله التَوراة حَتَى تَفرقوا ... وَقَال لهم : ما أنتم بِطَغَام
فَذلك مِن أعْلامه وَبيانه ... وَلَيس نَهارٌ وَاضِح كَظَلَام

وقال أبو طالب أيضًا :

بَكى طَرَبًا لَمَّا رَآنا مَحمدٌ ... كَأن لا يَرانى راجعًا لِمَعادِ
فَبتُّ يُجَافِينى تَهلُّل دَمْعَة ... وَقُرْبته من مَضْجَعى وَوِسَادى
فَقلتُ لَه : قَرِّب قُعودكَ وارتَحِلْ ... وَلا تَخْش منِّى جفْوةً بِبلادى
وَخلِّ زِمَام العِيسِ وَارتحلن بنا ... عَلى عَزْمَةٍ مَن أَمْرِنا وَرشادِ

وَرِح رائحًا فى الراشدين مشيَّعا ... لذى رَحِمٍ فى القوم غَيْرِ مَعادِ
فَرحنا مع العير التى راح رَكبها ... يؤمُّون عَلَى غورى أرض إيادِ
فما رجعوا حتى رأوا من مُحمد ... أَحاديث تجلو غمَّ كل فؤادِ
وحتَّى رأوا أحبار كل مدينة ... سُجودًا له من عصبة وفرادِ
زَبيرًا وتمَّامًا وقد كان شاهدًا ... دَريسًا وهمُّوا كلهم بفسَادِ
فَقال لهم قولاً بحيرا وأيقنوا ... له بعد تكذيب وطُول بُعَادِ
كما قال للرهط الذين تَهوَّدُوا ... وَجَاهدهم فى الله كُلَّ جهادِ
فقال ولم يملك له النُّصْحَ : رُدُّهُ ... فَإن لَه أرصاد كل مُضادِ
فَإنى أَخافُ الحاسِدين وَإنه ... أَخو الكتب مكتوب بكل مِدَادِ

* محمد ﷺ يشب على مكارم الأخلاق :

حدثنا أحمد قال : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : فشب رسول الله ﷺ يكلؤه الله ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية ومعائبها لما يريد به من كرامته ، ورسالته ، وهو على دين قومه ، حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مُروءة ، وأحسنهم خَلقًا ، وأكرمهم مخالطة ، وأحسنهم جوارًا ، وأعظمهم خُلُقًا وأصدقهم حديثًا ، وأعظمهم أمانة ، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التى تدنس الرجال تنزهًا وتكرمًا ، حتى ما اسمه فى قومه إلاَّ الأمين ، لما جمع الله عز وجل فيه من الأمور الصالحة ، وكان رسول الله ﷺ ، فيما ذكر لى ، يُـــحدث عما كان يحفظه الله عز وجل فى صِغره وأمر جاهليته .

* * *

* **رسول الله ﷺ يحدِّث عن حفظ الله له :**

حدثنا أحمد : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : فحدثنى والدى إسحاق بن يَسَار عمن حدَّثه عن رسول الله ﷺ أنه قال فيما يَذكر من حفظ الله عز وجل إياه : إنى لمع غلمان هم أسنانى (١) قد جعلنا أزرنا على أعناقنا لحجارة ننقلها نلعب بها إذ لكمنى لاكم لكمة شديدة ثم قال : اشدد عليك إزارك (٢) .

حدثنا أحمد قال : نا يُونُس عن عَمرو بن ثَابت عن سِماك بن حرب عن عِكْرِمة عن ابن عباس قال : حدثنى أبى العباس بن عبد المطلب قال : كنا ننقل الحجارة حين بنت قريش البيت ، فأفردت قريش رجلين رجلين ، وكان النساء ينقلن الشيد ، وكان الرجال ينقلون الحجارة ، فكنت أنقل أنا وابن أخى ، فكنا نحمل على رقابنا وأزرنا تحت الحجارة ، فإذا غشينا الناس اتزرنا ، فبينا أنا أمشى ومحمد ﷺ قدامى ليس عليه شىء ، إذ خرَّ محمد فانبطح ، فألقيت حجرى وجئت أسعى وهو ينظر إلى السماء فوقه ، فقلت ما شأنك ؟ فقام فأخذ إزاره ونهانى أمشى عُرْيانًا ، فلبثت أكتمها الناس مخافة أن يقولوا مجنون ، حتى أظهر الله عز وجل نبوته .

حدثنا أحمد قال : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : حدثنى محمد بن عبد الله ابن قَيس بن مَخْرَمة عن الحسن بن محمد بن على بن أبى طالب عن أبيه عن جده على بن أبى طالب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما هَممت بشىء مما كان أهل الجاهلية يهمون به من النساء إلا ليلتين كلتاهما عصمنى الله عز وجل فيهما : قلت ليلة لبعض فتيان مكة ونحن فى رعاية غنم أهلنا ، فقلت لصاحبى : أتبصر لى غنمى حتى أدخل مكة فأسمر فيها كما يسمر الفتيان ؟ فقال بلى ، قال : فدخلت

(١) أى سنهم واحدة أو متقاربة .

(٢) هذه القصة وردت فى الحديث الصحيح فى بنيان الكعبة ، وكان ﷺ ينقل الحجارة مع قومه إليها ، وكانوا يجعلون أزرهم على عواتقهم لتقيهم الحجارة وكان ﷺ يحملها على عاتقه ، وإزاره مشدود به ، فقال له العباس رضي الله عنه : يا ابن أخى لو جعلت إزارك على عاتقك ففعل فسقط مغشيا عليه ، ثم قال : إزارى إزارى فشد عليه إزاره وقام يحمل الحجارة ، وفى حديث آخر ، أنه لما سقط ضمه العباس إلى نفسه ، وسأله عن شأنه فأخبره أنه نودى من السماء : أن اشدد عليك إزارك يا محمد ، قال : وإنه لأول ما نودى .

انظر السيرة النبوية لابن هشام تحقيق طه عبد الرءوف سعد ط . دار الجيل ١ / ٣٢٣ .

حتى إذا جئت أول دار من دور مكة سمعت عزفًا بالغرابيل والمزامير ، فقلت : ما هذا ؟ فقيل : تزوج فلان فلانة، فجلست أنظر ، وضرب الله عز وجل على أذنى ، فوالله ما أيقظنى إلاَّ مسُّ الشمس ، فرجعت إلى صاحبى ، فقال : ما فعلت ؟ فقلت : ما فعلت شيئًا ثم أخبرته بالذى رأيت ، ثم قلت له ليلة أخرى : أبصر لى غنمى حتى أسمر بمكة ، ففعل ، فدخلت ، فلما جئت مكة سمعت مثل الذى سمعت تلك الليلة ، فسألت فقيل : فلان نكح[1] فلانة فجلست أنظر ، وضرب الله عز وجل على أذنى ، فوالله ما أيقظنى إلاَّ مس الشمس ، فرجعت إلى صاحبى فقال : ما فعلت ؟ فقلت : لا شىء ، ثم أخبرته الخبر ، فوالله ما هممت ولا عدت بعدهما لشىء من ذلك حتى أكرمنى الله عز وجل بنبوته .

* * *

(١) نكح عقَد عقْد الزواج .

حَديثُ خَديجةَ ابنَة خُوَيْلد (١)

* خروجه ﷺ إلى التجارة بمال خديجة :

حدثنا أحمد : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : وكانت خديجة ابنة خُويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال فى مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم منه ، وكانت قريش قومًا تجارًا ، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه ، وعظم أمانته ، وكرم أخلاقه ، بعثت إليه ، فعرضت عليه أن يخرج فى مالها تاجرًا إلى الشام ، وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار مع غلام لها يقال له ميسرة ، فقبله منها رسول الله ﷺ ، وخرج فى مالها ذلك ، ومعه غلامها مَيْسَرة ، حتى قدم الشام ، فنزل رسول الله ﷺ فى ظل شجرة قريبًا من صومعة راهب من الرهبان ، فاطلع الراهب على ميسرة ، فقال : من هذا الرجل الذى نزل تحت هذه الشجرة ؟ فقال له مَيْسَرة : هذا رجل من قريش من أهل الحرم ، فقال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبى .

ثم باع رسول الله ﷺ سلعته التى خرج بها ، واشترى ما أراد أن يشترىَ ثم أقبل قافلاً إلى مكة ومعه ميسرة ، فكان ميسرة فيما يزعمون ، إذا كانت الهاجرة ، واشتد الحر يرى ملكين يظلانه من الشمس (٢) ، وهو يسير على بعيره ، فلما قدم مكة على خديجة بمالها ، باعت ما جاء به ، فأضعف ، أو قريبًا ، وحدثها ميسرة عن قول الراهب ، وعما كان يرى من إظلال الملكين إياه ، وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة ، مع ما أراد الله عز وجل بها من كرامته .

* خديجة ترغب فى الزواج منه :

فلما أخبرها ميسرة عما أخبرها به بعثت إلى رسول الله ﷺ ، فقالت له ،

---

(١) خديجة بنت خويلد تسمى الطاهرة فى الجاهلية والإسلام وفى سير التيمى : أنها كانت تسمى : سيدة نساء قريش ، وكانت متزوجة قبل رسول الله ﷺ من هند بن زرارة ، وكانت قبله متزوجة عتيق بن عائذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، وولدت له عبد مناف بن عتيق ، ولخديجة من هند ابنان اسم أحدهما الطاهر : والآخر : هالة . انظر الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية للإمام الترمذى تحقيق طه عبد الرءوف سعد .

(٢) أى يظلان رسول الله ﷺ .

فيما يزعمون - يا ابن عم إنى قد رغبت فيك لقرابتك منى ، وشرفك فى قومك ، وسِطتك [١] فيهم ، وأمانتك عندهم ، وحُسن خُلقك ، وصدق حديثك ، ثم عرضت عليه نفسها ، وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسبًا ، وأعظمهم شرفًا ، وأكثرهم مالا ، كل قومها قد كان حريصًا على ذلك منها لو يقدر على ذلك .

* **نسب خديجة رضي الله عنها :**

وهى خديجة ابنة خُويلد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصى بن كلاب بن مُرَّة بن كَعب بن لُؤى بن غَالب بن فِهر بن مَالك بن النَّضر بن كنانة ، وأمها فاطمة ابنة زيد ابن الأصم بن رَوَاحَة بن حَجَر بن عبد بن مَعيص بن عامر بن لُؤى ، وأمها هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن عبد بن مَنقذ بن عَمرو بن مَعيص بن عامر بن لُؤى ، وأمها فلانة ابنة سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هَصيص بن كعب بن لُؤى ، وأمها عَاتكة ابنة عبد العُزى بن قُصى ، وأمها رَيْطة ابنة كعب بن سعد بن تيم بن مُرة بن كَعَب بن لُؤى ، وأمها قيلة ابنة حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى وأمها أُميمة ابنة عامر بن الحارث بن فهر ، وأمها ابنة سعد بن كَعب بن عمرو ، من خُزاعة ، وأمها فلانة ابنة حرب بن الحارث بن فِهر ، وأمها سلمى بنت غالب بن فهر ، وأمها ابنة محارب بن فهر .

* **الرسول ﷺ يتزوج من خديجة بعد استشارة أعمامه :**

حدثنا أحمد قال : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فلما قالت لرسول الله ﷺ ما قالت ، ذكر ذلك لأعمامه ، فخرج معه منهم حمزة بن عبد المطلب حتى دخل على أسد بن أسد ، فخطبها إليه فتزوجها رسول الله ﷺ [٢] .

* **أولاده ﷺ من خديجة :**

فولدت له قبل أن ينزل عليه الوحى ولده كلهم : زينب ، وأم كلثوم ، ورقية ، وفاطمة ، والقاسم ، والطاهر ، والطيب ، فأما القاسم ، والطاهر والطيب فهلكوا قبل الإسلام وبالقاسم كان يكنى ﷺ ، فأما بناته فأدركن الإسلام ، وهاجرن معه ، واتبعنه ، وآمن به عليه الصلاة والسلام .

* * *

(١) أى علو شأنك ونسبك ، فالسِّطة من الوسط ، مصدر كالعدة والزِّنة والوسط من أوصاف المدح والتفضيل فى مقامين : ذكر النسب ، وذكر الشهادة ، وهنا ذكر النسب .

(٢) قيل كان سنُّه ﷺ إحدى وعشرين ، وقيل ثلاثين وقيل خمسا وعشرين .

قصّة الأَحْبَار

حدثنا أحمد قال : نا يُونُس عن ابن إسحاقَ قال : وكانت الأَحبارُ والرهبانُ أهل الكتابين هم أعلم برسول الله ﷺ قبل مبعثه وزمانه الذى يترقب فيه من العرب ، لما يجدون فى كتبهم من صفاته ، وما أثبت فيها عندهم من اسمه ، وبما أخذ عليهم من الميثاق له فى عهد أنبيائهم وكتبهم فى اتباعه ، فيستفتحون به على أهل الأوثان من أهل الشرك ، ويخبرونهم أن نبيًّا مبعوثًا بدين إبراهيم اسمه أحمد ، كذلك يجدونه فى كتبهم وعهد أنبيائهم ، يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ **الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبًا عندهم** ﴾ إلى قوله : ﴿ **أولئك هم المفلحون** ﴾ (١) وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ **وإذ قال عيسى ابن مريم يا بنى إسرائيل** ﴾ (٢) الآية كلها ، وقال : ﴿ **محمد رسول الله والذين معه** ﴾ (٣) الآية كلها ، وقوله : ﴿ **وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا** ﴾ إلى قوله : ﴿ **فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين** ﴾ (٤) .

حدثنا أحمد قال : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : وكانت العرب أميين لا يدرسون كتابًا ، ولا يعرفون من الرسل عهدًا ، ولا يعرفون جنة ولا نارًا ، ولا بعثًا ولا قيامة إلا شيئًا يسمعونه من أهل الكتاب ، لا يثبت فى صدورهم ، ولا يعملون به شيئًا من أعمالهم .

فكان فيما بلغنا من حديث الأحبار والرهبان عن رسول الله ﷺ قبل أن يبعثه الله عز وجل بزمان .

* **اليهود يُخبرون العرب بقرب زمان رسول الله ﷺ :**

حدثنا أحمد قال : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة قال حدثنى أشياخ منا قالوا : لم يكن أحد من العرب أعلم بشأن

(١) سورة الأعراف : الآية ١٥٧ .

(٢) سورة الصف : الآية ٦ .

(٣) سورة الفتح : الآية ٢٩ .

(٤) سورة البقرة : الآيات ٨٩ - ٩٠ .

رسول الله ﷺ منا ، وكان معنا يهود ، وكانوا أهل كتاب ، وكنا أصحاب وثن ، فكنا إذا بلغنا منهم ما يكرهون قالوا : إن نبيًّا مبعوثًا الآن قد أظل زمانه نتبعه ، فنقتلكم معه قتل عاد وإرم ، فلما بعث الله رسوله اتبعناه وكفروا به ، ففينا والله وفيهم أنزل الله عز وجل : ﴿ **وكانوا من قبل يستفتحون** (١) **على الذين كفروا فلما جاءهم** ﴾ (٢) الآية .

حدثنا أحمد قال : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : حدثنى صالح بن إبراهيم ابن عبد الرحمن بن عَوف عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زَرارة قال : حدثنى من شئت من رجال قومى عن حَسان بن ثابت قال : والله إنى لغلام يفعة ابن سبع سنين أو ابن ثمانى سنين أعقل كل ما سمعت إذ سمعت يهوديا وهو على أطمَة (٣) بيثرب ، يصرخ : يا معشر يهود ، فلما اجتمعوا إليه قالوا : ويلك مالك ؟ قال : طلع نجم أحمد ، الذى يبعث به ، الليلة .

حدثنا أحمد : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : حدثنى صالح بن إبراهيم عن محمود بن لبيد عن سَلمة بن سلامة بن وقْش قال : كان بين أبياتنا يهودى ، فخرج على نادى قومى بنى عبد الأشهل ذات غداة ، فذكر البعث والقيامة ، والجنة والنار ، والحساب والميزان ، فقال ذاك لأصحاب وثن لا يرون أن بعثًا كائن بعد الموت ، وذلك قبيل مبعث رسول الله ﷺ ، فقالوا : ويلك يا فلان ، وهذا كائن ، إن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار ، يجزون من أعمالهم ؟ قال : نعم والذى يُحلف به ، لوددت أن حظى من تلك النار ، أن توقدوا أعظم تَنُّورٍ فى داركم فتحمونه ، ثم تقذفونى فيه ، ثم تطينون على ، وإنى أنجو من النار غداً ، فقيل : يا فلان فما علامة ذلك ؟ قال : نبى يبعث من ناحية هذه البلاد ، وأشار بيده نحو مكة واليمن قالوا : فمتى نراه ؟ فومى بطرفه فرآنى وأنا مضطجع بفناء باب أهلى ، فقال - وأنا أحدث القوم - إن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه فما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله عز وجل رسوله ﷺ ، وإنه لحى بين أظهركم - فآمنا به ، وصدقناه ، وكفر به بغيًا وحسدا، فقلنا له: يا فلان ألست الذى قلت ما قلت ، وأخبرتنا ؟ قال : ليس به .

---

(١) يستفتحون : يستنصرون . (٢) سورة البقرة : الآية ٨٩ .

(٣) الأطمة : المكان العالى بالجبل .

* **يهودى يتسبب فى إسلام ثلاثة :**

حدثنا أحمد قال : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بنى قريظة قال : هل تدرى عما كان إسلام أُسيد وثعلبة ابنى سعية [(١)] وأسد بن عُبيد ، نفر من هُذَيل [(٢)] ، لم يكونوا من بنى قُريظة ولا النضير ، كانوا فوق ذلك ؟ فقلت : لا ، قال : فإنه قدم علينا رجل من الشام من يهود يقال له ابن الهيِّبان ، فأقام عندنا ، والله ما رأينا رجلا قط لا يصلى الخمس خيراً منه ، فقدم علينا قبل مبعث رسول الله ﷺ بسنين ، فكنا إذا قحطنا وقل علينا المطر نقول : يا ابن الهيبان اخرج فاستسق لنا ، فيقول لا والله حتى تقدموا أمام مخرجكم صدقة ، فنقول : كم ؟ فيقول : صاعًا من تمر ، أو مُدَّين من شعير ، فنخرجه ، ثم نخرج إلى ظاهر حرتنا ، ونحن معه فيستسقى ، فوالله ما يقوم من مجلسه حتى تمر الشعاب [(٣)] ، قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ، ولا ثلاثة فحضرته الوفاة ، فاجتمعنا إليه فقال : يا معشر يهود ما ترونه أخرجنى من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع ؟ قالوا : أنت أعلم ، قال : فإنما أخرجنى ، أتوقع خروج نبى قد أظل زمانه ، هذه البلاد مهاجره فأتبعه ، فلا تُسبقن إليه إذا خرج يا معشر يهود ، فإنه يبعث بسفك الدماء وسبى الذرارى والنساء ممن خالفه ، فلا يمنعكم ذلك منه ، ثم مات ؛ فلما كانت الليلة التى فتحت فيها قريظة ، قال أولئك الفتية الثلاثة ، وكانوا شبابًا أحداثًا : يا معشر يهود والله إنه الذى كان ذكر ابن الهيبان ، فقالوا : ما هو به ، قالوا : بلى والله إنه لصفته ، ثم نزلوا فأسلموا ، وأحرزوا أموالهم وأولادهم وأهاليهم [(٤)] .

---

(١) روى إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف المدينى عن ابن إسحاق : أسيد بضم الألف ، وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق : وهو قول الواقدى وغيره : أسيد بفتحها ، قال الدارقطنى ، وهذا هو الصواب ولا يصح ما قاله إبراهيم عن ابن إسحاق ، وبنو سعية فيهم أنزل الله عز وجل ﴿ من أهل الكتاب أمة قائمة ﴾ وسعيه أبوهم ، يقال له : ابن العريض انظر السيرة النبوية لابن هشام تحقيق طه عبد الرءوف سعد مكتبة الكليات الأزهرية ١ / ١٩٦ .

(٢) جاء فى سيرة ابن هشام « هدل » .

(٣) فى السيرة النبوية لابن هشام « حتى تمر السحابة ونسقى » انظر السيرة النبوية ط دار المنار ١ / ٢١٩ .

(٤) قال ابن إسحاق : فهذا ما بلغنا عن أخبار يهود .

نا أحمد : قال : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : كانت أموالهم فى الحصن مع المشركين ، فلما فتح رد ذلك عليهم ·

نا أحمد : نا يُونُس عن قيس بن الربيع عن يونس بن أبى مسلم عن عكرمة أن ناسًا من أهل الكتاب آمنوا برسلهم ، وصدقوهم ، وآمنوا بمحمد ﷺ قبل أن يبعث ، فلما بعث كفروا به ، فذلك قوله تبارك وتعالى : ﴿ **فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم** ﴾ [1] وكان قوم من أهل الكتاب آمنوا برسلهم وبمحمد ﷺ قبل أن يبعث ، فلما بعث محمد آمنوا به فذلك قوله : ﴿ **والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم** ﴾ [2] .

* * *

(١) سورة آل عمران : الآية ١٠٦ ·

(٢) سورة محمد ﷺ : الآية ١٧ ·

إسْلاَمُ سَلْمَانَ الفَارِسىِّ
رَحِمَهُ اللهُ ورضى عنه

*** سلمان رضي الله عنه يتشوف إلى النصرانية بعد المجوسية :**

نا أحمد قال : نا يُونسُ بن بُكير عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن عبد الله بن عباس قال : حدثنى سلمان الفارسى قال : كنت رجلا من أهل فارس من أهل أَصْبهان [١] من قرية يقال لها جَيٌّ ، وكان أبى دهقان أرضه ، وكان يحبنى حبًّا شديداً ، لم يحبه شيئًا من ماله ولا ولده ، فما زال به حُبه إياى حتى حبسنى فى البيت كما يحبس الجارية ، واجتهدت فى المجوسية حتى كنت قَطِن النار [٢] التى يوقدها لا يتركها تخبو ساعة ، فكنت كذلك لا أعلم من أمر الناس شيئًا إلا ما أنا فيه حتى بنى أبى بنيانًا له ، وكانت له ضيعة فيها بعض العمل ، فدعانى فقال : أى بنى إنه قد شغلنى ما ترى من بنيانى عن ضيعتى هذه ، ولا بد لى من اطلاعها ، فانطلق إليهم فمرهم بكذا وكذا ولا تحتبس عنى فإنك إن احتبست عنى شغلتنى عن كل شىء ، فخرجت أريد ضيعته ، فمررت بكنيسة النصارى ، فسمعت أصواتهم فيها ، فقلت : ما هذا ؟ فقالوا : هؤلاء النصارى يصلون ، فدخلت أنظر فأعجبنى ما رأيت من حالهم ، فوالله ما زلت جالسًا عندهم حتى غربت الشمس ، وبعث أبى في طلبي فى كل وجه حتى جئته حين أمسيت ، ولم أذهب إلى ضيعته ، فقال : أى بُنى أين كنت ، ألم أكن قلت لك ؟! فقلت يا أبتاه مررت بأناس يقال لهم (النصارى) فأعجبنى صلاتهم ودعاؤهم ، فجلست أنظر كيف يفعلون ، فقال : أى بُنى دينك ودين آبائك خير من دينهم ، فقلت : لا والله ما هو بخير من دينهم ، هؤلاء قوم يعبدون الله ويدعونه ويصلون له ، ونحن إنما نعبد نارًا نوقدها بأيدينا ، إذا تركناها ماتت ، فخافنى ، فجعل فى رجلى حديدًا وحبسنى فى بيت عنده .

(١) إصبهان : هكذا قيده البكرى فى كتاب المعجم بالكسر فى الهمزة ، وإصبه بالعربية : فرس ، وقيل : هو العسكر ، فمعنى الكلمة : موضع العسكر أو الخيل أو نحو هذا .

(٢) أى خادمها والقائم بشئونها .

* سلمان يهرب إلى الشام :

فبعثت إلى النصارى فقلت لهم : أين أهل هذا الدين الذى أراكم عليه ؟ فقالوا : بالشام ، فقلت : فإذا قدم عليكم من هناك أناس فآذنونى ، فقالوا : نفعل ، فقدم عليهم ناس من تجارهم ، فبعثوا إلى : إنه قد قدم علينا تجار من تجارنا ، فبعثت إليهم إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الخروج فآذنونى بهم ، قالوا : نفعل ، فلما قضوا حوائجهم ، وأرادوا الرحيل بعثوا إلى بذلك ، فطرحت الحديد الذى فى رجلى ، ولحقت بهم ، فانطلقت معهم حتى قدمت الشام فلما قدمتها ، قلت : من أفضل أهل هذا الدين ؟ قالوا : الأسقف صاحب الكنيسة .

* سلمان مع أسقف النصارى السيئ :

فجئته فقلت له : إنى قد أحببت أن أكون معك فى كنيستك ، وأعبد الله فيها معك ، وأتعلم منك الخير ؟ قال : فكن معى ، فكنت معه ، وكان رجل سوء ، كان يأمرهم بالصدقة ويرغِّبهم فيها ، فإذا جمعوها إليه اكتنزها ولم يعطها المساكين ، فأبغضته بغضًا شديدًا لما رأيت من حاله ، فلم ينشب أن مات ، فلما جاءوا ليدفنوه ، قلت لهم : إن هذا رجل سوء ، كان يأمركم بالصدقة ، ويرغبكم فيها ، حتى إذا جمعتموها إليه اكتنزها ولم يعطها المساكين ، فقالوا : وما علامة ذلك ؟ فقلت : أنا أخرج لكم كنزه ، فقالوا : فهاته فأخرجت لهم سبع قلال مملوءة ذهبًا وورِقًا [١] ، فلما رأوا ذلك ، قالوا : والله لا يدفن أبدًا فصلبوه على خشبة ،ورموه بالحجارة ، وجاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه .

* سلمان مع أسقف النصارى الصالح :

فلا والله يا بن عباس [٢] ما رأيت رجلا قط لا يصلى الخمس أرى أنه أفضل منه ، أشد اجتهادًا ، ولا أزهد فى الدنيا ، ولا أدأب ليلاً ولا نهارًا ، ما أعلمنى أحببت شيئًا قط قبله حبه ، فلم أزل معه حتى حضرته الوفاة ، فقلت : يا فُلان قد حضرك ما ترى من أمر الله عز وجل وإنى والله ما أحببت شيئًا قط حبك ، فماذا تأمرنى ، وإلى من توصينى ؟ قال : أى بنى والله ما أعلمه إلا رجلاً بالموصل ، فأته فإنك ستجده على مثل حالى .

---

(١) الورق : الفضة .

(٢) يظهر هنا من خلال السياق أن سلمان ﷺ كان يتحدث ويحكى لعبد الله بن عباس ﷺ ، وهو آخر راو فى هذا السند .

* سلمان يلحق بأسقف الموصل :

فلما مات وغيب ، لحقت بالموصل ، فأتيت صاحبها ، فوجدته على مثل حاله من الاجتهاد والزهادة فى الدنيا ، فقلت له : إن فلانًا أوصانى إليك أن آتيك ، وأكون معك ، قال : فأقم أى بنى فأقمت عنده على مثل أمر صاحبه حتى حضرته الوفاة ، فقلت له : إن فلانا أوصانى إليك ، وقد حضرك من أمر الله ما ترى ، فإلى من ؟ قال : والله ما أعلمه أى بنى إلا رجلا بنصيبين هو علــى مثل ما نحن عليه ، فالحق به .

* سلمان يلحق بأسقف نصيبين :

فلما دفناه لحقت بالآخر [١] فقلت له : يا فلان إن فلانا أوصانى إلى فلان وفلان أوصانى إليك ، قال : فأقم أى بنى ، فأقمت عنده على مثل حالهم حتى حضرته الوفاة ، فقلت له : يا فلان إنه قد حضرك من أمر الله ما ترى ، وقد كان فلان أوصانى إلى فلان وأوصــانى فلان إلى فلان ، وأوصانى فلان إليك ، فإلي من ؟ قال : أى بنى والله ما أعلم أحدًا على مثل ما نحن عليه إلا رجلا بعمورية من أرض الروم فأته فإنك ستجده على مثل ما كنا عليه .

* سلمان يلحق بصاحب عمورية :

فلما واريته خرجت حتى قدمت على صاحب عمورية [٢] فوجدته على مثل حالهم ، فأقمت عنده ، واكتســبت حتى كانت لى غنيـمة وبقرات ، ثم حضرته الوفاة ، فقلت : يا فلان إن فلانًا كان أوصانى إلى فلان ، وفلان إلى فلان وفلان إليك ، وقد حضرك من أمر الله ما ترى ، فإلى من توصينى ؟ قال : أى بنى والله ما أعلمه بقى أحد على مثل ما كنا عليه آمرك أن تأتيه ، ولكنه قد أظلك زمان نبى يبعث من الحرم ، مهاجره بين حرتين إلى أرض سبخة ذات نخل ، وإن فيه علامات لا تخفى ، بين كتفيه خاتم النبوة ، يأكل الهدية ، ولا يأكل الصدقة ، فإن استطعت أن تخلص إلى تلك البلاد فافعل فإنه قد أظلك زمانه ، فلما واريناه أقمت على خير ، حتى مر بى رجال من تجار العرب ، من كلب ، فقلت لهم تحملوني معكم حتى تقدمونى أرض العرب وأعطيكم غنيمتى هذه وبقراتى ؟ قالوا : نعم .

(١) يقصد أسقف نصيبين ، ونصيبين مدينة بين الموصل والشام كانت مشهورة بكثرة البساتين .

(٢) هى مدينة ببلاد الروم فتحها الخليفة العباسى المعتصم بالله ، وقال فيها الشاعر أبو تمام قصيدة بعنوان « فتح عمورية » ، مطلعها : * السيف أصدق أنباء من الكتب * .

* سلمان يذهب إلى وادى القرى :

فأعطيتهم إياها وحملونى حتى إذا جاءوا بى وادى القرى ظلمونى فباعونى عبداً من رجل من يهود بوادى القرى ، فوالله لقد رأيت النخل وطمعت أن يكون البلد الذى نعت لى صاحبى ، وما حقت عندى حتى قدم رجل من بنى قريظة من يهود وادى القرى ، فابتاعنى من صاحبى الذى كنت عنده .

* سلمان يذهب إلى المدينة ويسمع بهجرة النبى ﷺ :

فخرج بى حتى قدم المدينة فوالله ما هو إلا أن رأيتها ، فعرفت نعته ، فأقمت فى رقى مع صاحبى ، وبعث الله عز وجل رسول الله ﷺ بمكة ، لا يذكر لى شيء من أمره مما أنا فيه من الرق حتى قدم رسول الله ﷺ قباء [(١)] ، وأنا أعمل لصاحبى فى نخلة له ، فوالله إنى لفيها إذ جاء ابن عم له ، فقال : فلان ، قاتل الله بنى قيلة [(٢)] ، والله إنهم الآن لفى قباء مجتمعون على رجل جاء من مكة يزعمون أنه نبى ، فوالله ما هو إلا أن سمعتها ، فأخذنى العرواء - يقول الرعدة ، حتى ظننت لأسقطن على صاحبى ، ونزلت أقول ما هذا الخبر ، ما هو ؟ فرفع مولاى يده فلكمنى لكمة شديدة وقال : ما لك ولهذا ، أقبل على عملك ، فقلت : لا شيء إنما سمعت خبراً ، فأحببت أعلمه .

* سلمان يستوثق من رسالة محمد ﷺ :

فلما أمسيت وكان عندى شيء من طعام ، فحملته وذهبت إلى رسول الله ﷺ ، وهو بقباء ، فقلت : إنى بلغنى أنك رجل صالح ، وأن معك أصحاباً لك غرباء ، وقد كان عندى شيء للصدقة فرأيتكم أحق من بهذه البلاد به ، فها هو هذا فكل منه ، فأمسك رسول الله ﷺ يده وقال لأصحابه : كلوا ولم يأكل فقلت فى نفسى : هذه خلة مما وصف لى صاحبى ، ثم رجعت ، وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة ، فجمعت شيئًا كان عندى ، ثم جئته به ، فقلت : إني رأيتك لا تأكل الصدقة ، وهذه هدية وكرامة ليست بالصدقة ، فأكل رسول الله ﷺ ، وأكل أصحابه ، فقلت هذه خلتان ، ثم جئت رسول الله ﷺ وهو يتبع جنازة ، وعلى شملتان لى وهو فى أصحابه ، فاستدرت به لأنظر إلى الخاتم فى ظهره ، فلما رآنى

---

(١) قُباء : بالضم ، وهو اسم بئر فسمى المكان كله به وعرف به ، وهى قرية صغيرة وقد قدمها النبى ﷺ فى الهجرة وصلى فيها وبنى فيها مسجداً سمى مسجد قباء معروف حتى الآن وهو أول مسجد بنى فى الإسلام ، وتقع قباء على بعد ميلين من المدينة المنورة .

(٢) بنو قيلة : أى الأوس والخزرج ، وقيلة هى قيلة بنت كاهل بن عذرة بن سعد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة أم الأوس والخزرج .

رسول الله ﷺ استدبر عرف أنى أستثبت من شىء قد وُصف لى ، فوضع رداءه عن ظهره ، فنظرت إلى الخاتم بين كتفيه كما وصف لى صاحبى ، فأكببت عليه أقبِّله ، وأبكى ، فقال : تحول يا سَلْمان هكذا ، فتحولت فجلست بين يديه ، وأحب أن يُسمع أصحابه حديثى عنه ، فحدثته يا ابن عباس كما حدثتك .

* سلمان يتحرر من الرق بمساعدة الرسول ﷺ :

فلما فرغت قال رسول الله ﷺ : كاتب يا سلمان ، فكاتبت صاحبى على ثلاثمائة نخلة أحييها له ، وأربعين أوقية ، فأعاننى أصحاب رسول الله ﷺ بالنخل ثلاثين ودية عشر ، كل رجل منهم على قدر ما عنده ، فقال لى رسول الله ﷺ : فقِّر لها فإذا فرغت فآذنى حتى أكون أنا الذى أضعها بيدى ، ففقرتها وأعاننى أصحابي - يقول حفرت لها حيث توضع ، حتى فرغنا منها ، ثم جئت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله قد فرغنا منها ، فخرج معى حتى جاءها ، فكنا نحمل إليه الودى فيضعه بيده ، ويسوى عليه ، فوالذى بعثه بالحق ما ماتت منها ودية واحدة (١) .

وبقيت علىَّ الدراهم ، فأتاه رجل من بعض المعادن بمثل البيضة من الذهب فقال رسول الله ﷺ : أين الفارسى المسلم المكاتب ؟ فدعيت له ، فقال : خذ هذه يا سلمان فأد بها ما عليك ، فوالذى نفس سلمان بيده لوزنت لهم منها أربعين أوقية ، فأديتها إليهم ، وعتق سلمان - وكان الرق قد حبسنى حتى فاتتنى مع رسول الله ﷺ بدر وأُحد ، ثم عتقت فشهدت الخندق ، ثم لم يفتنى معه مشهد .

* حديث سلمان مع صاحب عموريه :

نا أحمد : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : حدثنى عاصم بن عمر بن قَتادة قال : حدثنى من سمع عمر بن عبد العزيز ، وحدث هذا من حديث سَلْمان ، فقال : حدثت عن سلمان أن صاحب عَمُورية قال لسلمان ، حين حضرته الوفاة : ائت غَيضتين من أرض الشام فإن رجلاً يخرج من إحداهما إلى الأخرى فى كل سنة ليلة . يعترضه ذوو الأسقام ، فلا يدعو لأحد به مرض إلا شُفِى ، فسله عن هذا الدين الذى تسلني عنه ، عن الحنيفية دين إبراهيم ، فخرجت حتى أقمت بها سنة ، حتى خرج تلك الليلة من إحدى الغيضتين إلى الأخرى ، وإنما كان يخرج مستجيزاً ، فخرج وغلبنى عليه الناس حتى دخل فى الغيضة التى يدخل فيها حتى ما بقى إلا

---

(١) ورد أن سلمان غرس بيده ودية واحدة ، وغرس رسول الله ﷺ سائرها فعاشت كلها إلاَّ التى غرس سلمان .

منكبه ، فأخذت به فقلت : رحمك الله أخبرنى عن الحنيفية دين إبراهيم ؟ فقال : إنك لتسأل عن شىء ما يسأل عنه الناس اليوم ، قد أظلك زمان نبى يخرج عند هذا البيت ، بهذا الحرم ، يُبعث بسفك الدم(١) ، فلما ذكر ذلك سلمان لرسول الله ﷺ قال : لئن كنت صدقت يا سَلْمان لقد رأيت عيسى ابن مريم عليه السلام .

حدثنا أحمد قال : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى يزيد بن أبى حبيب عن رجل من عبد القيس عن سلمان قال : لما أعطانى رسول الله ﷺ ذلك الذهب فقال : اقض به عنك ، فقلت يا رسول الله ، وأين تقع هذه مما علىَّ ؟ فقلبها رسول الله ﷺ على لسانه ، ثم قذفها إلىَّ ، ثم قال : انطلق بها فإن الله عز وجل سيؤدى بها عنك ، فانطلقت فوزنت لهم منها حتى أوفيتهم منها أربعين أوقية .

حدثنا أحمد قال : نا يونس عن أبى ليلى قال : نا عتَّاب البكرى قال : كنا نجالس أبا سَعيد الخُدْرى فيبسط له على بابه بساط ثم يجعل عليه وسادة ويتكىء على الوسادة ونحن حوله نحدق به ، فسألته عن الخاتم الذى كان بين كتفى رسول الله ﷺ ما كان ؟ قال فأشار أبو سعيد بالسبَّابة (٢) ووضع الإبهام (٣) على أول مفصل أسفل من ذلك . قال يونس : أخرج المفصل كله ، قال : كانت بضعة ناشزة بين كتفى رسول الله ﷺ .

نا أحمد : نا يونس قال : قال ابن إسحاق : وكانت قريش يعظمون الكعبة ويطوفون بها ويستغفرون عندها مع تعظيم الأوثان والشرك فى ذبائحهم ، ويحجون ، ويقفون المواقف .

* * *

(١) لمن يستحق أن يسفك دمه فإنه بعث رحمة للعالمين لا يسفك دم إلا زاهق النفس التى حرم الله أو الزانى المحصن أو التارك لدينه المفارق الجماعة .

(٢) السبابة : هو الأصبع التى نشير به فى التشهد فى الصلاة دليلا على الوحدانية .

(٣) الإبهام : هو الأصبع الكبير من أصابع اليد وهو ملاصق للسبابة .

أثر الكعبة

* آدم وبناء الكعبة :

نا أحمد : نا يونس عن سعيد بن مَيْسَرة البكْرى قال : حدثنى أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : كان موضع البيت فى زمن آدم شبرا أو أكثر ، فكانت الملائكة تحج إليه قبل آدم ، ثم حج آدم فاستقبلته الملائكة ، فقالوا : يا آدم من أين جئت ؟ قال حججت البيت ، قالوا : قد حجته الملائكة قبلك .

نا أحمد نا يونس عن ثابت بن دينار عن عطاء قال : أُهبط آدم بالهند ، فقال : يا رب مالى لا أسمع صوت الملائكة كما كنت أسمعها فى الجنة ؟ فقال له : بخطيئتك يا آدم ، فانطلق فابن لى بيتًا فتطوف به كما رأيتهم يتطوفون ، فانطلق حتى أتى مكة فبنَى البيت ، فكان موضع قَدَمَىْ آدم قُرًى وأنهار وعمارة ، وما بين خطاه مفاوز ، فحج آدم البيت من الهند أربعين سنة (١) .

نا أحمد : نا يونس عن يحيى بن سلمة بن كهيل عن أبيه عن مجاهد قال : لما قيل لإبراهيم : ﴿ **وأذِّن فى الناس بالحج** ﴾(٢) قال يا رب كيف أقول ؟ قال : قل يا أيها الناس أجيبوا ربكم ، فصعد الجبل فنادى أيها الناس أجيبوا ربكم ، فأجابوه لبيك اللهم لبيك ، فكان هذا أول التلبية .

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى وهب بن سنان قال : سمعت عائذ بن عُمير الليثى يقول : لما أمر إبراهيم بدعاء الناس إلى الحج استقبل المشرق ، فدعا إلى الله عز وجل فأجيب لبيك لبيك ، ثم استقبل المغرب (٣) فدعا إلى الله عز وجل فأجيب : لبيك لبيك ، ثم استقبل الشام فدعا إلى الله عز وجل فأجيب لبيك لبيك ، ثم استقبل اليمن فدعا إلى الله عز وجل فأجيب لبيك لبيك .

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى ثقة من أهل المدينة عن عُروة

---

(١) ورد أيضًا عن عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء وابن المسيب وغيرهما أن الله عز وجل - أوحى إلى آدم : إذا هبطت ابن لى بيتًا ثم احفف به كما رأيت الملائكة تحف بعرشى الذى فى السماء . راجع تفسير القرطبى ١ / ٦١٣ ط دار الغد العربى .

(٢) سورة الحج : ٢٧ .   (٣) أى جهة الغرب .

ابن الزبير أنه قال : ما من نبى إلا وقد حج البيت ، إلا ما كان من هود وصالح ، ولقد حجه نوح ، فلما كان من الأرض ما كان من الغرق أصاب البيت ما أصاب الأرض ، فكان البيت قطعة حمراء ، فبعث الله تعالى هودًا ، فتشاغل بأمر قومه ، حتى قبضه الله عز وجل إليه ، فلم يحجه حتى مات ، ثم بعث الله تعالى صالحًا فتشاغل بأمر قومه ، فلم يحجه حتى مات ، فلما بوّأه [(١)] الله عز وجل لإبراهيم حجه ، ثم لم يبق نبى إلاّ حجه .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق عن عطاء بن أبى رباح عن كعب الحبر قال: شكت الكعبة إلى ربها عز وجل ، وبكت إليه فقالت : أى ربِّ ، قلَّ زوّارى وجَفَانى الناس ، فقال الله عز وجل لها : إنى مُحْدِثٌ لك إنجيلا [كذا] ، وجاعل لك زوّارًا يحنون إليك حَنين الحمامة إلى بيضاتها .

نا أحمد قال : حدثنى أبى قال : نا جرير بن عبد الحميد عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عَمرو قال: خُلِق البيت قبل الأرض بألفَى عام، ثم دُحِيت الأرض منه .

* إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يضعان الحجر :

نا أحمد : نا يونس عن الأسباط بن نصر الهمداني عن إسماعيل بن عبدالرحمن السدى قال : خرج آدم من الجنة معه حَجَر فى يده وورق فى الكف الأخرى ، فبث الورق بالهند فمنه ما ترون من الطيب ، وأما الحجر فكان ياقوتة بيضاء يستضاء بها ، فلما بنى [(٢)] إبراهيم البيت فبلغ موضع الحجر قال لإسماعيل : ائتنى بحجر من الجبل ، فقال : غير هذا ، فرده مرارًا لا يرضى بما يأتيه ، فذهب مرة ، وجاءه جبريل بالحجر من الهند الذى أُخرِج به آدم من الجنة فوضعه ، فلما جاءه إسماعيل قال : من جاءك بهذا ؟ قال : من هو أنشط منك [(٣)] .

---

(١) أعدَّه له ، وأنزله إياه .

(٢) اختُلف فيمن بنى البيت أولاً وأسسه ، فقيل : الملائكة ، ثم لما طرد آدم من الجنة ، أمر ببناء الكعبة فبناها فكان بناء آدم أولا ثم بناء إبراهيم حينما أمره الله أن يرفع قواعدها هو وابنه إسماعيل عليهما السلام . راجع كتب التفسير .

(٣) ورد أن جبل أبى قبيس نادى إبراهيم : يا خليل الرحمن إن لك عندى وديعة فخذها ، فإذا هو بحجر أبيض من ياقوت الجنة كان آدم قد نزل به من الجنة . انظر تفسير القرطبى ١ / ٦١٥ ط . دار الغد العربى .

* وَصْفُ الحجَر الأَسود :

نا أحمد : نا يونس عن السرى بن إسماعيل عن عامر عن عُمر بن الخطاب أنه قال : الحجر الأسود من أحجار الجنة أُهبط إلى الأرض وهو أشد بياضًا من الكُرْسف [١] ، فما اسود إلا من خطايا بنى آدم ، ولولا ذلك ما مسه أبكم ولا أصم ولا أعمى إلا برأ ·

نا أحمد : نا يونس عن عبد الرحمن بن عبد الله بن سَلمة بن كُهَيل عن رجل عن على أنه قال : السكينة لها وجه كوجه الإنسان وهى فى ذلك ريح هفافة ·

نا أحمد : نايونس عن إبراهيم بن إسماعيل عن يَزيد الرَّقاشى عن أبيه عن أبى موسى الأشعرى أن رسول الله ﷺ قال : لقد مر بالصخرة من الروحاء سبعون نبيًّا حفاة عليهم العبأ يؤمون بيت الله العتيق منهم موسى عليه السلام ·

نا أحمد : نا يونس عن سعيد بن ميسرة عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : كان الحجر من ياقوت الجنة فمسحه المشركون فاسود من مسحهم إياه ·

نا أحمد نا يونس عن وهب بن عقبة عن عطية العوفى عن ابن عباس قال : إن الحَجَر الأسود من حجارة الجنة ، كان أشد بياضًا من اللبن فاسود مما مسحه بنو آدم من ذنوبهم ·

نا أحمد نا يونس عن مَسْلَمة بن عبد الله القُرَشى عن عبد الكريم أبى أُمَيَّة قال : كان البيت ياقوتة من ياقوتات الجنة ، فلما كان زمن الطوفان رفع إلى السماء الدنيا ، فلو وقع الآن وقع على موضع البيت ، يطوف به كل ليلة سبعون ألف ملك ، واستودع جبريل أبا قُبَيْس [٢] الحجر ، وهو ياقوتة بيضاء من ياقوت الجنة ، فلما بنى إبراهيم البيت أتاه جبريل ، فأخرج له الحجر ، فوضعه فى قواعد البيت ؛ وهو يوم القيامة أعظم من أُحد له لسان يشهد به ·

* * *

(١) القطن الناصع البياض ·

(٢) أبا قبيس : هو اسم جبل خارج مكة المكرمة ·

* ما كان يقال عند الطواف فى الجاهلية :

نا أحمد : نا يونس عن عبد الرحمن بن عبد الله المسعودى عن سعيد بن أبى بُردة الأشعرى عن عبد الله بن عمر أنه قال لأبيه أبى بردة : أتدرى ما كان قومك يقولون فى الجاهلية إذا طافوا بالبيت ؟ قال : وما كانوا يقولون ؟ قال : كانوا يقولون :

اللَّهُمَّ هَذا وَاحِدٌ إنْ تَمَّا ... أَتَمَّهُ اللهُ وقَدْ أَتَمَّا
إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمَّا ... وأَىُّ عَبْدٍ لَكَ لاَ أَلَمَّا

نا أحمد نا يونس عن قَيس بن الربيع عن منصور عن مجاهد قال : كان أهل الجاهلية يقولون حين يطوفون بالبيت :

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِر جَمَّا ... وأَىُّ عَبْدٍ لك لا أَلَمَّا

نا أحمد نا يونس عن هشام بن عُروة عن أبيه قال : لم يكن أحد يطوف بالكعبة عليه ثياب إلا الحُمس [(١)] ، وكان بقية الناس الرجال والنساء يطوفون عراة ، إلا أن تحتسب عليهم الحمس ، فيعطون الرجل أو المرأة الثوب يلبسه .

نا أحمد : نا يونس عن أبى مَعْشر المدينى عن محمد بن قَيس قال : كان أهل الجاهلية من لم يكن من الحُمس ، فإن طابت نفسه أن يرمى بالثوب الذى عليه إلى الكعبة إذا طاف بالبيت أو وجد عارية من أهل مكة ، طاف فيه ، فإن لم تطب نفسه بالثوب الذى عليه ، ولم يجد عارية من أهل مكة طاف عريانا ، فقالوا : وجدنا آباءنا عليها ، والله أمرنا بها حتى بلغ ﴿ **خالصة يوم القيامة** ﴾ قال محمد بن قيس : هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا يشركهم فيها الكفار ، فإذا كان يوم القيامة خلص بها المؤمنون .

نا أحمد : نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : كانت قريش

---

(١) الحُمس : جمع أحمس وهو من الشدة والصلابة فى الدين وقد لقبت به قريش وكنانة وخزاعة وهم أهل الحرم ، وكانوا لا يعظمون شيئًا من الحل وتركوا الوقوف على عرفة والإفاضة منها إذ إنها من الحل أما المزدلفة فهى من الحرم .

ومن يدين دينها [١] ، وهم الحُمس ، يقضون عشية عرفة بالمزدلفة يقولون : نحن قطن [٢] البيت ، وكان بقية الناس ، والعرب يقفون بـــعرفات ، فأنزل الله تعالى : ﴿ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ﴾ [٣] فتقدموا فوقفوا مع الناس بعرفات .

* الرسول ﷺ يُخَالف الحُمس قبل الرسالة :

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى عبد الله بن أبى بكر عن عثمان ابن أبى سليمان عن نافع بن جُبير بن مُطعِم عن أبيه جُبير بن مُطعم قال : لقد رأيت رسول الله ﷺ ، وهو على دين قومه ، وهو يقف على بعير له بعرفات ، من بين قومه حتى يدفع معهم توفيقًا من الله عز وجل له .

* ما كان يفعله المشركون فى الجاهلية :

نا أحمد : نا يونس عن زكريا بن أبى زائدة عن أبى إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عمر قال : كان المشركون بجمع [٤] يقولون : أشرق ثبير [٥] كيما نغير ، قال : فكانوا لا يفيضون من جمع حتى تطلع الشمس ، فنهانا رسول الله ﷺ عن ذاك . قال زكريا : فنفر رسول الله ﷺ قبل أن تطلع الشمس .

نا أحمد : نا يونس عن يوسف بن ميمون عن الحسن قال : كان الناس فى الجاهلية إذا أتوا المعرف [٦] قام الرجل فوق جبل فـقال : أنا فلان ابن فلان ، فعلت كذا ، وفعل أبى كذا ، وفعل جدى كذا فأنزل الله عز وجل : ﴿ فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا ﴾ [٧] يقول : كما كنتم تذكرون آباءكم فى الجاهلية ، فقال رسول الله ﷺ حين نزلت هذه الآية : يا أيها الناس ، إن الله قد رفع عنكم هذه النخوة والتفاخر فى الآباء ، فنحن ولد آدم ، وخلق آدم من تراب ، وقال الله عز وجل : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ﴾ . إلى قوله تعالى : ﴿ أتقاكم ﴾ [٨] .

* أصل السعى بين الصفا والمروة وأول من سعى :

نا أحمد : نا يونس عن يوسف بن ميمون التميمى عن عطاء بن أبى رباح أن إنسانا سأله عن السعى بين الصفا والمروة فقال : إن هاجر لما وضعها إبراهيم هى وابنها

---

(١) أى من يتبعها ويوافقها وهم : كنانة وخزاعة .

(٢) بمعنى قطين : أى سكانه وأهله . (٣) سورة البقرة : ١٩٩ .

(٤) جمع : أى المزدلفة . (٥) ثبير : جبل مطل على مكة . (٦) أى : جبل عرفة .

(٧) سورة البقرة : الآية ٢٠٠ . (٨) سورة الحجرات : الآية ٦ .

إسماعيل أصابها عطش شديد حتى أُريت أن إسماعيل سيقتله العطش ، فلما خشيت ذلك منه ، وضعته فى موضع البيت ، وانطلقت حتى أتت الصفا ، فصعدت فوقه تنظر هل مات بعدُ أم لا ؟ فجعلت تدعو الله تعالى له ، ثم نزلت حتى أتت بطن الوادى فسعت فيه ثم خرجت تمشى حتى أتت المروة ، فصعدت فوقها تنظر هل مات بعد أم لا ؟ وكانا حجرين إلى البيت ، ففعلت ذلك سبع مرات ، فهذا أصل السعى بين الصفا والمروة .

نا أحمد : نا يونس عن هشام بن عُروة عن أبيه ، فى هذه الآية : ﴿ **إن الصفا والمروة من شعائر الله** ﴾ (١) الآية ، فقلت لعائشة : لو أن إنسانا حج فلم يطف بين الصفا والمروة ما ظننت أن عليه حرجًا ، قالت : فاتل على ، فتلوت عليها : ﴿ **فلا جناح عليه أن يطَّوف بهما** ﴾ فقالت : لو كان كما تقول كان : فلا جناح عليه ألا يطوف بهما ، وإنما نزلت هذه الآية فى أناس من قريش كانوا يحرمون لَمنَاة ولا يحل فى دينهم أن يطوفوا بين الصفا والمروة ، فلما أسلموا قالوا لرسول الله ﷺ « إنا كنا نحرم لمنَاة فلا يحل لنا فى ديننا أن نطوف بين الصفا والمروة » فأنزل الله عز وجل الآية : ﴿ **إن الصفا والمروة من شعائر الله** ﴾ فقالت عائشة : هما من شعائر الله ، فما أتم الله حج من لم يطف بهما .

* سبب رمى الجمار وأول من رمى :

نا أحمد : نا يونس عن يوسف بن ميمون عن عطاء بن أبى رباح أنه سئل عن رمى الجمار فقال : إن إبراهيم أتى البيت الحرام فصلى به ، ثم راح حتى أتى مِنًى فى بعض الليل فانطلق حتى أتى الشجرة فعرض (٢) لهِ الشيطان ، فرماه إبراهيم بسبعة أحجار ، يكبِّر مع كل حجر ، فذهب عنه ، ثم مضى حتى أتى مكان الجمرة التى يليها عرض له الشيطان ، فرماه بسبعة أحجار ، يكبر ، مع كل حجر فذهب عنه ، ثم مضى حتى موضع الجمرة الثالثة عرض له الشيطان ، فرماه بسبعة أحجار يكبر مع كل حجر ، فذهب عنه ، فلما بعث الله عز وجل نبيه ﷺ اقتص ما صنع إبراهيم فصنع مثله .

* * *

(١) سورة البقرة : الآية ١٥٨ .

(٢) عَرَض له : أى ظهر له وأشرف عليه، واعترض طريقه .

* **ما كان يفعله أهل الجاهلية عند الذبح :**

نا أحمد : نا يونس عن أبى بكر الهذلى قال : أنا الحسن قال : كان الناس فى الجاهلية إذا ذبحوا لطخوا بالدماء وجه الكعبة ، وشرَّحوا اللحوم فوضعوها على الحجارة ، وقالوا لا يحل لنا نأكل شيئًا جعلناه لله عز وجل حتى تأكله السِّباع والطير ، فلما جاء الإسلام جاء الناس رسول الله ﷺ فقالوا له : شيئًا كنا نصنعه فى الجاهلية ألا نصنعه الآن ، فإنما هو لله عز وجل ، فأنزل الله عز وجـل : ﴿ **فكلوا منها وأطعموا** ﴾ [١] فقال رسول الله ﷺ : « لا تفعلوا فإن ذلك ليس لله عز وجل » . قال الحسن : فلم يعزم عليهم الأكل ، فإن شئت فكُل وإن شئت فدع [٢] .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : سألت ابن أبى نَجيح عن قول رسول الله ﷺ « إن الزمان قد استدار حتى صار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض » فقال : كانت قريش يدخلون فى كل سنة شهرًا ، وإنما كانوا يوافقون ذا الحجة فى كل اثنتى عشرة سنة مرة ، فوفق الله تعالى لرسوله فى حجته التى حج ذا الحجة فحج رسول الله ﷺ فيها ، فقال رسول الله ﷺ : « إن الزمان قد استدار حتى صار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض» فقلت لابن أبى نَجيح : فكيف بحجة أبى بكر وعتَّاب بن أسيد ؟ فقال : على ما كان الناس يحجون عليه ، ثم فسر ابن أبى نَجيح فقال : كانوا يحجون فى ذى الحجة ثم العام المقبل فى المحرم ثم صفر حتى يبلغوا اثنى عشر شهرًا .

* **جبريل يعلِّم الخليل إبراهيم عليهما السلام مناسك الحج :**

حدثنا أحمد قال : نا يونس عن ابن أبى ليلى وابن أبى أنيسة عن عبد الله بن أبى مُليكة عن عبد الله بن عَمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال : « نزل جبريل على إبراهيم صلى الله عليهما ، فراح به فصلـى به الصلوات بها » ، قال يحيى : الظهر ، والعصر ، والمغرب ، والعشاء [٣] . ثم اجتمعا ، فبات به حتى صلى الفجر ثم سار به يوم عرفة حتى نزل به المنزل الذى ينزل الناس[٤] ، فصلى به الصـلاتين -

---

(١) سورة الحج : الآية ٣٦ .   (٢) أى اتركه للفقراء والمساكين .

(٣) أى يوم التروية وهو يوم الثامن من ذى الحجة .

(٤) أى المكان المعروف وهـــو الموقف من عرفة دون غيره لأن غربى عرفة مكان يسمى « بطن عرنة » وهو ليس بموقف وقد نهى النبى ﷺ عن الوقوف فيه فقال : « عرفه كلها موقف وارتفعوا » - أى ابتعدوا - عن بطن عرنة والله أعلم .

« قال يحيى : جميعًا » – ثم اجتمعا ، قال : فسار حتى وقف به فى الموقف حتى كان كأعجل ما يصلى أحد من المسلمين صلاة المغرب ، ثم أفاض حتى أتى به « جمعًا » فصلى به الصلاتين [١] ، قال يحيى : المغرب والعشاء جميعًا . قال : ثم بات بها [٢] حتى إذا كان كأعجل ما يصلى أحد من المسلمين صلاة الفجر أفاض به حتى أتى به الجمرة فرماها ، ثم ذبح وحلق ثم أتى به البيت فطاف به – قال ابن أبى ليلى : ثم رجع به إلى مِنى فأقام فيها تلك الأيام ، ثم أوحى الله عز وجل إلى محمد ﷺ أن اتبع ملة إبراهيم حنيفًا .

نا أحمد نا يونس عن زكريا بن أبى زَائدة عن أبى إسحاق عن زيد بن يُثَيْع عن على قال : بعثنى رسول الله ﷺ حين نزلت « براءة » [٣] ألاَّ يطوف بالبيت عُريان .

* قريش تبتدع الحُمس :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وكانت قريش – لا أدرى قبل بناء الكعبة أو بعده – ابتدعت رأى الحمس[٤] ، رأيا رأوه وأداروه بينهم ، فقالوا : نحن بنو إبراهيم وأهل الحرم ، وولاة البيت ، وقاطنو مكة وسكانها ، فليس لأحد من العرب مثل حقنا ، ولا مثل منزلتنا ، ولا يعرف له العرب مثل ما تعرف لنا ، فلا تعظموا شيئا من الحل كما تعظمون الحرم ، فإنكم إن فعلتم ذلك استخفت العرب حرمتكم ، وقالوا : قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم ، فتركوا الوقوف على عرفة والإفاضة منها ، وهم يقرون ويعرفون أنها من المشاعر [٥] والحج ودين إبراهيم عليه السلام ، فيرون لسائر العرب أن يقفوا عليها وأن يفيضوا منها ، إلا أنهم قالوا نحن أهل الحرم فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحرمة ولا نعظمن غيرها كما يعظمها الحمس ، والحمس أهل الحرم ، ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكنى الحل والحرم مثل الذى لهم بولادتهم إياهم ، يحل لهم ما يحل لهم ، ويحرم عليهم ما يحرم عليهم ، وكانت كنانة وخزاعة قد دخلوا معهم فى ذلك ، ثم ابتدعوا فى ذلك أمورًا لم تكن فقالوا : لا ينبغى للحُمس أن يأقطوا الأَقْط [٦] ، ولا يسلوا [٧]

---

(١) أى بالمزدلفة . (٢) أى : بالمزدلفة أيضا . (٣) سورة التوبة .

(٤) والتحمس التشدد ، وكانوا قد تعالوا على غيرهم ، وكانت نساؤهم لا ينسجن الشعر ولا الوبر . (٥) أى الشعائر . (٦) الأقط : الجبن المصنوع من لبن الغنم .

(٧) سلا السمن : أى طبخ الزبد حتى يصير سمنًا .

السمن وهم حرم ، ولا يدخلوا بيتًا من شعر ولا يستظلوا إلا فى بيوت الأدم [١] ما داموا حرامًا ، ثم رفعوا فى ذلك فقالوا : لا ينبغى لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم من الحل فى الحرم إذا جاءوا حجّاجًا أو عُمَّارًا ، ولا يطوفوا بالبيت إذا قدموا أول طوافهم إلا فى ثيــاب الحمس ، فإن لم يجدوا شيئًا منها طافوا بالبيت عراة ، فإن تكرم منهم متكرم من رجل أو امرأة لم يجد ثوبًا من ثياب الحمس ، فطاف فى ثيابه التى جاء بها من الحل ، ألقاها إذا فرغ من طوافه ، لم ينتفع بها ، ولم يمسها ، ولا أحد غيره أبدًا ، وكانت العرب تسمى تلك الثياب اللقى ، فحملوا العرب على ذلك فدانت به ، ووقفوا على عرفات ، وأفاضوا منها ، فأطافوا بالبيت عراة ، وأخذوا بما شرعوا لهم من ذلك ، فكان أهل الحل يأتون حجاجًا وعمارًا ، فإذا دخلوا الحرم وضعوا أزوادهم التى جاءوا بها ، وابتاعوا من طعام الحرم والتمسوا ثيابًا من ثياب الحرم إما عارية وإما بإجارة ، فطافوا فيها فإن لم يجدوا طافوا عراة ، أما الرجال فيطوفون عراة ، وأما النساء فتضع إحداهن ثيابها كلها إلا درعًا تطرحه عليها ، ثم تطوف فيه ، فقالت امرأة من العرب وهى كذلك تطوف :

اليومَ يَبدو بَعْضُه أو كُلُّهُ وَما بَدا منْهُ فَلا أُحلُّهُ

ومن طاف منهم فى ثيابه التى جاء فيها ألقاها فلم ينتفع بها هو ولا غيره ، فقال قائل من العرب يذكر شيئًا تركه لا يقربه وهو يحبه :

كَفَى حُزْنًا كرِّى عليه كأنَّه لَقىً بَيْنَ أَيْدى الطَّائفين حَريمُ [٢]

يقول : لا تُمَسُّ . فكانوا كذلك حتى بعث الله عز وجل نبيه ﷺ [٣] .

* * *

(١) بيوت الأدم : الخيم والأخبية المصنوعة من الجلد .

(٢) الشىء الحريم : المحرم وهو الشىء الذى لا يؤخذ ولا ينتفع به .

(٣) وشرع له سنن حجه وأمر قريش والناس جميعًا بالوقوف بعرفات والإفاضة منها فقال تعالى : ﴿ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ﴾ .

حديث بنيان الكعبة

* سبب بنيان قريش الكعبة :

حدثنا أحمد بن عبد الجبار : نايونس بن بُكير عن ابن إسحاق قال : فأقامت قريش فى كل قبيلة منها أشراف ، فليس بينها اختلاف ولا نائرة · ثم إن قريشًا أجمعوا على بنيان الكعبة [١] ، وكانوا يهمون بذلك فيهابون هدمها ، وإنما كانت رضمًا فوق القامة [٢] ، فأرادوا رفعها وتسقيفها وذلك أن نفرًا من قريش سرقوا كنز الكعبة ، وكان يكون فى بئر جوف الكعبة · وكان الذى وجد عنده الكنز دُوَيل – أو دُوَيد ، شك أبو عمر ، مولى لبنى مُليح بن عمرو من خزاعة ، فقطعت قريش يده من بينهم ، وكان ممن اتهم فى ذلك الحارث بن عامر بن نوفل ، وكان أخا الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف لأمه أبو وهب بن عبد المطلب ، فهو الذى تزعم قريش أنهم وضعوا كنز الكعبة حين أخذوه عند دويل – أو دويد – فلما أتهم قريش دلوهم على دويل – أو دويد [٣] – فقطعوه ، ويقال : إنهم وضعوه عنده ، وذكروا أن قريشًا حين استيقنوا بأن ذلك كان عند الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ،

---

(١) وكان بناؤها فى الدهر كله خمس مرات ، الأولى : حين بناها شيث بن آدم ، الثانية : حين بناها إبراهيم عليه السلام على القواعد الأولى ، والثالثة : حين بنتها قريش قبل الإسلام بخمسة أعوام ، الرابعة حين احترقت فى عهد ابن الزبير بشرارة طارت من جبل أبى قبيس ، وقيل إن امرأة أرادت أن تجمرها فطارت شرارة من المجمر فى أستارها فاحترقت ، فهدمها عبد الملك بن مروان وبناها على ما كانت عليه فى عهد رسول الله ﷺ · أما المسجد الحرام فأول من بناه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك أن الناس ضيقوا على الكعبة ، وألصقوا دورهم بها ، فقال عمر : إن الكعبة بيت الله ، ولا بد للبيت من فناء ، فاشترى تلك الدور من أهلها وهدمها ، وبنى المسجد المحيط بها ، ثم لما جاء عثمان رضي الله عنه · اشترى دورًا أخرى وأغلى ثمنها ، وزاد فى سعة المسجد ، فلما جاء ابن الزبير زاد فى إتقانه لا فى سعته ، وجعل فيه عمدًا من الرخام وزاد فى أبوابه وحسنها ، فلما جاء عبد الملك بن مروان زاد فى ارتفاع حائط المسجد وحمل إليه السوارى فى البحر إلى جدة ·

(٢) الرضم : هى الصخور العظيمة التى يتراكم بعضها فوق بعض ·

(٣) فى سيرة ابن هشام : دُويل ·

فخرجوا به إلى كاهنة من كهان العرب ، فسجعت عليه من كهانتها بأن لا يدخل مكة عشر سنين بما استحل من حرمة الكعبة ، فزعموا أنهم أخرجوه من مكة ، فكان فيما حولها عشر سنين .

وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جدة لرجل من الروم فتحطمت ، فأخذوا خشبها فأعدوه لسقفها ، وكان بمكة رجل قِبطى نجار (١) ، فتهيأ لهم فى أنفسهم فى بعض ما يصلحها . وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التى كان يطرح فيها مما يهدى لها كل يوم ، فتشرق (٢) على جدار الكعبة ، وكانت مما يهابون ، وذلك أنهم زعموا قلما كان يقترب من بئر الكعبة أحد إلا احْزَألَّتْ (٣) وكشت (٤) ، وفتحت فاها فكانوا يهابونها ، فبينما هى يومًا تشرق على جدار الكعبة كما كانت تصنع ، بعث الله عز وجل عليها طائراً لا يدرون ما هو فاختطفها من متشرقها ، فذهب بها ، فقالت قريش : إنا نرجو أن يكون الله عز وجل قد رضى ما أردنا ، عندنا عامل رفيق وعندنا الخشب ، وقد ذهب الله تعالى بالحية ، وذلك بعد الفجار بخمس عشرة سنة ، ورسول الله ﷺ إذ ذاك ابن خمس وثلاثين سنة .

* أبو وهب وما حدث له عند بناء الكعبة :

فلما أجمعوا أمرهم على هدمها وبنائها قام أبو وهب عامر بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم فتناول من الكعبة حجرًا ، فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه - فيما يزعمون - فقال : يا معشر قريش لا تدخلن فى بنيانها من كسبكم إلا طيبا ولا تدخلن فيها مهر بغى ، ولا بيع ربا ، ولا مظلمة من أحد من الناس ، وينحلون هذا الكلام الوليد بن المغيرة .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدَّثنى عبد الله بن أبى نَجيح أنه حدَّث عن عبد الله بن صفوان بن أُمية أنه رأى ابنا لجَعْدة بن هُبيرة بن أبى وهب بن عمرو بن عَائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم يطوف بالبيت فسأل عنه ، فقيل هذا ابن

---

(١) ذكر أنه كان علجًا فى السفينة التى حجتها الريح إلى الشعيبة ، وأن اسم ذلك النجار : ياقوم ، وكذلك روى أيضًا فى اسم النجار الذى عمل منبر رسول الله ﷺ من طرفاء الغابة ، ولعله أن يكون هذا ، فالله أعلم .

(٢) أى تبرز وتظهر للشمس . (٣) أحزألت : أى ارتفعت .

(٤) كشت : أى صوتت بسبب احتكاك الجلد بعضه ببعض .

جعْدة بن هبيرة بن أبى وهب ، فقال عبد الله بن صفوان : إن جده يعنى أبا وهب هو الذى أخذ من الكعبة حجرًا حين أرادت قريش هدمها فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه ، فقال عند ذلك : يا معشر قريش لا تدخلوا فيها من كسبكم إلا طيبًا ، لا تدخلوا مهر بغى ، ولا بيع ربا ، ولا مظلمة لأحد من الناس ، وأبو وهب خال رسول الله ﷺ [(١)] ، وكان شريفًا ، وله يقول شاعر من العرب :

لَو بأبى وَهْبٍ أَنَخْتُ مَـطِيَّتى ... لَرُحْتُ وَرَاحَتْ رَحْـلُها غيـر خَائِبِ

وأَبْيَض من فَرْعَى لُؤَىٍّ بن غَالب ... إذا حُـصِّلت أَنْسـابه لِلذَّوائِبِ

أَبِـىٌّ لأخذِ الضيم يَرتاح لِلنَّدَى ... تَوسَّط جَدَّاه فُروع الأَطـايبِ

عَظِيم رَماد القَدْرِ يَـملا جفَانَهُ ... من الخُبزِ يَعلُوهن مثل السَبَـائِبِ

* نصيب قبائل قريش فى تجزئة الكعبة :

حدثنا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم تجزأت قريش الكعبة ، فكان شق الباب لبنى عبد مناف ، وبنى زُهرة ، وكان مما بين الركنين الأسود والركن اليمانى لبنى مخزوم وتيم وقبائل من قريش ضموا إليهم ، وكان ظاهرها لسهم وجمح ، وكان شق الحجر ، وهو الحطيم ، لبنى عبد الدار بن قُصى ، ولبنى أسد بن عبد العُزى بن قُصى ، وبنى عَدى بن كَعب .

* الوليد بن المغيرة يبدأ بهدم الكعبة

ثم إن الناس هابوا هدمها وفرقوا منه ، فقال الوليد بن المغيرة : أنا أبوؤكم فى هدمها ، فأخذ المِعْول ، فقام عليها ، ثم قال : اللهم لا تردع [(٢)] ، اللهم إنا لا نريد إلا الخير ، ثم هدم من ناحية الركنين فتربص الناس تلك الليلة وقالوا : ننظر ماذا يصيبه ، فإن أصيب لم نهدم منها شيئًا ورددناها كما كانت ، وإن لم يصبه شىء فقد رضى الله عز وجل ما صنعنا ، فأصبح غاديًا يهدم وهدم الناس معه فلما انتهى الهدم إلى أس الكعبة(٣) اتبعوه حتى انتهوا إلى حجارة خضر كالأسنمة آخذ بعضها بعضًا .

---

(١) وقيل : هو خال أبى رسول الله ﷺ والله أعلم .

(٢) جاء فى سيرة ابن هشام « لم تُرَع » وهى تقتضى إظهار قصد البر ، وليس تسكين الرَّوع .

(٣) أى أساسها .

* سبب امتناع قريش عن هدم الأساس :

حدثنا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حُدثت أن رجالاً من قريش ممن كان يهدمها قالوا أدخل رجل بين حجرين منها العثلة [١] ليقلع إحداهما ، فلما تحرك الحجر تنفضت مكة بأسرها ، فهابوا عند ذلك تحريك ذلك الأس .

* الكتاب الذى وجد فى الركن :

حدثنا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنا يحيى بن عبَّاد بن عبد الله ابن الزبير عن أبيه عباد قال : حُدثت أنهم وجدوا فى أس الكعبة أو فى بعضها شيئًا من صُفر مثل بيض النعام مكتوبٌ فى إحداهما : هذا بيت الله عز وجل الحرام رزق أهله من كذا ، لا يحله أول من أهله ، وفى الأخرى : براءة لبنى فلان حى من العرب ، من حجة لله حجوها .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وحدِّثت أن قريشًا وجدت فى الركن أو فى بعض المقام كتابًا بالسِّريانية لم يدوروا ما هو حتى قرأه عليهم رجل من يهـود : « أنا الله ذو بكة خلقتها يوم خلقت السموات والأرض وصنعت الشمس والقمر ، وحففتها بسبعة أملاك حنفاء لا يزولون حتى تزول أخاشبها [٢] ، مبارك لأهلها فى الماء واللبن » [٣] .

* * *

(١) جاء فى سيرة ابن هشام « العتلة » وهى الصواب .

(٢) جاء فى سيرة ابن هشام : « أخشباها » أى جبلاها .

(٣) ذكر ابن هشام عن ابن إسحاق قال : بلغنى أن قريشا حين بنوا الكعبة وجدوا فيها حجرًا فيه ثلاثة صفوح الصفح الأول : أنا الله ذو بكة صُغتها يوم صغت الشمس والقمر ، وفى الصفح الثانى : أنا الله ذو بكة خلقت الرحم ، واشتققت لها اسما من اسمى ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها بتته ، وفى الصفح الثالث : أنا الله ذو بكة ، خلقت الخير والشر ، فطوبى لمن كان الخير على يديه ، وويل لمن كان الشر على يديه .

* الكتاب الذى وُجد فى المقام :

وحُدثت أنهم وجدوا فى المقام كتابًا فيه : « مكة الحرام يأتيها رزقها من ثلاثة سبل ، لا يحلها أولُ من أهلها » (١) .

نا أحمد : نا يونس عن زكريا بن أبى زائدة عن عامر الشعبى قال : حدثنى من قرأ فى أسفل المقام أو فى تختجة (٢) فى سقف البيت : أنا الله ذو بكة ، بنيته على وجوه سبعة أملاك حنفاء ، باركت لأهله فى اللحم ، والماء ، وجعلت رزقهم من ثلاثة سبل ، ولا يستحل حرمتها أول من أهلها .

نا أحمد : نا يونس عن المنذر بن ثَعْلبة عن سعيد بن حرب قال : شهـــدت عبد الله بن الزبير وهو يقلع القواعد التى أسس إبراهيم ﷺ لبناء البيت فأتوا على تربة صفراء عند الحطيم ، فقال ابن الزبير : هذا قبر إسماعيل عليه السلام فواراه(٣) .

* الاختلاف بين قريش فى وضع الحجر :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم جمعت القبائل من قريش لبنائها كل قبيل تجمع على جدتها (٤) ثم بنو حتى بلغ البناء موضع الركن فاختصموا فى رفع الركن ، كل قبيلة تريد أن ترفعه دون الأخرى ، فقالت كل قبيلة نحن نرفعه حتى تحازبوا (٥) أو تحالفوا ، وأعدُّوا القتال .

* لعقة الدم :

فقربت بنو عبد الدار جفنة فملؤوها دمًا ثم تحالفوا هم وبنو عدى بن كعب على الموت فأدخلوا أيديهم فى تلك الجفنة فغمسوها فى الدم ، فقال فى ذلك عِكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار :

---

(١) لا يحلها أول من أهلها : أى ، والله أعلم ، ما كان من استحلال قريش فيها القتال أيام ابن الزبير ، وحصين بن نمير ، ثم الحجاج بن يوسف الثقفى .

(٢) أى فتحة قريبة من السقف تكون فى الحائط وتسمى « طاقة » .

(٣) ذكر ابن هشام أن ابن إسحاق قال : وزعم ليث بن أبى سُليم أنهم وجدوا حجراً فى الكعبة قبل مبعث النبى - ﷺ بأربعين سنة - إن كان ما ذكر حقًّا - مكتوبا فيه : « من يزرع خيراً يحصد غبطة ، ومن زرع ضراًّ يحصد ندامة ، تعملون السيئات ، وتجزون الحسنات ؟ أجل كما لا يجتنى من الشوك العنب .

(٤) عند ابن هشام : « على حِدة » وهذا أليق وأوضح .

(٥) عند ابن هشام : « تحاوروا » .

وَالله لا نَأتى الذى قَدْ أَردتُم ... وَنَحن جَميعٌ أَو نُخضَّب بالدَّمِ
وَنَحْن وُلاَةَ البيت لاَ تُنْكِرُونَهُ ... فكَيْفَ عَلى عِلْمِ البَرية نُظْلَم
لِنَبْغى به الحَمد الذى هُو نَافعٌ ... وَنَخْشَى عِقَاب الله فى كُلِّ محْرَمِ
فَكيْفَ تَرومــــونَا وعز قَناتنا ... لَه مكسر صُلب على كُل مَعْلم
فَهيهاتَ أَنَّى يقربُ الركنَ سَالمٌ ... وَنحن جَميعٌ عِندهُ حين يُقْسَمِ
فَإمَّا تخلونَا وَبيـــــت حِجَابنا ... وَإما تنوؤا ذلك الركْن بالحرم

فأجابه وهب بن عبد مناف :

أَبْلِغ قُرَيشًا إذا مَا جئتُ أَكْرمُهَا ... أَنَّا أَبينـــــا فَلا نُؤْتيكُمُ غَلبَا
إنَا أبينا إلى الغَضْب ظَاهرةً ... إنَّا وَجدك لاَ نُؤْتيكُم سَلبا
نَحنُ الكرَام فَلا حَىٌّ يُقَارِبُنا ... نَحنُ الملوكَ وَنَحْنُ الأكرَمُونَ أَبا
وَقد أَرى مُحدثًا فى حلْفنا طُهرًا ... كَما تَرى فى حجَاب الملك مُحْتَجبا
أَبَى لَنا عِزنا مَاذا أراد بِنَا ... قَوْمٌ أَرادوا بنَا فى حلْفهم عجبا
قَومٌ أَرادوا بنا خَسْفًا لنقبله ... كَلاً وربِّكَ لا نُؤْتيهم غَضَبا

* أبو أمية بن المغيرة يحل مشكلة وضع الحجر :

حدثنا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فمكثت قريش أربع ليال ، أو خمسًا ، بعضهم من بعض ، ثم إنهم اجتمعوا فى المسجد فتشاوروا ، وتناصفوا ، فزعم بعض أهل العلم والرواية أن أبَا أمية ، وكان كبيرًا ، وسيد قريش كلها ، قال : يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل عليكم من باب المسجد.

* الرسول ﷺ يضع الحجر وينهى الإشكال :

فلما توافقوا على ذلك ، ورضوا به ، دخل رسول الله ﷺ ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين قد رضينا بما قضى بيننا ، فلما انتهى إليهم أخبروه الخبر ، فقال : هلموا ثوبًا ، فأتوه به ، فوضع رسول الله ﷺ الركن فيه بيديه ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ، ثم ارفعوا جميعًا ، فرفعوه حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه

رسول الله ﷺ بيده ، ثم بنى عليه [١] ، فكان رسول الله ﷺ يسمى فى الجاهلية الأمين قبل أن يوحى إليه ·

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : كنت جالسًا مع أبى جعفر محمد بن على [٢] فمر بنا عبد الرحمن الأعْرج ، مولى ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، فدعاه فجاءه فقال : يا أعرج ما هذا الذى تحدث به أن عبد المطلب هو الذى وضع حجر الركن فى موضعه ؟ فقال : أصلحك الله حدَّثنى من سمع عمر بن عبد العزيز يحدِّث أنه حُدث عن حَسَّان بن ثابت يقول : حضرت بنيان الكعبة ، فكأنى أنظر إلى عبد المطلب جالسًا على السور شيخ كبير قد عصب له حاجباه حتى رفع إليه الركن ، فكان هو الذى وضعه بيديه ، فقال : انفذ راشدًا ، ثم أقبل علىَّ أبو جعفر فقال : إن هذا الشيء ما سمعنا به قط ، وما وضعه إلا رسول الله ﷺ بيده ، اختلفت فيه قريش فقالوا : أول من يدخل عليكم من باب المسجد فهو بينكم ، فدخل رسول الله ﷺ ، فقالوا : هذا الأمـــين ، فحكموه ، فأمر بثوب فبسط ، ثم أخذ الركن بيديه ، فوضعه على الثوب ، ثم قال : لتأخذ كل قبيلة من الثوب بناحية ، وارفعوا جميعًا ، فرفعوا جميعًا ، حتى إذا انتهوا به إلى موضعه أخذه رسول ﷺ فوضعه فى موضعه بيده ثم بنى عليه ·

* سن الرسول ﷺ عند بناء الكعبة

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ورسول الله ﷺ يومئذ ابن خمس وثلاثين سنة ، ونزل عليه الوحى بعد بناء الكعبة بخمـس سنين ، وهو ابن أربعين سنة ، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة ثم هاجر إلى المدينة [٣] ·

---

(١) ورد أن إبليس اللعين كان معهم فى صورة شيخ نجدى فصاح بأعلى صوته : يا معشر قريش : أرضيتم أن يضع هذا الركن - وهو شرفكم - غلام يتيم دون ذوى أسنانكم ؟! فكاد يثير شرا فيما بينهم ، ثم سكنوا ذلك ، وأخمد الله كيد إبليس · انظر السيرة النبوية لابن هشام ط · الكليات الأزهرية تحقيق طه عبد الرءوف سعد ·

(٢) هو محمد بن على بن الحسين ابن الإمام على كرم الله وجهه ·

(٣) أما عن ارتفاع الكعبة وكسوتها ، فكانت على عهد رسول الله ﷺ ثمانى عشرة ذراعًا ، وكانت تكسى القباطى (وهى ثياب بيض مصرية) ، ثم كسيت البرود (وهى ثياب يمنية فيه لمع وسواد وبياض) وأول من كساها الديباج : الحجاج بن يوسف الثقفى ·

* شعر الزبير بن عبد المطلب فى الحية التى كانت تمنع قريشا من بنيان الكعبة :

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم سقفت فكان ذلك أول ما سقفت الكعبة ، فلما فرغوا من البنيان وبنوها على ما أرادوا قال الزبير بن عبد المطلب فيما كان من أمر الحية التى كانت قريش تهاب بنيان الكعبة لها ، فقال :

عَجِبْتُ لمــــا تَصوَّبَت العقَابُ ... إلى الثُّعْبَان وَهى لها اضْطِرابُ
وَقَدْ كَانت يكونُ لها كَشِيشٌ ... وَأَحيانًا يكون لَهـــا وثَابُ
إذَا قُمْنَا إلـــى البُنْيان شَدَّتْ ... تَهيبنا البنَاءُ وَقدْ تهـــابُ
فَلما أنْ خَشِينا الرجـــزَ جاءت ... عقَابٌ قَد يَظل لها الضبـــابُ
فَضمتها إليهــــا ثم خَلَّت ... لَنَا البُنْيـــانَ لَيس له حجَابُ
فَقُمْنَا حَاشدين عـــلى بنَاء ... لَنا منه القَواعد والتـــرابُ
غَدَاةَ نَرْفَعُ التـــأسيسَ مِنْهُ ... وَليس عَلى مَساوينـــا ثيَابُ
أَعزَّ به المليكُ بَنـــى لُؤَىٍّ ... فَليسَ لأَصْله منهـــم ذهَابُ
وَقَدْ حَشدَتْ هُنَاك بَنو عَدىٍّ ... وَمُرَّةَ قَدْ تَقَدَّمهـــا كِلاَبُ
فَبوَّأنا المَليـــكُ بِذاك عِزًّا ... وعِندَ الله يُلتمـــس الثـــوابُ

وقال الزبير بن عبد المطلب فى ذَلك أيضًا :

لَقَدْ كَان فى أَمْرِ العقَابِ عَجِيْبَةٌ ... وَمَخْطَفُها الثُّعْبَانُ حـــينَ تَدلَّت
فَكان مَدى الأَبْصَارِ آخر عَهْدنَا ... بِها بَعدْما بَاتَتْ هُنَاكَ وَطلَّت
إذا جَاء قَومٌ يَرفَعون عمَادَهُ ... مَن البيتِ شَدَّتْ نَحْوهمُ واحزألَّت
فَما بَرِحَتْ حَتَّى ظَنَنا جَمَاعَة ... بَأن عليـــنا لَعْنَةَ الله حَلَّت
فَقُلنا جَميعًا قد علَمنا خَطية ... فعسى لَنا والحُلْمُ مِنا أَضَلَّت

وقال الوليد بن المغيرة فى بنيانَ الكعبةَ وشأن الحية :

لَقد كَان فى الثُّعْبَان يَا قومُ عبْرة ... وَرَأى لِمنَ رَام الأُمُورَ عَلَى ذُعْرِ
غَدَاةَ هوَى النِّسْرُ المحلقُ يرْتَمى ... به غَير حَمْد مِنْكُمُ يَا بَنى فهر
عَلى حِينِ مَا ضَلَّتْ حلوم سراتِكم ... وَخِفتُم بأن لا ترفعوا آخر الدهْرِ

* إبطال مبتدعات الحُمس فى الحج :

حدثنا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وأنزل الله عز وجل على نبيه محمد ﷺ حين أحكم أمره ، وشرع له سنن حجه : ﴿ **ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله** ﴾ (١) . الآية . يعنى قريشًا والناس العرب فى سنة الحج إلى عرفات والوقوف عليها ، والإفاضة منها ، وأنزل الله تعالى فيما كانوا حرموا على الناس من طعامهم ولباسهم عند البيت حين طافوا عراة وحرموا ما جاءوا به من الطعام من الحل : ﴿ **يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين * قل من حرَّم زينة الله** ﴾ (٢) إلى آخر الآية . فوضع الله تعالى أمر الحمس وما كانت قريش ابتدعت من ذلك على الناس فى الإسلام حين بعث الله عز وجل رسوله محمدًا ﷺ .

* الرسول ﷺ يخالف الحُمس قبل الرسالة :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى عبد الله بن بكر عن عثمان ابن أبى سليمان عن نافع بن جُبير بن مُطْعِم عن أبيه جبير بن مطعم أنه قال : لقد رأيت رسول الله ﷺ يقف على بعير له بعرفات من بين قومه حتى يدفع معهم توفيقًا من الله عز وجل له (٣) .

* الكهان يتحدثون عن بعثة الرسول ﷺ :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق ، قال وكانت الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى ، والكهان من العرب قد تحدثوا بأمر رسول الله ﷺ قبل مبعثه لما تقارب من زمانه . أما الأحبار من يهود ، والرهبان من النصارى فيما وجدوا من صفته فى كتبهم وصفة زمانه لما كان فى عهد أنبيائهم إليهم فيه ، وأما الكهان من العرب فتأتيهم به الشياطين من الجن فيما يسترقون من السمع إذ كانت وهى لا تحجب عن ذلك بالقذف بالنجوم ، وكان الكاهن والكاهنة من العرب لا يقع منهما ذكر بعض أمره لا تلقى العرب فيه بالا حتى بعثه الله عز وجل ، ووقعت تلك الأمور التى كانوا يذكرون ، فعرفوها .

---

(١) سورة البقرة : ١٩٩ . (٢) سورة الأعراف : الآيتان : ٣١ - ٣٢ .

(٣) للعلم جاء هذا الحديث بهذا السند سابقًا فى الفصل السابق وقد وضعت له هذا العنوان أيضًا وقد أثبتناه كما وجدناه .

* **قذف الجن بالشهب دليل مبعثه :**

فلما تقارب أمر رســول الله ﷺ ، وحضر مبعثه حجبت الشياطين عن السمع ، وحيل بينها وبين المقاعد التى كانت تقعد لاستراق السمع فيها فرُموا بالنجوم ، فعرفت الجن أن ذلك لأمر حدث من الله عز وجل فى العباد [١] يقول الله تعالى لنبيه عليه السلام حين بعثه ، وهو يقص عليه خبر الجن إذ حجبوا عن السمع ، فعرفوا ما عرفوا وما أنكروا من ذلك حين رأوا ما رأوا : ﴿ **قل أُوحى إلىّ أنه استمع** ﴾ إلى قوله : ﴿ **أم أراد بهم ربهم رشدًا** ﴾ [٢] .

فلما سمعت الجن القول [٣] عرفت إنما منعت من السمع قبل ذلك له لئلا يشاكل الوحى شىء من خبر السماء ، فيلتبس على أهل الأرض ما جاءهـم من الله عز وجل وقطع الشبه [٤] ، فآمنوا وصدقوا : ﴿ **ولوا إلى قومهم منذرين * قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا** ﴾ إلى آخر الآية .

وكان قول الجن : ﴿ **إنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقًا** ﴾ إنه كان رجال من العرب ، من قريش وغيرهم ، إذا سافر الرجل فنزل ببطن واد من الأرض ليبيت به قال إنى أعوذ بعزيز هذا الوادى من الجن الليلة ، من شر ما فيه .

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى بعض أهل العلم أن امرأة من

---

(١) روى فى مأثور الأخبار أن إبليس كان يخترق السماوات قبل عيسى ، فلما بعث عيسى أو وُلد ، حُجب - إبليس اللعين - عن ثلاث سماوات ، فلما ولد محمد ﷺ حُجب عنها كلها ، وقذفت الشياطين بالنجوم ، انظر سيرة ابن هشام تحقيق طه عبد الرءوف سعد ط . مكتبة الكليات الأزهرية .

(٢) سورة الجن : الآيات ١ - ١٠ .

(٣) أى : القرآن ، فهو قول الله تعالى .

(٤) الذى يظهر من كلامه أن القذف بالنجوم وجد بظهور الإسـلام ، لكنه قد كان قديمًا ، وذلك موجود فى أشعار القدماء من الجاهليين مثل : أوس بن حجر ، بشـر بن أبى خازم ، وقد وصفوا الرمى بالنجوم ، وذكر عبد الرزاق فى تفسيره عن معمر عن ابن شهاب أنه سئل عن هذا الرمى بالنجوم : أكان فى الجاهلية قال نعم : ولكنه إذ جاء الإسلام غلظ وشدد وفى قوله تعالى ﴿ **ملئت حرسًا شديدًا وشهبًا** ﴾ ولم يقل : حُرست دليل على أنه ، قد كان منه شىء ، فلما بعث النبى ﷺ ملئت حرسا شديدًا وشهبا ،لينحسم أمر الشياطين وتخليطهم ، وتكون الآية أبين انـظر السيرة النبوية لابن هشام تحقيق طه عبد الرءوف سعد ط . الكليات الأزهرية .

بنى سَهم يقال لها العَيْطَلجة كانت كاهنة فى الجاهلية جاءها صاحبها ليلة من الليالى فانقض تحتها فقال : إذن من أذن يوم عقر ونحر ، فقالت قريش حين بلغها ذلك : ما يريد ؟ ثم جاءها ليلة أخرى ، فانقض تحتها فقال : شعوب ما لشعوب تصرعٌ فيه كعب لجنوب ، فلما بلغ ذلك قريشًا قالوا : ماذا يريد ؟ إن هذا لأمر هو كائن ، فانظروا ما هو ، فما عرفوا حتى كانت واقعة بدر وأُحد بالشعب ، فعرفوا أنه كان الذى جاء به إلى صاحبته .

نا أحمد : نا الحسن عن جرير بن عبد الحميد عن منصور عن إبراهيم فى قوله تعالى : ﴿ **وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقًا** ﴾ قال: كانوا إذا نزلوا وادياً قالوا : إنا نعوذ بسيد هذا الوادى من شر ما فيه قال : فيقول الجنيون تتعوذون بنا نحن لا نملك لأنفسنا ضراً ولا نفعًا ! قال : ﴿ **فزادوهم رهقًا** ﴾ قال : فازدادوا عليهم جرأة .

حدثنا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وكان هذا الحى من الأنصار يتحدثون مما كانوا يسمعون من يهود من ذكر رسول الله ﷺ ، أن أول ذكر وقع بالمدينة ، قبل مبعث رسول الله ﷺ ، أن فاطمة أم النعمان بن عمرو ، أخى بنى النجار - وكانت من بغايا الجاهلية - وكان لها تابع ، فكانت تحدث أنه كان إذا جاءها اقتحم البيت الذى هى فيه ، اقتحاما على من فيه حتى جاءها يومًا ، فوقع على الجدار ولم يصنع كما كان يصنع ، فقالت له : ما لك اليوم ؟ قال : بعث نبى بتحريم الزنا .

* ثقيف أول من فزعت برمى الجن :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى يعقوب بن عقبة بن المغيرة ابن الأخنس عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة بن مَسعود أنه حدثه : أن رجلاً من ثقيف يقال له عمرو بن أمية ، وكان من أدهى العرب ، وكان يضن برأيه على الناس ؛ قال يعقوب : فلما رُمى بالنجوم ، كان أول حى فزع لها من الناس ثقيف فجاءوا إلى عمرو بن أمية فقالوا له : هل علمت بهذا الحدث الذى كان ؟ فقال : وما هو ؟ فقالوا : نجوم السماء يرمى بها ، قال : ويحكم انظروا فإن كانت هى المعالم التى يهتدى بها فى البر والبحر ، وتعرف بها الأنواء من الشتاء والصيف لصلاح

معايش الناس ، فهو والله فناء الدنيا ، وفناء هذا الخلق ، وإن كان غيرها ، فهو لأمر حدث أراد الله عز وجل به هذا الخلق ، فانظروا ما هو [(١)] ؟ .

* الرسول ﷺ يصحح اعتقادهم فى رجم الجن بالشهب ويوضحه لهم :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى الزهرى عن على بن حسين عن ابن عباس قال : حدثنى رَهْطٌ من الأنصار قالوا : بينا نحن جلوس مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ، إذ رأى كوكبًا ، فقال ما تقولون فى هذا الكوكب الذى رمى به ؟ فقلنا : يولد مولود ، يهلك هالك ، يملك ملك ، فقال رسول الله ﷺ : ليس كذلك ، ولكن الله عز وجل إذا قضى أمرًا فى السماء سبَّح بذلك حملة العرش فيسبح لتسبيحهم من يليهم ممن تحتهم من الملائكة ، فما يزالون كذلك حتى ينتهى التسبيح إلى السماء الدنيا فيقول أهل السماء الدنيا لمن يليهم من الملائكة مم سبحتم ؟ فيقـولون : ما ندرى ، سمعنا من فوقنا من الملائكة سبح فسبحنا الله عز وجل لتسبيحهم ، ولكنا نسل ، فيسألون من فوقهم ، فما يزالون كذلك حتى ينتهى إلى حملة العرش ، فيقولون : قضى الله عز وجل كذا وكذا ، فيخبرون به من يليهم حتى ينتهوا إلى أهل السماء الدنيا فيسترق الجن ما يقولون ، فينزلون به إلى أوليائهم من الإنس فيلقونه على ألسنتهم ، بتوهم منهم فيخبرون الناس ، فيكون بعضه حقًّا ، وبعضه كذبا ، فلم يزل الجن كذلك حتى رموا بهذه الشهب .

نا أحمد : نا يونس عن يونس بن عمرو عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : إن الشياطين كانوا يصعدون إلى السماء ، فيستمعون الكلمة من الوحى ، فيهبطون بها الأرض ، فيزيدون معها تسعًا ، فيجد أهل الأرض تلك الكلمة حقًّا والتسع باطلا ، فلم يزالوا بذلك حتى بعث الله عز وجل محمدًا ﷺ ، فمُنعوا تلك المقاعد ، فذكروا ذلك لإبليس ، فقال : حدث فى الأرض حدث ، فبعثهم ، فوجدوا رسول الله ﷺ يتلو القرآن بين جبلى نخل ، فقالوا : هذا والله الحدث وإنهم ليرمون فإذا توارى النجم عنكم فقد أدركه لا يخطىء أبدًا ، ولكنه لا يقتله ، يحرق وجهه وجنبه ويده .

---

(١) وقد فعل ما فعلت ثقيف بنو لِهْب عند فزعهم للرمى بالنجوم ، فاجتمعوا إلى كاهن لهم يقال له : خطر ، فبين لهم الخبر ، وما حدث من أمر النبوة .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وقد كانت خديجة بنت خويلد قد ذكرت لورقة بن نوفل بن أسد ، وكان ابن عمها ، وكان نصرانيا قد تبع الكتب وعلم من علم الناس ما ذكر لها غلامها مَيْسَرة من قول الراهب ، وما كان يرى منه ، إذ كان الملكان يظلانه ، فقال ورقة : لئن كان هذا حقًّا يا خديجة ، إن محمدًا لنبى هذه الأمة ، قد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبى يُنتظر ، هذا زمانه - أو كما قال ·

فجعل ورقة يستبطىء الأمر ويقول : حتى متى ، فكان فيما يذكرون يقول أشعارًا يستبطىء فيها خبر خديجة ، ويتريث ما ذكرت له ، فقال ورقة بن نوفل :

أَتبْكِر أَمْ أَنتَ العشــــيَّة رَائحُ   وَفِى الصَّدْرِ من إِضْمارك الحزن قَادحُ
لِفُرقَة قــــــوم لا أُحبُّ فِرَاقهم   كَأنك عَنْهم بَعْدَ يَومـــــينَ نَازِحُ
وَأخبار صِدْق خُبِّرت عن مُحمد   يُخْبِرها عـــــنه إذا غَابَ نَاصحُ
فَتَاكِ الذى وَجهت يا خَير حُرَّة   بِغُورى والنجـــدين حَيث الصَحَاصحُ
إلى سوق بُصرى فى الركاب التى غَدتْ   وَهُن من الأَحمال قُعْص دَوالحُ
فَخبَّرنا عن كــــل خَبر بعِلْمه   وللحَقِّ أَبـــوابٌ لَهنَّ مَفَاتحُ
بَأنَّ ابن عَبْدَ الله أَحْمَد مُرْسَلٌ   إلى كل مـــن ضُمَّت عليه الأَباطحُ
وَظَنِّى به أَنْ سَوف يُبعثُ صَادقًا   كَما أُرســـل العَبْدان هُودٌ وصَالحُ
وَموسى وإبراهيم حتـــى يرى له   بهاءٌ ومَنشـــور من الذكر وَاضحُ
وَمتبعه حيا لُؤى جَمـــاعة   شَبابهم والأشيـــبون الجحَاجِحُ
فَإن أبق حتى يدرك النـــاس دهره   فإنى به مستـــبشر الود فارِحُ
وإلاَّ فإنى يا خَديجة فَاعلـــمى   عن أرضك فى الأرض العريضة سَائحُ

حدثنا أحمد : نا يونس عن محمد بن إسحاق قال : وكانت قريش حين رفعوا بنيان الكعبة وسقوفها يترافدون على كسوتها كل عام ، تعظيمًا لحقها ، وكانوا يطوفون بها ، ويستغفرون الله عندها ، ويذكرونه مع تعظيم الأوثان والشرك فى ذبائحهم ودينهم كله ، وقد كان نفر من قريش : زَيد بن عَمرو بن نُفيل ، وورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ، وعثمان بن الحارث بن أسد بن عبد العزى وعبد الله بن جحش ابن رئاب ، وكانت أمه أُميمة بنت عبد المطلب بن هاشم حَليف بنى أمية ، حضروا قريشًا عند وثن لهم كانوا يذبحون عنده لعيد من أعيادهم ، فلما اجتمعوا خلا بعض أولئك النفر إلى بعض ، وقالوا :

تصادقوا وليكتُم بعضكم على بعض ، فقال قائلهم : تعلمون والله ما قومكم على شىء لقد أخطأوا دين إبراهيم عليه السلام وخالفوه ، ما وثن يُعبد لا يضر ولا ينفع ، فابتغوا لأنفسكم ، فخرجوا يطلبون ويسيرون فى الأرض يلتمسون أهل الكتاب من اليهود والنصارى والملل كلها ، والحنيفية دين إبراهيم عليه السلام .

*** ورقة بن نوفل يتنصر :**

فأما ورقة بن نوفل فتنصر ، فاستحكم فى النصرانية ، واتبع الكتب من أهلها ، حتى علم علمًا كثيرًا من أهل الكتاب .

*** زيد بن عمرو بن نفيل يدين بالحنيفية :**

فلم يكن فيهم أعدل أمرًا ، ولا أعدل شأنا من زيد بن عمرو بن نُفيل ، اعتزل الأوثان وفارق الأديان من اليهود والنصارى والملل كلها إلاَّ دين إبراهيم يوحد الله عز وجل ويخلع من دونه ، ولا يأكل ذبائح قومه ، بادأهم بالفراق لما هم فيه .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء بنت أبى بكر قالت : لقد رأيت زيد بن عمرو بن نُفَيل مسندًا ظهره إلى الكعبة يقول : يا معشر قريش والذى نفس زيد بيده ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيرى ، ثم يقول : اللهم لو أنى أعلم أحب الوجوه إليك عبدتك به ، ولكنى لا أعلمه ثم يسجد على راحته .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى بعض آل زيد بن عمرو بن نُفيل أن زيد كان إذا دخل الكعبة قال : لبيك حقًّا حقًّا تعبداً ورقًّا ، عذت بما عاذ به إبراهيم ، وهو قائم ، إذ قال : أنفى لك عان راغم مهما تجشمنى فإنى جاشم ، البر أبغى لا الخال - يقول : لا الفخر - ليس مهجر كمن قال .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى هشام بن عروة قال : روانى عروة بن الزبير أن زيد بن عمرو بن نفيل قال :

أَربًا وَاحــدًا أَم أَلْف رَب ... أَدينُ إذا تَقَسَّمَـت الأُمُورُ
عَزَلْتُ اللاَّتَ والعُزَّى جَميعـًا ... كَذلك يَفْعَل الجَلد الصَّـبُورُ
فَلا عُزَّى أَدينُ ولاَ ابنتيـها ... ولا صَنَمَىْ بَنِى عَمـرو أُديرُ

وَلا غُنْمـــًا أدينُ وكان ربًّا … لنا فى الـــدهر إذ حُلْمى يَسيرُ
عَجِبتُ وفـــى الليالى مُعْجبات … وَفى الأيـــامِ يَعْرِفها البَصِيرُ
بأن اللهَ قـــد أفنى رِجَالاً … كَثيرًا كان شأنهـــم الفُجورُ
وَأبقَى آخَرين ببـــرٍّ قَومٍ … فيربك منهم الطفـــل الصَّغيرُ
وبينا المرءُ يَعثر ثابَ يـــومًا … كَما يَتَروح الغُصْـــنُ النَّضيرُ

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وقال زيد بن عمرو بن نُفيل أيضًا :

أَسْلَمتُ وَجهِى لِمن أَسْلَمتْ … لَه الأرضُ تَحمل صَخْراً ثقالا
وَأَسْلَمتُ وَجهِى لِمن أَسْلَمتْ … لَه المُزْنُ تَحمل عَذبًا زُلاَلاَ
إذا هِىَ سِيقَتْ إلى بَلْدَة … أَطاعَتْ فَصبَّتْ عَليها سِجَالاَ
وَأَسْلَمتُ وَجهِى لِمن أَسْلَمتْ … لَهُ الريحُ تُصرْف حَالا فحَالا

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وكان الخطاب بن نُفيل قد آذى زيد ابن عمرو بن نُفيل حتى خرج عنه إلى أعلى مكة ، فنزل حراء ، مقابل مكة ووكل به الخطاب شبابًا من شـــباب قريش وسفهاء من سفهائهم ، فقال : لا تتركوه يدخل مكة ، فكان لا يدخلها إلا سرًّا منهم ، فإذا علموا بذلك آذنوا به الخطاب ، فأخرجوه وآذوه كراهية أن يفسد عليهم دينهم ، وأن يتابعه أحد منهم على فراقهم ، وكان الخطاب عم زيد ، وأخاه لأمه ، وكان عـــمرو بن نُفيل قد خلف على أم الخطاب بعده ، فولدت له زيد بن عمرو ، وكان الخطاب عمه وأخوه لأمه مع سنه ، فكان يعاتبه على فراق دين قومه حتى آذاه ، فقال زيد بن عمرو وهو يعظم حرمته على من استحل من قومه ما استحل :

اللَّهُمَّ إِنى مُحرم لاَ أُحِله … وَإِن بَيْتى أَوْسَطُ المحلَّه
عِندَ الصفا ليس بِذى مَظلة

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : فحدثت أن رسول الله ﷺ قال وهو يحدث عن زيد بن عمـــرو بن نفيل : إن كان لأول من عاب على الأوثان ونهى عنها وقد أقبلت من الطائف ومعى زيد بن حارثة حتى مررت بزيد بن عمرو وهو بأعلى مكة وكانت قريش قد شهرته بفراق دينها حتى خرج من بين أظهرهم ، وكان بأعلى مكة ، فجلست إليه ومعى سفرة لى فيها لحم يحملها زيد بن حارثة من ذبائحنا على

أصنامنا ، فقربتها له ، وأنا غلام شاب ، فقلت : كل من هذا الطعام أى عم ، قال: فلعلها أى ابن أخى من ذبائحكم هذه التى تذبحـون لأوثانكم ؟ فقلت : نعم ، فقال : أما إنك يا ابن أخي لو سألت بنات عبد المطلب أخبرتك أنى لا آكل هذه الذبائح ، فلا حاجة لى بها ، ثم عاب على الأوثان ومن يعبدها ويذبح لها ، وقال : إنما هى باطل لا تضر ولا تنفع (١) أو كما قال .

قال : قال رسول الله ﷺ : فما تمسست بوثن منها بعد ذلك على معرفة بها ، ولا ذبحت لها حتى أكرمنى الله عز وجل برسالته ﷺ .

نا أحمد : نا يونس عن المسعودى عن نُفيل بن هشام عن أبيه قال : مر زيد بن نُفيل على رسول الله ﷺ وعلى زيد بن حَارثة ، فدعواه إلى سفرة لهما ، فقال زيد : يا ابن أخى إنى لا آكل ما ذُبح على النصب ، قال : فما رئى رسول الله ﷺ بعد ذلك اليوم يأكل شيئًا ذبح على النصب .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وقد كان زيد أجمع على الخروج من مكة يضرب فى الأرض ، يطلب الحنيفية دين إبراهيم ، فكانت امرأته صفية ابنة الحضرمى كلما أبصرته قد نهض إلى الخروج وأراده ، آذنت به الخطاب بن نفيل ، فخرج زيد إلى الشام يلتمس ويطلب فى أهل الكتاب الأول دين إبراهيم ، ويسأل عنه ، فلم يزل فى ذلك حتى أتى الموصل ، أو الجزيرة كلها ، ثم أقبل حتى أتى الشام ، فجال فيها حتى أتى راهبًا ببيعته من أرض البلقاء كان ينتهى إليه علم النصرانية ، فيما يزعمون ، فسأله عن الحنيفية دين إبراهيم ، فقال الراهب : إنك لتسأل عن دين ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم ، لقد درس علمه ، وذهب من يعرفه ، ولكنه قد أظلك خروج نبى يبعث بأرضك التى خرجت منها بدين إبراهيم ، الحنيفية ،فعليك ببلادك فإنه مبعوث الآن ، هذا زمانه ، وقد كان شام اليهودية والنصرانية ، فلم يرض شيئًا منهما فخرج سريعًا - حين قال له الراهب ما قال - يريد مكة ، حتى إذا كان بأرض لخم ، عدوا عليه فقتلوه فـقال ورقة بن نوفل ، وكان قد اتبع مثل أثر زَيد ، ولم يفعل فى ذلك ما فعل ، فبكاه ورقة فقال :

رَشدتَ وأَنْعَمتَ ابن عمرو وإنما ... تَجنَّبْتَ تَنـوراً مـن النار حَامِيَا
بِدينك رَبًّا لَيس رَبٌّ كَمثـله ... وَتَركُكَ أوثان الطَوَاغِي كَمـا هِيَا

(١)لم يفعل ذلك قبلها ولا بعدها فهو فى حفظ الله وكلاءته من يوم ولد بل وقبل أن يولد.

وَقَد تُدرِكُ الإنسانَ رَحمَةُ ربِّه   وَلو كان تحت الأَرض سِتين وَادِيَا

* ثناء الرسول ﷺ على زيد بن نفيل

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، أو محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمى أن عمر بن الخطاب ، وسعيد بن زيد قالا : يا رسول الله نستغفر لزيد ؟ فقال : نعم ، فاستغفروا له ، فإنه يبعث أمة وحده ٠

نا أحمد : نا يونس عن المسعودى عن نُفيل بن هشام عن أبيه أن جده سعيد بن زيد سأل رسول الله ﷺ عن أبيه زيد بن عمرو فقال : يا رسول الله إن أبى زيد بن عمرو كان كما رأيت ، وكما بلغك ، فلو أدركك آمن بك ، فأستغفر له ؟ قال : نعم ، فاستغفر له فإنه يجىء يوم القيامة أمة وحده ، وكان فيما ذكروا يطلب الدين ، فمات وهو فى طلبه ٠

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : وكان حين أراد الله عز وجل كرامة نبيه ﷺ ورحمة العباد به واتخاذ الحجة عليهم ، والعرب على أديان مختلفة متفرقة ، مع ما يجمعهم من تعظيم الحرمة ، وحج البيت ، والتمسك بما كان بين أظهرهم من آثار إبراهيم ﷺ ، وهم يزعمون أنهم على ملته ، وكانوا يحجون البيت على اختلاف من أمرهم فيه ٠

* من حديث الحُمس :

فكانت الحُمس : قريش وكنانة ، وخزاعة ، ومن ولدت قريش من سائر العرب يُهلون بحجهم ، فمن اختلافهم أن يقولوا : لبيك ، لا شريك لك إلا شريك هو لك ، تملكه وما ملك ٠ فيوحدونه بالتلبية ، ثم يدخلون معه أصنامهم ويجعلون ملكها بيده - يقول الله عز وجل لمحمد ﷺ : ﴿ **وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون** ﴾ (١) ولا يخرجون من الحرم ولا يدفعون من المزدلفة ، يقولون : نحن أهل الحرم ، فلا نخرج منه ، وكانوا يسكنون البيوت إذا كانوا حُرمًا ، وكان أهل نجد من مضر يهلون إلى البيت ويقفون على عرفة (٢) ٠

---

(١) سورة يوسف : الآية ١٠٦ ٠

(٢) كان حق هذا الموضوع أن يأتى فى الفصل السابق أثناء الحديث عن الحُمس ، ولكن تركناه هنا كما فى الأصول التى بين أيدينا ٠

* الرسول ﷺ والخلوة :

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى محمد بن شهاب الزهرى عن عروة عن عائشة أنها قالت : أول ما ابتدئ به رسول الله ﷺ من النبوة حين أراد الله عز وجل كرامته ورحمة العباد به ألا يرى شيئًا إلا جاءت كفلق الصبح . فمكث على ذلك ما شاء الله عز وجل أن يمكث ، وحبب الله عز وجل إليه الخلوة ، فلم يكن شىء أحب إليه من أن يخلو وحده .

* غار حراء ونزول الوحى :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى عبد الملك بن عبد الله ابن أبى سفيان بن العلاء بن جارية الثقفى ، وكان واعية ، عن بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ حين أراد الله عز وجل كرامته ، وابتدأه بالنبوة ، كان لا يمر بحجر ولا شجر إلا سلم عليه وسمع منه ، فيلتفت رسول الله ﷺ خلفه وعن يمينه وعن شماله فلا يرى إلا الشجر وما حوله من الحجارة وهى تحييه بتحية النبوة : السلام عليك ، رسول الله ، فكان رسول الله ﷺ يخرج إلى حراء فى كل عام شهرا من السنة ينسك فيه ، وكان من نسك فى الجاهلية من قريش يطعم من جاءه من المساكين ، حتى إذا انصرف من مجاورته وقضاه لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة حتى إذا كان الشهر الآخر الذى أراد الله عز وجل ما أراد من كرامته من السنة التى بعثه فيها ، وذلك شهر رمضان ، فخرج رسول الله ﷺ كما كان يخرج لجواره ، وخرج معه بأهله ، حتى إذا كانت الليلة التى أكرمه الله عز وجل فيها برسالته ، ورحم العباد به جاءه جبريل بأمر الله تعالى ، فقال رسول الله ﷺ : جاءنى وأنا نائم فقال : اقرأ ، فقلت : وما أقرأ ؟ حتى ظننت أنه الموت ، ثم كشطه عنى فقال : اقرأ ، فقلت وما أقرأ ؟ فعاد لى بمثل ذلك ثم قال : اقرأ فقلت : وما أقرأ ؟ وما أقولها إلا تنجيا أن يعود لى بمثل الذى صنع بى فقال :

﴿ اقرأ بسم ربك الذى خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذى علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ ثم انتهى فانصرف عنى ، وهببت من نومى [1] وكأنما صوّر فى قلبى كتاب ، ولم يكن فى خلق الله عز وجل أحد أبغض إلى من شاعر أو مجنون ، كنت لا أطيق أنظر إليهما ، فقلت : إن الأبعد - يعنى نفسه ، ﷺ لشاعر أو مجنون ، ثم قلت : لا تحدث قريش عنى بهذا أبدًا ، لأعمدن إلى حالق من الجبل ، فلأطرحن نفسى منه ، فلأقتلنها ، فلأستريحن ، فخرجت ما أريد غير ذلك ، فبينا أنا عامد لذلك سمعت مناديًا ينادى

---

(١) لم يكن نائما على أصح الأقوال بل كان فى كامل وعيه .

من السماء يقول: يا محمد ! أنت رسول الله ، وأنا جبريل ، فرفعت رأسى إلى السماء أنظر ، فإذا جبريل فى صورة رجل صاف قدميه فى أفق السماء يقول : يا محمد ! أنت رسول الله ، وأنا جبريل ، فوقفت أنظر إليه ، وشغلنى عن ذلك وعما أريد ، فوقفت ما أقدر على أن أتقدم ولا أتأخر ولا أصرف وجهى فى ناحية من السماء إلا رأيته فيها ، فما زلت واقفًا ما أتقدم ولا أتأخر حتى بعثت خديجة رسلها فى طلبى حتى بلغوا مكة ورجعوا، فلم أزل كذلك حتى كاد النهار يتحول ، ثم انصرف عنى ، وانصرفت راجعًا إلى أهلى حتى أتيت خديجة فجلست إلى فخذها مضيفًا إليها ، فقالت : يا أبا القاسم أين كنت فوالله لقد بعثت رسلى فى طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا، فقلت لها: إن الأبعد لشاعر أو مجنون ، فقالت : أُعيذك بالله يا أبا القاسم من ذلك ، ما كان الله عز وجل ليفعل بك ذلك مع ما علم من صدق حديثك ، وعظم أمانتك ، وحسن خُلقك ، وصلة رحمك ، وما ذاك يا ابن عم ، لعلك رأيت شيئًا أو سمعته ؟ فأخبرتها الخبر ، فقالت : أبشر يا بن عم ، واثبت له ، فو الذى تحلف به إنى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة ، ثم قامت فجمعت ثيابها عليها .

* ورقة بن نوفل يخبر خديجة بأن محمداً خاتم الأنبياء :

ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل ، وهو ابن عمها ، وكان قد قرأ الكتب ، وكان قد تنصر ، وسمع التوراة والإنجيل ، فأخبرته الخبر ، وقصت عليه ما قص عليها رسول الله ﷺ أنه رأى وسمع ، فقال ورقة : قدُّوسٌ قدُّوسٌ ، والذى نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتنى يا خديجة ، إنه لنبى هذه الأُمة ، وإنه ليأتيه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى عليه السلام ، فقولى له فليثبت ، ورجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته ما قال لها ورقة ، فسهل ذلك عليه بعض ما هو فيه من الهم بما جاءه فلما قضى رسول الله ﷺ جواره صنع كما كان يصنع ، بدأ بالكعبة فطاف بها ، فلقيه ورقة وهو يطوف بالكعبة ، فقال : يا ابن أخ أخبرنى بالذى رأيت وسمعت ، فقص عليه رسول الله ﷺ خبره ، فقال ورقة : والذى نفس ورقة بيده إنه ليأتيك الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى عليه السلام ، وإنك لنبى هذه الأمة ، ولتؤذَينَّ ، ولتُكذبن ، ولتُقاتلن ، ولتُنصرن ولئن أنا أدركت ذلك لأنصرنك نصرًا يعلمه الله ، ثم أدنى إليه رأسه فقبَّل يافوخه ، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله وقد زاده الله عز وجل من قول ورقة ثباتًا ، وخفف عنه بعض ما كان فيه من الهَم .

نا أحمد : نا يونس عن قُرَّة بن خالد قال : حدثنى أبو رجاء العُطاردى قال : أول سورة نزلت على محمد ﷺ : ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق ﴾ .

*** ورقة ينشد شعرًا مدحًا فى الرسول ﷺ :**

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: وقد قال ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قُصى فيما كانت ذكرت له خَديجة من أمر رسول الله ﷺ، فيما يزعمون :

إنْ يَكُ حَقًّا يَا خَديجةُ فَاعْلَمى … حَديثُك إيانا فَأحمدُ مُرْسَلُ
وَجبريلُ يأتيه وميْكَالُ مَعهُمَا … منَ الله وَحْىٌ يَشرحُ الصدْرَ مُنزلُ
يَفُوزُ به مَن فَاز فيهَا بتوبَة … وَيشقى به العَاتى الغَوىُّ المضلل
فَريقَان منهُم فِرقَةٌ فى جنَانه … وَأُخرى بِأَحْواز الجَحيم تُغلَلُ
إذا مَا دعوا بالويلِ فيها تتَابعت … مَقامع فى هاماتهم ثم من غل
فَسبحان من تَهْوى الرياحُ بأمره … وَمنْ هُو فى الأيام مَا شاءَ يفعل
وَمنْ عرشُهُ فَوق السَموات كُلها … وأقضاؤهُ فى خَلقه لا تُبدَّلُ

وقال ورقة فى ذلك أيضًا :

يَا لَلرجال لِصَرف الدهْرِ والقدَر … وَمَا لشىء قَضاهُ اللهُ من غير
حَتى خَديجَة تَدعونى لأُخْبرهَا … ومَا لهَا بخفى الغيب مِن خَبرَ
جَاءت لتَسألَنى عنه لأُخبرها … أمرًا أراهُ سَيأتى الناس من أخَر
فَخبرتنى بأمر قَد سَمعت به … فيمَا مَضى من قَديم الدَهر والعُصُرِ
بأن أحْمَد يَأتيه فَيُخْبرهُ … جبريلُ أنَّكَ مبعوثٌ إلى البَشرِ
فَقلتُ عَلَّ الذى ترجين يَنجزهُ … لَكِ الإله فَرُجِّى الخيرَ وانتظرى
وأرسليه إلينا كَى نُسائلُهُ … عَنَ أمرِ مَا يرى فى النومِ والسَّهرِ
فَقال حين أتانا مَنطقًا عَجبًا … يقَف منه أعالى الجلد والشعرِ
إنى رأيتُ أمين الله وَاجهنى … فى صورة أكملت فى أهيب الصورِ
ثَمَّ استمر فكاد الخوفُ يَذْعُرنى … مما يسلم ما حَولى من الشَّجرِ
فَقلتُ ظَنِّى وَما أدرى أيُصدقنى … أنَ سوف يُبْعث يَتلو مُنْزلَ السور
وَسوف أُبليكَ إن أعلنتَ دَعوتهمْ … منَ الجهاد بَلا مَنٍّ وَلا كَدَرِ

حدثنا أحمد : نا يونس بن بُكَير عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى عبد الله ابن أبى بكر عن جعفر قال كان رسول الله ﷺ تصيبه العين بمكة ، فتسرع إليه قبل أن ينزل عليه الوحى فكانت خديجة ابنة خويلد تبعث إلى عجوز بمكة ترقيه ، فلما نزل عليه القرآن فأصابه من العين نحو مما كان يصيبه فقالت له خديجة : يا رسول الله ألا أبعث إلى تلك العجوز فترقيك ؟ فقال : أما الآن فلا .

* الرسول يُحدِّث عن نفسه :

نا أحمد : نا يونس عن هشام بن عروة أن رسول الله ﷺ قال : ما من نبى إلا وقد رعى الغنم ، فقيل : وأنت يا رسول الله؟ ؟ قال : وأنا .

نا أحمد : نا يونس عن يونس بن عمرو عن أبيه عن عبيدة النَّصرى قال: تفاخر رعاء الإبل ورعاء الغنم عند رسول الله ﷺ فأوطأهم رعاء الإبل غلبة ، فقال: ما أنتم يا رعاء النقد ، هل تحمون أو تصيدون ، ورسول الله ﷺ جالس ، فتكلم فقال : بعث موسى عليه السـلام وهو راعى غنم ، وبعث داود وهو راعى غنم ، وبعثت أنا ، وأنا راعى غنم أهلى بأجياد ، فغلبهم رسول الله ﷺ .

نا أحمد : نا يونس عن عبيد بن عُتيبة العَيْذى عن وهب بن كعب بن عبد الله ابن سُور الأزدى عن سَلمان الفارسى أنه سأل رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إنه ليس من نبى إلاَّ وله وصىٌّ وسبطان فمن وصيُّك وسبطاك ؟ فسكت رسول الله ﷺ لم يرجع شيئًا ، فانصرف سلمان يقول : يا ويله يا ويله كلما لقيه ناس من المسلمين قالوا : مالك سلمان الخير ؟ فيقول سألت رسول الله ﷺ عن شىء ، فلم يرد علىَّ ، فخفت أن يكون من غضب ، فلما صلى رسـول الله ﷺ الظهر قال : ادن يا سلمان ، فجعل يدنو ويقول : أعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله ، فقال : سألتنى عن شىء لم يأتنى فيه أمر ، وقد أتانى أن الله عز وجل قد بعث أربعة آلاف نبى ، وكان أربعة آلاف وصى وثمانية آلاف سبط ، فوالذى نفسى بيده لأنا خير النبيين ، وإن وصيى لخير الوصيين ، وسبطاى (١) خير الأسباط .

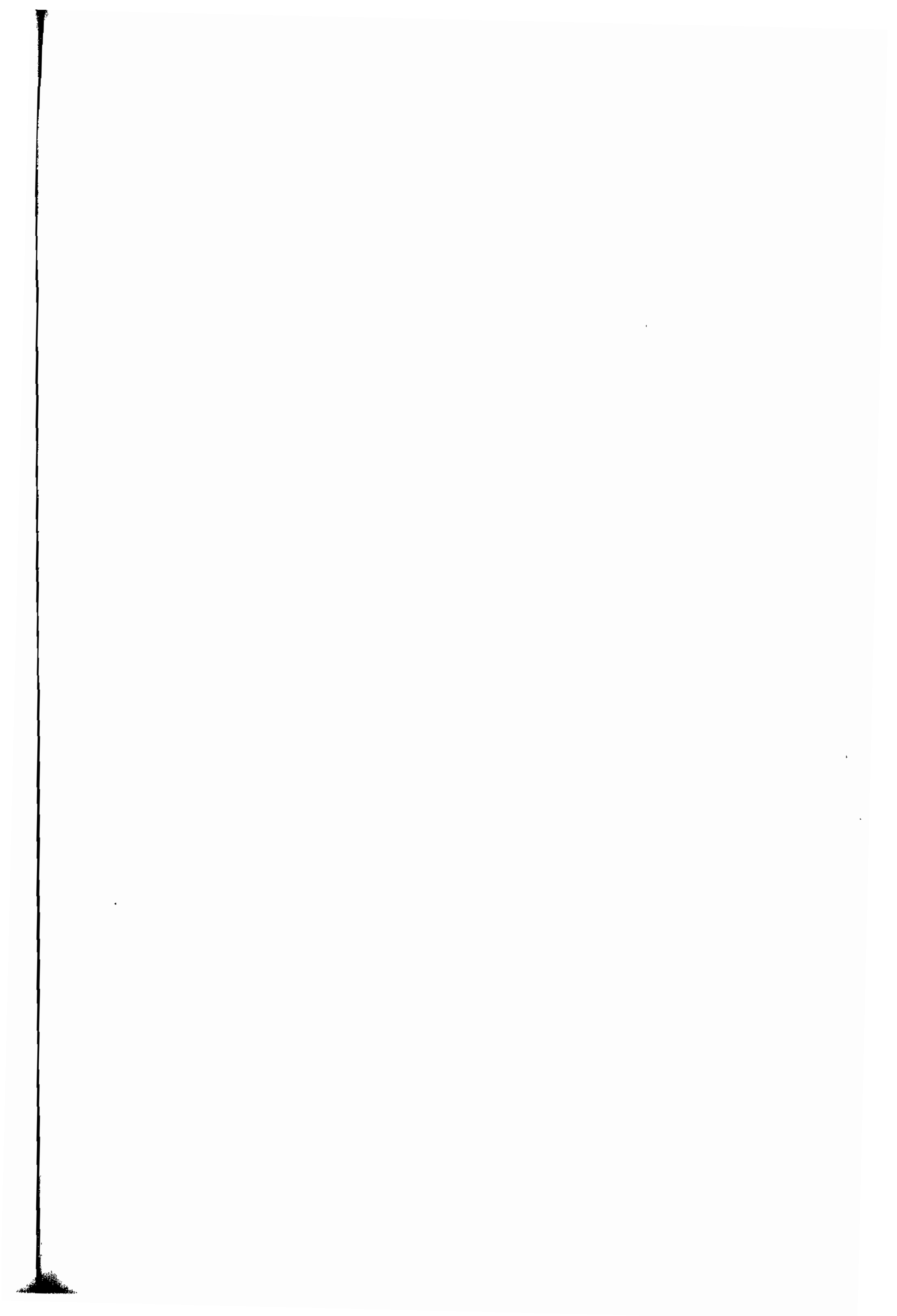
---

(١) ومن المعروف أن سبطا رسول الله ﷺ - هما سيدا شباب أهل الجنة الإمامان الحسن والحسين ابنا الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه والسيدة فاطمة الزهراء من خير نساء العالمين رضى الله عنها . انظر مناقبهم جمـيعاً فى فتح البارى كتاب مناقب الصـحابة وكتاب « ريحانة الرسول الإمام الحسين » تأليف المحققين ط . العلم والإيمان بالحسين .

آخر الجزء - يتلوه فى الثالث إن شاء الله : نا أحمد نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : ثم بعث الله عز وجل محمداً رحمة للعالمين وكافة للناس .

والحمد لله حق حمده وصلواته على محمد سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم تسليمًا كثيرًا ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

* * *



القسم الثالث

رف

يو

عليه

قبا

يؤ

فيه

كت

وأ

وال

الك

أرب

فى

أربعب

وعط

يعتك

فإذا

فيطو

بسم الله الرحمن الرحيم
توكلت على الله

* أخذ الله الميثاق على الرسل بالإيمان بمحمد ﷺ :

أخبرنا الشيخ أبو الحسين أحمد بن محمد النَّقور البزاز - قراءة عليه وأنا أسمع - قال : أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص قال : قرئ على أبى الحسين رضوان بن أحمد وأنا أسمع قال : نا أبو عمر أحمد بن عبد الجبَّار العُطَاردى قال : نا يونس بن بُكَير عن محمد بن إسحاق قال : ثم بعث [١] ، الله عز وجل محمداً ﷺ رحمة للعالمين ، وكافة للناس ، وكان الله قد أخذ له ميثاقًا على كل نبى بعثه قبله ، بالإيمان به ، والتصديق له ، والنصر له على من خالفه ، وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك إلى من آمن بهم وصدقهم ، فأدوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه ، يقول الله تبارك وتعالى لمحمد ﷺ : ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم** ﴾ [٢] إلى آخر الآية . فأخذ الله ميثاق النبيين جميعًا بالتصديق له والنصر له على من خالفه ، فأدوا ذلك إلى من آمن بهم وصدقهم من أهل هذين الكتابين ، فبعثه الله بعد بنيان الكعبة بخمس سنين ، ورسول الله ﷺ يومئذ ابن أربعين سنة .

* ابتداء نزول الوحى :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فابتُدئ رسول الله ﷺ بالتنزيل فى شهر رمضان [٣] . بقول الله تبارك وتعالى : ﴿ **شهر رمضان الذى أُنزل فيه**

---

(١) ورد فى سيرة ابن هشام أن ابن إسحاق قال : إن رسول الله ﷺ بُعث على رأس أربعين من مولده عليه السلام ، وهذا مروي عن ابن عباس وجبير بن مطعم وقباث بن أشيم ، وعطاء وسعيد بن المسيب ، وأنس بن مالك وهو صحيح عند أهل السير والعلم بالأثر .

(٢) سورة آل عمران : الآية ٨١ .

(٣) ذكر ابن هشام فى سيرته أن ابن إسحاق ذكر أن رسول الله ﷺ كان يجاور - أى يعتكف أو يخلو بنفسه - فى هذا الشهر فى غار حراء من كل سنة يُطعم من جاءه من المساكين فإذا انتهى الشهر ، فأول ما يبدأ به إذا انصرف من جواره يدخل الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعًا أو ما شاء الله ثم يرجع إلى بيته .

القرآن ﴾ (١) إلى آخر الآية ، وقال الله تعالى : ﴿ إنا أنزلناه فى ليلة القدر ﴾ (٢) إلى آخر السورة ، وقال : ﴿ حم * والكتاب المبين * إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين ﴾ (٣) ، وقال : ﴿ إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ﴾ (٤) ، وذلك « التقى » رسول الله ﷺ والمشركين ببدر .

*** تاريخ غزوة بدر الكبرى :**

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى أبو جَعفر محمد بن على بن الحسين أن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون يوم بدر صبيحة الجمعة لسبع عشرة من شهر رمضان (٥) .

نا أحمد : نا يونس عن أسباط بن إسماعيل بن عبد الرحمن قال : كان يوم بدر يوم الجمعة لسبع عشرة من شهر رمضان (٦) .

نا أحمد : نا يونس عن قرة بن خالد قال : سألت عبد الرحمن بن قاسم عن ليلة القدر ، فقال : كان زيد بن ثابت يعظم سابعة عشر ويقول : هي وقعة بدر .

نا أحمد : نا يونس عن بسر بن أبى حفص الكندى الدمشقى قال : نا مكحول أن رسول الله ﷺ قال لبلال : ألا لا يغادرك صيام الإثنين ، وأوحى إلىَّ يوم الإثنين ، وهاجرت يوم الإثنين ، وأموت يوم الإثنين .

*** تحديد ليلة القدر :**

نا أحمد بن عبد الجبار قال : نا محمد بن فضيل عن عاصم بن كليب عن أبيه عن عبد الله بن عباس قال : كنت عند عمر بن الخطاب رحمه الله وعنده أصحابه ، فسألهم فقال : أرأيتم قول رسول الله ﷺ فى ليلة القدر « التمسوها فى العشر الأواخر وترًا » أى ليلة ترونها ؟ فقال بعضهم : ليلة إحدى ، وقال بعضهم : ليلة ثلاث ، وقال بعضهم: ليلة خمس، وقال بعضهم: ليلة سبع ، وأنا ساكت ، فقال :

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٨٥ .
(٢) سورة القدر : الآية الأولى.
(٣) سورة الدخان : الآيات ١ - ٣ .
(٤) سورة الأنفال : الآية ٤١ .
(٥) وكانت فى السنة الثانية من الهجرة المباركة ، ونصر الله رسوله وجنده ، وكان عددهم قليلا لا يجاوز الثلاثمائة ، وعدد المشركين أضعافهم ، وأنزل فيهم قوله : ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ﴾ .
(٦) كان حق الحديث عن غزوة بدر الا يأتى هنا نظرًا للترتيب الزمنى للأحداث لأنها وقعت بعد الهجرة للمدينة المنورة فى السنة الثانية من الهجرة ولكنه بمناسبة ذكره لنزول القرآن وغزوة بدر فى شهر رمضان.

مالك لا تتكلم ؟ فقلت : إنك أمرتنى ألا أتكلم حتى يتكلموا ، فقال : ما أرسلت إليك إلا لتتكلم ، فقال : إنى سمعت الله يذكر السبع فذكر : ﴿ **سبع سموات ومن الأرض مثلهن** ﴾ (١) ، وخلق الإنسان من سبع ، ونبات الأرض من سبع ، فقال عمر : هذا أخبرنى ما أعلم ، أرأيت ما لا أعلم قولك نبات الأرض من سبع ؟ قال : قلت : قال الله : ﴿ **شققنا الأرض شقًّا * فأنبتنا فيها حبًّا * وعنبًا وقضبًا * وزيتونًا ونخلاً * وحدائق غلبًا** ﴾ « فالحدائق غلبًا » الحيطان من النخل والشجر ، ﴿ **وفاكهة وأبًّا** ﴾ (٢) ، قال: الأبُّ ما أنبتت الأرض مما تأكل الدواب والأنعام ولا يأكل الناس ، فقال عمر لأصحابه : أعجزتم أن تقولوا كما قال هذا الغلام الذى لم تجتمع له شؤون رأسه ، والله إنى لأرى القول كما قال .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : تتام الوحى إلى رسول الله ﷺ وهو مؤمن بالله ومصدق لما جاءه ، قد تقبله بقول ، وتحمَّل منه ما حمله الله على رضا العباد وسخطهم ، وللنبوة أثقال ومؤونة (٣) لا يحملها ولا يستطيعها إلا أهل القوة والعزم من الرسل بعون الله وتوفيقه لما يلقون من الناس ، وما يرد عليهم مما جاء به من عند الله تعالى .

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى ربيعة بن أبى عبد الرحمن قال: سمعت ابن منبه وهو فى مسجد منى ، وذكر له يُونُس النبى عليه السلام فقال : كان عبدًا صالحًا وكان فى خلقه ضيق ، فلما حملت عليه أثقال النبوة - ولها أثقال ، فلما حملت عليه تفسخ تحتها تفسخ الرُّبَع (٤) تحت الحمل الثقيل، فألقاها عنه وخرج هاربًا .

نا أحمد : نا يونُس عن ابن إسحاق قال : كانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله وصدق ما جاء به ، فخفف الله بذلك عن رسول الله ﷺ ، لا يسمع شيئًا يكرهه من ردٍّ عليه ، وتكذيب له فيحزنه ذلك إلا فرَّج الله عنه بها ، إذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه ، وتصدقه وتهون عليه أمر الناس ، رحمها الله رضى عنها .

* الرؤيا الصادقة أول ما بدئ به رسول الله ﷺ :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى الزهرى عن عروة عن عائشة قالت : أول ما ابتدئ به رسول الله ﷺ من النبوة حين أراد الله كرامته ورحمة

---

(١) سورة الطلاق : الآية ١٢ . (٢) سورة عبس : الآيات ٢٦ - ٣١ .

(٣) أى مؤنة ، وهى التعب والشدة . (٤) أى الجمل الصغير .

العباد به لا يرى شيئًا إلا جاءت كفلق الصبح [١] ، يمكث على ذلك ما شاء الله أن يمكث ، وحبب إليه الخلوة ، فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده [٢] .

*** الرسول ﷺ يخبر خديجة بنزول جبريل عليه :**

نا أحمد : نا يُونس عن يُونُس بن عمرو عن أبى مَيْسرة عمر بن شُرَحْبيل أن رسول الله ﷺ قال لخديجة : إنى إذا خلوت وحدى أسمع نداء وقد والله خشيت أن يكون هذا الأمر ، فقالت : معاذ الله ما كان الله ليفعل بك ذلك فوالله إنك لتؤدى الأمانة ، وتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، فلما دخل أبو بكر رحمه الله · وليس رسول الله ﷺ ، ثم ذكرت خديجة حديثه له ، فقالت : يا عتيق [٣] اذهب مع محمد إلى ورقة ، فلما دخل رسول الله ﷺ أخذ أبو بكر بيده : فقال : انطلق بنا إلى ورقة ، فقال : ومن أخبرك ؟ قال : خديجة ·

*** بين الرسول وورقة بن نوفل :**

فانطلقا إليه فقصا عليه ، فقال : إذا خلوت وحدى سمعت نداء خلفى : يا محمد ، يا محمد ، فأنطلق هاربًا فى الأرض ، فقال له : لا تفعل إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول ، ثم ائتنى فأخبرنى فلما خلا ناداه يا محمد قل : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين** ﴾ حتى بلغ ﴿ **ولا الضالين** ﴾ [٤] قل : لا إله إلا الله ، فأتى ورقة فذكر ذلك له ، فقال له ورقة : أبشر ثم أبشر ، فأنا أشهد

---

(١) أى تحققت كوضوح النهار ، والرؤيا الصادقة جزء من أربعين جزءًا من النبوة قالت عائشة ﵁ ، أول ما بدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة ؛ فجاءه الملك فقال : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذى خلق** ﴾ أخرجه البخارى ، وعلى هذا فكما قال معظم المفسرين إن أول ما نزل من القرآن : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذى خلق** ﴾ ولمزيد من المعرفة انظر تفسير القرطبى ١٠ / ٧٤٥٧ ط · دار الغد العربى ·

(٢) ورد أيضًا دليلا على نبوته ﷺ غير الرؤيا الصـادقة ، تسليم الحجارة والشجر عليه ، فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله ، وكان ذلك قبل بعثه ، وقال ﷺ : « إنى لأعرف بمكة حجرًا كان يسلم علىَّ قبل أن يَنزل علىَّ » ذكر بعض الرواه أنه الحجر الأسود ·

(٣) عتيق : اسم سيدنا أبى بكر الصديق ﵁ ، وورد فى سيرة ابن هشام أن خديجة هى التى ذهبت لابن عمها ورقة بن نوفل وقصت عليه القصة ، وأن ورقة قابل رسول الله ﷺ – وهو يطوف بالكعبة فطلب منه أن يخبره بما رأى ، وما سمع فأخبره ثم أخبره أنه نبى هذه الأمة ثم قبل يافوخه ، وأخبره أن قومه سيكذبونه ويؤذونه ويخرجونه ويقاتلونه ولئن عاش لينصرنه ·

(٤) سورة الفاتحة : الآيات ١ - ٧ ·

أنك الذى بشَّر بك ابن مريـــم ، وأنك على مثل [(١)] ناموس موسى ، وأنك نبى مرسل ، وأنك ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا ، ولئن أدركنى ذلك لأجاهدن معك ؛ فلما توفى ورقة قال رسول الله : « لقد رأيت القس فى الجنة عليه ثياب الحرير لأنه آمن بى وصدقنى – يعنى ورقة » .

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه قال : سابَّ أخ لورقة ، فتناول الرجل ورقة فسبه ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فقال لأخيه : هل علمت أنى رأيت لورقة جنة أو جنتين ، فنهى رسول الله ﷺ عن سبه .

* تثبت خديجة ﵂ من الوحى وإيمانها بالرسول ﷺ :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى إسماعيل بن أبى حكيم مولى الزبير ، أنه حدث عن خديجة بنت خُوَيلد أنها قالت لرسول الله ﷺ ، فيما تثبته به ، فيما أكرمه الله به من نبوته : يا ابن عم هل تستطيع أن تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك إذا جاءك ؟ قال : نعم ، فقالت : إذا جاءك فأخبرنى ، فبينا رســـول الله ﷺ عندها يومًا ، إذ جاء جبريل ، فرآه رسول الله ﷺ ، فقال : يا خديجة هذا جبريل قد جاءنى ، فقالت أتراه الآن ، فقال نعم ، قالت : فاجلس إلى شقى الأيسر فجلس ، فقالت هل تراه الآن ؟ قال : نعم ، قالت : فاجلس إلى شقى الأيمن ، فتحول فجلس ، فقالت : هل تراه الآن ؟ قال : نعم ، قالت : فتحول فاجلس فى حجرى ، فتحول رسول الله ﷺ فجلس ، فقالت : هل تراه الآن ؟ قال : نعم ، فتحسرت فألقت خمارها ورسول الله ﷺ جالس فى حجرها ، فقالت : هل تراه الآن ؟ قال : لا ، قالت : ما هذا الشيطان ، إن هذا لملك يا ابن عم فاثبت ، وأبشر ، ثم آمنت به ، وشهدت أن الذى جاء به الحق [(٢)] .

---

(١) الناموس : أى الوحى ، وقال بعض العلماء : صاحب سر الملك ، أو صاحب سر الخير ، والجاسوس صاحب ســـر الشر .

(٢) كانت ﵂ ، أول من آمنت بالرسول ، من النساء ، وصدقته ، وصدقت بما جاءه من الله ، وآزرته ، وكانت حقا نعم الزوجة ، ضربت أروع مثال لخير زوجة ، ونموذج نسائى فريد للزوجة الوفية المخلصة التى ضحت بالغالى والثمين وبكل ما تملك ، ووقفت بجانب زوجها ، فاستحقت أن تكون خير نساء العالمين ، واستحقت بشارة الله لها على لسان الرسول ﷺ : « أمرت أن أبشر خديجة ببيت فى الجنة ، من قصب – أى لؤلؤ مجوف – لاصخب فيه ولا نصب – أى لا تعب فيه » . فيا ليت نساء المسلمين يتأسين بها ويقتدين بها ، فكانت بحق أعظم زوجة وأعظم أم ﵂ .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فحدثت عبد الله بن الحسن [١] هذا الحديث ، فقال : قد سمعت فَاطمة بنت الحسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة ، إلا أنى سمعتها تقول : أدخلت رسول الله ﷺ بينها وبين درعها ، فذهب عند ذلك جبريل عليه السلام .

نا يونس عن زكريا بن أبى زائدة عن عَامر الشعبى قال : سئل رسول الله ﷺ متى استنبئت ؟ فقال : بين خلق آدم ونفخ الروح فيه .

نا يونس عن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع الأنصارى عن رجل عن سعيد بن المُسَيَّب قال : نزل الوحى على رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وأربعين ، فأقام بمكة عشرًا ، وبالمدينة عشرًا .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ونزل الوحى على رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين سنة ، فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة ، وبالمدينة عشرا [٢] .

نا أحمد : نايونس عن ابن إسحاق قال : وأمر رسول الله ﷺ بالصبر لله على رسالته وتبليغ ما أمر به .

* الرسول من أُولى العزم من الرسل [٣] :

نايونس عن عيسى بن عبد الله التميمى عن الربيع بن أنــس عن أبى العالية : ﴿ **فاصبر كما صبر أُولوا العزم من الرسل** ﴾ [٤] : نوح ، وهود ، وإبراهيم ، فأمر رسول الله ﷺ أن يصبر كما صــبر هؤلاء ، وكانوا ثلاثة ورسول الله ﷺ رابعهم ، عليهم السلام ورحمة الله ، قال نوح : ﴿ **يا قوم إن كان كبرُ عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله** ﴾ [٥] إلى آخرها ، فأظهر لهم المفارقة ، وقال هود حين قالوا : ﴿ **إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إنى أُشهد الله واشهدوا أنى برئ مما تشركون** ﴾ [٦] فأظهر لهم المفارقة ، وقال عن إبراهيم : ﴿ **قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم** ﴾ [٧] إلى آخر الآية ، فأظهر لهم المفارقة ، وقال محمد : ﴿ **إنى نُهيت**

---

(١) هو عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب .
(٢) وهذا هو المشهور والمتواتر المجزوم بصحته ، وما عليه الأئمة وغالبية العلماء .
(٣) أولى العزائم : أى أصحاب الشدة والصبر وقوة التحمل وهم أعلى مراتب الأنبياء عليهم الصلاة و السلام .
(٤) سورة الأحقاف : الآية ٣٥ .
(٥) سورة يونس : الآية ٧١ .
(٦) سورة هود : الآية ٥٤ .
(٧) سورة الممتحنة : الآية ٤ .

أن أَعْبُدَ الذين تدعون من دون الله ﴾ [١] فقام رسول الله ﷺ عند الكعبة ، فقرأها على المشركين فأظهر لهم المفارقة .

* انقطاع الوحى ونزول سورة « الضحى » :

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم فتر الوحى عن النبى ﷺ فترة [٢] من ذلك حتى شق عليه وأحزنه ، ثم قال فى نفسه مما أبلغ ذلك منه : لقد خشيت أن يكون صاحبى قد قلانى وودّعنى ، فجاء جبريل بسورة « والضحى » ، يقسم له به ، وهو الذى أكرمه : ﴿ **ما ودَّعك ربك وما قلى** ﴾ فقال ﴿ **والضحى * والليل إذا سجى** ﴾ يقول : ﴿ **ما ودعك ربك وما قلى** ﴾ ما صرمك وتركك وما قلى : ما أبغضك منذ أحبك ، ﴿ **وللآخرة خير لك من الأولى** ﴾ أى ما عندى من مرجعك إلى خير لك مما عجلت لك من الكرامة فى الدنيا ، ﴿ **ولسوف يعطيك ربك فترضى** ﴾ من الفتح فى الدنيا والثواب فى الآخرة ، ﴿ **ألم يجدك يتيمًا فآوى * ووجدك ضالاً فهدى * ووجدك عائلاً فأغنى** ﴾ يعرفه ما ابتداه به من كرامته فى عاجل أمره ومنّه عليه فى يتمه وعيلته وضلالته ، واستنقاذه من ذلك كله برحمته ﴿ **فأما اليتيم فلا تقهر * وأما السائل فلا تنهر** ﴾لا تكن جبارًا ولا متكبرًا ولا فاحشا فظًّا على الضعفاء من عباد الله : ﴿**وأما بنعمة ربك فحدث**﴾أى بما جاء من الله من كرامته ونعمته من النبوة ، فحدث : اذكرها وادع إليها ، يذكره ما أنعم الله به عليه وعلى العباد من النبوة .

نا أحمد : نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن خديجة أنها قالت : لما أبطأ على رسول الله ﷺ الوحى جزع من ذلك جزعًا شديدًا [٣] ، فقلت له مما رأيت من جزعه : لقد قلاك ربك مما يرى من جزعك ، فأنزل الله ﴿ **ما ودعك ربك وما قلى** ﴾ .

* الرسول ﷺ يسأل جبريل عن غيبته :

نا يونس عن عمر بن ذر عن أبيه عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لجبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿ **وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وما كان ربك نسيا** ﴾ [٤] .

---

(١) سورة الأنعام : الآية ٥٦ .
(٢) كانت فترة انقطاع الوحى سنتين ونصفاً تقريبًا .
(٣) أي حزن حزنًا شديدًا . (٤) سورة مريم : الآية ٦٤ .

* جبريل يعلِّم الرسول ﷺ الوضوء والصلاة :

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم إن جبريل أتى رسول الله ﷺ حين افترضت عليه الصلاة [(١)] ، فهمز له بعقبه فى ناحية الوادى فانفجرت منه عين ماء مزن ، فتوضأ جبريل عليه السلام ، ومحمد ينظر إليه ، فوضأ وجهه ومضمض واستنشق ومسح برأسه وأذنيه ورجليه إلى الكعبين ، ونضح فرجه ، ثم قام فصلى ركعتين ، وسجد أربع سجدات على وجهه .

* الرسول ﷺ يعلِّم خديجة الوضوء والصلاة :

ثم رجع النبى ﷺ قد أقر الله عينه وطابت نفسه ، وجاءه ما يحب من الله ، فأخذ بيد خديجة حتى أتى بها العين ، فتوضأ كما توضأ جبريل ، ثم ركع ركعتين وأربع سجدات هو وخديجة ، ثم كان هو وخديجة يصليان سرًّا .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى صالح بن كيسان عن عروة ابن الزبير عن عائشة أن الصلاة أول ما افترضت ركعتين ، ثم أكملت أربعًا ، وأثبتت للمسافر . قال : فحدثت ذلك عمر بن عبد العزيز ، فقال لعروة : حدثتنى أن عائشة كانت تصلى فى السفر أربعًا ، فجاء عروة فقلت فى نفسى لا يكون هذا بى ، فسألته عن الحديث ، فحدثه ، فقال عمر : ما أدرى ما أحاديثكم هذه ! ثم حول وركه ونزل عن سريره ودخل .

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت : أول ما افترضت الصلاة ركعتين فأثبتت للمسافر وأكملت للمقيم أربعًا .

نا يونس عن سالم مولى أبى المهاجر قال : سمعت ميمون بن مهران يقول : كان أول الصلاة مثنى مثنى مثنى [(٢)] ، ثم صلى رسول الله ﷺ أربعًا فصارت سنة ، وأُقرت الركعتين للمسافر وهى تمام .

* * *

---

(١) والصلاة هى أول ما فُرض على الرسول ﷺ - وذكر ابن إسحاق عن صالح بن كيسان عن عروة بن الزبير عن عائشة ﵂ ، قالت : افترضت الصلاة على رسول الله ﷺ أول ما افترضت عليه : ركعتين ، ركعتين ، كل صلاة ، ثم إن الله أتمها فى الحضر أربعًا وأقرها فى السفر على فرضها الأول ركعتين .

(٢) يبدو والله أعلم أن هذه اللفظة زائدة وقد تكون تكرار خطأ من الناسخ لأن الصواب مثنى مثنى » أى اثنتين اثنتين ، فلا داعى لهذه الثالثة ، ويؤيد كلامنا الروايات السابقة لهذه الرواية .

إسلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه

* الرسول ﷺ يعرض الإسلام علَى عليٍّ رضي الله عنه :

نا أحمد: حدثني يونس عن ابن إسحاق قال : ثم إن على بن أبى طالب جاء بعد ذلك بيومين فوجدهما يصليان ، فقال على: ما هذا يا محمد ؟ فقال النبى ﷺ : دين الله الذى اصطفى لنفسه وبعث به رسله فأدعوك إلى الله وحده ، وإلى عبادته ، وكفر باللات والعزى ،فقال له على : هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم فلست بقاض أمرًا حتى أحدث أبا طالب ، فكره رسول الله ﷺ أن يفشى عليه سره قبل أن يستعلن أمره ، فقال له : يا على إذا لم تسلم فاكتم ، فمكث على تلك الليلة ، ثم إن الله أوقع فى قلب على الإسلام،فأصبح غادياً إلى رسول الله ﷺ حتى جاءه فقال: ما عرضت على يا محمد؟ فقال له رسول الله ﷺ :تشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له،وتكفر باللات والعزى وتبرأ من الأنداد[١]،ففعل على وأسلم،ومكث على يأتيه على خوف من أبى طالب،وكتم على إسلامه ولم يظهر به .

وأسلم زيد بن حارثة[٢] فمكث قريباً من شهر يختلف عليٌّ إلى رسول الله ﷺ .

• على ينشأ فى كنف الرسول :

وكان مما أنعم الله به على علي أنه كان فى حجر رسول الله ﷺ قبل الإسلام[٣] .

---

(١) جمع ند،وهو الشريك،والله واحد لا شريك له،ولا شريك معه،سبحانه وتعالى .

(٢) هو زيد بن حارثة بن شرحبيل بن كعب الكلبى ، مولى رسول الله ﷺ وكان أول من أسلم وصلى بعد على .

(٣) ذكر ابن هشام فى سيرته أن ابن إسحاق قال : إن قريشا أصابتهم أزمة شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال كثير ، فقال رسول الله - وكان ذلك قبل البعثة - للعباس عمه ، وكان من أيسر بنى هاشم ، إن أخاك أبا طالب كثير العيال ، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة ، فانطلق بنا إليه فلنخفف عنه من عياله ، آخذ من بنيه رجلا وتأخذ أنت رجلا فنكلهما عنه ، فانطلقا حتى أتيا أبا طالب ، فقالا إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه ، فقال لهما : إذا تركتمالى عقيلا فاصنعا ما شئتما فأخذ رسول الله ﷺ عليًّا فضمه إليه ، وأخذ العباس : جعفرا فضمه إليه ، فلم يزل على مع رسول=

* سن عليٍّ عند إسلامه :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى عبد الله بن أبى نَجيح – قال : أراه عن مُجاهد – قال : أسلم على بن أبى طالب وهو ابن عشر سنين (١) .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى يحيى بن أبى الأَشْعَث الكِنْدى – من أهل الكوفة – قال : حدثنى إسماعيل بن إياس بن عَفيف عن أبيه عن جده عفيف أنه قال : كنت امرءًا تاجراً فقدمت أيام مِني ، أيام الحج ، وكان العباس ابن عبد المطلب امرءًا تاجراً ، فأتيته أبتاع منه وأبيعه ؛ قال فبينا نحن إذ خرج رجل من خباء (٢) يصلى فقام تجاه الكعبة ، ثم خرجت امرأة ، فقامت تصلى معه ، وخرج غلام ، فقام يصلى معه ، فقلت : يا عبَّاس ما هذا الدين ، إن هذا الدين ما ندرى ما هو ؟ فقال العباس : هذا محمد بن عبد الله يزعم أن الله أرسله وأن كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه ، وهذه امرأته خديجة بنت خويلد آمنت به ، وهذا الغلام ابن عمه على بن أبى طالب آمن به؛ قال العفيف: فليتنى آمنت يومئذ وكنت أكون ثانيًا .

نا يونس عن يُوسف بن صُهيب عن عبد الله بن بُرَيْدَة قال : أول الرجال إسلامًا على بن أبى طالب ثم الرهط (٣) الثلاثة : أبو ذَرٍّ ، وبُريدة ، وابن عَمٍّ لأبى ذَر .

* * *

= الله حتى بعثه الله تعالى نبيًا فاتبعه على ، وآمن به ، وصدقه ، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه . وكان على أصغر من جعفر بعشر سنين . انظر سيرة ابن هشام ط . مكتبة الكليات الأزهرية تحقيق طه عبد الرءوف سعد .

(١) وكان كرم الله وجهه أول من آمن بالرسول من الغلمان ، أى الصِّبية .

(٢) أى خيمة .

(٣) الرهط : الجماعة من الثلاثة إلى العشرة .

إسلام أبى بكر الصديق رضي الله عنه (١)

* الرسول ﷺ يُعرض الإسلام على أبى بكر :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم إن أبا بكر لقى رسول الله ﷺ فقال : أحق ما تقول قريش يا محمد من تركك آلهتنا ، وتسفيهك عقولنا وتكفيرك آباءنا ؟ فقال رسول الله ﷺ : يا أبا بكر إنى رسول الله ونبيه ، بعثنى لأبلغ رسالته وأدعوك إلى الله بالحق ، فوالله إنه للحق أدعوك إلى الله يا أبا بكر ، وحده لا شريك له ، ولا يعبد غيره ، والموالاة على طاعته أهل طاعته، وقرأ عليه القرآن ، فلم يفر ، ولم ينكر ، فأسلم وكفر بالأصنام وخلع الأنداد ، وأقر بحق الإسلام ، ورجع أبو بكر وهو مؤمن مصدق ٠

* استجابته الفورية للإسلام :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمى أن رسول الله ﷺ قال : ما دعوت أحدًا إلى الإسلام إلا كانت له عنه كبوة (٢) وتردد ونظر إلا أبا بكر ما عتم حين ذكرته له ، وما تردد فيه ٠

* إعلانه الإسلام رضى الله عنه :

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : فابتدأ أبو بكر أمره ، وأظهر إسلامه ، ودعا الناس ، وأظهر على وزيد بن حارثة إسلامهما فكبر ذلك على قريش ٠

وكان أول من اتبع رسول الله ﷺ خديجة بنت خُويلد ، زوجته ، ثم كان أول ذكر آمن به علي ، وهو يومئذ ابن عشر سنين ، ثـم زيد بن حـارثة ، ثم أبو بكر الصديق رضى الله عنهم ٠

(١) هو : أبو بكر بن أبى قحافة ، واسمه عتيق ، واسم أبيه ، عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر ٠

(٢) الكبوة : التأخر وعدم الإجابة ٠

* إيلاف قريش له :

فلما أسلم أبو بكر وأظهر إسلامه ودعا إلى الله ورسوله ، وكان أبو بكر رجلاً مآلفًا لقومه ، مُحببًا سَهلاً ، وكان أنسب قريش لقريش ، وأعلم قريش بما كان فيها من خير أو شر ، وكان رجلاً تاجراً ، ذا خلق ومعروف ، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر لعلمه وتجارته وحسن مجالسته [١] ، فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه .

إسلام خمسة على يديه :

فأسلم على يديه فيما بلغنى الزُبير بن العوَّام ، وعثمان بن عفان ، وطلحة بن عُبيد الله ، وسعد بن أبى وقَّاص ، وعبد الرحمن بن عَوْف ، ومعهم أبو بكر ، فانطلقوا حتى أتوا رسول الله ﷺ ، فعرض عليهم الإسلام ، وقرأ عليهم القرآن ، وأنبأهم بحق الإسلام ، وبما وعدهم الله من كرامة فآمنوا ، وأصبحوا مقرين بحق الإسلام ، فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام فصلُّوا وصدَّقوا رسول الله ﷺ ، وآمنوا بما جاء من عند الله تعالى .

* * *

(١) قيل سمى عتيقًا لعتاقة وجهه وهو الحسن .

إسلام أبى ذرٍّ رضي الله عنه(١)

* ذهابه إلى مكة وسماعه الرسول وإسلامه ومن معه :

نا يونس عن يوسف بن صُهَيب عن عبد الله بن بُريدة قال : انطلق أبو ذر وبريدة ، معهما ابن عم لأبى ذر يطلبون رسول الله ﷺ ، وهو بالجبل مكتتم بطائفة من مكة ، وأتوه وهو نائم فى الجبل مسجًا (٢) بثوبه ، خارجة قدميه ، وكان رسـول الله ﷺ من أحسن الناس قدمًا ، فقال أبو ذر : إن كان نبى بهذه البلاد فهو هذا النائم ، فمشوا حتى قاموا عليه ، ومع أبى ذر عَصًا يتَوكأ علـيها ، فقال أبو ذر : أنائم الرجل ، وكان رسـول الله ﷺ نائمًا ، فلم يجبه رسول الله ﷺ ، ثم نادى أبو ذر : أنائم الرجل فلم يجبه ، ثم أعاد عليه أبو ذر : أنائم الرجل وغمز بعصاه فى باطن قدم رسـول الله ﷺ فاستيقظ رسول الله ﷺ فقعد ، فقال له أبو ذر : يا محمد أتيناك لنسمع ما تقول ، وإلى ما تدعو ، فقال رسول الله ﷺ : أقول : لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، فآمن به أبو ذر وصاحباه وكان علي رضى الله عنه فى حاجة لرسول الله ﷺ أرسله فيها .

* خيرية أمة محمد :

نا يونس عن جعفر بن حيان عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال : أنتم توفون بسبعين أمة ، أنتم خيرها وأكرمها على الله .

* صفة رسول الله ﷺ فى التوراة :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى محمد بن ثابت بن شُرَحْبيل عن أم الدرْدَاء قالت : قلت لكَعب الحَبْر : كيف تجدون صفة رسول الله ﷺ فى التوراة ؟ قال : نجده محمدا رسول الله ، اسمه المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا سخَّاب (٣) فى الأسواق ، وأُعطى المفاتيح ليبصر الله به أعينًا عورًا ، ويسمع به آذانًا وقرًا (٤) ، ويقيم به ألسنًا معوجة ، حتى تشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يعين المظلوم ويمنعه .

---

(١) هو أبو ذر الغفارى نسبة إلى قبيلة غفار .

(٢) أى مُغطًى .

(٣) جاء هذا الحديث فى صحيح البخارى بلفظ ولاصخَّاب .

(٤) الوقر ثقل فى الأذن .

* **أسماء رسول الله ﷺ :**

نا يونس عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عـــمرو بن مُرة عن أبى عُبيدة عن أبى موسى قال سمى لنا رسول الله ﷺ نفسه أسماء منها ما حفظنا ، قال : أنا محمد وأحمد والمقفى ، والحاشر ، ونبى التوبة والملحمة .

* **صفة رسول الله ﷺ فى الإنجيل :**

نا يونس عن يونس بن عمرو عن العيزار بن حريث عن عائشة رضي الله عنها قالت : لَرسول الله ﷺ مكتوب فى الإنجيل ، لا فظ ، ولا غليظ ، ولا سخاب بالأسواق ولا يجزى بالسيئة مثلها ، ولكن يعفو ويصفح [١] .

* **منزلة أمة محمد :**

نا يونس عن عبد الرحمن بن عبد الله عن زياد مولى مُصعب عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : مضت تسع وستون أمة وأنتم توفون سبعين أمة ، أنتم خيرها وأكرمها على الله .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : أخبرنى الزهرى عن مُحمد بن جُبَير ابن مُطْعِم عن أبيه قال سمعت رســول الله ﷺ يقول لى خمسة أسماء : أنا محمد ، وأحمد ، وأنا الماحى الذى يمحو الله به الكفر ، وأنا العاقب ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدميه .

* * *

---

(١) ذكر ابن هشام أن ابن إسحاق ذكر أنه ورد عن عيسى عليه السلام . فى الإنجيل مخاطبًا أهل الإنجيل قائلاً : « فلو قد جاء المُنحَمِنَّا ، هذا الذى يرسله الله إليكـــم من عند الرب ، وروح القدس ، هذا الذى من عند الربِ خرج ، فهو شهيد علىَّ ، وأنتم أيضًا - أى شهيد عليكم - لأنكم قديمًا كنتم معى فى هذا ، قلت لكما لكيما تشكوا » المنحمنا بالسريانية : أى محمد .

إِسلامُ المُهَاجرين رضي الله عنهم

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم انطلق أبو عُبيدة بن الحارث ، وأبو سَلمة [١] بن عبد الأسد ، وعبد الله بن الأرْقَم المخْزُومى [٢] ، وعثمان بن مَظْعُون حتى أتوا رسول الله ﷺ فعرض عليهم الإسلام ، وقرأ عليهم القرآن ، فأسلموا وشهدوا أنه على هدى ونور .

ثم أسلم ناس من قبائل العرب منهم : سَعيد بن زَيد بن عَمْرو بن نُفيل ، أخو بَنى عَدِى بن كَعْب ، وامرأته فاطمة بنت الخطاب بن نُفَيل بن عبد العزَّى ، أخت عمر بن الخطاب ، وأسماء بنت أبى بكر ، وعائشة بنت أبى بكر وهى صغيرة ، وقُدَامة بن مَظْعُون ، وعبد الله بن مَظْعُون الجمحيان ، وخباب بن الأرت حليف بنى زهرة ، وعمير بن أبى وقاص الزهرى [٣] وعبد الله بن مسعود حليف بنى زهرة ، ومسعود بن القارى وسُليط بن عمرو أخو بنى عامر بن لُؤى ، وعيَّاش بن أبى ربيعة المخْزُومي وامرأته أسماء بنت سلامة بن مخرمة التميمى ، وخنيس بن حُذافة السهمى ، وعامر بن ربيعة حليف بنى عَدِى بن كَعْب ، وعبد الله بن جَحش الأسدى ، وأبو أحمد بن جحش ، وجعفر بن أبى طالب وامرأته أسماء بنت عُميس ، وحاطب بن الحارث الجمحى وامرأته أسماء بنت المحلل أخت بنى عامر بن لُؤى ، والخطاب بن الحارث وامرأته فكيهة بنتُ يسَار ، ومعمر بن الحارث بن معمر الجُمَحى ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، والمطالب بن أَزْهَر بن عبد عوف الزهرى

(١) أبو سلمة أخو رسول الله ﷺ من الرضاعة ، كان من السابقين للإسلام وهاجر هو وامرأته إلى الحبشة وإلى المدينة ، مات بعد أُحد ، وخلفه رسول الله ﷺ على زوجته أم سلمة .

(٢) من السابقين الأولين إلى الإسلام ، اتخذ الرسول ﷺ - داره مدرسة يلتقى بها بأصحابه يعلمهم القرآن وتعاليم الدين الحنيف وقواعد الإسلام الصحيح .

(٣) أخو سعد بن أبى وقاص أسلم مبكراً وهاجر الهجرتين وشهد بدراً قتله عمرو بن ود الذى قتله سيدنا علىٌ فى غزوة الخندق .

وامرأته رَمْلة بنت أبى عوف بن صُبَيرة بن سعد بن سهم ، والنحَّام واسمه نعيم بن أسد أخو بنى عَدِى بن كَعْب ، وعامر بن فُهيرة مولى أبى بكر الصديق [١] ، وخالد ابن سعيد بن العَاص وامرأته أُمينة بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة من خُزَاعة ، وحاطب بن عَمرو بن عبد شمس أخو بنى عامر بن لُؤى ، وأبو حُذَيفة بن عُقْبة [٢] بن ربيعة ، وواقد بن فائد بن عبد الله بن عزيز بن ثعلبة التميمى حليف بنى عدى بن كعب ، وخالد بن البكير ، وعامر بن البكير ، وعاقل بن البُكير ، وإياس ابن البكير بن عبد الله بن ناشب بن بنى سعد بن ليث ، حلفاء بنى عدى بن كعب ، وعمار بن ياسر حليف بنى مخزوم ، وصهيب بن سنان حليف بنى تميم .

ثم دخل الناس فى الإسلام أرسالا من النساء والرجال حتى فشا ذكر الإسلام وتُحدِّث به ، فلما أسلم هؤلاء النفر وفشا أمرهم بمكة أعظمت ذلك قريش ، وغضبت له ، وظهر فيهم لرسول الله ﷺ البغى والحسد ، وشخص له منهم رجال فبادوه [٣] العداوة ، وطلبوا له الخصومة منهم : أبو جهل بن هشام ، وأصحابه وأبو لهب [٤] ، وعبيد بن عبد يغوث ، وعمرو بن الطُّلاطلة ، والوليد بن المغيرة ، والعاصى بن وائل ، وأُمية بن خلف ، وأُبَى بن خلف ، وهو الذى أصاب وجه رسول الله ﷺ بمكة ، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة ، وأبو قيس بن الأسلت والحُضين ، أو الحُضير بن الحارث بن سعيد بن الحجاج وهو زهير بن أبى أمية بن المغيرة ، والسائب بن صيفى بن عائذ ، والأسود بن عبد الأسد ، والعاصى ابن سعيد ، وعُتْبة بن ربيعة ، وشَيْبة بن ربيعة ، وأبو سفيان بن حرب ، وأبو العاصى بن هشام ، وعقبة بن أبى مُعيط ، وأبو الأشد الهُذلى ، نطحته أروى فسقط فتقطع ، والحكم بن أبى العاصى ، وعدى بن جبر الثقفى ، وزمعة بن الأسود .

وكان الذين يؤذونه : أبو لهب ، وعُقْبة بن أبى مُعَيط ، والحكم بن أبى العاصى ، وعَدِى بن جبر الثقفى ، ورجل آخر .

---

(١) أسلم وهو عبد فأوذى فى الله كثيراً فاشتراه سيدنا أبو بكر وأعتقه ، وكان له دور كبير فى هجرة النبى ﷺ .

(٢) ذكر ابن هشام أن اسمه مهشم ، وقد أسلم مبكراً وهاجر الهجرتين وشهد بدراً ، وكان له موالى منهم سالم الذى كان يسمى سالم مولى أبى حذيفة ، وكان حافظا للقرآن .

(٣) أى أظهروا وأعلنوا له العداوة .

(٤) وكان عم رسول الله ﷺ وأنزل الله فيه سورة وبين فيها عقابه فى الآخرة هو وزوجته أم جميل -﴿ تبت يدا أبى لهب وتب ﴾ .

قوله عز وجل ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ (١)

* أمر الله رسوله بتبليغ دعوته :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وكان الذى تنتهى إليه عداوة رســـول الله ﷺ ، ويجتمع إليه فيها أبو جهل ، حَسدًا وبغيًا ، لما خص الله به رسوله ﷺ من كرامته ·

ثم إن الله تعالى أمر رسوله ﷺ أن يصدع (٢) بما جاء به ، وأن ينادى الناس بأمره ، وأن يدعو إلى الله تعالى ، وكان ربما أخفى الشيء ، واستسر به إلى أن أمر بإظهاره ، فلبث سنين من مبعثه ، ثم قال الله تعالى : **﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾** (٣) ، وقال : **﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين * واخفض جناحك لمن اتَّبعك من المؤمنين * فإن عصوك فقل إنى برئٌ مما تعملون ﴾** (٤) .

نا أحمد : نايونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى من سمع عبد الله بن الحارث ابن نوفل واستكتمنى اسمه عن ابن عباس عن على بن أبى طالب رضي الله عنه قال : لما نزلت هذا الآية على رسول الله ﷺ : **﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين * واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾** قال رسول الله ﷺ : عرفت أنى إن بادأت بها قومى رأيت منهم ما أكره ، فصمت (٥) عليها ، فجاءنى جبريل فقال : يا محمد إنك إن لم تُفعل ما أمرك ربك تعالى عذبك ربك ، قال على : فدعانى رسول الله ﷺ فقال : يا على إن الله قد أمرنى أن أنذر عشيرتى (٦) الأقربين فعرفت أنى إن بادأتهم

---

(١) سورة الشعراء : الآية ٢١٤ ·

(٢) الصدع : أى التفريق بين الحق والباطل ، اصدع بما تؤمر : أي بالذى تؤمر لكنه لما عدى الفعل إلى الهاء حسن حذفها ههنا أحسن من ذكرها ، لأن ما فيها من الإبهام أكثر مما تقتضيه (الذى) وقولهم (ما) مع الفعل بتأويل المصدر راجع إلى معنى الذى إذا تأملته وذلك أن (الذى) تصلح فى كل موضع تصلح فيه (ما) المصدرية انظر الروض : الأنف ٢ / ٦ تحقيق طه عبد الرءوف سعد

(٣) سورة الحجر : الآية ٩٤ ·   (٤) سورة الشعراء : الآيات ٢١٤ - ٢١٦ ·

(٥) أى سكت وما كان لرسول أن يسكت عما أمر به فإنه يجب عليهم التبليغ ·

(٦) عشيرة الرجل بنو أبيه الأقربون وقبيلته ·

بذلك رأيت منهم ما أكره ، فصمت عن ذلك حتى جاءنى جبريل [١] فقال : يا محمد إن لم تفعل ما أمرت به عذبك ربك ، فاصنع لنا يا على رِجل شاة على صاع من طعام ؛ وأعد لنا عسِّ لبن ، ثم اجمع بنى عبد المطلب ففعلت ، فاجتمعوا له وهم يومئذ أربعون رجلاً أو ينقصون ؛ فيهم أعمامه : أبو طالب ، وحمزة ، والعباس ، وأبو لهب الكافر الخبيث ، فقدمت إليهم تلك الجفنة فأخذ منها رسول الله ﷺ حذية فشقها بأسنانه ، ثم رمى بها فى نواحيها ، ثم قال : كلوا باسم الله ، فأكل القوم حتى نهلوا عنه ، فما رؤى إلا آثار أصابعهم ، والله إن كان الرجل منهم ليأكل مثلها ، ثم قال رسول الله ﷺ : اسقهم يا على ، فجئت بذلك القعب فشربوا حتى نهلوا جميعًا ، وايم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله ، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم بدره أبو لهب إلى الكلام فقال : لهد [٢] ، ما سحركم صاحبكم ! فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله ﷺ ، فلما كان الغد قال رسول الله ﷺ يا على عد لنا بمثل الذى كنت صنعت لنا بالأمس من الطعام والشراب ، فإن هذا الرجل قد بدرنى إلى ما قد سمعت قبل أن أكلم القوم ، ففعلت ، ثم جمعهم له فصنع رسول الله ﷺ كما صنع بالأمس ، فأكلوا حتى نهلوا عنه ، ثم سقيتهم فشربوا من ذلك القعب حتى نهلوا عنه ، وايم الله إن الرجل منهم ليأكل مثلها ، ويشرب مثله ، ثم قال رسول الله ﷺ : يا بنى عبد المطلب ، والله ما أعلم شابا من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة [٣] .

* الرسول ﷺ يصف نزول الوحى عليه :

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت : سأل الحارث بن هشام رسول الله ﷺ فقال : كيف ينزل عليك الوحى ؟ فقال

---

(١) جبريل عليه السلام هو سفير الله لرسله ، وحامل الوحى إليهم ، واسم جبريل سريانى ، ومعناه عبد الرحمن أو عبد العزيز ، هكذا جاء عن ابن عباس موقوفًا . وذهب بعض العلماء إلى أن : جبر اسمه ، إيل : اسم الله .

(٢) ربما تكون « صه » بمعنى اسكت .

(٣) أورد ابن هشام فى سيرته أن ابن إسحاق قال . وكان بين ما أخفى رسول الله ﷺ أمره واستتر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين .

رسول الله ﷺ : كل ذلك يأتينى الملك أحيانًا فى مثل صَلْصَلَة الجرس، وهــو أشقه [١] علىَّ ، فيفصم عنى قد وعيته ، ويتمثل لى الملك أحيانًا فى صورة رجل [٢] فيكلمنى فأعى ما يقول .

نا يونس عن عبَّاد بن منصور عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحى ثقل عليه ، وتربَّد له جلده ، وأمسك الناس عن كلامه .

نايونس عن عمرو بن ذر عن مجاهد قال : كان إذا نزل القرآن على رسول الله ﷺ قرأه على الرجال ثم على النساء [٣] .

* الرسول يأمر أهله بالعمل الصالح :

نا يونس عن أبى مَعْشر عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : يا بنى عبد المطلب ، يا فاطمة بنت محمد ، يا صفية عمة رسول الله اشتروا أنفسكم من الله ، لا أغنى عنكم من الله شيئًا ، سلونى من مالى ما شئتم ، واعلموا أن أول آت يوم القيامة المتقون ، فإن تكونوا يوم القيامة مع قرابتكم فذاك وإياى لا يأتون الناس بالأعمال وتأتون بالدنيا تحملونها على أعناقكم فأصد وجهى عنكم ، فتقولون : يا محمد ، فأقول هكذا - فصرف وجهه ، فتقولون يا محمد فأقول هكذا - وصرف وجهه إلى الشق الآخر .

* خروج الرسول ﷺ بأصحابه للصلاة فى الشِّعب :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا

---

(١) أى أشده عليه ، قيل لأنه يستجمع قلبه عند تلك الصلصلة ، فيكون أوعى لما يســمع ، وألقن لما يلقى .

(٢) كان جبريل يأتيه فى صورة رجل هو : دحية بن خليفة الكلبى، وورد أيضًا أنه كان يأتيه أيضًا فى صورته التي خلقه الله عليها ، له ستمائة جناح ، ينتثر منها اللؤلؤ والياقوت .

(٣) وقد ورد عن النبى ﷺ أنه كان يخصص يوماً للنساء فى المسجد يلتقى بهن ويقرأ عليهن القرآن ويشرح لهن أمور الدين ويجيبهن على أسئلتهن ، وذلك أن النساء قلن للرسول ﷺ لقد غلبنا الرجال فاجعل لنا يومًا يا رسول الله ، فوافق الرسول ﷺ - وجعل لهن يوما ، ومن هنا رأى العلماء ضرورة تخصيص يوم للنساء بالمساجد لتعليمهن أمور دينهن ، وقد وفق الله الأزهر الشريف بأن خصص بعض مساجد الأوقاف ليقام فيها دروس للسيدات وذلك فى كل أنحاء الجمهورية منذ أربعين عامًا ومستمر حتى اليوم بفضل الله ويقوم علماء الوعظ والإرشاد بالأزهر الشريف بإعطاء هذه الدروس للسيدات حمى الله الأزهر الشريف بعلمائه منارة لمصر .

صلوا ذهبوا إلى الشِّعاب ، واستخفوا بصلاتهم عن قومهم ، فبينا سعد بن أبى وقاص فى نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فى شعب من شعاب مكة ، إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون ، فناكروهم (١) وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم ، واقتتلوا ، فضرب سعد بن أبى وقاص رجلاً من المشركين بلحى (٢) بعير فشجه (٣) ، فكان أول دم أهريق فى الإسلام .

* عداوة قومه ومساندة أبى طالب له :

فلما رأت قريش رسول الله ﷺ لا يعتبهم من شىء أنكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم ، ورأوا عمه أبا طالب قد حدب (٤) عليه ، وقام دونه فلم يسلمه لهم ، مشى رجال من أشراف قريش إلى أبى طالب فيهم عتبة بن ربيعة ، وشيبة ، وأبو سفيان ، وأبو البَخْترى ، والأسود بن المطلب ، والوليد بن المغيرة ، وأبو جهل ، والعاصى بن وائل ، ومُنَبه ونبيه ابنا الحجَّاج ، أو من مشى فيهم .

* وفد قريش يعاتب أبا طالب على فعَل ابن أخيه :

فقالوا : يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا ، وسفَّه أحلامنا ، وضلل آباءنا ، فإما أن تكفه عنا ، وإما أن تخلى بيننا وبينه فنكفيكه وإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه ، فقال أبو طالب قولاً رقيقًا ، ورد ردًّا جميلاً ، فانصرفوا عنه .

* الرسول ﷺ يستمر فى دعوته وقريش تظهر عداوتها للمسلمين :

ومضى رسول الله على ما هو عليه يظهر دين الله ، ويدعو إليه ، ثم إن قريشًا تآمروا بينهم على من فى القبائل منهم من أصحاب رسول الله ﷺ الذين أسلموا ، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ، ومنع الله منهم رسوله بعمه أبى طالب (٥) ، وقد قال أبو طالب ، حين رأى قريشًا تصنع ما

---

(١) أى أنكروا عليهم فعلهم . (٢) لحى البعير : العظم الذى عليه الأسنان .

(٣) أى جرحه . (٤) أى عطف عليه ورق له .

(٥) والحق يقال إن أبا طالب ظل يدافع عن رسول الله ﷺ ويناصره حتى مات ولم يصب النبى ﷺ أذى إلا بعد موته ولذلك لما مات ثم بعد بفترة قليلة ماتت السيدة خديجة رضي الله عنها سمى الرسول ﷺ ذلك العام ، عام الحزن ، الحزن على أعز نصيرين عمه وزوجته ومن مآثر أبى طالب الحميدة ، ودليل مساندته للرسول ما أنشده من شعر :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسد فى التراب دفينا

تصنع فى بنى هاشم وبنى المطلب ، دعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله ﷺ والقيام دونه ، فاجتمعوا إليه وقاموا معه وأجابوا إلى ما دعاهم إليه من دفع عن رسول الله ﷺ إلا ما كان من أبى لهب ، وهو يحرِّض بنى هاشم ، وإنما كانت بنو المطلب تدعى لهاشم إذا دعوا بالحلف الذى كان بين بنى هاشم وبين بنى المطلب دون بنى عبد مناف ، فقال :

حَتَّى مَتَـــى نَحنُ عَلى فِتْنَة ... يَا هَاشِمُ وَالقومُ فى مَحفَلِ
يَدْعونَ بالخيـــلِ عَلى رِقْبَة ... منَّا لَدى الخوف وفى مَعْزل
كَالرَّجْبَةِ السَّوْداء يَعْلو بهـــا ... سُرعَانُها فى سَبْسَبٍ مُجْفَل
عَليهم النـــزك عَلى رَعْلِه ... مثل القَطَا الشَّارب المُهْمَلِ
يَا قَومِ ذُودُوا عَن جماهيركُم ... بكُلِّ مفْضالٍ عَلى مَسْبَل
وَقد شَهِدتُ الحَربَ فى فِتْيَةٍ ... عِنْدَ الوَغَا فى عَثِير القَسْطَل

فلما اجتمعت بنو هاشم وبنو المطلب معه ورأى أن قد امتنع بهم وأن قريشًا لن يعادوه معهم قال أبوطالب ، وبادى قومه بالعداوة ، ونصب لهم الحرب فقال :

مَنَعْنَا الرَّسولَ رَســولَ المَليكِ ... ببيـــض تَلألأ كَلَمْعِ البُروقْ
بضَرْبِ بِزَبْرٍ دُونَ التِهـــاب ... حَذارِ البَوادر كالخنفقـــيق
أَذُبُّ وَأَحْمِى رَســول المليك ... حِمَايَة حَامٍ عَليـــه شَفيقْ
وَما إن أدبَّ لأَعْـــدائه ... دَبِيب البكـــار حَذَارِ الفَنِيقْ
وَلَكنْ أزأر لَهـــم سَامِيًا ... كَما زَأَر لَيثٌ بغيـــلِ مَضيقْ

* شعر أبى طالب فى مدح قومه لنصرته :

فلما رأى أبو طالب من قومه ما سرَّه من جدهم معه ، وحدبهم عليه جعل يمدحهم ويذكر قديمهم ، ويذكر فضل رسول الله ﷺ فيهم ، ومكانه منهم ليشتد لهم رأيهم فيه ، وليحدبوا معه على أمرهم ، فقال أبو طالب :

إِذا اجتمعتْ يَومًا قريشٌ لِفَخْرٍ ... فَعبد مَنافٍ سرُّها وَصَميمُها

وإن حُصِّلَتْ أشرافُ عَبْد مَنافها ... فَفى هَاشِمٍ أَشْرافُها وَقديمُها

وَإنْ فَخَرت يَومًا فَإِن مُحَمدًا ... هُو المصْطَفى مِنْ سِرِّها وكَرِيمَها

تَداعَتْ قُرِيشٌ غثُّها وَسَمِينُهَا ... عَلينا فَلم تَظْفَر وَطاشتْ حُلومُها

وكُنَّا قَديمًا لاَ نُقِرُّ ظُلامَةً ... إذا ما ثنوا صُعر الخُدود نُقيمُها

ونَحْمى حِمَاها كُلَّ يَومٍ كَرِيهةٍ ... ونَضرِبُ عَنْ أَحْجَارها مَن يَرومُها

* أبو طالب يسخر من أبى لهب :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم أقبل أبو طالب على أبي لهب حين ظافر عليه قومه ، ونصب لعداوة رسول الله ﷺ مع من نصب له ، وكان أبو لهب لِلخُزَاعية ، وكان أبو طالب وعبد الله أبو رسول الله والزبير لفاطمة بنت عمرو بن عَائذ بن عُمْران بن مَخْزوم ، فغمزه أبوطالب بأُمٍّ له يقال لها اسْمَاحِيج ، وأَغْلظ له فى القول :

مُسْتَعرض الأَقْوامِ يُخْبِرهُم ... عُذْرِى وَما إِنْ جِئْتُ مِنْ عُذْرِ

فَاجْعَل فُلاَنَةَ وَابْنَها عِوضًا ... لِكَرائِم الأَكْفَاء والصِّهْرِ

وَاسْمَع نَوادِرَ مِنْ حَدِيث صَادِقٍ ... تَهْوين مِثْلَ جَنادِل الصَّخْرِ

إِنَّا بَنُو أُمِّ الزُبَيْرِ وَفَحلها ... حَمِلتْ بِنا لِلطِّيبِ والطُّهْرِ

فَحرِّمت مِنَّا صَاحِبًا وَمُوازرًا ... وأَخًا عَلى السَّراء والضُّرِّ

* أبو طالبَ يعلن لقريش تمسكه بنصر ابن أخيه :

قال : فلما مضى أبو طالب على أمره من خلاف قومه فيما أراد رسول الله ﷺ ، واجتمعت قريش على عُدوانه وخلافه ، قال أبو طالب فى ذلك :

مَا إِن جَنَيْنَا مِنْ قُرَيْشٍ عَظِيمَةً ... سَوى أَن مُنعْنَا خَيْر مَن وَطِئ التُّرْبَا

أَخَائقَةً لِلنَّائِبَاتِ مَورًا (١) ... كَرِيمًا ثَناه لاَ لَئِيمًا وَلاَ ذَرِبَا

فَيا أَخَوَيْنا عَبْدَ شَمْس وَنَوْفَلا ... فَإِياكُما أن تُسْعِرا بِينَنا حَرْبَا

(١) أى سريع الإجابة .

وَإن تُصبِحُوا من بَعْد ودٍّ وإلْفَةٍ أَحابيشَ فيها كُلكم يَشْتكى النَّكْبَا
أَلم تَعْلموا مَا كان فِى حَربِ دَاحسٍ ورَهْط أبى يَكْسوم إذ ملأوا الشِّعْبَا
فَوالله لَوْلاَ اللهُ لا شـــىء غَيره لأَصبَحتُم لاَ تملكـــون لنا سِربَا

* الوليد بن المغيرة يكيد للرسول :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدَّثنى محمد بن أبى محمد عن سعيد بن جُبير ، أو عكرمة عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش وكان ذا سن فيهم ، وقد حضر الموســـم ، فقال : يا معشر [1] إنه قد حضر الموسم [2] ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم وقد ســـمعوا بأمر صاحبكم هذا [3] ، فاجمعوا فيه رأيا واحدًا ، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضًا ، ويرد قول بعضكم بعضا ، فقالوا : فأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأيًا نقوم به ، فقال : بل أنتم : قولوا أسمع ، فقالوا : نقول : كاهن ، فقال : ما هو بكاهن ، لقد رأيت الكهان فما هو بزمزمة الكاهن وســجعه فقال : نقول مجنون ، فقال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو تخنقه ، ولا تخالجه ، ولا وسوسته ، فقالوا : نقول : شاعر ، فقال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر برجزه [4] وقريضه ، ومقبوضه ، ومبسوطه ، فما هو بالشعر ، قالوا : فنقول : ساحر ، قال : ما هو بساحر ، قد رأينا السحار وسحرهم ، فما هو بنفثه ولاعقده [5] ، قالوا : فما نقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : والله إن لقوله لحلاوة ، إن أصله لغدق ، وإن فرعه لجنًا ، فما أنتم بقائلين من هذا شيئًا إلا عرف أنه باطل ، وإن أقــرب القول لأن تقولوا : ساحر : فقولوا ساحر يفرق بين المرء وبين أبيه ، وبين المرء وبين أخيه ، وبين المرء

(١) فى سيرة ابن هشام « يا معشر قريش » ويبدوا أنها سقطت هنا لأن الكلام لا يستقيم بدونها .

(٢) أى موسم الحج ، وكان الناس فى الجاهلية يأتون الكعبة ويطوفون بالأصنام ويذبحون لها تقربًا .

(٣) يقصد رسول الله ﷺ .

(٤) فى ابن هشام « لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه » ، انظر سيرة ابن هشام ط . مكتبة الكليات الأزهرية ١ / ٢٤٣ تحقيق طه عبد الرءوف سعد .

(٥) العقد والنفث : هو أن يعقد الساحر خيطا وينفث فيه بفمه .

وزوجه ، وبين المرء وعشيرته ، فتفرقوا عنه بذلك ، فجعلوا يجلسون يسألون الناس حين قدموا الموسمِ لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه ، وذكروا لهم أمره .

• القرآن يرُد على الوليد :

فأنزل الله تعالى فى الوليد بن المغيرة ، وفى ذلك من قوله : ﴿ **ذرنى ومن خلقت وحيداً** ﴾ إلى قوله: ﴿ **سأصليه سقر** ﴾ (١) ، وأنزل الله عز وجل فى النفر الذين كانوا معه يصنِّفون(٢) له القول فى رسول الله ﷺ وفيما جاء به من عند الله تعالى : ﴿ **الذين جعلوا القرآن عضين** ﴾ أى أصنافًا : ﴿ **فوربك لنسئلنَّهم أجمعين** ﴾ (٣) أولئك النفر الذينَ يقَولون ذلك لرسول الله ﷺ لمن لقوا من الناس ، وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله ﷺ ، وانتشر ذكره فى بلاد العرب كلها (٤) .

نا يونس عن أبى معشر عن محمد بن قيس فى قوله : ﴿ **وقالوا قلوبنا فى أكنة** ﴾ (٥) قال : قالت قريش لرسول الله ﷺ : إن ما تقول حق ، فوالله إن قلوبنا لفى أكنة منه ما نعقله ، وفى آذاننا وقر فما نسمعه ، ومن بيننا وبينك حجاب فما ندرى ما تقول .

*** قريش تعرض عمارة بن الوليد على أبى طالب بدل محمد :**

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم إن قريشًا حين عرفت أن أبا طالب أبى خُذْلان رسول الله ﷺ ، وإسلامه ، وإجماعه لفراقهم فى ذلك ، وعدوانهم ، مشوا إليه ومعهم عمارة بن الوليد بن المغيرة ، فقالوا له فيما بلغنا : يا أبا طالب قد جئناك بفتى قريش عُمارة بن الوليد جمالا ، وشبابًا ، ونهادة ، فهو لك نصره وعقله ، فاتخذه ولدًا تنازع فيه ، وخل بيننا وبين ابن أخيك هذا الذى فارق دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة قومه ، وسفَّه أحلامهم ، فإنما رجل كرجل لنقتله ، فإن ذلك أجمع للعشيرة ، وأفضل فى عواقب الأمور مغَبَّة ، فقال

(١) سورة المدثر :الآيات ١١ - ٢٦ . (٢) أى يؤلفون ويصنعون .

(٣) سورة الحجر : الآيات ٩١ - ٩٢ .

(٤) وذكر بالمدينة وكان من أكثر أحياء العرب علما بهذا الموضوع هم الأوس والخزرج بالإضافة إلى ما سمعوه من أحبار اليهود قبل ذلك ، وكان هذا فى صالح الرسول ﷺ لأن أثره ظهر فيما بعد ، وذلك عندما فكر كثير منهم فى هذا الكلام وفى صاحبه فتوصلوا للحق وعلموا أنه نبى فجاء منهم وفدان بايعا الرسول ﷺ بيعة العقبة الأولى وبيعة العقبة الثانية ، وكانوا نواة لنشأة دولة الإسلام بالمدينة ومبرراً لهجرة الرسول ﷺ .

(٥) سورة فصلت : الآية ٥ .

لهم أبو طالب : والله ما أنصفتمونى ، تعطونى ابنكم أغذوه لكم ، وأعطيكم ابن أخى تقتلونه ، هذا والله لا يكون أبدًا ، أفلا تعلمون أن الناقة إذ فقدت ولدها لم تحن إلى غيره ، فقال له المُطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف : لقد أنصفك قومك يا أبا طالب ، وما أراك تريد أن تقبل ذلك منهم ، فقال أبو طالب للمطعم بن عدى : والله ما أنصفتمونى ولكنك قد أجمعت على خذلانى ومظاهرة القوم علىَّ ، فاصنع ما بدا لك ، أو كما قال أبو طالب ، فحقب [1] . الأمر عند ذلك ، وجمعت للحرب [2] ، وتنادى القوم ، وبادى بعضهم بعضا، فقال أبو طالب عند ذلك - وإنه يعرض بالمطعم - ويعم من خذله من بنى عبد مناف، ومن عاداه من قبائل قريش ، ويذكر ما سألوه فيما طلبوا منه وما تباعد من أمرهم .

*** شعر أبى طالب فى المطعم ومن خذله :**

أَلا لَيْتَ حَظِّى مِنْ حِياطَتِكُم بكْرٌ [3] ... يَرِشُّ عَلى السَّاقِينَ مِنْ بَوْلِه قَطْرُ
مِنَ الخُورِ حَبْحَابٌ كَثِيرٌ رُغَاؤهُ ... إذا مَا علا الفَيْفَاءَ تَحْسِبهُ وَبَر [4]
أَرى أَخوَيْنَا مِنْ أبينــــا وأمِّنَا ... إذَا سُئِلا قَالا إلى غيرنا الأَمْرُ
بَلْ لَهمَا أَمرٌ ولكن تَرجمـــــا ... كَما ترجمت [5] مِنْ رأس ذى الفَلَقِ الصَّخْرُ
هُما أَغمزا للقوم فى أَخوَيهمَا ... وَقَدْ أَصبَحَا منهم أَكُفُّهمَا صِفْرُ
أَخُصُ خُصُوصًا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوفَلاً ... هُما نَبذانا مثَل مــــا نبذ الجمرُ
فَأقسمت لاَ ينفك منهم مُجاور ... يُجادِرُنا ما دامَ من نَسْلنا شَفْرُ
هُما أشْركا فى المجْدِ مَنْ لاَ أخًا لَهُ ... مِنَ الناسِ إلا أَن يُرش لَه ذِكْرُ
وَلِيدًا أَبوهُ كَان عبدًا لِجدِّنا ... إلى عِلْجَة زَرقاء جَاش بها البَحْرُ
وَتَيمٌ وَمَخزُومٌ وَزهْرةُ مِنْهُمُ ... وكانوا لنا مولَى إذا ابتغى النَّصْرُ
وَقد سفهَتْ أَحلامُهُمْ وَعُقُولُهم ... وكانوا كَجَفْرٍ شَرَّهَا ضَغَطَت [6] جَفْرُ

---

(١) أى اشتد . (٢) فى سيرة ابن هشام « وحميت الحرب » .
(٣) يريد أن يقول هنا : إن بكرًا من الإبل أنفع لى منكم، وقد جاء هذا البيت فى سيرة ابن هشام كما يلى : ألا قل لعمرو والوليد ومطعم ... ألا ليت حظى من حياطتكم بكر
(٤) الوبر: دويبة صغيرة تشبه الهرة .(٥) فى ابن هشام: « جرجمت » : أى انحدرت .
(٦) فى ابن هشام « صنعت » .

بَابُ مَا نَالَ أَصْحَابَ رَسولِ اللهِ مِنَ البَلاَءِ والجَهْدِ

* رجوع الوفد لأبى طالب مرة ثانية :

ثم إن قريشًا مشوا إلى أبى طالب تارة أخرى فكلّموه ، وقالوا : ما نحن يا أبا طالب ، وإن كنت فينا ذا منزلة بسنِّك وشرفك وموضعك ، بتاركى ابن أخيك على هذا حتى نهلكه أو يكف عنا ما قد أظهر بيننا من شتم آلهتنا ، وسبٍّ آبائنا ، وعيب ديننا ، فإن شئت فاجمع لحربنا ، وإن شئت فدع ، فقد أعذرنا إليك ، وطلبنا التخلص من حربك وعداوتك فكل ما نظن أن ذلك مخلص ، فانظر فى أمرك ، ثم اقض إلينا قضاك ٠

* ما دار بين الرسول ﷺ وعمه أبى طالب :

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى يعقوب بن عُتْبة بن المُغيرة بن الأخْنس أنه حدث أن قريشًا حين قالت لأبى طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله ﷺ فقال له : يا ابن أخى إن قومك قد جاءونى فقالوا : كذا وكذا ، للذى قالوا له، وآذونى قبل ، فأبق علىَّ وعلى نفسك ، ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت ، واكفف عن قومك ما يكرهون من قولك هذا الذى فرق بيننا وبينهم ، فظن رسول الله ﷺ أنه قدْ بَدَا لعمِّه فيه بَداء [(١)] ، وأنه خَاذله ومسلِّمه ؛ وضعف عن نصرته والقيام معه ، فقال رسول الله ﷺ : يا عم لو وضعت الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى [(٢)] ما تركت الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فى طلبه ، ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى ، فلما ولى قال له - حين رأى ما بلغ الأمر برسول الله ﷺ - : أقبل يا ابن أخى ، فأقبل عليه ، فقال : امض على أمرك وافعل ما أحببت ، فوالله لا نسلِّمك بشىء أبدًا ٠

---

(١) أى ظهر له رأى ، فسمى الرأى بداء ، لأنه شىء يبدو بعدما خفى ، والمصدر البدء، والبدو ، والاسم : البداء ٠

(٢) خص الشمس باليمين لأنها الآية المبصرة ، وخص القمر بالشمال لأنها الآية الممحوة٠

نا يونس عن طلحة بن يحيى بن طلحة بن عُبيد الله عن موسى بن طلحة قال : أخبرنى عقيل بن أبى طَالب قال : جاءت قريش إلى أبى طالب فقالوا : إن ابن أخيك هذا قد آذانا فى نادينا ومسجدنا [١] ، فانهه عنا ، فقال يا عقيل انطلق فأتنى بمحمد ﷺ فانطلقت إليه ، فاستخرجته من خِيس ، يقول بيت صغير ، فجاء به فى الظهيرة فى شدة الحر ، فجعل يطلب الفىء يمشى فيه من شدة الحر الرحَض[٢] ، فلما أتاهم قال أبو طالب : إن بنى عمك هؤلاء قد زعموا أنك تؤذيهم فى ناديهم ومسجدهم ، فانته عن أذاهم ، فحلّق رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء فقال أترون هذه الشمس ؟ قالوا : نعم ، قال : فما أنا بأقدر على أن أدع ذلك منكم على أن تستشعلوا منها شعلة فقال أبو طالب : والله ما كذبنا ابن أخى فارجعوا .

* **شعر أبى طالب فى مساندة ابن أخيه :**

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق: ثم قال أبو طالب من شعر قاله حين أجمع لذلك من نُصرة رسول الله ﷺ ، والدفاع عنه على ما كان من عداوة قومه وفراقهم له :

والله لَنْ يَصلوا إليه [٣] بجَمعهمْ ... حتَّى أُوسَّدَ فى التُّرابِ دَفينَا
امضى لأمركَ مَا عليك غَضاضةٌ ... وَابْشرِ وَقرَّ بذاك منْكَ عُيونَا
وَدعوتنى وَعلمْتُ أنك نَاصحٌ ... فَلقد صَدقْتَ وكُنْتَ قدْمًا أَمينا
وَعَرضتَ دينًا قَدْ عرفتُ بأنهُ ... منْ خَير أَدْيان البرِ [٤] دينَا
لولا الملامة أو حَذارِى سُبَّةً ... لَوجدتنى سَمْحًا لذاك مُبينا

فلما قالت قريش : لقد سفَّه أحلامنا ، وعَاب ديننا ، وسب آباءنا ، فوالله لا نقر بهذا أبدًا، وقام أبو طالب دون رسول الله ﷺ ، وكان أحب الناس إليه ، فشمَّر فى شأنه ، ونادى قومه ، قال قصيدة تعوذ فيها منهم ، وبادأهم فى آخرها ، فقال :

لما رَأيتُ القَوم لا وُدَّ بَينهُـــمْ ... وَقد قَطعُوا كل العُرَى والوسائل
وَقَدْ صَارحُونا بالعَداوَةِ والأَذَى ... وَقَدْ طَاوَعُوا أَمْرَ العدُوِّ المُزايـــلِ

(١) أى الكعبة التى يطوفون حول الأصنام بها .
(٢) الحر الرحض : أى الحر الذى يكثر العرق بسببه .
(٣) فى بعض المصادر « إليك » .
(٤) جاء فى إحدى المخطوطات : « البرية » وهى الصواب وبدونها يختل وزن البيت عَرُوضيًا ، وكذلك فى تاريخ الإسلام للذهبى « البرية » انظر تاريخ الإسلام قدم له وعلّق عليه بدوى طه بدوى ط دار الغد العربى .

وَقَدْ حَالفوا قَومًا عَلينـــا أظنـــة ... يعضون غَيْظًـا خَلْفَنَا بالأنامـــل
صَبرتُ لَهم نَفْسى بِصَفـــراء(١) سَمْحة ... وأبيضَ عَضْـب من سُيُوف المُقاول(٢)
وأحضرتُ عِنْدَ البيتِ رَهْطـى وأُسْرتى (٣) ... وأمسكـتُ منْ أثوابه بالوَصـائلِ (٤)
عُكُـــوفًا مَعًـــا مُستقبلين وَتَاره (٥) ... لَدى حَيث يقضى حلفه كل نافلِ (٦)
وَحيث يَنيـخُ الأشعريـــونَ ركابهمْ ... بمفضى السُّيول بين سَافِ(٧) ونائلِ (٨)

* مقاطعة قريش بنى هاشم وبنى المطلب :

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : فلما مضى رسول الله ﷺ على الذى بعث به ، وقامت بنو هاشم ، وبنو المطلب دونه ، وأبوا أن يسلموه ، وهم من خلافه على مثل ما قومهم عليه ، إلا أنهم أنفوا أن يستذلوا ، ويسلموا أخاهم لمن فارقه من قومه ، فلما فعلت ذلك بنو هاشم ، وبنو المطلب ، وعرفت قريش أنه لا سبيل إلى محمد ﷺ معهم ، اجتمعوا على أن يكتبوا فيما بينهم على بنى هاشم وبنى المطلب ألا يناكحوهم ولا ينكحوا إليهم ، ولا يبايعونهم ولا يبتاعون منهم ، فكتبوا صحيفة فى ذلك ، وكتب فى الصحيفة عكرمة بن هاشم بن عبد منـاف بن عبد الدار ، وعلّقوها بالكعبة ، ثم عدوا على من أسلم فأوثقوهم ، وآذوهم ، واشتد البلاء عليهم ، وعظمت الفتنة فيهم وزلزلوا زلزالاً شديدًا ، فخرج أبو لهب عدو الله يظاهر عليهم قريش ، وقال : قد نصرت اللات والعزى يا معشر قريش ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **تبت يدا أبى لهب** ﴾ إلى آخرها .

* شعر صفية عمة رسول الله ﷺ - لقريش :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وقالت صفية بنت عبد المطلب :

---

(١) فى سيرة ابن هشام : « بسمراء » . (٢) أراد بالمقاول : آباءه ، شبههم بالملوك .
(٣) فى سيرة ابن هشام « وإخوتى » .
(٤) الوصائل : ثياب مخططة حمراء ، كان يكسى بها البيت الحرام .
(٥) هذا الشطر جاء فى سيرة ابن هشام هكذا « قيامًا مستقبلين رتاجه » .
(٦) النافل : المتبرئ .
(٧) عند ابن هشام : إساف ، ومن المعروف أن إساف ونائلة كانا رجلاً وامرأة من قبيلة جرهم ، فعلا الفاحشة فى الكعبة فمسخهما الله حجرين ، ومع مرور الأيام قدسهما المشركون وعبدوهم وكانوا يؤدون لهما القرابين .
(٨) هو ترخيم فى غير النداء لضرورة الوزن فى البيت والأصل نائلة فخذف الحرف الأخير

أَلا مَنْ مُبلغٌ عَنِّى قُريشًا ... فَفيم الأَمْرُ فـــينَا والإمارُ
لنَا الأمْرُ المقدَّم قَدْ عَلمتُم ... ولَم تُوْقَد لنـــا بالغَدْر نَارُ
مَجَازِيلُ العَطـــا إذَا وَهَبْنَا ... وَأيْسَارٌ إذا ابتغـــى اليَسارُ
وكُلَّ مَنَاقب الخـــيرات فينا ... وَبعضُ الأَمْرِ مَنْقَصَةٌ وَعَارُ
فَلا والعَادياتِ غَـــداةَ جَمْعٍ ... بأيديهَا إذا سَطَـــعَ الغُبَارُ
لَنَصْطَبِرنَّ لأَمْــــرِ اللهِ حتَّى ... يُبيِّنُ ربـــنا أَينَ القَرارُ

● شعر أبى طالب لقريش :

وقال أبو طالب :

أَلاَ أَبْلغَا عنِّى عَـــلى ذَات نَأْيها ... لُؤَيًّا وَخُصًّا منْ لُؤَىٍّ بَنى كَعْبِ
أَلم تعلموا أنا وَجَدْنَا محـــمدًا ... نَبيا كَمُوسى خَطَّ فى أول الكُتُبِ
وَأنْ عَليـــه فى العباد مَحبةً ... وَلا خَير فيمَنْ خَصَّه اللهُ بالحُبِّ
وَأن الذى أَضَفْتُم فى كتابكم ... لَكم كَائن نَحْسًا كَراعية السقبِ
أَفيقوا أَفيقوا قبل أن تُحفر الثَّرى ... وَيصبح من لم يُجْنِ ذَنبًا كَذِى الذَّنْبِ
وَلا تتبعُوا أَمْرَ الغواة وتَقْطَعوا ... أَواصرنا بَعْدَ المودة والقُــــربِ
وتستجْلبوا حَرْبًا عَـــوَانا وربما ... أمر عَلى من ذَاقه حَلَب الحربِ
ولسنا ورَبِّ البيت نُسْلِم أَحمدًا ... عَلى الحال مَن عض الزَّمان ولاَ كَربِ
أَليس أَبونا هَاشمٌ شَـــد أَزْرَهُ ... وَأَوْصَى بَنيه بالطِّعان وبالضربِ
وَلَسْنا نَمُل الحربَ حـــتى تَملَّنا ... وَلا نَتَشكَّى مَا ينوبُ منَ النكبِ
وَلَكننا أَهلُ الحِفاظِ ذوو النهى ... إذا طَار أَرْوَاحُ الكُمَاة مَن الرُّعْبِ

وقال أبو طالب :

أَلا أَبْلغَا عنِّى لُؤَيًّا رسَــــالة ... بحقٍّ وَما تُغْنى رسَـــالة مُرْسِلِ
بَنى عَمِّنَا الأدنين تَيما نَخصـــهم ... وَأخوتنا من عَبْد شَمـــسٍ ونَوفلِ
أَظَاهرتُم قَومًا عَلينـــا ولاية ... وَأمرٌ غَوى مـــنْ غُواة وَجُهلِ
يَقولونَ إنْ قَد قَتلنـــا مُحَمدًا ... أَقَّرتْ نَواصى هَاشـــم بالتذللِ
كَذَبْتُم ورَبِّ الهدْى تُدْمى نُحورهَا ... بمكة والرُّكْنِ العتيقَ المقبـــلِ
تَنَاولونه أو تُعْطِلونَ لِقَتْلهِ صَوَارم ... تَفْرى كُلَّ عَظْمٍ وَمَفْصَـــلِ

وَتَدعو بَوَيْلٍ أنتم إنْ ظَلمتُم مُقَابله فى يوم أغر محجــــــل
فَمَهلا وَلما تَنْجح الحرب بكرها وَيَأتى تماما أو بآخـــــــر مَعْجَلِ
وإنا متَى مَا نَمرُهَا بِســـــيُوفنَا تَجلْجَل وتَعرك مَنْ نَشــــا بكَلْكَلِ
وَيعلو رَبيع الأبْطحَين مُحمــــــد عَلى ربْوة مِنْ رَأس عَنْقاء عَيْكَلِ (١)
وَيأوى إليها هَاشمٌ إنَّ هَاشماً عَرانين كَعْبَ آخـــــــر بعد أول
فَإن كنتم تَرجونَ قَتل مُحمد فَروموا بما جَمـــــعتم نَقل يَذْبل (٢)
فَإنا سَنَمنَعه بـكـــــــل طُمرة وذى مَيْعة نهـــــــد المَرَاكل هَيكل
وكل رَدينى طُــــــمى كُعُوبَةً وعضب كَما مَاضَ الغَمــــامة مَفْصَلِ
بأيمان شُم مِنْ ذؤابَة هَاشمٍ مَغَاوير بالأبَطـــــــال فى كل مَحفَلِ

* أبو طالب يدعو رب البيت على قاطع المحارم :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فلما سمعت قريش بذلك ، ورأوا منه الجد وأيسوا منه ، فأبدوا لبنى عبد المطلب الجفاء ، فانطلق بهم أبو طالب فقاموا بين أستار الكعبة ، فدعوا الله على ظلم قومهم لهم ، وفى قطيعتهم أرحامهم واجتماعهم على محاربتهم ، وبتأولهم سفك دمائهم ، فقال أبو طالب : اللهم إن أبى قومنا إلا النصر علينا ، فعجِّل نصرنا ، وحل بينهم وبين قتل ابن أخى ثم أقبل إلى جمع قريش وهم ينظرون إليه وإلى أصحابه ، فقال أبو طالب : ندعو برب هذا البيت على القاطع المنتهك للمحارم ، والله لتنتهنَّ عن الذى تريدون ، أو لينزلن الله بكم فى قطيعتنا بعض الذى تكرهون ، فأجابوه إنكم يا بنى عبد المطلب لا صلح بيننا وبينكم ولا رحم إلا على قتل هذا الصبى السفيه .

* قريش تحاصر بنى هاشم وبنى المطلب فى شعبهم :

ثم عمد أبو طالب فأدخل الشعب ابن أخيه وبنى أبيه ومن اتبعهم من بين مؤمن دخل لنصرة الله ، ونصرة رسول الله ﷺ ، ومن بين مشرك يحمى ، فدخلوا شعبهم ، وهو شعب فى ناحية من مكة ، فلما قدم عمرو - عمرو بن العاصى - وعبد الله بن أبى ربيعة إلى قريش وأخبروهم بالذى قال النجاشى لمحمد ﷺ

---

(١) العيكل : هو الجبل العظيم من الرمال .

(٢) يقول لهم هنا لا تستطيعون قتل محمد كما لا تستطيعون نقل جبل يَذبل بنجد ، وهذا منتهى التحدى لهم ومساندته ومؤازرته لابن أخيه .

وأصحابه ، اشتد وجدهم ، وآذوا النبى وأصحابه أذى شديدًا وضربوهم فى كل طريق وحصروهم فى شعبهم وقطعوا عنهم المادة من الأسواق ، فلم يدعوا أحدًا من الناس يُدخل عليهم طعامًا ولا شيئًا مما يرفق بهم ، وكانوا يخرجون من الشعب إلى الموسم ، وكانت قريش تبادرهم إلى الأسواق فيشترونها ويغلونها عليهم ، ونادى منادى الوليد بن المغيرة فى قريش : أيما رجل وجدتموه عنده طعام يشتريه فزيدوا عليه .

* الوليد بن المغيرة يؤذى أهل الرسول ﷺ :

نا يونس عن عيسى بن عبد الله التيمى عن الربيع بن أنس قال : نزلت فى الوليد بن المغيرة : ﴿ عُتُلٍّ بعد ذلك زنيم ﴾ [١] قال : فاحش مع ذلك لئيم .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق فى حديثه عن الوليد : فمن رأيتموه عند طعام يشتريه فزيدوا عليه [٢] ، وحولوا بينهم وبينه ومن لم يكن عنده نقد فليشتر وعلىّ النقد ، ففعلوا ذلك ثلاث سنين حتى بلغ القوم الجهد الشديد ، وحتى سمعوا أصوات صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب ، وكان المشركون يكرهون ما فيه بنو هاشم من البلاء ، حتى كره عامة قريش ما أصاب بنى هاشم ، وأظهروا لكراهيتهم لصحيفتهم القاطعة الظالمة التى تعاهدوا فيها على محمد ﷺ ورَهطه ، وحتى أراد رجال منهم أن يبرءوا منها ، وكان أبو طالب يخاف أن يغتالوا رسول الله ﷺ ليلا أو سرًا ، فكان رسول الله ﷺ إذ أخذ مضجعه أو رقد بعثه أبو طالب عن فراشه وجعله بينه وبين بنيه خشية أن يقتلوه ؛ وتصبح قريش فيسمعوا من الليل أصوات صبيان بنى هاشم الذين فى الشعب يتضاغون من الجوع ، فإذا أصبحوا جلسوا عند الكعبة فيسأل بعضهم بعضًا ، فيقول الرجل لصاحبه : كيف باتَ أهْلك البارحة ؟ فيقول : بخير ، فيقول : لكن إخوانكم [٣] هؤلاء الذين فى الشِّعب بات صبيانهم يتضاغون [٤] من الجوع حتى أصبحوا ، فمنهم من يعجبه ما يلقى محمد ﷺ ورهطه ، ومنهم من يكره ذلك ، فقال أبو طالب ، وهو يذكر ما طلبوا من محمد ﷺ ، وما حشدوهم فى كل موسم يمنعونهم أن يبتاعوا بعض ما يصلحهم ، وذكر فى الشعر :

---

(١) سورة القلم : الآية ١٣ . (٢) أى أغلوا عليه فى السعر .
(٣) يقصد بنى هاشم وبنى المطلب . (٤) أى يتألمون ويصرخون .

أَلا مَنْ لَهَم آخرِ الليْلِ مُعْتم ... طوانى وأُخرى النجم لم يُتقَحَّم
طَوانى وقـــد نَامتْ عُيونٌ كَثيرةٌ ... وَسائرُ أُخرى سَاهر لَم يُنوم
لأَحلامِ أقوامٍ أرادوا محمـــــداً ... بسوءٍ ومن لا يتَّقى الظلم يُظلمِ
سَعوا سَفَها واقتادهم سُوء رأ ... يهم على قائل من رأيهم غَير محكمِ
رَجاء أُمور لم ينَالوا نظَامهــــا ... وإنْ حَشدوا فى كل نَفر وموسمِ
يَرجون أَنْ نَسْخَا بقَتل محمدٍ ... ولَم تختضب سمرَ العوالى من الدمِ
يَرجون منَّا خطـــــة دون نَيلها ... ضراب وَطَعن بالوشيجِ المقوم
كَذبتُم وَبيتُ الله لاَ تقتلونَهُ ... جَماجم تُلْقى بالحطيم وزَمزم
وتُقْطَع أَرحامٌ وتَنْسَى حليلةٌ ... حَليلها ونغشا محرماً بعد محرمِ
وَينهض قَوم فى الدروعِ إليكم ... يَذُبُّونَ عن أحَسابهم كل مجرمِ

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق : فأقامت قريش على ذلك من أمرهم فى بني هاشم وبنى المطلب سنتين أو ثلاثاً ، حتى جهد [1] القوم جهدًا شديدًا لا يصل إليهم شيء إلا سرًّا ، أو مستخفًا ممن أراد صلتهم من قريش ، فبلغنى أن حكيم بن حزام خرج يومًا ومعه إنسان يحمل طعامًا إلى عمته خديجة ابنة خويلد ، وهى تحت رسول الله ﷺ ، ومعه فى الشعب ، إذ لقيه أبو جهل فقال : تذهب بالطعام إلى بنى هاشم والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضـــحك عند قريش ، فـــقال له أبو البخترى بن هاشم بن الحارث بن أســد : تمنعه أن يرسل إلى عمته بطعام كان لها عنده ، فأبى أبو جهل أن يدعه ، فقام إليه أبو البَخْترى بساق بعير فشجه ووطئه وطئًا شديدًا ، وحمزة بن عبد المطلب قريبًا يرى ذلك وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله ﷺ وأصحابه فيشمتوا بهم ، فقال أبو البخترى بن هاشم فى ذلك :

ذُقْ يَا أَبا جَهْلٍ لَقِيتَ غَما ... كَذلك الجَهْلُ يَكونُ ذَمَّا
سَوف تَرى عُودى إن ألما ... كَذلك اللوم يعودُ ذَمَّـــا
تَعلَّم أنَّا نفرج المَهـــما ... ونمنع الأبْلَج أنْ يَطمـــا

(١) أى تعبوا تعبًا شديدًا

* **ما فعله الله بالصحيفة :**

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم إن الله عز وجل برحمته أرسل على صحيفة قريش التي كتبوا فيها تظاهرهم على بني هاشم ، الأَرَضَة [(١)] ، فلم تدع فيها اسم هو لله عز وجل إلا أكلته ، وبقى فيها الظلم والقطيعة والبهتان [كذا] ، فأخبر الله عز وجل بذلك رسول الله ﷺ ، فأخبر أبا طالب ، فقال أبو طالب : يا ابن أخي من حدَّثك هذا ، وليس يدخل إلينا أحد ، ولا تخرج أنت إلى أحد ، ولست فى نفسى من أهل الكذب ، فقال له رسول الله ﷺ أخبرنى ربى هـذا ، فقال له عمه : إن ربك لحق ، وأنا أشهد أنك صادق ، فجمع أبو طالب رهطه ولم يخبرهم بما أخبره به رسول الله ﷺ كراهية أن يفشوا ذلك الخبر فيبلغ المشركين ، فيحتالوا للصحيفة الخبث والمكر ، فانطلق أبو طالب برهطه حتى دخلوا المسجد ، والمشركون من قريش فى ظل الكعبة ، فلما أبصروه تباشروا به ، وظنوا أن الحصر والبلاء حملهم على أن يدفعوا إليهم رسول الله ﷺ فيقتلوه ، فلما انتهى إليهم أبو طالب ورهطه رحبوا بهم وقالوا : قد آن لك أن تطيب نفسك عن قتل رجل فى قتله صلاحكم وجماعتكم ، وفى حياته فرقتكم وفسادكم ! فقال أبو طالب : قد جئتكم فى أمر لعله يكون فيه صلاح وجماعة فاقبلوا ذلك منا ، هلموا صحيفتكم التى فيها تظاهركم علينا ، فجاءوا بها ، ولا يشكون إلا أنهم سيدفعون رسول الله ﷺ إليهم إذا نشروها ، فلما جاءوا بصحيفتهم قال أبو طالب : صحيفتكم بينى وبينكم ، وإن ابن أخى قد خبرنى - ولم يكذبنى - أن الله عز وجل قد بعث على صحيفتكم الأرضة ، فلم تدع لله فيها اسمًا إلا أكلته وبقى فيها الظلم والقطيعة والبهتان ، فإن كان كاذبا فلكم على أن أدفعه إليكم تقتلونه ، وإن كان صادقًا فهل ذلك ناهيكم عن تظاهركم علينا ؟ فأخذ عليهم المواثيق ، وأخذوا عليه ، فلما نشروها فإذا هى كما قال رسول الله ﷺ ، وكانوا هم بالغدر أولى منهم ، واستبشر أبو طالب وأصحابه ، وقالوا : أينا أولى بالسحر والقطيعة والبهتان ؟ فقال المُطْعم بن عدى بن نوفـل بن عبد مناف ، وهشام بن عمرو ، أخو عامر بن لؤى بن حارثة ، فقالوا : نحن براء من هذه الصحيفة القاطعة العادية الظالمة ، ولن أغالى أحدًا فى فساد أنفسنا وأشرافنا

---

(١) الأرضة : دويبة بيضاء تشبه النملة ، تظهر أيام الربيع ، انظر المعـجم الوجيز ص ١٣ .

وتتابع على ذلك ناس من أشراف قريش ، فخرج أقوام من شعبهم وقد أصابهم الجهد الشديد ، فقال أبو طالب فى ذلك من أمر محمد ﷺ وما أرادوا من قتله :

تَطاوَل لَيلى بهَمٍّ وَصَبْ ... وَدَمْعٍ كَسَحٍّ السِّقَاء السَّرِبْ
للعب قُصَى بأحْلاَمهـــا ... وَهل يَرجع الحلْم بَعد اللَّعَبْ
وَنفى قُصَـــى بَنى هاشم ... كَنفى الطُهاة لِطاف الحطَبْ
وَقولٌ لأحمـــدَ أَنتَ امرءٌ ... خَلوفُ الحديث ضَعيف النَّسَبْ
وإنْ كَان أحـــمد قَد جَاءهم ... بحقٍّ ولَم يأتهـــم بالكَذبْ
عَلى أن إخـــوَتَنَا وَازروا ... بَنى هَاشـــمٍ وبَنى المطلبْ
هُما أَخوان كَعظم اليَمين ... أمرَّ عَلينـــا كَعقد الكَرَب
فَيا لَقُصَى أَلم تخبروا بما ... قد مضَى من شـــؤون العَرب
فلا تمسكـــن بأيديكم ... بعد الأنوف بعجب الذنبْ
عَلام عـــلام تَلافيتُم ... بأمر مُزاح وحـــلْم عَزبْ
وَرمتُم بأَحْمـــدَ مَا رُمتم ... عَلى الأصرات وقُرْب النَّسبْ
فإنِّى وَما حج من راكبٍ ... لكَعبـــة مكَّةَ ذات الحُجُبْ
تنالون أحمـــداً وتَصْطلوا ... ظُبات الرِّمَاح وحَدَّ القَضَبْ
وتغتـــرفوا بَيْن أبياتكم ... صُدُورَ العَوالى وَخَيْل عُصبْ
تراهن من بين صَافى السبيبْ ... قَصير الحـــزام طَويلِ اللببْ
وَجَرْداء كالطير سَمْحوجة ... طَواها المقـــانعُ بَعْدَ الحَلبْ
عَليها صَنادِيدٌ (١) مِنْ هَاشم ... هم الأنَجبـــونَ مع المنتجبْ

وقال أبو طالب فى شأن الصحيفة حين رأى قومه لا يتناهون وقد رأوا فيها العلم من العلم ما رأوا :

---

(١) الصناديد : أى الأكابر والزعماء .

أَلا مَنْ لَهمٍّ آخر الليلِ منصب — وشِعْب العَصَا مِنْ قَوْمك المتشعِّب
وَحَرْبُ أبينا من لُؤَىٍّ بن غالب — مَتَى ما تُزاحمها الصحيفة تَحرب
إذا ما مُشير قَام فيها بخُطَّةٍ — الذؤابة ذنـــباً وليس بمذنب
وَمَا ذَنبُ مَن يَدْعُو إلى البر والتُّقى — وَلم يَسْتَطِعِ أَنْ يأرب الشعب يَأرب
وَقد جَرَّبوا فيما مضى غب أمرهم — وَما عَالم أمرًا كَمن لم يُجَرِّب
وَقد كان فى أَمْر الصَّحيفة عبرة — مَتى ما يخـــبر غَائب القوم يُعْجب
مَحى اللهُ منها كُفْرَهم وعقُوقَهم — ومَا نقَموا من بَاطِل الحق مُعْرب
فَأصبح مَا قالوا من الأمر بَاطلا — ومن يَخْتلق مَا ليس بالحق يُكْذَب
وَأمسى ابنُ عَبْد الله فينا مُصدَّقاً — على سَخْط من قَوْمنا غيرَ معتب
فلا تَحسبوا يَا مُسْلمينَ مُحمداً — لـــذى غُرْبَة منَّا وَلا مُتَغرب
ستَمنَعـــــهُ منَّا يَدٌ هاشميَّةٌ — مَركبهـــا فى الناس خَيْر مَرْكَب

فلما بادأهم أبو طالب بالعداوة (١) ، وباداهم بالحرب ، عدت قريش على من أسلم منهم فأوثقوه وآذوه واشتد البلاء عليهم ، وعظمت الفتنة فيهم ، وزلزلوا زلزالاً شديدًا ، وعدت بنو جمح على عثمان بن مظعون ، وفر أبو ســـلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم إلى أبى طالب ليمنعه ، وكان خاله فجاءت بنو مخزوم ليأخذوه ، فمنعهم ، فقالوا : يا أبا طالب منعتنا ابن أخيك أتمنع منا ابن أخينا ؟! فقال أبو طالب : أمنع ابن أختى مما أمنع ابن أخى ، فقال أبو لهب - ولم يتكلم بكلام خير قط ليس يومئذ - : صدق أبو طالب لا يسلمه إليكم ، فطمع فيه أبو طالب حين سمع منه ما سمع ، ورجا نصره والقيام معه ، فقال شعرًا استجلبه بذلك :

---

(١) كان حق هذه الرواية أن تأتى سابقا ، لأن الحديث عن انتهاء الصحيفة ، وفك الحصار من الشعب تم فى الصفحة السابقة ، أما هذا الكلام وما بعده فكان حقه أن يأتى مقدمًا مع غيره من الروايات فى نفس الموضوع وهو خبر الصحيفة وإيذاء المشركين وحصار الرسول وأهله فى الشعب ، وهذا دليل أن ابن إسحاق كان يدمج الروايات ببعضها ، وقد مر فيما سبق شيء من هذا .

وَإِنَّ امْرَءًا أبــو عُتيبة عَمه … لفى رَوضة من أن يسام المظالما
أَقولُ لَــه وأينَ منِّى نصيحتى … أَبا مُعتبٍ ثَبِّت سوادك قَائمــا
وَلا تُقْبلن الدهر مَا عِشتَ خطة … تسبُّ بِها لمــا هَبطتَ المواسما
وَحارب فإن الحربَ نصفٌ وَلنْ تَرى … أَخَا الحرب يُعْطِى الضيم إلاَّ مُسَالما
وَوَلى سَبيل العَجْزِ غَيركَ مِنْهم … فَإنكَ لَنْ تَلْحَق على العَجْز لاَزِما

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم إنه قام فى نقضِ الصحيفة التى تكاتبت قريش على بنى هاشم ، وبنى المطلب ، نفر من قريش ، ولم يبل أحد فيها بلاء أحسن بلاء من هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن خُزيمة بن نَصر ابن مالك بن حِسْل بن عامر بن لُؤى ، وذلك أنه كان ابن نَضْلة بن هاشـــم بن عبد مناف لأمه ، وكان عمرو ونضلة أخوين لأم ، وكان هشام لبنى هاشم واصلاً ، وكان ذا شرف فى قومه ، وكان فيما بلغنى يأتى بنى المغيرة وبنى هاشم وبنى المطلب فى الشعب ليلاً ، قد أوقر جملاً طعامًا ، حتى إذا أقبله فى الشِّعب حل خطامه من رأسه ثم ضرب جنبه ، فدخل الشعب عليهم ، ويأتى به قد أوقره بُرًّا أو بزا فيفعل به مثل ذلك .

ثم إنه مشى إلى زهير بن أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وكانت أمة عاتكة بنت عبد المطلب ، فقال لزهير : قد رضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء ، وإخوانك حيث قد علمت لا يباعون ولا يباع منهم ، ولا ينكحون ولا ينكح إليهم ، ولا يأمنون ولا يؤمن عليهم ، أما إنى أحلف بالله لو كانوا أخوال أبى الحكم بن هشام ثم دعوته إلى مثـل ما دعاك إليه منهم ما أجابك إليه أبدا، قال : ويحـك فما أصنع وأنا رجل واحد ؟! قال : فقال : قد وجدت ثانيًا ، قال : ومن هو ؟ قال : أنا أقوم معك فقال له زُهير : أبغنا ثالثا ؛ قال : وذهب إلى المطْعِم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف فقال له يا مُطْعِم قد رضيت أن تهلك بطن من بنى عبد مناف وأنت شاهد على ذلك موافق عليه ، أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنهم إليها سراعًا منكم ، فقال : ويحك فما أصنع إنما أنا رجل واحد ؟! فقال : قد وجدت ثانيًا ، قال : فمن هو ؟ قال أنا ، قال : فابغنا ثالثًا ، قال : قد فعلت ، قال : ومن هو ؟ قال : زهير بن أبى أمية ، قال : فابغنا

رابعًا يتكلم معنا ، قال : فذهب إلى أبى البَخْتَرى بن هشام فذكر قرابتهم وحقهم ، فقال : هل من أحد يعين على هذا ؟ قال : نعم ، المطعم بن عدى ، وزهير بن أبى أمية ، فقال : أبغنا خامسًا ، فذهب إلى زمْعَة بن الأسود بن المطلب بن أسد فكلمه ، وذكر له قرابتهم وحقهم ، فقال له زمعة : هل معك على هذا الأمر الذى تدعونى إليه من أحد ؟ فقال : نعم ثم سمى له القوم ، فتواعدوا عند خَطم الحجون ليلاً بأعلى مكة ، فاجتمعوا هناك وأجمعوا أمرهم ، وتعاهدوا على القيام فى الصحيفة حتى ينقضوها ، فقال زُهير : أنا أبدأ فأكون أولكم .

* حديث نقض الصحيفة :

فلما أصبحوا غدوا على أنديتهم ، وغدا زهير بن أبى أمية فى حُلة له فطاف بالبيت سبعًا ، ثم أقبل على الناس فقال : يا أهل مكة أنأكل الطعام ونشرب الشراب ، ونلبس الثياب ، وبنو هاشم وبنو المطلب هلكى لا يباعون ولا يباع منهم ، ولا ينكحون ولا ينكح إليهم ، والله لا أذوق طعامًا ولا شرابًا حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة القاطعة ، فقال أبو جهل ، كذبت والله - وهو فى ناحية المسجد - لا تشق هذه الصحيفة ، فقال زمعة بن الأسود : بل أنت والله أكذب ، ما رضينا كتابها حين كتبت ، فقال أبو البخْترى : صدق زمْعَة بن الأسود ، لا نرضى بما كتب فيها ولا نعرفه ، فقال المُطْعِم بن عدى صدقتما وكذب من قال غير ذلك ، نبرأ إلى الله عز وجل منها ومما كتب فيها ، وقال هشام بن عمرو مثل ما قالوا فى نقضها وردها ، فقال أبو جهل : هذا أمر قضى بليل تشوور فيه - يعنى بغير هذا المكان - وأبو طالب جالس فى ناحية المسجد يرى ما يصنع القوم ، ثم إن المطعم بن عدى قام إلى الصحيفة فشقها فوجد الأرضة قد أكلها [1] إلا باسمك اللهم[2] وكان الذى كتب الصحيفة منصور بن عكرمة بن هشام بن عبد مناف بن عبد الدار فشلت يده فيما يزعمون ، والله أعلم .

فلما مزقت وبطل ما فيها قال أبو طالب فى ذلك مما كان فى أمر أولئك النفر فى نقضها يمدحهم :

---

(١) عند ابن هشام « أكلتها » .

(٢) فى أول الموضوع أنها لم تترك إلا الظلم .

أَلا هَلْ أَتى الأَعْداء رَأفة رَبِّنَا عَلَى نَأْيِهم وَاللهُ بالناس أَرْود
فَيُخْبِرهم أن الصحيفةَ مُزِّقَتْ وأَنْ كَل مَا لم يَرْضَه اللهُ مُفْسد
تَداعى لها إِفْكٌ وَسِحْرٌ مُجمعٌ ولم يَلف سِحْر آخر الدهر يصْعَد
تَداعى لها مَنْ لَيس فِيها بقُربة فَطَائرها فى وَسْطها يتَردد
أَلم تَكُ حقا وقعة صيلمية ليقطع فيها ساعد ومُقَلد
وَيَظْعَنُ أَهل ماكثون فَيهربوا فَرَائصهم من خشية الموت ترعد

● عمرو وعمارة وذهابهما إلى الحبشة :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وقد كان عمارة بن الوليد بن المغيرة ، وعمرو بن العاص بعد مبعث رسول الله ﷺ ، ومشى قريش بعُمارة إلى أبى طالب قد خرجا تاجرين إلى أرض الحبشة ، وكانت لقريش ملجأ ووجهًا ، وهما على شركهما ، وكلاهما كان شاعرًا غازيًا فاتكا ، وكان عمارة رجلاً جميلاً وسيمًا ، يفتن النساء ، صاحب محادثة ، فركب البحر ، ومع عمرو بن العاص امرأته حتى إذا سارا فى البحر ليالى أصابا من خمر معهما ، فلما انتشى عمارة بن الوليد قال لامرأة عمرو قبلينى ، فقال عمرو : قبلى ابن عمك ، فقبلته ، فألقاها عُمارة بن الوليد فجعل يريدها عن نفسها ، فامتنعت منه ثم إن عمرًا قعد على منجاف [1] السفينة يبول فدفعه عمارة فى البحر ، فلما وقع فيه سبح حتى أخذ بمنجاف السفينة ، فقال له عمارة : أما والله لو عرفت يا عمرو أنك تسبح ما طرحتك ، ولكن كنت أظنك لا تحسن السباحة ، فلما قال ذلك عمارة لعمرو ضغن عليه عمرو فى نفسه ، وعرف أنه قد أراد قتله ومضيا فى وجههما حتى قدما أرض الحبشة كتب عمرو إلى أبيه العاصى ابن وائل أن اخلعنى وتبرأ من جريرتى إلى بنى المغيرة وجميع بنى مخزوم ، وخشى على أبيه أن يتبع بجريرته، فلما قدم الكتاب على العاصى مشى إلى رجال من بنى مخزوم ، ورجال من بنى المغيرة فقال : إن هذين الرجلين قد خرجا حيث قد علمتم ، وكلاهما فاتك صاحب شر ، غير مأمونين على أنفسهما : ولا أدرى ما يكون ، إنى أتبرأ إليكم من عمرو وجريرته فقد خلعته ، فقالت له عند ذلك بنو المغيرة ورجال من بنى مخزوم : وأنت تخاف عمرًا على عمارة ونحن قد خلعنا عمارة وتبرأنا إليك من جريرته ، فخلِ بين الرجلين ، فقال : قد فعلت ، فخلعوهما وتبرأ كل واحد من صاحبهم ، ومما جرَّ عليهم .

---

(١) هو : مؤخرة السفينة الذى يحدد اتجاهها وتتجه به يمينًا ويسارًا .

فلما اطمأنا لم يلبث عمارة أن دب (١) لامرأة النجاشي (٢) ، وكان رجلاً جميلاً وسيمًا ، فأدخلته فاختلف إليها ، وجعل إذا رجع من مدخله ذلك يحدّث عمرًا بما كان من أمره ، فجعل عمرو يقول : ما أصدقك إنك قدرت على هذا ، شأن المرأة أرفع من هذا ! فلما أكثر عليه عمارة ، وكان عمرو قد صدقه وعرف أنه قد دخل عليها ، ورأى من هيئته وما يصنع به والذهاب إذا أمسى وبيتوتته عنه حتى يأتى من السَّحر (٣) ما عرف به فى ذلك ، وكانا فى منزل واحد ، ولكنه كان يريد أن يأتيه بشىء لا يستطيع دفعه إن هو رفع شأنه إلى النجاشى ، فقال له فى بعض ما يذكر له من أمرها : إن كنت صادقًا أنك بلغت منها ما تقول ، فقل لها فلتدهنك من دهن النجاشى الذى لا يدهن به غيره ، فإنى أعرفه ، وائتنى منه بشىء حتى أصدقك بما تقول ، قال : أفعل ، قال : فجاءه فى بعض ما يدخل عليها ، فدهنته وأعطته منه شيئًا فى قارورة ، فلما شمه عمرو عرفه ، وقال له عند ذلك أشهد أنك قد صدقت ، ولقد أصبت شيئًا ما أصاب أحد من العرب مثله ، امرأة الملك ، ما سمعنا مثل هذا ، وكانوا أهل جاهلية ، وكان ذلك فى أنفسهم فضلا لمن أصابه وقدر عليه ، ثم إنه سكت عنه حتى إذا اطمأن دخل عمرو على النجاشى فقال : أيها الملك معى سفيه من سفهاء قريش ، وقد خشيت أن يعزى (٤) عندك أمره ، وقد أردت أن أرفع إليك شأنه ولم أعلمك ذلك حتى استثبت أنه قد دخل على بعض نسائك فأكثر ، وهذا دهنك قد أعطته وادهن به ، فلما شم النجاشى الدهن ، قال : صدقت هذا دهنى الذى لا يكون إلا عند نسائى ، ثم دُعى بعُمارة بن الوليد ، ودعا بالسواحر فجردنه من ثيابه ثم أمرهن فنفخن فى إحليله ، ثم خلى سبيله فخرج هاربًا فى الوحش (٥) ، فلم يزل بأرض الحبشة حتى كانت خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فخرج إليه رجال من بنى المغيرة منهم عبد الله بن أبى ربيعة بن المغيرة ، وكان اسم عبد الله قبل أن يسلم بجير ، فلما أسلم سمَّاه رسول الله ﷺ عبد الله ، فرصده بأرض الحبشة بماء كان يرده مع الوحش ، فذكروا أنه أقبل فى حمُر من حمُر الوحش يرد معها ، فلما

(١) أى : مشى رويداً يريد فتنتها .

(٢) النجاشى : هو ملك الحبشة ، وكان ملكاً لا يظلم عنده أحد .

(٣) السَّحر : آخر الليل قبيل الفجر .

(٤) بمعنى ينتشر ويتفشى . (٥) أى فى الصحراء مع الوحوش .

وجد ريح الإنس هرب حتى أجهده العطش ، فورد فشرب حتى إذا امتلأ خرجوا فى طلبه ، قال عبد الله بن أبى ربيعة : فسبقت إليه فالتزمته ، فجعل يقول : أى بجير أرسلنى فإنى أموت إن أمسكتنى ، قال عبد الله : فضبطته فمات فى يدى مكانه ، فواريته ثم انصرفنا ، وكان شَعره فيها يزعمون قد غطى كل شىء منه ، فقال عمرو ، وهو يذكر ما صنع به وما أراد من امرأته :

تَعلم عُمار أنْ منْ شَر شيمَة ... بمثلك أنْ يَدعا ابن عَم لكائن مَا
أإن كُنتَ ذَا بُرْدَين أحوَى مُرجلاً ... فَلست تَراى لابَن عَمك مَحرَمَا
إذَا المرءُ لم يترك طعاماً يُحبُّه ... ولَم يَنهَ قَلباً غاوياً حيث يَمَّمَا
قَضى وَطَرًا منها يسيرًا فَأصبحتْ ... إذَا ذُكرت أمثاله تَملأ الفَما
أَصبتُ من الأمر الدقيق جليلَهُ ... وعَيشاً إذا لاقيت من قَدْ تَلوَّما
ألا فَارفع عَنْ مَطامع خَشْيَة ... وعَالج أمر المجد لاَ يتندما
فَليس الفتى وإن أنمت عُرُوقه ... بِذى كَرم إلا بأن يتكرَّمَا

* * *

إسلام حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه (١)

* **سبب إسلامه :**

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فحدثنى رجل من أسلم (٢) ، وكان واعية أن أبا جهل اعترض رسول الله ﷺ عند الصفا ، فآذاه وشتمه ونال منه ما يكره من العيب لدينه ، والتضعيف له ، فلم يكلمه رسول الله ﷺ ، ومولاة لعبد الله بن جدعان التّيمى فى مسكن لها فوق الصفا تسمع ذلك ، ثم انصرف عنه فعمد إلى نادى (٣) لقريش عند الكعبة ، فجلس معهم ، ولم يلبث حمزة بن عبد المطلب أن أقبل متوشحًا قوسه ، راجعًا من قنص له ، وكان إذا فعل ذلك لا يمر على نادٍ من قريش إلا وقف وسلم وتحدث معهم ، وكان أعز قريش وأشدها شكيمة ، وكان يومئذ مشركًا على دين قومه ، فلما مر بالمولاة وقد قام رسول الله ﷺ فرجع إلى بيته ، فقالت له : أبا عمارة (٤) لو رأيت ما لقى ابن أخيك من أبي الحكم آنفًا قبيل ، وجده هاهنا فآذاه وشتمه وبلغ منه ما يكره ، ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد ، فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله عز وجل به من كرامته ، فخرج سريعًا لا يقف على أحد كما كان يصنع يريد الطواف بالبيت ، مُعداً لأبى جهل أن يقع به ،

---

(١) هو عم النبى ﷺ كان إسلامه فى السنة الثانية من البعثة ، وكان إسلامه هو وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما عزا ونصراً للإسلام فى بدايته وكيداً للكافرين وتخفيفًا لأذاهم عن رسول الله وقد هاجر حمزة إلى المدينة ، وشهد بدراً وأبلى فيها بلاء حسنًا ، واستشهد ﷺ فى غزوة أحد ، وقاتله وحشى ، وحزن النبى ﷺ لفراقه حزنًا شديداً لدرجة أن وحشيا قاتله أسلم فيما بعد وجاء إلى الرسول فلم يطق النبى ﷺ رؤية قاتل عمه - رغم إسلامه - وطلب منه أن يعيش خارج المدينة ونفذ وحشى رغبة الرسول ﷺ .

(٢) أى من بنى أسلم .

(٣) النادى : المكان الذى يجتمع فيه القوم إذا أنهوا أعمالهم . فيلتقون فيه ويتسامرون ويتعرفون أخبار بعضهم ، وقد يطلق لفظ « نادى » ويراد به الناس المجتمعون فيه وليس المكان مثل قوله تعالى : ﴿ فليدع ناديه ﴾ أى فليدع قومه وعشيرته ، وهذا فى البلاغة يسمى مجازا مرسلا علاقته المحلية .

(٤) كان يكنى أبا عمارة ، وقد سماه النبى ﷺ أسد الله لشجاعته وبسالته وبلائه الحسن .

فلما دخل المسجد نظر إليه جالسًا فى القوم ، فأقبل نحوه حتى قام على رأسه ، رفع القوس وضربه بها ضربة شجه بها شجة منكرة ، وقامت رجال من قريش من بنى مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل منه ، فقالوا : ما تراك يا حمزة إلا قد صبأت ؟! فقال حمزة : وما يمنعنى منه وقد استبان لى منه ذلك ، وأنا أشهد أنه رسول الله ، وأن الذى يقول حق ، فوالله لا أنزع فامنعونى إن كنتم صادقين ، فقال أبو جهل : دعوا أبا عمارة فإني والله لقد سببت ابن أخيه سبًّا قبيحًا ، وتم حمزة على إسلامه وعلى ما بايع عليه رسول الله ﷺ من قوله .

* حمزة يهجو أبا جهل ويعتز بإسلامه :

فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عز وامتنع وأن حمزة سيمنعه ، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه ، فقال فى ذلك شعرًا حين ضرب أبا جهل وأسلم :

ذُقْ يَا أبا جَهْلٍ بَما عسَيتْ ... منْ أَمرك الظالمِ إذْ مَشيتْ
ستَسعط الرغم بما أتَيتْ ... تُؤذى رَسولَ الله إذْ نَهيتْ
عَنْ أمرك الظالم إذْ عَتيتْ ... لَو كُنت تَرجو اللهَ مَا شَقيتْ
وَلا تَركتَ الحقَ إذْ دُعيتْ ... وَلا هَويتْ بعَدما هَويتْ
تُؤذى رَسولَ الله قَد غَويتْ ... مَا كُنت حبًّا بعدما غَدرتْ
فَحتى تَذوق الخزى قد لَقيتْ ... فَقَد شَفيت النفس وأَشفَيتْ

* الشيطان يوسوس لحمزة ليترك الإسلام :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم رجع حمزة إلى بيته فأتاه ، الشيطان فقال أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابئ ، وتركت دين آبائك ، للموت كان خير لك مما صنعت فأقبل على حمزة بثه [1] فقال : ما صنعت اللهم ، إن كان رشدًا فاجعل تصديقه فى قلبى ، وإلا فاجعل لى مما وقعت فيه مخرجًا ، فبات بليلة لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان وتزيينه حتى أصبح ، فغدا على رسول الله ﷺ فقال : يا ابن أخى إنى قد وقعت فى أمر لا أعرف المخرج منه وإقامة مثلى على ما لا أدرى

---

(١) البث : الحزن الذى لا يصبر عليه صاحبه .

ما هو أرشد هو أم غى شديدة ؟ فحدثنى حديثًا فقد اشتهيت يا ابن أخي أن تحدثنى ، فأقبل رسول الله ﷺ فذكره ووعظه وخوَّفه وبشَّره ، قال : فألقى الله عز وجل فى نفسه الإيمان بما قال رسول الله ﷺ ، فقال أشهد أنك صادق ، شهادة الصدق العارف ، فأظهر يا ابن أخى دينك [1]، فوالله ما أحب أن لى ما أظلته السماء وأنى على دينى الأول فكان حمزة ممن أعز الله به الدين .

* **حمزة يحمد الله على إسلامه :**

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وقال حمزة بن عبد المطلب :

حَمدتُ اللهَ حين هدى فُؤادى ... إلى الإسلام والدين الحَنيف
لدين جاءَ من رب عَزيز ... خَبير بالعبادِ بهم لَطِيف
إذا تُلِيَت رَسائلهُ علينا ... تَحدَّر دمع ذى اللب الحصيف
رَسائلُ جاء أَحمد من هُداها ... بآيات مُبينات الحروف
وأحمد مُصطفى فينا مُطَاع ... فَلا تَغشوهُ بالقَول العنيف
فَلا والله نُسلمُهُ لقَومٍ ... ولَما نقض فيهم بالسيوف
ونَترك منهم قَتْلى بقَاعٍ ... عَليها الطير كالورد العكُوف
وَقد خَبِرت ما صَنعتْ ثَقيف ... بَه فجزى القَبائل من ثَقيف
إله الناس شر جَزاء قومٍ ... ولا أسقاهم صَوب الخريف

* * *

(١) أى : أعلن الإسلام .

ما جاء فى هجرة أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة

* الرسول يأمر أصحابه بالهجرة للحبشة :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ومنع (١) الله بأبى طالب رسول الله ﷺ فلما رأى رسول الله ﷺ أصحابه وما يصيبهم من البلاء والشدة ، وأن الله تعالى قد أعفاه من ذلك ، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم من قومهم ، وأنه ليس فى قومهم من يمنعهم كما منعه عمه أبو طالب ، أمرهم بالهجرة إلى أرض الحبشة ، وقال لهم : إن بها ملكًا (٢) لا يُظلم الناس ببلاده فى أرض صدق فتحرزوا عنده يأتكم الله عز وجل بفرج منه ، ويجعل لى ولكم مخرجًا ، فهاجر رجال من أصحابه إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة ، وفروا إلى الله عز وجل بدينهم ، واستخفى آخرون بإسلامهم (٣) .

---

(١) أى أجاره وحماه .

(٢) هو النجاشى ، وكان يدين بالنصرانية ، وقد رحَّب بالمسلمين المهاجرين أسمى ترحيب ، وقبلهم فى بلاده معززين مكرمين ، وعلم أنهم على حق ، وقال لهم : إن ما جاء به صاحبكم - يعنى رسول الله وما جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة - أى من أصل واحد . وقد أسلم النجاشى بعد هجرة الرسول ﷺ المدينة ، ولما مات النجاشى صلى عليه الرسول واستغفر له ، وكان موته فى رجب سنة تسع ، ونعاه رسول الله إلى الناس فى اليوم الذى مات فيه ، وصلى عليه بالبقيع ، وقيل رُفع إليه سريره بأرض الحبشة حتى رآه وهو بالمدينة فصلى عليه .

(٣) ذكر ابن هشام فى سيرته أن ابن إسحاق قال : لما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية ، بمكانه من الله ومن عمه أبى طالب ، وأنه لا يقدر أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء ، قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكًا لا يُظلم عنده أحد ، وهى أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه ، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ - إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم ، فكانت أول هجرة فى الإسلام . انظر : السيرة النبوية لابن هشام ط . دار المنار ص ٣٠٩ .

نا يونس عن عيسى بن عبد الله التَّميمى عن الرَّبيع بن أنس عن أبى العالية فى قوله عز وجل : ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم** ﴾ (١) الآية ، فمكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين بعدما أوحى إليه خائفاً هو وأصحابه يدعون لله عز وجل سرًّا وعلانية ، ثم أمروا بالهجرة إلى المدينة ، وكانوا بها خائفين يمسون ويصبحون فى السلاح ، فقال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ : يا رسول الله أما يأتى علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح ؟ فقال رسول الله ﷺ : لن تعبروا إلا يسيرًا حتى يجلس الرجل منكم فى الملأ العظيم ليس فيه حديد ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية : ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات** ﴾إلى آخر الآية لقول الرجل ولقول رسول الله ﷺ ، وقوله : ﴿ **ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون** ﴾ (٢) قال : ومن كفر بهذه النعمة ، ليس يقول : من كفر بالله (٣) ، وكانوا كذلك حتى قبض الله عز وجل رسوله ﷺ ، ثم كانوا كذلك فى إمرة(٤) أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ثم غيروا (٥) فغير ما بهم ، كفروا بهذه النعمة فأدخل الله عز وجل عليهم الخوف الذى كان قد وضعه عنهم .

نا يونس عن هشام بن سَعيد بن زيد بن أسْلم قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ على ثلاث فرق : فرقة بالمدينة ، وفرقتين بمكة ، فرقة كانوا يؤذون بمكة عشر سنين فيعفون عن المشركين ، وفرقة كانوا إذا أوذوا انتصروا منهم ، فأنزل الله عز وجل عليهم جميعًا ، فقال : ﴿ **الذين يجتنبون كبائر الإثم** ﴾ وهو الشرك ﴿ **والفواحش** ﴾ وهو الزنا : ﴿ **وإذا ما غضبوا هم يغفرون** ﴾ هؤلاء الذين كانوا لا ينتصرون من المشركين :﴿ **والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم** ﴾ الذين كانوا بالمدينة لم يكن عليهم أمير ، كان رسول الله ﷺ بمكة وهم بالمدينة ، يتشاورون فى أمرهم : ﴿ **والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون** ﴾ هؤلاء الذين انتصروا : ﴿ **وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله** ﴾ الذين عفوا ﴿ **ولمن انتصر بعد ظلمه** ﴾، إلى قوله : ﴿ **فى الأرض بغير الحق** ﴾ المشركين الذين كانوا يظلمون الناس المسلمين ﴿ **لهم عذاب أليم** ﴾ (٦) .

* * *

(١) سورة النور : الآية ٥٥ . (٢) سورة النور : الآية ٥٥ .

(٣) الكفر هنا بمعنى : الجُحود والإنكار ، لأن من أسماء الكفر ، كفر الجحود ، وهو لا يخرج من الملة أى لا يكفر صاحبه بعكس كفر العقيدة . (٤) أى فى خلافة .

(٥) أى بدَّلوا ، وابتدعوا . (٦) سورة الشورى : الآيات ٣٦ - ٤٢ .

تسمية من هاجر إلى أرض الحبشة من مكة

* أوائل المهاجرين إلى الحبشة :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وكان ممن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة ، قبل هجرة جعفر [(١)] وأصحابه من بنى أُمية بن عبد شمس بن عبد مناف : عثمان بن عفان معه امرأته رقيَّة ابنة رسول الله ، [(٢)] ، وأبـــو حُذيفَة بن عُتْبَة بن عبد شمس معه امرأته سَهْلَة ابنة سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر ابن مالك بن حسل ، وولدت هناك محمد بن أبى حُذيفة [(٣)] .

ومن حلفائهم : عبد الله بن جحش بن رئاب [(٤)] .

ومن بني نوفل بن عبد مناف : عتبة بن غزوان بن جابر ، حليف لهم من قيس عيلان .

ومن بنى أسد بن عبد العزَّى بن قُصى : الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد .

ومن بنى عبد الدار بن قُصى : مصعب بن عمير بن عامر بن هاشـــم بن عبد مناف بن عبد الدار .

---

(١) لم يكن جعفر أول من هاجر إلى الحبشة ، وإنما سبقة عشرة من المسلمين وكان هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة ، وكان عثمان بن مظعون أميراً عليهم ، هكذا أورد ابن هشام فى سيرته ، وأورد أيضًا أن ابن إسحاق قال : ثم خرج جعفر ابن أبى طالب رضي الله عنه ، وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبـــشة ، فكانوا بها منهم من خرج أهله معه ، ومنهم من خرج بنفسه لا أهل له معه . انظر سيرة ابن هشام تحقيق طه عبد الرءوف سعد . ط . مكتبة الكليات الأزهرية ١ / ٢٨١ .

(٢) كان سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه - أول من هاجر من المسلمين من بنى أمية ومعه زوجته بنت خير الخلق محمد صلى الله عليه وسلم .

(٣) وأبو حذيفة رضي الله عنه كان ممن هاجـــر إلى الحبشـــــة من بنى عبد شمس بن عبد مناف ، وممن هاجر من بنى عبد شمـــس أيضًا : أبو موســـى الأشـــعرى ، واسمه عبد الله ابن قيس ، حليف آل عتبة بن ربيعة .

(٤) وهو من بنى أسد بن خزيمة ، وهاجر معه أخوه عبيد الله بن جحـــش معه امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب بن أمية ، وقيس بن عبد الله وامرأته بركة بنت يسار .

ومن بنى عبد بن قُصى : طليب بن عُمير بن وهب بن أبي كثير [(١)] بن عبد بن قصى .

ومن بنى زُهرة بن كلاب : عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة ، وعبد الله بن مسعود ، حليف لهم ، والمقداد ، حليف لهم [(٢)] .

ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مُرة : أبو سلمة بن عبد الأسد [(٣)] معه امرأته أم سلمة بنت أبى أمية [(٤)] ، وسلمة بن هشام بن المغيرة ، حبس بمكة فلم يقدم إلا بعد بدر وأحد ، والخندق ، وعياش بن أبي ربيعة بن المغيرة هاجر معه إلى المدينة ولحق به أخواه لأمه : أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام فرجعا به إلى مكة فحبساه بها حتى مضى بدر وأُحد والخندق .

ومن حلفائهم : عمار بن ياسر - يشك فيه أكان خرج إلى الحبشة أم لا ، ومُعتب بن عوف بن عامر بن خُزاعة من بنى عدى بن كعب بن لُؤى بن عامر بن ربيعة [(٥)] ، حليفًا لهم ، مع امرأته ليلى ابنة أبى حثمة بن غانم .

ومن بنى جُمح بن عمرو بن هَصيص : عثمان بن مَظْعُون بن حبيب بن وهب ابن حذافة بن جمح ، وابنه السائب ، وقُدامة بن مظعون [(٦)] .

---

(١) عند ابن هشام « أبى كبير » انظر على سبيل المثال السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٣١١ ط . دار المنار .

(٢) وأيضًا : عامر بن أبى وقاص ، وأبو وقاص هو : مالك بن أهيب بن عبد مناف ابن زهرة والمطلب بن أزهر بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة معه امرأته رملة بنت أبى عوف بن ضبيرة بن سعيل ، ولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن المطلب .

(٣) اسم أبى سلمة : عبد الله .

(٤) اسم أم سلمة : هند ، وولدت بأرض الحبشة زينب بنت أبى سلمة .

(٥) وهو الذى يقال له : عيهامة ، وقال ابن هشام ، وهو الذى يقال له : معذِّب بن حمراء .

(٦) وهو أخوه ، وكذلك عبد الله بن مظعون ، وحاطب بن الحارث بن معمر بن حبيب ابن جمح ومعه امرأته فاطمة بنت المجلل بن عبد الله بن قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل وابناه : محمد بن حاطب ، والحارث بن حاطب ، وأخوه : خطاب بن الحارث معه امرأته فكيهة بنت يسار ، وسفيان بن معمر بن حبيب بن حذافة بن جمح ، وابناه جابر بن سفيان ، وجنادة بن سفيان ومعهما أمهما حسنة ، وأخوهما من أمهما شرحبيل ابن حسنة .

ومن بنى سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب : خنيس بن حذافة بن قَيس بن عَدى ، وهشام بن العاصي بن وائل [١] .

ومن بنى عامر بن لُؤَىٍّ : حاطب بن عمـرو بن عبد شمس ، وهو أول من هاجر ، فيما يقال ، وسليط بن عمرو بن عبد شمس ، معه امرأته أُم يقَظة بنت علقمة ، ولدت له ، سليط بن سليط ، والسكران بن عمرو بن عبد شمس ، معه امرأته سودة بنت زمعة بن قيس ، مات بمكة قبل هجرة رسـول الله ﷺ إلى المدينة ، فخلف رسول الله ﷺ على امرأته سودة ابنة زمعة [٢] .

ومن حلفائهم : سعيد بن خولة [٣] .

ومن بنى الحارث بن فهر بن مالك : أبو عبيـدة بن الجراح ، وسـهيل بن بيضاء ، وعمرو بن أبى شريح بن ربيعة ، وعمـرو بن الحارث بن زُهَير بن أبى شداد .

* سورة النجم وما فعل الشيطان بالمشركين :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فأقاموا حتى بلغهم أن أهل مكة قد أسلموا وسجدوا ، وذلك أن سورة النجم أنزلت على رسول الله ﷺ ، فقرأها رسول الله ﷺ ، فأنصت لها كل مسـلم ومشرك ، وحتى انتهـى إلى قوله : ﴿ **أفرأيتم اللاَّت والعُزَّى** ﴾ [٤] فأصاخوا له والمؤمنون يتصدقون [٥] ،وارتد ناس حين سمعوا سجع الشيطان [٦] ، فقال : والله لنعبدهن ليقربونا إلى الله زلفا ، وعلم

(١) وعبد الله بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهل .

(٢) أى تزوجها رسول الله ﷺ بعد وفاته ، وكانت ﵂ من أمهات المؤمنين .

(٣) جاء فى سيرة ابن هشام : سعد بن خولة : وهو من اليمن .

(٤) سورة النجم : الآية ١٩ .

(٥) أى : يصدِّقون .

(٦) وذلك أن الرسول ﷺ قرأ ﴿ **والنجم إذا هوى** ﴾ وذلك أمام المسلمين والمشركين، فلما بلغ : ﴿ **أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى** ﴾ سها أو سكت ، وهنا استغل الشيطان اللعين هذه السكتة ، ونطق بلفظ أسمعه الكفار وقرب صوته من صوت النبى ﷺ مقلداً نغمة النبى ﷺ قائلا : « إن شفاعتهم ترتجى،وإنهن الغرانيق العلا»حتى التبس الأمر على المشركين ، فظنوها من قول النبى ﷺ ففرحوا بذلك وسجدوا وأشاعوها ، وقالوا : محمد قرأها وهذا أحد الأقوال وهناك أقوال أخرى تراجع فى تفسير الآلوسى تحقيق طه عبد الرءوف سعد . ط . دار الغد العربى .

الشيطان بتيك [١] الآيتين كل مشرك ... ذلت بها ألسنتهم ، وكبر ذلك [٢] على رسول الله ﷺ حتى أتاه جبريل عليه السلام ، فشكا إليه هاتين الآيتين وما لقى من الناس فيهما ، فتبرأ جبريل عليه السلام منهما وقال : لقد تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله عز وجل ، وقلت ما لم يقل لك ، فحزن رسول الله ﷺ [٣] حزناً شديداً ، وخاف ، فأنزل الله عز وجل تعزية له : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى [٤] ألقى الشيطان فى أُمنيته** ﴾ [٥] إلى قوله : ﴿ **عليم حكيم** ﴾[٦] .

* رجوع بعض المهاجرين إلى مكة :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فلما بلغ من بالحبشة من المسلمين سجود أهل مكة مع رسول الله ﷺ أقبلوا ، أو من شاء الله عز وجل منهم وهم يرون أنهم قد تابعوا رسول الله ﷺ فلما دنوا من مكة بلغهم الأمر فثقل عليهم أن يرجعوا إلى أرض الحبشة ، وتخوفوا أن يدخلوا مكة بغير جوار ، فمكثوا على ذلك حتى دخل كل رجل منهم بجوار [٧] من بعض أهل مكة [٨] ، وقدم عثمان بن مظعون بجوار من الوليد بن المغيرة ، وأبو سلمة بن عبد الأسد بجوار من أبى طالب ، وكان خاله ، وأم أبى سلمة برة بنت عبد المطلب .

* عثمان بن مظعون يطلب من الوليد أن يرد عليه جواره :

فأما عثمان بن مظعون فكان من خبره أن يُونس بن بُكير : نا عن محمد بن إسحاق قال : فحدثنى صالح عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عمن حدثه قال : لما رأى عثمان ما يلقى رسول الله ﷺ وأصحابه من الأذى ، وهو يغدو ويروح

---

(١) أى بهاتين .　　　(٢) أى شق عليه ، وحزن لذلك .

(٣) أى لهذه الشبهة وما أشاعه المشركون ، وقال ﷺ : « إن ذلك من الشيطان» .

(٤) تمنى : أى قرأ وتلا .　　　(٥) أمنيته : أى قراءته وتلاوته .

(٦) سورة الحج : الآية ٥٢ راجع أقوالا أخرى فى تفسير الآلوسى .

(٧) أى فى حماية ومنعة .

(٨) أى فى جوار أحد من المشركين .

بأمان الوليد بن المغيرة قال عثمان : والله إن غدوى ورواحى آمنا بجوار رجل من أهل الشرك ، وأصحابى وأهل بيتى يلقون من البلاء والأذى فى الله عز وجل ما لا يصيبنى لنقص كثير فى نفسى ، فمشى إلى الوليد بن المغيرة وهو فى المسجد ، فقال : يا أبا عبْد شمس وفت ذمتك ، قد كنت فى جوارك ، وقد أحببت أن أخرج منه إلى رسول الله ﷺ ، ولى به وبأصحابه أسوة ، قال الوليد : فلعلك يا ابن أخى أوذيت ، أو انتهكت ؟ فقال : لا ولكنى أرضى بجوار الله تعالى ولا أريد أن أستجير بغيره ، قال : فانطلق إلى المسجد ، فاردد علىَّ جوارى علانية كما أجرتك علانية ، فقال : أنطلق قال : فخرجا حتى أتيا المسجد فقال الوليد : هذا عثمان بن مظعون قد جاء ليرد علىَّ جوارى ، فقال عثمان : صدق ، وقد وجدته وفيًّا كريم الجوار ، وقد أحببت ألا أستجير بغير الله ، وقد رددت عليه جواره ·

* عثمان يؤذى فى سبيل الله ويصبر :

ثم انصرف عثمان بن مظعون ولبيد بن ربيعة بن جعفر بن كلاب القيسى فى مجلس قريش ، فجلس معهم عثمان ، فقال لبيد وهو ينشدهم :

أَلا كُلُّ شَىءٍ مَا خَلا اللهَ باطِلِ . . . .

فقال عثمان : صدقت ، فقال لَبِيد :

. . . . وَكُلُّ نَعيمٍ لاَ مَحالةَ زَائِلُ

فقال عثمان : كذبت ، فالتفت إليه القــوم وقالوا للبيد : أعد علينا ، فأعاد لبيد ، وعاد له عثمان بتصديقه مرة وتكذيبه مرة ، وإنما يعنى عثمان إذ قال : كذبت ، يعنى نعيم الجنة لا يزول ، فقال لبيد : والله يا معشر قريش ما كانت مجالسكم هكذا! فقام سفيه منهم إلى عثمان ولطم عينه فاخضرت ، فقال له من حوله : والله يا عثمان لقد كنت فى ذمة منيعة ، وكانت عينك غنية عما لقيت ! فقال عثمان : جوار الله آمن وأعز ، وعينى الصحيحة فقيرة إلى ما لقيت أختها ولى برسول الله ﷺ أسوة ، وبمن معه أسوة ، فقال الوليد : هل لك فى جوارى ؟ قال عثمان : لا إرب لى (١) فى جوار أحد إلا جوار الله ، ثم قال عثمان فى ذلك :

---

(١) أى لا حاجة لى ·

لا إربَ لى يا ابنَ المغيرةِ فى الذى   تقولُ ولكنى بأحمـــــــد واثقُ
رَسولٌ عَظِيم الشـــانِ يتلو كِتَابَهُ   لَهُ كل من يبغى التلاوةَ وامِقُ
مُحِبٌّ عَليه كـل يـــوم طَلاوة   وَإنْ قَال قَولاً فالـــذى قال صَادقُ
فَيا رَبِّ إنـــى مُؤمـــن لمحمَّد   وجبْريلَ إذْ جِبريلُ بالوحـى طارقُ
وَمَا نزل الرحمـــنُ منْ كُلِّ آية   لها كل قلـب حِينَ يذكر خَافِقُ
مِنَ الخـوف مما يُنذرُ الله خَلْقَهُ   إذا صدَّ عن آيات ذِى العرش وَامِقُ
تَرى النَّاس ضُلاَّلاً وقـد ضَلَّ سعيه   وبالخير مَغْبونٌ وبَالشـــر سابِقُ

* * *

إسلام عُمر بن الخطاب رضي الله عنه

* متى أسلم عمر رضي الله عنه :

نا أحمد : نا يونس عن محمد بن إسحاق قال كان إسلام عمر بن الخطاب بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال حدثنى عبد الرحمن بن الحارث عن عبد العزيز بن عبد الله عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أمه ليلى قالت : كان عمر ابن الخطاب من أشد الناس علينا فى إسـلامنا ، فلما تهيأنا للخروج إلى أرض الحبشة ، جاءنى عمر بن الخطاب وأنا على بعيرى نريد أن نتوجه ، فقال : أين يا أم عبد الله ؟ فقلت له : آذيتمونا فى ديننا فنذهب إلى أرض الله عز وجل حيث لا نؤذى فى عبادة الله ، فقال : صحبكم الله ، فذهب ، ثم جاءنى زوجى عامر بن ربيعة ، فأخبرته بما رأيت من رقة عمر فقال : أترجين يسلم ؟ فقلت : نعم ، فقال : والله لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب [1] .

* عمر يذهب لدار الأرقم يريد قتل الرسول ﷺ :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسـحاق قال : ثم إن قريشًا بعثت عمر بن الخطاب - وهو يومئذ مشرك - فى طلب رسول الله ﷺ ، ورسول الله ﷺ فى دار فى أصل الصفا [2] ، ولقيه النحَّام وهو نعيم بن عبد بن أسد ، أخو بنى عَدى بن كعب ، قد أسلم قبل ذلك ، وعمر متقلِّد سيفه ، فقال : يا عمر أين تراك تعمد[3] ؟ فقال : أعمد إلى محمد هذا الذى سفَّه أحلام قريش ، وسفه آلهتها ، وخالف جماعتها ، فقال له النحَّام : والله لبئست الممشى مشيت يا عمر ، ولقد فرطت وأردت

---

(١) هذه العبارة دليلاً على أنه استبعد إسلام عمر وجعله مستحيلا لما كان عليه عمر من البأس وإيذائه للمسلمين ، وهذه العبارة تبين منتهى اليأس من إسلام عمر بسبب غلظته وقسوته بالمسلمين ولكن أراد الله - ولا راد لمشيئته - أن يعز الإسلام بعمر .

(٢) وهى دار عبد الله بن الأرقم المخزومى التى اتخدها الرسول ﷺ مدرسة لتعليم صحابته قواعد الإسلام وقراءة القرآن عليهم .

(٣) أى تذهب .

هلكة بنى عدى بن كعب ، أو تراك تنفلت من بنى هاشم ، وبنى زهرة وقد قتلت محمدًا - ﷺ ؟! فتحاورا حتى ارتفعت أصواتهما ، فقال له عمر : إنى لأظنك قد صبأت [١] ، ولو أعلم ذلك لبدأت بك فلما رأى النحَّام أنه غير منته قال : فإنى أخبرك ، إن أهلك وأهل خَتَنك قد أسلموا وتركوك وما أنت عليه من ضلالتك ، فلما سمع عمر تلك المقالة يقولها قال : فأيهم ؟ قال : ختنك [٢] وابن عمك وأختك ، فانطلق عمر حتى أتى أخته [٣] .

* **الرسول ﷺ يدعو أن يعز الله الإسلام بعمر :**

وكان رسول الله ﷺ إذا أتته الطائفة من أصحابه من ذوى الحاجة نظر إلى أولى السَّعة فيقول : عندك فلان فليكن إليك ، فوافق ذلك ابن عم عمر وخِتنه زوج أخته سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فدفع إليه رسول الله ﷺ خَبَّاب بن الأرت ، مولى ثابت بن أم أنمار حليف بنى زهرة ، وقد أنزل الله عز وجل : ﴿ **طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى * إلا تذكرة لمن يخشى** ﴾ وكان رسول الله ﷺ دعا ليلة الخميس فقال : اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بأبي الحكم بن هشام [٤] ، فقال ابن عم عمر وأخته : نرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ لعمر ، فكانت .

* **سبب إسلام عمر :**

فأقبل عمر حتى انتهى إلى باب أخته ليغير عليها ما بلغه من إسلامها ، فإذا خَبَّاب بن الأرت عند أخت عمر يدرس عليها طه [٥] ، ويدرس عليها إذا الشمس كورت ، وكان المشركون يدعون الدراسة الهينمة [٦] ، فدخل عمر فلما أبصرته أخته عرفت الشر فى وجهه فخبأت الصحيفة [٧] ، وراغ خباب فدخل البيت [٨] ، فقال عمر لأخته : ما هذه الهينمة فى بيتك ؟ قالت : ما عدا حديثًا نتحدث به بيننا ، فعذلها وحلف ألا يخرج حتى تبين شأنها ، فقال له زوجها سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل : إنك لا تستطيع أن تجمع الناس على هواك يا عمر وإن كان الحق سواه ،

---

(١) يقصد تركت دين آبائك ،وأسلمت مع محمد والصابى الخارج من دين إلى دين .
(٢) أى زوج أختك وهو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل .
(٣) هى : فاطمة بنت الخطاب . (٤) هو أبو جهل - لعنه الله .
(٥) أى يعلمها هى وزوجها ويقرأ عليهما .(٦) الهينمة : صوت الكلام الذى لا يفهم .
(٧) التى فيها القرآن . (٨) أى اختبأ .

فبطش به عمر فوطئه (١) وطئًا شديدًا وهو غضبان ، فقامت إليه أخته تحجره عن زوجها فنفحها (٢) عمر بيده فشجها ، فلما رأت الدم قالت : هل تسمع يا عمر ، أرأيت كل شىء بلغك عنى مما يذكر من تركى آلهتك وكفرى باللات والعزى فهو حق ، أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله ، فائتمر أمرك ، واقض مما أنت قاض ، فلما رأى ذلك عمر سقط فى يديه ، فقال عمر لأخته ، أرأيت ما كنت تدرسين أعطيك موثقًا من الله لا أمحوها حتى أردها إليك ، ولا أريبك فيها ، فلما رأت ذلك أخته ، ورأت حرصه على الكتاب رجت أن تكون دعوة رسول الله ﷺ له ، فقالت : إنك نجس ﴿ **لا يمسه إلا المُطَهَّرُون** ﴾ (٣) ، ولست آمنك على ذلك ، فاغتسل غسلك من الجنابة ، وأعطنى موثقًا تطمئن إليه نفسى ففعل عمر ، فدفعت إليه الصحيفة ، وكان عمر يقرأ الكتاب ، فقرأ ﴿ **طه** ﴾ حتى إذا بلغ . ﴿ **إن الساعة آتية أكادُ أُخفيها لتُجزى كل نفس بما تسعى** ﴾ إلى قوله ﴿ **فتردى** ﴾ (٤) وقرأ ﴿ **إذا الشمس كُورت** ﴾ حتى بلغ ﴿ **علمت نفس ما أحضرت** ﴾ (٥) فأسلم عند ذلك عمر (٦) ، فقال لأخته ، وختنه : كيف الإسلام ؟ قالا : تشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله ، وتخلع الأنداد (٧) ، وتكفر باللات والعزى ، ففعل ذلك عمر ، وخرج خبَّاب ، وكان فى البيت داخلاً ، فكبَّر خباب وقال : أبشر يا عمر بكرامة الله فإن رسول الله ﷺ قد دعا لك أن يعز الله الإسلام بك ، قال عمر : فدلونى على المنزل الذى فيه رسول الله ﷺ فقال له خَبَّاب بن الأرت : أنا أخبرك ، فأخبره أنه فى الدار التى فى أصل الصفا .

* ذهاب عمر للرسول ﷺ معلنًا إسلامه :

فأقبل عمر ، وهو حريص على أن يلقى رسول الله ﷺ ، وقد بلغ رسول الله ﷺ أن عمر يطلبه ليقتله ولم يبلغه إسلامه ، فلما انتهى عمر إلى الدار استفتح ، فلما رأى أصحاب رسول الله ﷺ عمر متقلدا بالسيف ، أشفقوا

---

(١) أى : ضربه . (٢) أى : لطمها .
(٣) سورة الواقعة : الآية ٧٩ . (٤) سورة طه : الآيات ١ - ١٦ .
(٥) سورة التكوير : الآيات ١ - ١٤ .
(٦) أى ألقى الله فى قلبه الإيمان ، وعلم أن هذا هو الحق من عند الله .
(٧) أى : تترك عبادة الأصنام التى تجعلهم شركاء لله .

منه (١) ، فلما رأى رسول الله ﷺ وَجَلَ القوم قال : افتحوا له فإن كان الله عز وجل يريد بعمر خيراً اتبع الإسلام وصدق الرسول ، وإن كان يريد غير ذلك لم يكن قتله علينا هينا ، فابتدره رجال من أصحاب رسول الله ﷺ ، ورسول الله ﷺ يوحى إليه ، فخرج رسول الله ﷺ حين سمع صوت عمر ، وليس عليه رداء ، حتى أخذ بمجمع قميص عمر (٢) ، ورداءه فقال له رسول الله ﷺ : ما أراك منتهيًا يا عمر حتى ينزل الله بك من الرجز (٣) ما أنزل بالوليد بن المغيرة ، ثم قال : اللهم اهد عمر ، فضحك عمر . فقال : يا نبى الله أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، فكبَّر أهل الإسلام تكبيرة واحدة سمعها من وراء الدار والمسلمون يومئذ بضعة وأربعون رجلاً وإحدى عشرة امرأة .

* عمر يعلن إسلامه بشعر رقيق أمام الرسول وأصحابه :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق : قال : قال عمر حين أسلم :

الحمدُ لله ذى المنِّ الذى وجَبتْ ... لهُ عَلينا أيَادى مَا لــها غيرُ
وَقد بَدأنا فكذَّبنا فقــال لنَا ... صَدق الحديث نبى عــنده الخَبَرُ
وَقد ظَلَمتُ ابنةَ الخطاب ثم هَدَى ... رَبى عشية قالوا قــد صَبَا عمرُ
وَقَد نَدمتُ علــى ما كان من زَلَلٍ ... بِظلمها حين تُتْلَى عنــدها السورُ
لَما دعت ربهـــا ذا العرش جَاهدة ... والدمع من عينــها عجلان يبتدر
أَيقنتُ أن الذى تــدعوه خَالِقها ... فكاد يَسْبِقنى مــن عَبْرةٍ دُرَرَ
فقلتُ أشهدُ أن الله خالقـــنا ... وأن أحـــمد فينا اليوم مشتهرُ
نَبىٌّ صِدْقٍ أتى بالحـــق من ثِقَة ... وَافى الأمانة ما فى عوده خَوَرُ

* عمر يخرج بالمسلمين إلى الكعبة :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : قال عمر عند ذلك : والله لنحن بالإسلام أحق أن ننادى منا بالكفر ، فليظهرن لمكة دين الله ، فإن أراد قومنا بغيًا

---

(١) أى : خافوا منه . (٢) أى موضع شد الإزار . (٣) أى الزجر والوعيد .

علينا ناجزناهم ، وإن قومنا أنصفونا قبلنا منهم ، فخرج عمر وأصحابه ، فجلسوا فى المسجد [١]، فلما رأت قريش إسلام عمر سقط فى أيديهم [٢] .

* ثبات عمر فى إسلامه :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى نافع عن ابن عمر قال : لما أسلم عمر بن الخطاب قال : أى أهل مكة أنقل للحديث ؟ قالوا : جميل بن معمر الجمحى ، فخرج عمر ، وخرجت وراء أبى وأنا غليم [٣] أعقل كلما رأيت حتى أتاه ، فقال : يا جميل هل علمت أنى أسلمت ؟ فوالله ما راجعه الكلام . حتى قام يجر رداءه ، وخرج عمر معه ، وأنا مع أبى ، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش إن عمر قد صبا ، فقال عمر : كذبت ولكنى أسلمت ، فبادروه فقاتلهم وقاتلوه حتى قامت الشمس على رؤوسهم وبلح [٤] ، فجلس وعرشوا على رأسه قيامًا وهو يقول : اصنعوا ما بدا لكم فأقسم بالله لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركتموها لنا أو تركناها لكم ، فبينا هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حُلة حَبِرة وقميص قومسى [٥] ، فقال : مَهْ [٦] ؟ فقالوا : خيرًا ، عمر بن الخطاب صبا ، فقال فمه ؟! رجل اختار لنفسه دينًا أترون بنى عدى بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا ؟! عن الرجل فوالله لكأنما كان ثوب كشف عنه ، فلما قدمنا المدينة قلت : يا أبه [٧] من الرجل صاحب الحلة الذى صرف القوم عنك ؟ قال : ذاك العاص بن وائل السَّهمى [٨] .

---

(١) أى بفناء الكعبة المشرفة .

(٢) قال عبد الله بن مسعود : إن إسلام عمر كان فتحًا ، وإن هجرته كانت نصرًا ، وإن إمارته كانت رحمة ، ولقد كنا ما نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه .

(٣) تصغير غلام ، أى طفل صغير .

(٤) عند ابن هشام « وطلح » أى تعب وأعيا وكذا فى تاريخ الإسلام للذهبى .

(٥) عند ابن هشام « وقميص موشى » ، والحبرة : نوع من برود وثياب اليمن .

(٦) مهْ : أى اكفف .

(٧) أى يا أبتِ ، ومثلها يا أُمَّه : أى يا أمى ، وكلاهما صحيح .

(٨) هو والد عمرو بن العاص .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى المنكدر أن أعرابيًّا من بنى الدِّئل قال حيث بلغه أمر رسول الله ﷺ وظهوره واختلاف الناس بها قال : فما فعل الأصلع الطوال الأعسر ، مع أىِّ الحزبين هو ، فوالله ليملأنها غدًا خيرًا أو شرًّا ، يعنى عمر بن الخطاب .

نا يونس عن النَّضر أبى عُمر عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : اللهم أيد الإسلام بأبى جَهْل بن هشام أو بعمر بن الخطاب ، فأصبح عمر فغدا على رسول الله ﷺ فأسلم ، ثم خرج فصلى فى المسجد ظاهرًا .

نا يونس عن عبد الرحمن بن عبد الله عن القاسم عن عبد الله بن مسعود أنه قال : كان إسلام عمر بن الخطاب فتحًا ، وهجرته نَصرًا ، وإمارته رحمة ، وما استطعنا أن نصلى ظاهرين عند الكعبة حتى أسلم عمر رحمه الله .

* عبد الله بن مسعود أول من جهر فى مكة بالقرآن :

نا يونس عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى يحيى بن عُروة بن الزُّبير بن العوَّام عن أبيه قال : كان أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله ﷺ عبد الله ابن مسعود ، اجتمع يومًا أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا : والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط (١) ، فمن رجل يسمعهم ؟ فقال عبد الله بن مسعود (٢) : أنا قالوا : إنا نخشاهم عليك إنما نريد رجلاً له عشيرة تمنعه من القوم إن آذوه ، فقال : دعونى فإن الله عز وجل سيمنعنى ، فغدا عبد الله حتى أتى المقام فى الضحى وقريش فى أنديتها (٣) حتى قام عند المقام رافعًا صوته : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ الرحمن * علم القرآن ﴾(٤) فاستقبلها فقرأها ، فتأملوا فجعلوا يقولون ما يقول ابن أم عبد (٥) ، ثم قالوا : إنه يتلو بعض ما جاء به محمد ﷺ فقاموا

---

(١) أى أبدًا .

(٢) وكان رضي الله عنه نحيفًا خفيفًا ، لدرجة أنه يروى أنه طلع ذات يوم فوق شجرة الأراك ليأتى بسواك فقامت عاصفة شديدة فألقته الرياح من فوق الشجرة لشدة خفته ونحافة جسمه .

(٣) أى أماكن تجمعها .

(٤) سورة الرحمن : ١ ، ٢ وقد روى عن سيدنا على رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ، قال : « لكل شىء عروس وعروس القرآن الرحمن » .

(٥) أى عبد الله بن مسعود ، وكذلك إذا قيل عبد الله فهو ابن مسعود عادة .

فجعلوا يضربون فى وجهه ، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ ، ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا بوجهه (١) ، فقالوا : هذا الذى خشينا عليك ، فقال : ما كان أعداء الله قط أهون على منهم الآن ، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غدا (٢) ، قالوا : حسبك قد أسمعتهم ما يكرهون .

نا يونس عن عبد الرحمن بن عبد الله بن المطْعِم قال : كان أول من أفشى القرآن بمكة وعذِّب فى رسول الله ﷺ عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .

آخر الجزء الثالث

يتلوه إن شاء الله من عُذِّب فى الله بمكة من المؤمنين

وحسبنا الله وصلى الله على سيدنا النبى محمد وآله وسلم .

* * *

(١) أى ترك الضرب أثرًا فى وجهه .

(٢) روى أن عبد الله بن مسعود لما جهر بالقرآن عند الكعبة وضربه المشركون ، أمسك أبو جهل - لعنه الله - بأذن ابن مسعود فقطعها - أو قطع جزءًا منها - فلما ذهب ابن مسعود للرسول ضحك رسول الله ﷺ فلما سأله ابن مسعود علام تضحك يا رسول الله لم يجبه النبى ﷺ ، ومرت الأيام وجاءت غزوة بدر وإذا بعبد الله بن مسعود يقتل أبا جهل ويقطع رأسه ويأتى بها إلى النبى ﷺ ففرح رسول الله ﷺ وقال له : أذنٌ بأذن والرأس زيادة ، وذكَّره بضحكه يوم جهر بالقرآن .

القسم الرابع

أسم
رضو
نا يو
سفي
باللي
صا
الطر
لأوة
إلى
بعض
رجل
الطر

بسم الله الرحمن الرحيم

توكلت على الله

من عُذِّب فى الله بمكة من المؤمنين

* قصة استماع قريش إلى قراءة النبى ﷺ :

أنا (١) الشيخ أبو الحسين أحمد بن محمد بن النقور البزار قراءة عليه ، وأنا أسمع قال: أنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص قال : قرئ على أبى الحسين رضوان بن أحمد وأنا أسمع قال : نا أبو عمر أحمد بن عبد الجبّار العُطاردى قال : نا يونس بن بُكير عن ابن إسحاق قال : نا الزهرى قال : حدثت أن أبا جهل وأبا سفيان والأخنس بن الشّريق خرجوا ليلة ليسمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلى بالليل فى بيته ، وأخذ كل رجل منهم مجلسًا ليستمع فيه ، وكلا (٢) لا يعلم بمكان صاحبه (٣) ، فباتوا يسمعون له حتى إذا أصبحوا أو طلع الفجر ،تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فتلاوموا (٤) ، وقال بعضهم لبعض لا تعودوا لو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم فى نفسه شيئًا ، ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض مثلما قالوا أول مرة ، ثم انصرفوا ، فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق فقالوا : لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود ، فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا .

* الأخنس يستفهم عما سمعه :

فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصا ثم خرج حتى أتى أبا سفيان فى بيته ،

---

(١) رمز من رموز الحديث بمعنى أخبرنا .   (٢) عند ابن هشام : « وكل »

(٣) أى أنهم اختبئوا من بعضهم بحيث لا يرى أحد منهم أحدًا .

(٤) أى لام بعضهم بعضًا .

فقال : حدثنى يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : يا أبا ثعلبة ، والله سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها ، وأشـــياء ما أعرف معناها ولا ما يراد بها ، فقال الأخنس : وأنا والذى حلفت له ، ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته ، فقال : يا أبا الحكم : ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال ماذا سمعت ، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسى رهان قالوا : منا نبى يأتيه الوحى من السماء ، فمتى تـدرك هذه ؟! والله لا نؤمن به أبدًا ، ولا نصدِّقه ؛ فقام عنه الأخنس بن شريق .

* عدوان المشركين وفتنة المستضعفين :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم عدوا على من أسلم واتبع رسول الله ﷺ من أصحابه ، فوثبت كل قبـــيلة على من فيها من المسلمين فجعلوا يعذبونهم .

* تعذيب بلال :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إســـحاق قال : حدثنى هشام بن عروة عن أبيه قال : كان ورقة بن نوفل يمر ببلال [1] وهو يـعذَّب على الإســـلام ، وهو يقول أَحَدٌ ، أحد [2] ، فيقول ورقة : أحد ، أحد ، والله يا بلال لن تفنى ، ثم يقبل على من يفعل ذلك به من بنى جمح وعلى أمية فيقول : أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لأتخذنَّه حنانا [3].

* عمَّار يمدح أبا بكر لإعتاقه بلالاً :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فبلغنى أن عمار بن ياسر قال : وهو يذكر بلال بن رباح ، وأمه حمامة [4] ، وأصحابه ، وما كانوا فيه من البلاء ، وعتاقة أبى بكر رضى الله عنه إياهم ، فقال :

---

(١) هو : بلال بن رباح كان عبدًا مولدا من مولدى بنى جمح ، وكان صادق الإسلام أعلن إسلامه ولم يخف من الكفار وتحمل الأذى فى سبيل الله .

(٢) أى الله واحدٌ أحد لا شريك له .

(٣) أى إذا مات أجعل قبره متبركا به ، وهذا يدل على تعاطف ورقة بن نوفل مع المسلمين وشفقته عليهم لعلمه أنهم على الحق .

(٤) أى أم بلال .

جَزى اللهُ خيرًا عَنْ بِلاَل وَصَحْبه ... عَتيقاً (١) وأخزى فاكهاً وأبا جَهل
عَشيةَ هَمُّوا فى بـــلال بسَوءَة ... ولم يحذَروا ما يحذر المرءُ ذو العَقْل
بتَوْحيده رَبَّ الأنام وقـــوله : ... شَهدتُ بأن الله ربى على مهل
فإن تَقْتلونى تَقْتُلونى ولـــم أكنْ ... لأشرك بالرَّحمن منْ خيْفة القتل
فَيا ربَّ إبراهيمَ والعبد يونس ... ومَوسى وعيسى نَجنى ثم لا تملى
لمن ظَلَّ يَهْوَى الغَيَّ مَنْ آلِ غالب ... عَلى غير بر كان منه ولا عَدْل

*** من أعتقهم أبو بكر :**

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه أن أبا بكر أعتـــق ممن كان يعذَّب فى الله عز وجل سبعة ، أعتق : بلالاً (٢) ، وعامر بن فُهيرة ، والزِّبيرة ، وجارية بنى عمرو ابن مُؤمل (٣) ، والهندية (٤) وابنتها ، وأم عُبيـــس ، وذكر أنه مر بالنهدية ومولاتها تعذبها ، تقول والله لا أعتقك حتى تعتقك حياتك ، فقال أبو بكر : أجل (٥) يا أم فلان ، قالت : فأعتقها إذًا فإنها على دينك ، قال أبو بكر فباكثن (٦) ؟ قالت : بكذا وكذا ، فقال : قد أخذتها وأعتقتها ، ردى عليها طحيـــنها ، قالت : دعنى أطحنه لها (٧) .

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه قال : ذهب بصر الزبيرة ، وكانت ممن

(١) عتيق : لقب سيدنا أبى بكر الصديق رضي الله عنه .

(٢) ذكر ابن هشام فى سيرته أن ابن إسحاق قال : كان أمية بن وهب بن حذافة بن جمح يخرج بلالاً إذا حميت الظهيرة فى بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى ، فيقول وهو فى البلاء: أحد أحد . وهو دليل على الثبات على الحق وتحمل الأذى فى سبيل الله .

(٣) بنى مؤمل حى من بنى كعب ، وهذه الجارية كان عمر بن الخطاب وهو مشرك يعذبها لاعتناقها الإسلام .

(٤) عند ابن هشام : « النهدية » ونلاحظ أنها هنا ذكرت فى نفس السطر « النهدية » وهذا دليل على صوابها .

(٥) عند ابن هشام « حلٍّ » أى تحللى من يمينك ، وكانت هذه المرأة المشركة من بنى عبد الدار .

(٦) عند ابن هشام « فبكم » .

(٧) جاءت هذه القصة عند ابن هشام أن أبا بكر مر بالنهدية وابنتها وهما يعذبان فأعتقهما .

تعذَّب فى الله عز وجل على الإسلام ، فتأبى إلا الإسلام ، فقال المشركون : ما أصاب بصرها إلا اللاَّت والعُزَّى ، فقالت : كذا (١) ؟! والله ما هو كذلك ، فرد الله عليها بصرها .

* أبو قحافة يلوم أبا بكر :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى أبو عبد الله بن أبى عتيق عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال : لما جعل أبو بكر يعتق أولئك الضعفاء بمكة قال له قحافة (٢) : أى بنى لو أنك إذا أعتقت أعتقت رجالاً جُلدا (٣) يمنعونك ويقومون معك ، فقال له : يا أبه (٤) (إنما أريد ما أريد لله عز وجل) (٥) قال : فيحدث أن هذه الآيات نزلت فى أبى بكر : ﴿ **فأما من أعطى واتقى * وصدَّق بالحسنى * فسنيسره لليسرى** ﴾ (٦) إلى آخر السورة .

* تعذيب آل ياسر :

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : فحدثنى رجال من آل عَمار بن ياسر أن سمية أم عمار عذبها هذا الحى من بنى المغيرة بن عبد الله بن مخزوم على الإسلام وهى تأبى غيره حتى قتلوها ، وكان رسول الله ﷺ يمر بعمار وبأمه وهم يعذبون بالأبطح فى رمضاء (٧) مكة ، فيقول : صبرًا آل ياسر موعدكم الجنة .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وكان ياسر عبدًا لبنى بكر من بنى الأشجع بن ليث فاشتروه منهم ، فزوجوه سمية أم عمَّار ، فولدت عمارا ، وكانت سمية أمة لهم ، فأعتقوا سُمية ، وعمارًا ، وياسرًا (٨) .

---

(١) عند ابن هشام « كذبوا » وهو المناسب والأليق .

(٢) عند ابن هشام « أبو قحافة » وهو الصواب .

(٣) أى : أقوياء . (٤) أى يا أبت .

(٥) زيادة من سيرة ابن هشام ١ / ٢٧٩ ط . مكتبة الكليات الأزهرية .

(٦) سورة الليل ٥ - ٧ .

(٧) الرمضاء : الرمال شديدة الحرارة .

(٨) وقد قتل المشركون سمية أم عمَّار وماتت رضي الله عنها وهى تأبى إلا الإسلام ، وما استطاعوا أن يزحزحوا عقيدتها .

نا يونس عن عبد الله بن عون عن محمد بن سيرين قال : مر رسول الله ﷺ بعمار بن ياسر وهو يبكى بذلك عينيه فقال له رسول الله ﷺ : مالك ، أخذك الكفار ، فغطوك فى الماء ، فقلت كذا وكذا ، فإن عادوا لك فقل كما قلت [(١)] .

* مدى فتنة المسلمين :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس : يا أبا [(٢)] عباس أكان المشركون يبلغون من المسلمين فى العذاب ما يعذرون به فى ترك دينهم ؟ فقال : نعم والله إن كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر على أن يستوى جالسًا من شدة الضر الذى به حتى أنه ليعطيهم ما سألوه من الفتنة وحتى يقولوا : اللات والعزي إلهك من دون الله ؟ فيقول : نعم ، وحتى أن الجُعل ليمر بهم فيقولون أهذا الجُعل إلهك من دون الله ؟ فيقول : نعم افتداء منهم لما يبلغون من جهده [(٣)] .

* خالد بن الوليد يهجو اللات والعزي :

نا يونس عن العيزار بن حريث قال : مرّ خالد بن الوليد على اللاّت والعزى فقال :

كُفْرَانَكِ لاَ سُبْحَانَكْ　　　إِنِّى رَأَيْتُ اللهَ قَدْ أَهَانَكْ

ثم مضى .

* ثبات بلال رضي الله عنه :

نا يونس عن حبيب بن حسّان الأسدى عن مسلم بن صُبَيْح قال : قال أصحاب رسول الله ﷺ : إنا قد كثرنا ، فلو أمرت كل عشرة منا فأتوا رجلاً من صَناديد

---

(١) وذلك كان دأب المشركين اللعناء ويروى أن أبا جهل الكافر كان إذا سمع بالرجل قد أسلم وله شرف ومنعة أنّبه وأخزاه وقال له : تركت دين أبيك وهو خير منك لنسفهن حلمك ولنقبحن رأيك ولنضعن شرفك ، وإن كان تاجراً قال له : والله لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك ، وإذا كان ضعيفًا ضربه وأغرى به .

(٢) فى بعض النسخ : يا ابن .

(٣) وهذا يسمى بالمداراة وهو عكس المداهنة ، وهو أن الإنسان إذا اضطر لنطـق كلمة الكفر حتى لا يقتله الأعداء نطقها بلسانه وهو مؤمن بقلبه إيمانًا ثابتًا بلا شك ، وقد ورد أن ياسر أبا عمار كان واحدًا من هؤلاء فذهب إلى الرسول ﷺ وهى يبكى لخوفه من الذنب وقال له هلكت يا رسول الله ، قال الرسول ﷺ ، كيف ؟ فحكى له ما حدث ، فطمأنه الرسول ﷺ وقال له: وإن عادوا فعد ، وتلا عليه قـــول الله تعـــالى: ﴿ إلاَّ من أُكره وقلبه مطمئن بالإيمان ﴾ .

قريش ليلاً وأخذوه فقتلوه ، فتصبح البلاد لنا ؟ فسر النبى ﷺ بذلك حتى رؤى فى وجهه [(١)] ، فقام عثمان بن عفّان فقال : يا رسول الله أبناءنا ، آباءنا ، إخواننا ، فما زال عثمان يردد ذلك حتى سلم [(٢)] رسول الله ﷺ قولهم الأول ورؤى فى وجهه ، حتى رفض ذلك ، وأخذنا المشركون حين أمسينا فما من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلاَّ قد أعطى الفتنة [(٣)] غير بلال فإنه قال : الأحد الأحد [(٤)] .

* مالاقاه مصعب بن عمير من بلاء :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال حدثنى صالح بن كيسان عن بعض آل سعد عن سعد بن أبى وقاص قال : كنا قومًا يصيبنا صلف العيش [(٥)] بمكة مع رسول الله ﷺ وشدته ، فلما أصابنا البلاء اعترفنا لذلك ، وصبرنا له ، وكان مصعب بن عُمير أنعم غلام بمكة[(٦)] ، وأجوده حُلَّة مع أبويه ، ثم لقد رأيته جهد فى الإسلام جهدًا شديدًا حتى لقد رأيت جلده يتحشف تحشف جلد الحية عنها حتى إن كنا لنعرضه على قسينا [(٧)] فنحمله مما به من الجهد ، وما يقصر عن شىء بلغناه ، ثم أكرمه الله عز وجل بالشهادة يوم أُحد .

* شفقة الرسول ﷺ على مصعب :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القُرظى قال : حدثنى من سمع على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول : إنا لجلوس مع رسول الله ﷺ فى المسجد إذ طلع علينا مصعب بن عمير ما عليه إلا بُردة له مرقوعة بفرو [(٨)] ، قال : فلما رآه رسول الله ﷺ بكى للذى كان فيه من

(١) أى ظهر السرور والارتياح على وجهه .
(٢) لعلها : سئم أى كره ، لأنها المناسبة للسياق أو ساءه القول الأول .
(٣) أى فُتن فى دينه وعذِّب حتى يترك دينه ورأيه .
(٤) أى أنه ثبت ولم ينطق كلمة الكفر وظل يقول : أحد أحد .
(٥) أى : خشونة المعيشة وشدتها .
(٦) كان مصعب قبل إسلامه فتى مدللا ،ويمشى وعليه أبهة ، وكان يتعطر بأفخم أنواع المسك وكان مسكه يُشم على أمتار فيعلم المار أن مصعب قادم ، وعذبته أمه على إسلامه فتركها وترك زينة الدنيا الخادعة ولازم الرسول ﷺ وتحمل الأذى فى سبيل الدعوة رضى الله عنه وكان أول سفير فى الإسلام - أرسله الرسول إلى المدينة قبل الهجرة ليعلم من أسلموا القرآن ، وشهد بدراً وأحداً ، وأبلى بلاء حسنا .
(٧) قسى جمع قوس مثل : أقواس والقوس : آله تشبه الهلال ترمى بها السهام وكانت قديمًا تستخدم فى الحرب . (٨) أى كساء مرقعة - مقطوعة وموصولة بجلد شاة .

النعمة وما لهو فيه اليوم ، فقال رسول الله ﷺ : كيف بك إذا غدا أحدكم في حُلَّة وراح في حُلَّة ، ووضعت بين يديه صحفة[١] ورفعت أخرى وسترقم[٢] جدُر بيوتكم كما تستر الكعبة ، فقالوا : يا رسول الله نحن يومئذ خير منا اليوم نتفرغ للعبادة ونكفي المؤنة ؟ فقال رسول الله ﷺ : أنتم اليوم خير منكم يومئذ .

* نماذج مما لاقاه المسلمون من البلاء :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني صالح بن كيسان عن بعض آل سعد عن سعد بن أبي وقاص قال : لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ بمكة فخرجت من الليل أبول فإذا أنا أسمع قعقعة[٣] شيء تحت بولي فنظرت فإذا قطعة جلد بعير فأخذتها فغسلتها ثم أحرقتها فرضضتها[٤] بين حجرين ثم استففتها ، فشربت عليها من الماء ، فقويت عليها ثلاثًا .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القُرظي قال : حدثني من سمع علي بن أبي طالب ﷺ يقول : خرجت في يوم شات[٥] من بيت رسول الله ﷺ ولقد أخذت إهابًا[٦] معطونًا فخويت وسطه فأدخلته في عنقي ، وشددت وسطي وحزمته بخوص[٧] النخل ، وإني لشديد الجوع فلو كان في بيت رسول الله ﷺ طعام لطعمت منه ، فخرجت ألتمس شيئًا ، فمررت بيهودي في مال له وهو يستقي ببكرة له[٨] ، فاطلعت عليه من ثلمة في الحائط[٩] فقال : مالك يا عربي ، هل لك في كل دلو بتمرة ؟ فقلت : نعم ، فافتح حتى أدخل ، ففتح فدخلت فأعطاني دلوه فلما نزعت دلوًا أعطاني تمرة ، حتى إذا امتلأت كفي أرسلت الدلو وقلت : حسبي ، فأكلتها ، ثم نزعت في الماء فشربت ، ثم جئت المسجد فوجدت رسول الله ﷺ .

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : كان ضجاع[١٠] رسول الله ﷺ أدما حشوه ليف .

(١) هي إناء يوضع فيه الطعام – الطبق .
(٢) لعلها خطأ من الناسخ فالصواب « وسترتم »
(٣) القعقعة : هي إحداث صوت عند التحريك أو التحرك . انظر المعجم الوجيز ص ٥١٠ .
(٤) أي دقها .
(٥) يوم شات : أي اشتد برده .
(٦) الإهاب : هو جلد البقر أو الغنم ، والإهاب المعطون : أي مدبوغ .
(٧) أي سعف النخل .
(٨) أي يخرج الماء من البئر بالدلو .
(٩) الحائط : البستان المسور .
(١٠) أي وسادته التي ينام عليها ﷺ وهذا منتهى الزهد في الدنيا ، وهو الذي طلب منه ملك الجبال أن لو شاء لحول له الجبل ذهبًا فأبى ﷺ .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق عن الزهرى عن عبيد الله بن أبى ثور عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : دخلت على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على خصفة [١] وإن بعضه لفى التراب ، متوسدًا [٢] وسادة أدم محشوة ليفًا ، فوق رأسه إهاب معطون [٣] معلق فى سقف العُلية ، وفى زاوية البيت شىء من قَرَظٍ .

نا يونس عن أبى معشر المدنى عن سعيد المقبرى قال: كان لرسول الله ﷺ حصير يفرشه بالنهار حتى إذا كان الليل احتجره فى المسجد فصلى فيه .

نا يونس عن المسعودى عن عمرو بن مُرَّة عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : اضطجع رسول الله ﷺ ذات يوم على حصير فقام وقد أثر بجلده ، فلما استيقظ جعلت أمسح عنه وأقول: الا آذنتنا حتى نبسط لك على الحصير شيئًا يقيك منه ، فقال رسول الله ﷺ : وما أنا والدنيا ، ما أنا والدنيا ، إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها [٤] .

* فزع أبى جهل وهيبته من رسول الله ﷺ :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى عبد الملك بن أبى سفيان الثقفى قال : قدم رجل من إراش [٥] بإبل له مكة ، فابتاعها منه أبو جهل بن هشام فمطله [٦] بأثمانها ، وأقبل الإراشى حتى وقف على نادى قريش ورسول الله ﷺ جالس فى ناحية المسجد فقال : يا معشر قريش من رجل يؤدينى على أبى الحكم بن هشام فإنى غريب ابن سبيل ، وقد غلبنى على حقى [٧] ، وأنا غريب ابن سبيل ؟ فقال أهل المجلس : ترى ذلك الرجل - وهم يهزؤون به ، إلى رسول الله ﷺ ، لما يعلمون بينه وبين أبى جهل من العداوة - اذهب إليه فهو يؤديك عليه [٨] ، فأقبل

(١) الخصفة : قطعة مما تخصف به النعل . (٢) أى متخذًا وسادة .

(٣) أى إهاب مدبوغ

(٤) وهذا دليل على زهده ﷺ الشديد فى الدنيا وورد أن عمر بن الخطاب دخل عليه ذات مرة فوجده نائماً على حصير قد أثر فيه فقال : يا رسول الله ملوك الفرس والروم تنام على الحرير وأنت تنام على الأرض، فقال له ﷺ فيما معناه « الا يرضيك يا عمر أن تكون لهم الدنيا الفانية ولنا الآخرة الباقية » .

(٥) قبيلة خارج مكة . (٦) أى ماطله ، ورفض إعطاءه الثمن .

(٧) أى ظلمنى ولم يعطنى حقى .

(٨) قال المشركون ذلك استهزاء بالرجل وبالرسول ، فهم يرون أن الرسول ضعيف لا يستطيع أخذ الحق للرجل من أبى جهل - وهو الزعيم فى قومه - لكن الله خيب ظنهم وكادهم وغاظهم ، وألقى الرعب والذعر فى قلب أبى جهل ، واستجاب لأمر الرسول وأعطى الرجل حقه ، وكله خوف من رسول الله ﷺ وهذا من سلسلة تأييد الله لرسوله ونصره له .

الإراشى حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال : يا عبد الله إن أبا الحكم بن هشام قد غلبنى على حق لى قِبَله [١] ، وأنا غريب ابن سبيل ، وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يؤدينى عليه ، يأخذ لى حقى منه فأشاروا لى إليك ، فخذ لى حقى منه ، رحمك الله ؛ فقال رسول الله ﷺ : انطلق إليه ، وقام معه ، فلما رأوه قام معه قالوا لرجل ممن معهم : اتبعه فانظر ماذا يصنـع ، فخرج رسول الله ﷺ حتى جاءه ، فضرب عليه بابه [٢] ، فقال : من هذا ؟ فقال : محمد فاخرج إلىَّ ، فخرج إليه وما فى وجهه رائحة ، قد امتقع لونه [٣] ، فقال له : أعط هذا الرجل حقه ، فقال : نعم ، لا يبرح حتى أعطيه الذى له ، فدخل ، فخرج إليه بحقه فدفعه إليه ، ثم انصرف رسول الله ﷺ وقال للإراشى : الحق بشأنك .

فأقبل الإراشى حتى وقف على ذلك المجلس فقال : جزاه الله خيرًا فقد أخذ الذى لى ، وجاء الرجل الذى بعثوا معه ، فقالوا له : ويحك ماذا رأيت ؟ فقال : عجبًا من العجب ، والله إلا [٤] أن ضرب عليه بابه فخرج وما معه رُوحه [٥] فقال : أعط هذا الرجل حقه ، قال : نعم لا يبرح حتى أخرج إليه حقه ، فدخل فأخرج إليه حقه فأعطاه إياه ؛ ثم لم يلبث أن جاء أبو جهل فقالوا له : ويلك مالك فوالله ما رأينا مثل ما صنعت ؟! قال : ويحكم والله ما هو إلا أن ضرب علىَّ بابى وسمعت صوته فَمُلِئتُ رعبًا ثم خرجت إليه وإن فوق رأسى [٦] لفحل من الإبل ما رأيت مثل هامته ولا قَصرته [٧] ولا أنيابه لفحل قط ، والله لو أبيتُ لأكلنى .

* * *

(١) قبله : أى عنده .

(٢) أى طرق بابه .

(٣) أى تغير لونه من شدة الخوف والذعر والرعب من رسول الله ﷺ .

(٤) فى شرح السهيلى : « والله ما هو إلا » .

(٥) هذه مبالغة فى القـــول وهى أشد دليـــل على فزع أبى جهـــل وخوفه ورعبه من الرسول ﷺ .

(٦) فى إحدى الروايات : « فوق رأسه » أى فـــوق رأس الرســـول ﷺ . وهذا أقرب للصواب .

(٧) أصل عنقه .

حديثُ النبى ﷺ حيثُ خاصمهُ المشركون

* زعماء قريش تفاوض الرسول ﷺ :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى شيخ من أهل مكة قديم منذ بضع [١] وأربعين سنة عن عكرمة [٢] عن ابن عباس أن عتبة وشيبة ابنى ربيعة وأبا سفيان بن حرب ، والنضر بن الحارث أخا بنى عبد الدار ، وأبا البخترى أخا بنى أسد ، والأسود بن المطلب بن أسد ، وزمعة بن الأسود والوليد بن المغيرة ، وأبا جهل بن هشام ، وعبد الله بن أمية ، وأُمية بن خلف ، والعاصى بن وائل ، ونبيه ومنبه ابنى الحجاج السهميين اجتمعوا ، أو من اجتمع منهم بعد غروب الشمس عند ظَهر الكعبة فقال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد وكلِّموه وخاصموه حتى تُعْذروا فيه ، فبعثوا إليه : إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك ، فجاءهم رسول الله ﷺ سريعًا وهو يظن أن قد بدا لهم فى أمره بداء [٣] ، وكان عليهم حريصًا يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم [٤] ، حتى جلس إليهم فقالوا له : يا محمد إنا قد بعثنا إليك لنُعْذَر فيك [٥] ، وإنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك ، ولقد شتمت الآباء ، وعبت الدين ، وسفهت الأحلام وشتمت الآلهة ، وفرقت الجماعة ، فما بقى أمر قبيح إلا جئته فيما بيننا وبينك ، فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا سوَّدناك علينا [٦] ، وإن كنت تريد به مُلكًا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك بما يأتيك به رئى [٧] تراه قد غلب عليك -

---

(١) البضع فى العدد : من الثلاث إلى التسع .

(٢) عكرمة : من التابعين - أى الذين رأوا الصحابة ولم يروا الرسول ، وكان مولى لابن عباس ، وروى عنه جلّ أحاديثه ، وكان من تلامذة ابن عباس .

(٣) أى قد ظهر لهم شىء ، ويقصد أنه ظن أنهم فكروا فى الدخول فى الإسلام .

(٤) أى تكبرهم وعنادهم . (٥) أى يكون لنا العذر إذا فعلنا أى شىء ضدك .

(٦) أى جعلناك سيداً علينا .

(٧) ظاهر كلامهم أنهم تحيروا من أمره ، وأعياهم التفكير ولم يعرفوا لماذا يفعل محمد هذا ، ولذلك عرضوا عليه هذا العرض وفى رأيى الشخصى أنهم ليسوا بصادقين لسببين : أولا : أنهم كانوا يوقنون أنه على حق فيما يدعو إليه وفيما يقول ، وكانوا متأكدين من ذلك لكن الكبر منعهم من الإسلام ، وصدق الله إذ يقول : ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ﴾ جحدوا الرسالة والنبوة تكبراً . =

وكانوا يسمون التابع من الجن رئيا ، فربما كان ذلك بذلنا أموالنا فى طلب الطب لك حتى نبرئك منه ، أو نعذر فيك ، فقال لهم رسول الله ﷺ : ما أدرى ما تقولون ما جئتكم بما جئتكم به لطلب أموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثنى إليكم رسولاً وأنزل علىَّ كتابا ، وأمرنى أن أكون لكم بشيراً ونذيراً فبلَّغتكم رسالة ربى ، ونصحتُ لكم فإن تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوا على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم ، أو كما قال رسول الله ﷺ .

* زعماء قريش يطلبون من الرسول أن يحيى الله قُصى بن كلاب ، ويسيِّر الجبال عنهم وغير ذلك :

فقالوا : يا محمد فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فإنك قد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق بلاداً ولا أقل ماء ، ولا أشد عيشًا منا ، فسل لنا ربك الذى بعثك بما بعثك به فليسيِّر عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا ، وليبسط [١] لنا بلادنا ، وليجرى فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مضى من آبائنا ، وليكن فيمن يبعث لنا فيهم قُصى بن كلاب [٢] فإنه كان شيخًا صدوقًا ، نسألهم عما تقول أحق هو أم باطل ، فإن صنعت لنا ما سألناك وصدقوك صدقناك وعرفنا به منزلتك من الله ، وأنه بعثك رسولاً كما تقول ، فقال لهم رسول الله ﷺ : ما بهذا بعثت إنما جئتكم من الله بما بعثنى به ، وقد بلغتكم ما أرسلت به فإن تقبلوا منى فهو حظكم من الدنيا والآخرة وإن تردوه علىَّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم .

فقالوا فإن لم تفعل لنا هذا فخذ لنفسك ، فسل ربك أن يبعث معك ملكًا

= ثانيًا : لو أنهم لم يوقنوا أنه نبى لما جرءوا أن يعرضوا عليه هذه العروض حتى يترك ما عليه وذلك لاحتمالين : الأول : عناية الله لنبيه وحفظه وإلقاء الرعب فى قلوب المشركين، ولو لم يكن نبيًا لسهل عليهم قتله واستراحوا منه .

الثانى : لو كان رجلا عاديًا لما جرءوا أن يعرضوا عليه هذا ، إذ لا يُعقل أنهم يطلبون من رجل عادى أن يجعلوه سيدهم وملكا عليهم وهم المشهورون بحب الزعامة والسيادة والقتال عليها . هذا والله أعلم وأستغفر الله إن أخطأت الرأى .

(١) أى يوسع .

(٢) اسمه : زيد ، وسمى قصيًا لأنه كان بعيدًا عن بلده مكة ، كانت له ولاية الكعبة ، وزعامة مكة .

يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك وسله فليجعل لك جنانا وكنوزًا وقصورًا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغي ، فإنك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش [١] كما نلتمسه ، وحتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولاً كما تزعم ، فقال لهم رسول ﷺ : ما أنا بفاعل ، وما أنا بالذى يسل ربه هذا ولا بعثت إليكم بهذا ، ولكن الله بعثنى بشيرًا ونذيرا، فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علىّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم .

قالوا : فأسقط السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل فإنا لا نؤمن لك إلا أن تفعل ، فقال رسول الله ﷺ : ذلك إليه إن شاء فعل ذلك بكم ؛ قالوا : يا محمد فأعلم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ونطلب منك ما نطلب ، فيتقدم إليك فيعلمك ما تراجعنا به ويخبرك ما هو صانع فى ذلك بنا إذا لم نقبل منك ما جئتنا به ، فقد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن [٢] ، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبدًا فقد أعذرنا إليك يا محمد ، وإنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى تهلك أو تهلكنا ، وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة وهن بنات الله ، وقال قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلاً ، فلما قالوا له ذلك قام رسول الله ﷺ عنهم ، وقام معه عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وهو ابن عمته ، ابن عاتكة بنت عبد المطلب ، فقال له : يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سألوك لأنفسهم أمورًا ليعرفوا بها منزلتك من الله فلم تفعل ، ثم إن تعجّل لهم بعض ما تخوفُهم به من العذاب ، فوالله لا أُومن بك أبدًا حتى تتخذ إلى السماء سُلمًا ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها ، ثم تأتي معك بصكٍّ [٣] منشور ومعك أربعة من الملائكة يشهدون أنك كما تقول ، وايم الله أن لو فعلت ذلك ما ظننت أنى أصدقك ، ثم انصرف عن

---

(١) أى المعيشة والسعى والعمل والكد .

(٢) يقصدون مسيلمة الكذّاب ، وكان قد ادّعى النبوة باليمامة ، وادّعى أن الوحى ينزل عليه ، وسمى رحمن اليمامة ، تزوج بامرأة تسمى سجاح كانت تدّعى النبوة أيضًا ، قتله وحشى - قاتل حمزة - فى معركة اليمامة ، وقال وحشى بعدما قتله : قتلت بحربتى خير الناس - يعنى حمزة عم الرسول - وقتلت بها شرّ الناس - يعنى مسيلمة .

(٣) أى بوثيقة أو كتاب أو شهادة .

رســـول الله ﷺ ، وانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزينًا آسفًا لما فاته مما كان فيه يطمع من قومه حين دعوه ، ولما رأى من مباعدتهم إياه .

* **أبو جهل يتوعد الرسول ﷺ :**

فلما قام عنهم رسول الله ﷺ قال أبو جهل : يا معشر قريش إن محمدًا قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا وشتم آبائنا وتسفيه أحلامنا ، وسب آلهتنا ، وإنى أعاهد الله لأجلسن له غدا بحجر ما أطيق حمله ، فإذا سجد فى صلاته فضخت (١) به رأسه ، فأسلمونى عند ذلك وامنعونى (٢) فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم ثم جلس لرسول الله ﷺ ينتظره ، وغدا رسول الله ﷺ كما كان يغدو ، وكان رسول الله ﷺ بمكة وقبلته إلى الشام وكان إذا صلى صلى بين الركنين الأسود واليمانى ، وجعل الكعبة بينه وبين الشام ، فقام رسول الله ﷺ يصلى وقد غدت قريش فجلسوا فى أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل ، فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل الحجر (٣) ، ثم أقبل نحوه ، حتى إذا دنا منه رجع متهيباً منتقعاً قد تغير لونه مرعوبًا قد يبست يده على حجره حتى قذف الحجر من يده ، وقامت إليه رجال قريش فقالوا : ما لك يا أبا الحكم ؟ فقال : قمت إليه لأفعل ما قلت لكم البارحة ، ولما دنوت منه عرض لى دونه فحل من الإبل (٤) والله ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط ، فهَمَّ بأن يأكلنى .

* **حفظ الله لنبيه ﷺ :**

نا أحمد : نا يونس عن ابن إســحاق قال : فذكر لى أن رسول الله ﷺ قال : ذاك جبريل لو دنا لأخذه .

* **النضر بن الحارث ينصح قريشًا :**

نا يونس قال : ثم رجع الحديث إلى الأول قال : فلما قال له ذلك أبو جهل قام النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى فقال : يا معشر قريش إنه والله قد نزل بكم أمر ما أشلتم (٥) له نبله بعد ، لقد كان محمد

---

(١) عند ابن هشام : « نضخت » أى كسرت .

(٢) عند ابن هشام « أو امنعونى » .   (٣) أى احتمل أبو جهل الحجر .

(٤) أى ذكر قوى من الإبل .

(٥) عند ابن هشام : « قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعدُ » .

فيكم غلامًا حدثًا ، أرضاكم فيكم [١] ، وأصدقكم حديثًا ، وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم فى صدغيه الشيب [٢] وجاءكم بما جاءكم قلتم ، ساحر ، ولا والله ما هو بساحر ، قد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم ، وقلتم : كاهن ، ولا والله ما هو بكاهن ، وقد رأينا الكهنة وحالهم وسمعنا سجعهم ، وقلتم : شاعر ، ولا والله ما هو بشاعر ولقد روينا الشعر وأصنافه كلها هزجه ورجزه وقريضه ، وقلتم : مجنون ، ولا والله ما هو بمجنون ، ولقد رأينا الجنون ، فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه ، يا معشر قريش انظروا فى شأنكم ، فإنه والله قد نزل بكم أمر عظيم .

* أذى النضر الرسول :

وكان النضر من شياطين قريش ، وممن كان يؤذى رسول الله ﷺ ، وينصب له العداوة [٣] ، وكان قد قدم الحيرة وتعلم بها أحاديث ملوك فارس [٤] ، وأحاديث رستم [٥] ، وأسفندباذ وكان رسول الله ﷺ إذا جلس مجلسًا يذكر فيه بالله ويحذِّر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله ، خلفه فى مجلسه [٦] إذا قام ، ثم يقول : أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثًا منه ، فهلموا فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم وأسفندباذ ، ثم يقول : بماذا محمد أحسن حديثًا منى .

* ما نزل فى النضر من قرآن :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى رجل من أهل مكة عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس قال : أنزل الله فى النضر ثمانى آيات ، قول الله تعالى : ﴿ **إذا تُتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين** ﴾ [٧] وكل ما ذكر فيه الأساطير من القرآن [٨] .

---

(١) والمراد هنا أحبه إليكم .

(٢) أى أصبح مكتمل الرجولة والرزانة وبلغ الأربعين .

(٣) أى يعلن عداوته له .

(٤) لأنها تتبع ملك الفرس ، وملكها هو النعمان بن المنذر .

(٥) أحد ملوك الفرس . (٦) أى تحدث بعده . (٧) سورة المطففين : الآية ١٣ .

(٨) مثل ما جاء فى هذه السور : الأنعام : ٢٥ ، الأنفال : ٣١ ، النحل : ٢٤ ، المؤمنون : ٨٣ . الفرقان : ٥ ، النمل ، ٦٨ ، الأحقاف : ١٧ ، القلم : ١٥ .

* قريش تسأل أحبار اليهود عن الرسول ﷺ :

فلما قال النضر ذلك بعثوه وبعثوا معه عُقْبة بن أبى مُعَيط [١] إلى أحبار يهود بالمدينة فقالوا لهما : سلوهم عن محمد ، وصفوا لهم صفته ، وأخبروهم بقوله ، فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء ، فخرجا حتى قدما المدينة فسألا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ ، ووصفوا لهم أمره ، وأخبروه ببعض قوله ، وقالوا لهم : إنكم أهل التوراة فقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا ، فقالت لهم أحبار يهود : سلوه عن ثلاث يأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبى مُرسَل ، وإن لم يفعل فالرجل مُتقوِّل ، فَرَوْا [٢] فيه رأيكم ، سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول ما كان من أمرهم ، فإنه كان لهم حديث عجب ، وسلوه عن رجل طوَّاف قد بلغ مشارق الأرض ومغـــاربها ما كان بناؤه ، وسلوه عن الروح ما هو ، فإن أخبركم بذلك فهو نبى فاتَّبعوه وإن لم يخبركم فهو رجل متقول فاصنعوا فى أمره ما بدا لكم .

* قريش تسأل والرسول يجيب :

فأقبل النضر وعقبة حتى قدما مكة على قريش فقالا : يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ، قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور فأخبروهم بها ، فجاءوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا محمد أخبرنا ، فسألوه عما أمروهم به فقال لهم رسول الله ﷺ : أخبركم عما سألتم عنه غدًا ، ولم يستثن [٣] فانصرفوا عنه ، فمكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله تعالى إليه فى ذلك وحيًا ، ولا يأتيه جبريل عليه السلام حتى أرجف أهل مكة وقالوا : وعدنا محمد غدًا واليوم خمس عشرة وقد أصبحنا فيها لا يخبـــرنا بشىء مما سألناه عنه ، حتى حزن [٤] رسول الله ﷺ مُكث الوحـــى عنه ، وشَقَّ عليه ما تكلم به أهل مكة ، ثم جاءه جبريل من الله بسورة أصحاب الكهف ، فيها معاتبته إياه على حزنه وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية ، والرجل الطـــوَّاف [٥] ، يقـــول الله تعالى : ﴿ **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً** ﴾ [٦] .

---

(١) كان عقبة بن أبى معيط من أشد الكفار أذى للمسلمين وللرسول ﷺ بالقول والفعل .

(٢) فعل أمر من رأى ، أى افعلوا به ما ترون .

(٣) أى لم يقدِّم المشيئة لم يقل : إن شاء الله .

(٤) بمعنى أحزن .

(٥) وهو ذو القرنين .

(٦) سورة الإسراء : الآية ٨٥ .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فبلغنى أن رسول الله ﷺ افتتح السورة فقال : ﴿ **الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب** ﴾ يعنى محمد إنك رسول منّى ، تحقيقًا لما سألوه عنه من نبوته : ﴿ **ولم يجعل له عوجًا * قيمًا** ﴾ أى معتدلاً لا اختلاف فيه : ﴿ **لينذر بأسًا شديداً من لدنه** ﴾ (١) قال : عاجل عقوبة فى الدنيا ، وعذابه فى الآخرة من عند ربك الذى بعثك رسولاً .

* * *

(١) سورة الكهف : الآيات ١ - ٢ .

باب أحاديث الأحبار وأهل الكتاب بصفة النبى ﷺ

* الرسول يُسئل عن الروح وإجابته :

نا يونس عن الأعمش عن إبراهيم عن عبد الله [١] قال كنت مع رسول الله ﷺ فهو يمشى فى حرث ومعه عسيب [٢] يتوكأ عليه فمر على ناس من اليهود فقال بعضهم لبعض : سلوه عن الروح ، وقال بعضهم : لا تسلوه ، فقام إليه بعضهم فقال : أخبرنا يا محمد عن الروح ما هو ؟ فقام رسول الله ﷺ ساكتًا لا يتكلم ، فعرفت أنه يوحى إليه ، وكنت وراءه فتأخرت ، ثم تكلم رسول الله ﷺ فقال : ﴿ **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى** ﴾ [٣] إلى قوله : ﴿ **قليلاً** ﴾ فقالوا : أليس قد نهيناكم أن تسألوه ؟!

* قلة علم البشر :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى رجل بمكة عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس أن أحبار يهود قالوا لرسول الله ﷺ بالمدينة : يا محمد أرأيت قولك : ﴿ **وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً** ﴾ إيانا تريد أم قومك ؟ فقال رسول الله ﷺ : كلا [٤] ، فقالوا : ألست تتلو فيما جاءك أنّا قد أوتينا التوراة فيها تبيان كل شىء ؟ فقال رسول الله ﷺ : إنها فى علم الله قليل وعندكم من ذلك ما يكفيكم لو أقمتموه ، فأنزل الله عز وجل فيما سألوه عنه من ذلك : ﴿ **ولو أنما فى الأرض من شجرة أقلام** ﴾ إلى قوله : ﴿ **ما نفدت كلمات الله** ﴾ [٥] إنى أرى التوراة فى علم الله قليل .

---

(١) هو ابن مسعود ؛ لأنه إذا قيل عبد الله فقط فهو ابن مسعود غالبا ، أما عبد الله بن عباس فتارة يذكر : عبد الله بن عباس ، وتارة يذكر : ابن عباس ، وكذلك عبد الله بن عمر وعبد الله بن مسعود .

(٢) العسيب : جريدة النخل المستقيمة المكشوط خوصها .

(٣) سورة الإسراء : ٨٥ .

(٤) أى كلاكما أو كلاً منكما .

(٥) سورة لقمان : ٢٧ .

* الحديث عن ذى القرنين :

نا يونس عن بسَّام مولى على بن الطفيل قال : قام على بن أبى طالب على المنبر فقال : سلونى قبل ألا تسألونى ولن تسألوا بعدى مثلى ؛ فقام ابن الكواء [١] فقال : يا أمير المؤمنين ما ذو القرنين أنبى أو ملك ؟ فقال : ليس بملك ولا نبى ولكن كان عبداً صالحًا أحب الله فأحبه وناصح الله بنصحه فضرب على قرنه الأيمن فمات ثم بعثه ، ثم ضرب على قرنه الأيسر فمات وفيكم مثله ·

نا يونس عن عمرو بن ثابت عن سماك بن حرب عن رجل من بنى أسد قال : سأل رجل عليًّا : أرأيت ذا القرنين [٢] كيف استطاع أن يبلغ المشرق والمغرب ؟ فقال : سخَّر له السحاب ومدَّ له فى الأسباب [٣] وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء ·

* استكبار قريش عن الإيمان بالرسول ﷺ :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فلما جاءهم رسول الله ﷺ بما عرفوا من الحق وعرفوا صدقه فيما حدث وموقع نبوته فيما جاءهم به من علم الغيوب حين سألوه عما سألوه عنه ، فحال الحسد منهم له بينهم وبين اتباعه وتصديقه ، فعتوا [٤] على الله وتركوا أمره عيانًا ، ولجوا فيما هم عليه من الكفر فقال قائلهم : ﴿ لا تسمعوا لهذا القرآن والْغَوا فيه لعلكم تغلبون ﴾ ، أى اجعلوه لعبًا وباطلاً ، واتخذوه هزوًا ، أى لعلكم تغلبون ، تغلبونه بذلك ، فإنكم إن

(١) ابن الكواء هذا كان من الخوارج وكان يسأل لكى يجادل ·

(٢) ذكر ابن هشام فى سيرته أن ابن إسحاق قال : حدثنى من يسوق الأحاديث عن الأعاجم فيما توارثوا من علمه : أن ذا القرنين كان رجلا من أهل مصر اسمه مرزبان بن مرذبة اليونانى من ولد يونان بن يافث بن نوح ، وذكر ابن هشام أن اسمه : الإسكندر ، وقال : وهو الذى بنى الإسكندرية فنسبت إليه · انظر سيرة ابن هشام ١ / ٢٧٠ تحقيق طه عبد الرءوف سعد ط · مكتبة الكليات الأزهرية ·

(٣) جاء فى سيرة ابن هشام أن ابن إسحاق قال : وقد حدثنى ثور بن يزيد عن خالد ابن معدان الكلاعى : أن رسول الله ﷺ سئل عن ذى القرنين ، فقال : « ملك مسح الأرض من تحتها بالأسباب » انظر السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٢٩٦ ط دار المنار ·

(٤) بمعنى تكبروا ·

وافقتموه وناصفتموه غلبكم ، فلما قال ذلك بعضهم لبعض جعلوا إذا جهر رســول الله ﷺ بالقرآن وهو يصلى يتفرقون عنه ويأبون أن يسمعوا له ، وكان الرجل منهم إذا أراد أن يسمع من رسول الله ﷺ بعض ما يتلو من القرآن وهو يصلى استتر واستمع دونهم ، فرقًا منهم ، فإن رأى أنهم عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أذاهم ولم يستمع ، وإن خفض رسول الله ﷺ صوته فظن الذين يستمعون أنهم لم يسمعوا من قراءته شيئًا وسمع هو دونهم أشاح [(١)] له ليستمع منه .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى داود بن الحسين عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ إذا جهر بالقرآن وهو يصلى تفرقوا عنه وأبوا أن يستمعوا منه ، وكان الرجل إذا أراد أن يستمع من رسول الله ﷺ بعض ما يتلو وهو يصلى يسترق السمع دونهم فرقًا منهم ،، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أذاهم ولم يستمع ، وإن خفض رسول الله ﷺ صوته فظن الذى يستمع أنهم لم يسمعوا شيئًا من قراءته وسمع من دونهم أشاح له يستمع ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **ولا تجهر بصلاتك** ﴾ فيتفرقوا عنك ﴿ **ولا تخافت بها** ﴾ فلا يسمع من أراد أن يستمعها ممن يسترق ذلك دونهم لعله يرعوى إلى بعض ما يسمع فيقتنع به ﴿ **وابتغ بين ذلك سبيلاً** ﴾ [(٢)] .

نا يونس عن هشام بن عُروة عن أبيه عن عائشة : ﴿ **ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها** ﴾ قالت : نزلت فى الدعاء .

نا يونس عن عيسى بن عبد الله التميمى عن رجل عن مجاهد فى قول الله تعالى : ﴿ **فاصدع بما تُومر** ﴾ [(٣)] قال : أمر رسول الله ﷺ أن يجهر بالقرآن بمكة .

نا يونس عن يونس بن عمرو الهمــدانى عن أبيه عن سعد بن عياض اليمانى قال ، كان رسول الله ﷺ من أقل الناس منطقا [(٤)] ، فلما أمر بالقتال شمّر ، فكان من أشد الناس بأسًا [(٥)] .

---

(١) عند ابن هشام : « أصاخ » .

(٢) سورة الإسراء : الآية ١١٠ .

(٣) سورة الحجر : الآية ٩٤ .

(٤) أى تكلمًا .

(٥) أى قوة ، وورد أن رسول الله ﷺ كان إذا خطب كأنه منذر جيش .

* عتبة بن ربيعة يفاوض الرسول ﷺ :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني يزيد بن زياد مولى بني هاشم عن محمد بن كعب قال : حدثت أن عتبة بن ربيعة كان سيدًا حليمًا قال ذات يوم وهو جالس في نادى قريش ورسول الله ﷺ جالس وحده في المسجد : يا معشر قريش الا أقوم إلى هذا فأكلمه أمورًا لعله أن يقبل بعضها فنعطه أيها شاء ويكف عنا ؟ - وذلك حين أسلم حمزة بن عبد المطلب ، ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون - فقالوا : بلى يا أبا الوليد فقم فكلـــمه ، فقام عُتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال : يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من السطة [1] في العشيرة والمكان في النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرّقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفرت من مضى من آبائهم فاسمع مني أعرض عليك أمورًا تنظر فيها لعلك أن تقبل منها بعضها ، فقال رسول الله ﷺ · قل يا أبا الوليد أسمع ، فقال يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت من هذا القول مالاً جمعنا من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت إنما تريد شرفًا شرفناك علينا [2] حتى لا نقطع أمرًا دونك ، وإن كنت تريد ملكًا ملكناك ، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيًا [3] تراه ، ولا تستطيع أن ترده عن نفسك طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه ، ولعل هذا الذي تأتي به شعر جاش به صدرك ، فإنكم لعمري يا بني عبد المطلب تقدرون منه على ما لا يقدر عليه أحد ، حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه قال رسول الله ﷺ : أفرغت يا أبا الوليـد ؟ قال : نعم ، قال : فاستمع مني ، قال : أفعل ، فقال رســـول الله ﷺ : بســم الله الرحمن الرحيم : ﴿ **حم * تنزيل من الرحمن الرحيم * كتاب فُصِّلت آياته قرآنًا عربيًا** ﴾ [4] فمضى رسول الله ﷺ يقرأها عليه ، فلما سمعها عتبة أنصت له ، وألقى بيده خلف ظهره معتمدًا عليها يستمع منه حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة فسجد فيها ، ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك ·

(١) أى الشرف وعلو المكانة ·

(٢) أى جعلناك سيدًا علينا ·

(٣) الرئى : ما يظهر للناس من الجن وهذا الموضع كرره ابن إسحاق ·

(٤) سورة فصلت : الآيات ١ - ٣ ·

***عتبة يعترف للمشركين بأن محمدًا على حق ويأمرهم بتركه :**

فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به ، فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ فقال : ورائى أنى والله قد سمعت قولاً ما سمعت بمثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا الكهانة ، يا معشر قريش أطيعونى واجعلوها بى ، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت نبأ ، فإن تصيبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزّه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به ، قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ، فقال : هذا رأى لكم فاصنعوا ما بدا لكم [١] .

*** قريش تفتن ضعفة المسلمين :**

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم إن الإسلام جعل يفشو [٢] بمكة حتى كثر فى الرجال والنساء ، وقريش تحبس من قدرت على حبسه ، وتفتن [٣] من استطاعت فتنته من الناس ، فقال أبو طالب يمدح عُتبة بن ربيعة حين رد على أبى جهل ، فقال : ما تنكر أن يكون محمد نبيًّا ؟! .

عَجبتُ لحلم يا ابنَ شيبةَ ... وأحلامُ أقوامٍ لديك سِخَاف
يَقولون شَايع من أراد محمَّدا ... بسوءٍ وقم فى أمره بِخلافِ
فَلا تَرْكبن الدهرَ منِّى ظَلامة ... وأنت امرؤ من خير عبد مَنَافِ
ولا تَتركنه ما حييت لمطمع ... وكن رجلاً ذا نَجدة وَعفافِ
تدور العدى عن دورة هَاشمية ... ألا فهم فى الناس خير آلافِ
فإن له قُربًا لديك قَريبة ... وليس بذى حلف ولا بمضافِ

(١) وهذه شهادة من مشرك ، والفضل ما شهدت به الأعداء ، وهذا يؤكد أن من المشركين من كان يعلم أنه على حق ، وورد أيضًا أن عتبة قال لهم : لقد سمعت كلامًا إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وإنه يعلو ولا يعلى عليه .
(٢) أى ينتشر .
(٣) تفتن أى ترد وتمنع من أراد الإسلام .

ولكنْ من هاشمٍ فى صميمها — إلى أبحر فوق البحور صَوافِ
وزَاحِمْ جميع الناس فيه وكن لهُ — ظهيراً [(١)] على الأعداء غير مُجَافِ
فإن غضبتْ فيه قريش فقل لهم : — بنى عمنا ما قومكم بضِعافِ
فما بالكم تغشون منا ظلامة — وما بال أحلام هناك خِفافِ
وما قومنا بالقوم يغشون ظلمنا — وما نحن فيما ساءهم بخِفافِ
ولكننا أهل الحفاظ والنُّهى — وعز ببطحاءِ الحطيم مَوافِ

* **الرسول يأمر قريشًا باتباعه :**

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : إن رسول الله ﷺ قال : يا معشر قريش اتبعونى وأطيعوا أمرى فإنه الهدى ودين الحق يعززكم ويمنعكم من الناس : ﴿ **ويمددكم بأموال وبنين** ﴾ [(٢)] فقالت قريش : « إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا » فأنزل الله تعالى : ﴿ **أَوَلَمْ نمكِّن لهم حرمًا آمنًا** ﴾ إلى قوله : ﴿ **أكثرهم لا يعلمون** ﴾ [(٣)] .

نا يونس عن يونس بن عمرو عن العيزار بن حريث قال : كان رسول الله ﷺ يقول : اللهم إنى أدعو قريشًا لتملك بتلك برًّا وبحرًا ، وقد جعلوا طعامى كطعام الحجلة ، يا معشر قريش أطيعونى يطأ الناس أعقابكم إلى يوم القيامة ، قال أبو جهل : والله لئن بايعناك يا ابن أخى لا تبايعك مضر ولا ربيعة ، قال : بلى والله طوعًا وكرها ، وفارس والروم .

* **شفقة الرسول ﷺ على المشركين :**

نا يونس عن محمد بن أبى حميد المدينى عن محمد بن المنكدر قال : أُتى رسول الله ﷺ فقيل له : إن قريشًا يتواعدونك ليقتلوك ، فخرج رسول الله ﷺ من باب الصفا حتى وقف عندها فأتاه جبريل عليه السلام فقال له يا محمد إن الله قد أمر السماء أن تطيعك ، والأرض أن تطيعك ، وأمر الجبال أن تطيعك ، فإن أحببت فمر السماء أن تنزل عليهم عذابًا منها ، وإن أحببت فمر الأرض أن تخسف بهم ، وإن أحببت فمر الجبال أن تنضم عليهم ، فقال رسول الله ﷺ : أُؤخر عن أمتى لعل الله أن يتوب عليهم .

---

(١) أى نصيراً . (٢) سورة نوح : الآية ١١ . (٣) سورة القصص : الآية ٥٧ .

نا أحمد بن عبد الجبار قال : نا أبو معاوية عن الأعمش عن أبى المنهال عن سعيد وعبد الله بن الحارث عن ابن عباس قال : لما أتى موسى قومه فأمرهم بالزكاة جمعهم قارون فقال : هذا جاءكم بالصوم والصلاة وأشياء تحملونها ، أفتحتملون أن تعطوه أموالكم ؟ قالوا : ما نحتمل أن نعطيه أموالنا فما ترى ؟ قال : أرى أن ترسلوا إليه بغى بنى إسرائيل فتأمروها أن ترميه بأنه أرادها على نفسها ، فرمت موسى على رؤوس الناس بأنه قد أرادها على نفسها ، فدعا الله عليهم ، فأمر الله الأرض أن تطيعه ، فقال للأرض : خذيهم فأخذتهم إلى أعقابهم فجعلوا يقولون : يا موسى يا موسى ، فقال : خذيهم فأخذتهم إلى ركبهم ، فجعلوا يقولون : يا موسى يا موسى ، فقال : خذيهم فأخذتهم إلى حُجزهم (١) ، فجعلوا يقولون : يا موسى يا موسى ، فقال : خذيهم ، فأخذتهم فغيبتهم فيها ، فأوحى الله إليه أن يا موسى سألك عبادى وتضرعوا إليك فلم تجبهم ، لو إياى دعوا لأجبتهم (٢) .

* الرسول ﷺ يدعو أبا جهل للإسلام :

نا يونس عن هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم عن المغيرة بن شعبة قال : إن أول يوم عرفت فيه رسول الله ﷺ ، إنى أمشى أنا وأبو جهل بن هشام فى بعض أزقة (٣) مكة إذ لقينا رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ لأبى جهل : يا أبا الحكم هلم إلى الله وإلى رسوله ، إنى أدعوك إلى الله ، فقال أبو جهل : يا محمد هل أنت منته عن سب آلهتنا ، هل تريد إلا أن تشهد أن قد بلغت ، فنحن نشهد أن قد بلغت ، فوالله لو أنى أعلم أن ما تقول حقًّا ما تبعتك ، فانصرف رسول الله ﷺ وأقبل علىَّ فقال : والله إنى لأعلم أن ما يقول حق ولكن بنى قُصى قالوا : فينا الحجابة ، فقلنا : نعم ؛ قالوا : فينا الندوة ، قلنا : نعم ؛ قالوا : فينا اللواء ، قلنا : نعم ؛ قالوا : فينا السقاية : قلنا : نعم ؛ ثم أطعموا وأطعمنا حتى إذا تحاكت الركب (٤) قالوا : منا نبى فلا والله لا أفعل .

* * *

(١) الحُجز : موضع شد الإزار من الوسط . انظر المعجم الوجيز ١٣٦ .

(٢) وهذا خير دليل على رحمة الله حتى بالعصاة والمذنبين فما بالنا بالمطيعين ؟!

(٣) أى طرقات .   (٤) يقصد تساووا .

*** فرعون أمة محمد :**

نا يونس عن المبارك بن فضالة عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال : إن لكل أمة فرعونا ، فإن فرعون هذه الأمة أبو جهل .

*** ما نزل في القرآن زجراً لأبى جهل :**

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى حكيم بن حكيم عن عباد بن حنيف عن عكرمة عن ابن عباس أنه تلا : ﴿ **والشجرة الملعونة فى القرآن** ﴾ [١] قال : يقول المذمومة نزلت فى أبي جهل بن هشام .

*** دعاء الرسول ﷺ على صناديد الكفر :**

نا يونس عن يونس بن عمرو عن أبيه عن عمرو بن ميمون الأودى قال : نا عبد الله بن مسعود قال بينا رسول الله ﷺ يصلى عند المقام ، فقال أبو جهل لأصحابه ، وهم جلوس عنده : من يذهب فيأتينا بسَلَى الجزور [٢] عند بنى فلان ، فقام غاو منهم فجاء به فقيل له : إذا رأيت محمداً ساجداً فضعه بين كتفيه ، فلما سجد رسول الله ﷺ وضعه بين كتفيه ، فلم يتحلل حتى فرغ من سجوده ، وبلغ فاطمة [٣] فجاءت وهى جارية [٤] فأخذته وجعلت تمسح عن ظهر رسول الله ﷺ ثم أقبلت عليهم تشتمهم واستضحكوا حتى صرعوا فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته استقبل الكعبة ورفع يديه فدعا عليهم : اللهم عليك بعمرو بن هشام ، وعُتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة وعمارة بن الوليد ، وأمية بن خلف ، وعقبة بن أبى معيط ، قال عبد الله بن مسعود : وأنا يومئذ غلام غير ذى منعة فى القوم ، فوالذى أنزل الكتاب على محمد لقد رأيتهم صرعى فى الطوى طوى بدر[٥].

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : وقد قال عمر بن الخطاب فيما يزعمون

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٦٠ .

(٢) سلى الجزور : غشاء رقيق يحيط بالجنين ويخرج معه من بطن أمه .

(٣) هى السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها ابنة أعظم الخلق محمد ﷺ وزوجة عظيم من الصحابة على كرم الله وجهه ، وأم أعظم شهيدين الحسن والحسين ، سيدى شباب أهل الجنة رضي الله عنهم .

(٤) يعنى صبية لم تبلغ مبلغ الشباب .

(٥) وأنزل الله على نبيه ﷺ فى شأن أبى جهـل : ﴿ أرأيت الذى ينهى * عبداً إذا صلى ﴾ إلى آخر الآيات زجراً ووعيداً له وبيان جزائه عند الله .

بعد إسلامه يذكر ما رأت قريش من العبرة فيما كان أبو جهل هم به من رسول الله ﷺ ، وقائل يقول قالها أبو طالب [١] ، فالله أعلم بمن قالها :

أَفيقوا بَنِــــى غَالبٍ وانْتَهوا ... عَنِ البَغْيِ فى بعض ذَا المنطق
وَإلا فَإنـــــى إذًا خَائف ... بَوائق فى دَاركم تَلتقى
تكونُ لغَابركـــــم عبرةً ... وَرب المغَاربِ وَالمشرقِ
كَما ذاَق من كَان مـــن قَبْلكم ... ثَمود وعَاد فَمن ذَا بقَى
غَداة أتاهم بها صَرصرًا ... وَنَاقة ذى العرش إذ تَستْقى
فَحل عليهم بها سُخْطَةٌ ... من الله فى ضَرْبَة الأزرق
غَداة يعض بِعرقُوبها ... حُسام من الهنـد ذُو رَونق
وَأعجب من ذاك من أمركم ... عجائب فى الحجر الملصق
بكفٌ الذى قام من حينــــه ... إلى الصابر الصادق المتقى
فَأيبســــــه الله فِى كَفِّه ... عَلى رغم ذا الخائن الأحمق
أَحيمق مَخزومكم إذ غوى ... بَغْىَ الغَواة ولم يصدق

* هلاك من عاند الرسول ﷺ :

نا يونس عن المبارك بن فضالة عن الحسن أن رسول ﷺ قال : أيها الناس انظرونى ، وقريشًا فإن غلبونى فسترون ذاكم ، وإن غلبهم الله لى فانتظروا ، فكفٌ ناس وقالوا : صدق إن غلب قريشًا فما ذاك إلا من الله ليس من هذا فكفُّوا [٢] عن قتاله ، وأبى آخرون فهلكوا .

نا يونس عن قَيس بن الرَّبيع عن حكيم بن الديلم عن الضحاك بن مزاحم عن

(١) ربما يكون هذا الرأى أقرب للصواب - والله أعلم - وذلك لورود شعر كثير له فى مواطن متعددة ، أما عمر فلم يرد عنه شعر إلا نادرًا جدًا .

(٢) كفوا : أى امتنعوا .

عبد الله بن عباس فى قوله تعالى : ﴿ وأنتم سامدون ﴾ (١) قال : كانوا يمرون على رسول الله ﷺ وهو يصلى ألم تر إلى البعير يكون فى الإبل فتراه يخطر بذنبه شائحًا .

* * *

(١) سورة النجم : ٦١ ، وسامدون : أى لاهون معرضون ، وقد ذكر النحاس أن الرسول ﷺ عندما قرأ : ﴿ أفمن هذا الحديث تعجبون * وتضحكون ولا تبكون * وأنتم سامدون ﴾ لم ير ضاحكا إلا متبسما حتى مات ﷺ . انظر تفسير القرطبى ٩ / ٦٥٢٤ ط . دار الغد العربى .

حديث الهجرة الأُولى إلى الحبشة (١)

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فلما اشتد البلاء وعظمت الفتنة تواثبوا على أصحاب رسول الله ﷺ وكانت الفتنة الآخرة التى أخرجت من كان هاجر من المسلمين بعد الذين كانوا خرجوا قبلهم إلى أرض الحبشة .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى الزهرى عن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن أُم سلمة زوج النبى ﷺ أنها قالت : لما ضاقت علينا مكة وأوذي أصحاب رسول الله ﷺ وفتنوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة فى دينهم وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم ، وكان رسول الله ﷺ فى منعة (٢) من قومه وعمه (٣) لا يصل إليه شىء مما يكره مما ينال أصحابه ، فقال لهم رسول الله ﷺ : إن بأرض الحبشة ملكًا لا يُظلم أحد عنده (٤) ، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجًا ومخرجًا مما أنتم فيه ، فخرجنا إليها أرسالاً حتى اجتمعنا بها فنزلنا بخير دار إلى خير جار أمنًا على ديننا ، ولم نخش منه ظلمًا (٥) .

*** قريش ترسل لملك الحبشة كى يرد المسلمين :**

فلما رأت قريش أن قد أصبنا دارًا وأمنًا أجمعوا على أن يبعثوا إليه فينا ليخرجنا من بلاده وليردنا عليهم ، فبعثوا عمرو بن العاص (٦) ، وعبد الله بن أبى ربيعة فجمعوا له هدايا ولبطارقته (٧) ، فلم يدعوا منهم رجلاً إلا هيأوا له هدية على ذى حدة ، وقالوا لهما : ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلموا فيهم ، ثم ادفعوا إليه هداياه ، وإن استطعتم أن يردهم عليكما قبل أن يكلمهم فافعلا (٨) .

فقدما عليه ، فلم يبق بطـــــريق من بطارقته إلا قدَّموا له هديته وكلموه

---

(١) تقدم الحديث عن هذا الموضوع فى الفصل السابق ، لكن هنا روايات مختلفة عما مضى .

(٢) أى فى حفظ وحماية . (٣) أى : أبى طالب . (٤) هو النجاشى .

(٥) وهذا تأكيد على عدالة النجاشى وحسن ضيافته لهم .

(٦) ولم يكن قد أسلم بعدُ لأنه أسلم بعد الهجرة للمدينة .

(٧) أى قواده .

(٨) يلاحظ أن الراوى يقدم ويؤخر فى سرد الأحداث .

وقالوا له : إنا قدمنا على هذا الملك فى سفهاء من سفهائنا فارقوا أقوامهم في دينهم ولم يدخلوا فى دينكم ، فبعثنا قومهم فيهم ليردهم الملك عليهم ، فإذا نحن كلمناه فأشيروا عليه بأن يفعل ، فقالوا : نفعل ، ثم قدَّما إلى النجاشى هداياه ، وكان أحب ما يهدى إليهع من مكة الأدم [١] ، فلما أدخلوا عليه هداياه قالوا له : أيها الملك إن فتية منا سفهاء فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا فى دينك [٢] ، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه ، وقد لجأوا إلى بلادك ، فبعثنا إليك فيهم عشائرهم : آباؤهم ، وأعمامهم ، وقومهم لتردهم عليهم ، فهم أعلى بهم عينًا ، فقالت بطارقته : صدقوا أيها الملك لو رددتهم عليهم كانوا هم أعلى بهم عيناً ،فإنهم لم يدخلوا فى دينك فتمنعهم بذلك ، فغضب ثم قال : لا لعمر الله لا أردهم عليهم حتى أدعوهم ، وأكلِّمهم وأنظر ما أمرهم ، قوم لجأوا إلى بلادى واختاروا جوارى على جوار غيرى ، فإن كانوا كما يقولون رددتهم عليهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم ولم أخل بينهم وبينهم ، ولم أنعمهم عيناً [٣] .

• استدعاء النجاشى المهاجرين وما دار بينهم من حوار :

فأرسل إليهم النجاشى فجمعهم ولم يكن شيء أبغض إلى عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة من أن يسمع كلامهم ، فلما جاءهم رسول النجاشى اجتمع القوم فقالوا : ماذا تقولون ؟ فقال : وماذا نقول ، نقول والله ما نعرف ، وما نحن عليه من أمر ديننا ، وما جاء به نبينا كائن فى ذلك ما كان ، فلما دخلوا عليه كان الذى يكلمه منهم جعفر بن أبى طالب [٤] ، فقال له النجاشى : ما هذا الدين الذى أنتم عليه ، فارقتم دين قومكم ، ولا تدخلوا فى يهودية ولا نصرانية ، فما هذا الدين ؟ فقال جعفر : أيها الملك كنا قوماً على الشرك : نعبد الأوثان ، ونأكل الميتة ،

---

(١) الأدم : الجلد المدبوغ .

(٢) كان النجاشى يدين بالنصرانية ، وقالوا له هذا ليستعطفوه حتى يقسوَ عليهم .

(٣) وفى هذا نرى مدى عدالة النجاشى ، لا يتأثر برأى من حوله حتى يعلم الحقيقة بنفسه وهكذا يكون عدل الملوك والحكام .

(٤) تحدث نيابة عنهم .

ونسىء الجوار ، ونستحل المحارم [١] بعضنا من بعض فى سفك الدماء وغيرها ، لا نحل شيئًا ولا نحرِّمه ، فبعث الله إلينا نبيًّا من أنفسنا نعرف وفاءه وصدقه وأمانته فدعانا إلى أن نعبد الله وحده لا شريك له ، ونصل الرحم ، ونُحسن الجوار ، ونصلى ونصوم ، ولا نعبد غيره ، فقال : هل معك شىء مما جاء به - وقد دعا أساقفته فأمروهم فنشروا المصاحف حوله ؟ فقال جعفر : نعم ، قال : هلم فاتل علىَّ ما جاء به ، فقرأ عليه صدرًا [٢] من ﴿ كهيعص ﴾ [٣] فبكى والله النجاشى حتى أخْضَل لحيته [٤] ، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم ، ثم قال : إن هذا الكلام ليخرج من المشكاة الذى جاء بها موسى [٥] ، انطلقوا راشدين ، لا والله لا أردهم عليكم ولا أنعمكم عينًا ، فخرجا من عنده ، وكان أتقى الرجلين فينا عبد الله ابن أبى ربيعة ، فقال له عمرو بن العاص : والله لآتينه غدًا بما أستأصل به خضراءهم ، لأخبرنه أنهم يزعمون أن إلهه الذى يعبد - عيسى ابن مريم - عبد ، فقال له عبد الله بن أبى ربيعة : لا تفعل فإنهم وإن كانوا خالفونا فإن لهم رحمًا ولم حقًّا ، فقال : والله لأفعلن [٦] .

* المهاجرون يشرحون للنجاشى رأى الإسلام فى عيسى عليه السلام :

فلما كان الغد دخل عليه [٧] فقال : أيها الملك إنهم يقولون فى عيسى قولاً

---

(١) أي ننتهك المحارم .   (٢) أى بداية سورة مريم .

(٣) سورة مريم : الآية ١ .   (٤) أى ابتلت .

(٥) عند ابن هشام : « جاء به عيسى » وهو الصواب ، لأن النجاشى يدين بالنصرانية ويؤمن بعيسى ، وقيل غير ذلك .

(٦) وهذا يبين مدى ما كان عليه عمرو فى جاهليته من حقد على الإسلام لكنه لمَّا فكر بعد ذلك بجدية وجد أن الإسلام حق فأسلم وحسن إسلامه ، وكان من عظماء وأبطال المسلمين ، وإليه يرجع الفضل فى إسلام المصريين فهو الذى فتح مصر ، وحررها من رق عبودية الرومان إلى عدالة الإسلام وكان ذلك عام ٢٣ هـ أيام خلافة سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ ، وعين عمرو واليا على مصر ، وبنى بها أول وأقدم مسجد فى مصر وإفريقيا ، وهو مسجد عمرو بن العاص بمدينة الفسطاط « مصر القديمة الآن » وقد ورد أنه قد أمَّ الصلاة فيه ثمانين من صحابة رسول الله ﷺ .

(٧) أي عمرو بن العاص .

عظيمًا ، فأرسل إليهم فسلهم عنه ، فبعث إليهم ، ولم ينزل بنا مثلها ، فقال بعضنا لبعض : ماذا تقولون له فى عيسى إن هو سألكم عنه ؟ فقالوا : نقول والله الذى قاله فيه ، والذى أمرنا نبينا أن نقوله فيه ، فدخلوا عليه وعنده بطارقته ، فقال : ما تقولون فى عيسى ابن مريم ؟ فقال له جعفر : نقول : هو عبد الله ورسوله وكلمته وروحه ألقاها إلى مريم العذراء البتول فدلَّى النجاشى يده إلى الأرض فأخذ عويدًا بين أصبعيه فقال : ما عدا عيسى ابن مريم مما قلت هذا العود ، فتناخرت بطارقته ، فقال : وإن تناخرتم والله ، اذهبوا فأنتم شيوم بأرضى ، والشيوم [١] : الآمنون ، ومن سبكم غرم ، ومن سبكم غرم ، ومن سبكم غرم ، ثلاثًا ، ما أحب أن لى دبيرًا [٢] ، وأنى آذيت رجلاً منكم ، والدبير بلسانهم الذهب ، فوالله ما أخذ الله منى الرشوة حين رد علىَّ ملكى ، فآخذ الرشوة فيه [٣] ، ولا أطاع الناس فىَّ فأطيع الناس فيه ، ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لنا بها ، واخرجا من بلادى ، فخرجا مقبوحين مردود عليهما ما جاءا به ·

* فرح المسلمين بانتصار النجاشى :

فأقمنا مع خير جار فى خير دار ، فلم ينشب أن خرج عليه رجل من الحبشة ينازعه فى ملكه [٤] ، فوالله ما علمنا حزنًا قط كان أشد منه ، فرقًا أن يظهر ذلك الملك عليه فيأتى ملك لا يعرف من حقنا ما كان يعرف ، فجعلنا ندعوا الله ، ونستنصره للنجاشى ، فخرج إليه سائرًا ، فقال أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم لبعض : من رجل يخرج فيحضر الوقعة حتى ينظر على من تكون فقال الزبير - وكان من أحدثهم سنًّا [٥] : أنا ، فنفخوا له قربة ، فجعلها فى صدره ثم خرج يسبح عليها فى النيل حتى خرج من شقه الآخر إلى حيث التقى الناس ، فحضر

---

(١) يقول السهيلى : يحتمل أن تكون لفظة حبشية غير مشتقة ، أو مشتقة من شمت السيف إذا أغمدته لأنه الآمن غمد عنه السيف · انظر الروض الأنف تحقيق طه عبد الرءوف سعد ٢ / ١٩٢ ·

(٢) عند ابن هشام : « دبرًا » ·

(٣) وهذ دليل على أن الشرفاء قبل الإسلام كانوا يرفضون الرشوة ولا يقبلونها ·

(٤) أى أراد أحد الأحباش أن يتولى الملك ويخلع النجاشى ·

(٥) أى أصغرهم سنًّا ·

الوقعة ، فهزم الله ذلك الملك وقتله ، وظهر (١) النجاشى عليه ، فجاءنا الزبير فجعل يليح إلينا بردائه ويقول : ألا أبشروا فقد أظهر الله النجاشى فوالله ما علمنا فرحنا بشىء قط فرحنا بظهور النجاشى ، ثم أقمنا عنده حتى خرج من خرج منا راجعًا إلى مكة ، وأقام من أقام ·

* قصة تملك النجاشى على الحبشة :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : قال الزهرى : فحدثت بهذا الحديث عروة بن الزبير عن سلمة ، فقال عروة : هل تدرى ما قوله : ما أخذ الله منى الرشوة حين رد علىَّ ملكى ، فآخذ الرشوة فيه ، ولا أطاع الناس فى فأطيع الناس فيه ؟ فقال الزهرى : لا ، ما حدثنى ذاك أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث عن أم سلمة ، فقال عُروة (٢) : فإن عائشة حدثتنى أن أباه كان ملك قومه ، وكان له أخ ، من صلبه اثنا عشر رجلاً ، ولم يكن لأبى النجاشى ولد غير النجاشى ، فأدارت الحبشة رأيها بينها فقالوا : لو أنا قتلنا أبا النجاشى وملكنا أخاه فإن له اثنى عشر رجلاً من صلبه فيتوارثوا الملك لبقيت الحبشة عليهم دهرًا طويلاً لا يكون بينها اختلاف ، فغدوا عليه فقتلوه وملكوا أخاه ، فدخل النجاشى لعمه حتى غلب عليه فلا يدير أمره غيره ، وكان لبيبًا فلما رأت الحبشة مكانه من عـمه قالوا : لقد غلب هذا الغلام على أمر عمه ، فما نأمن أن يملكه علينا ، وقد عرف أنا قتلنا أباه وجعلناه مكانه ، وإنا لا نأمن أن يملكه علينا فيـقتلنا ، فإما أن نقتله وإما أن نخرجه من بلادنا ، فقال : ويحكم قتلتم أباه بالأمس ، وأقتله اليوم ! بل أخرجوه من بلادكم ، فخرجوا به فوقفوه بالسوق فباعوه من تاجر من التجار ، فقذفه فى سفينته ، بستمائة درهم أو سبعمائة درهم ، فانطلق به ، فلما كان العشى هاجت سـحائب الخريف ، فخرج عمه ، يتمطر (٣) تحتها فأصابته صاعقة فقتلته ، ففزعوا إلى ولده فإذا هم محمقون (٤) ليس فى أحد منهم خير ، فمرج على الحبشة أمرهم (٥) ، فقال بعضهم

(١) أى انتصر ·

(٢) كانت السيدة عائشة رضي الله عنها - خالته ·

(٣) بمعنى يستمطر : أى يطلب المطر ·

(٤) أى حمقى لا يصلحون للرياسة ·

(٥) أى اختلط أمرهم وانتشرت الفوضى ·

لبعض : تعلمن والله إن ملككم الذى لا يصلح أمركم غيره للذى بعتم الغداة ، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة فأدركوه قبل أن يذهب ، فخرجوا فى طلبه حتى أدركوه فردوه فعقدوا عليه تاجه وأجلسوه على سريره [١] وملكوه ، فقال التاجر ردوا على مالى كما أخذتم منى غلامى ، فقالوا : لا نعطيك ، فقال : إذًا والله أكلمه ، فقالوا : وإن ؛ فمشى إليه فقال : أيها الملك إنى ابتعت غلامًا فقبض منى الذين باعوه ثمنه ، ثم عدوا على غلامى فنزعوه من يدى ولم يردوا علىّ مالى ، فكان أول ما اختبر من صلابة حكمه وعدله أن قال : لتردن عليه ماله أو ليجعلن غلامه يده فى يده فليذهبن به حيث شاء ؟ فقالوا : بل نعطه ماله ، فأعطوه إياه ، فلذلك يقول : ما أخذ الله منى رشوة فآخذ الرشوة فيه حين رد إلىّ مُلكى ، ولا أطاع الناس فىّ فأطيعهم فيه [٢] .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال : إنما كان يكلم النجاشىَّ عثمانُ بن عفان .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وليس كذلك ، إنما كان يكلمه جعفر بن أبى طالب [٣] .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى بعض أهل العلم أن فتية من الحبشة قد رأوا رقية بنت رسول الله ﷺ وهى هناك مع زوجها عثمان بن عفان ، وكانت فيما يقال أجمل وأحسن البشر ، وكانوا يقفون إليها ينظرون إليها ويدركلون لها إذ رأوها عجبًا منها حتى آذاها ذلك من أمرهم ، وهم يتقون أن يؤذوا أحدًا منهم للغربة ، ولما رأوا من حسن جوارهم ، فلما سار النجاشى إلى عدوه ، ساروا معه فقتلهم الله جميعًا لم يفلت منهم أحد .

* قدوم وفد من نصارى الحبشة على الرسول وإسلامهم :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم قدم على رسول الله ﷺ وهو بمكة عشرون رجلاً أو قريبًا من ذلك من النصارى ، حين ظهر خبره من الحبشة

---

(١) أى كرسى الحكم والسلطنة .

(٢) فأطيعهم فيه : استفهام معناه أفأطيعهم فيه .

(٣) وهو ما جاء فى كتب السيرة والتاريخ .

فوجدوه فى المسجد فجلسوا إليه فكلموه وسألوه ، ورجال من قريش فى أنديتهم حول الكعبة ، فلما فرغوا من مسألتهم رسول الله ﷺ عما أرادوا دعاهم رســـول الله ﷺ وتلا عليهم القرآن ، فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع ، ثم استجابوا له وآمنوا به وصدّقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم فى كتابهم من أمره ، فلما قاموا من عنده اعترضهم أبو جهل فى نفر من قريش فقالوا : خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل ، فلم تطمأن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم ، فصدقتموه بما قال لكم ، ما نعلم ركبًا أحمق منكم ، أو كما قالوا لهم ؛ فقالوا : سلام عليكم لا نجاهلكم ، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، لا نألوا أنفسنا خيرًا ، ويقال إن النفر النصــارى من أهل نجران ، فالله أعلم أى ذلك كان ، ويقال - والله أعلــم - إن فيهم نزلت هــؤلاء الآيات : ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون** ﴾إلى قوله: ﴿ **لا نبتغى الجاهلين** ﴾[(١)] .

نا يونس عن أسباط بن نصر الهمدانى عن إسماعيل بن عبد الرحمن قال : بعث النجاشى إلى رسول الله ﷺ اثنى عشر رجلاً يسألونه ويأتونه بخبره ، فقرأ عليهم رسول الله ﷺ القرآن ، فبكوا وكان فيهم سبعة رهبان وخمسة قسيسين ، أو خمسة رهبان وسبعة قسيسين ، ففيهم ، أنزل الله : ﴿ **وإذا سمعوا ما أُنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع** ﴾ [(٢)] إلى آخر الآية .

* إسلام النجاشى :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إســـحاق قال : سألت الزهـــرى عن الآيات : ﴿ **ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانًا وأنهم لا يستكبرون * وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول** ﴾ إلى قوله : ﴿ **مع الشاهدين** ﴾[(٣)] ، وقوله: ﴿ **وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما** ﴾ [(٤)] فقال : ما زلت أســـمع علماءنا يقولون نزلت فى النجاشى وأصحابه .

(١) سورة القصص : الآيات ٥٢ - ٥٥ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٨٣ .

(٣) سورة المائدة : الآيات ٨٢ - ٨٣ .

(٤) سورة الفرقان : الآية ٦٣ .

*** الرسول ﷺ يصلّي على النجاشي يوم موته :**

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : خرج بنا رسول الله ﷺ إلى المصلي ، فصفنا خلفه ، وكبّر بنا أربعًا ، فلما انصرف قلنا : يا رسول الله على من صلّيت ؟ فقال على أخيكم النجاشي ، مات اليوم (١) .

نا يونس عن عبد الله بن عمر بن شهاب قال : كبّر رسول الله ﷺ على النجاشي أربعًا .

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني يزيد بن رُومَان عن عُروة بن الزُّبيرة عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت : ما كان يزال يُرى على قبر النجاشي نور .

نا يونس عن ابن إسحاق قال : كان اســم النجاشي أَصْحَمَه وهو بالعربية عطية ، وإنما النجاشي اسم الملك ، كقولك كسرى وهرقل .

نا أحمد : نا يونس عن يُونس الإيلي عن الزهري قال : قال ابن عمر لرجل جالس معه تمنّه فقال : لا أفعل ، فقال ابن عمر : لكني لوددت أن لي مثل أُحد ذهبًا أحصي وزنه وأُؤَدِّي زكاته .

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت : إذا تمنى أحدكم فليستكثر فإنما يسأل ربه عز وجل (٢) .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إســحاق قال : حدثني والدي إسحاق بن يسار قال : رأيت أبا نَيْزَر بن النجاشي فما رأيت رجلاً قط عربيًا ولا عجميا أعظم ولا أطول ولا أوسم منه ، وجده علي بن أبي طالب مع تاجر بمكة فابتاعه منه وأعتقه مكافأة للنجاشي لما كان ولي من أمر جَعْفر وأصحابه ، فقلت لأبي : أكان (أبو) (٣) نَيْزر أسود كسواد الحبشة ؟ فقال : لو رأيته لقلت رجل من العرب .

---

(١) كان موت النجاشي في رجب سنة تسع ، ونعاه الرسول ﷺ إلى الناس في اليوم الذي مات فيه ، وصلى عليه بالبقيع واستغفر له ، وتسمى صلاة الغائب - وورد أن سرير النجاشي (نعشه) وكان بأرض الحبشة رفع للنبي ﷺ وهو بالمدينة فصلى عليه .

(٢) أي يسأل كريمًا يجود بالخير على عباده ، وورد أن الرسول ﷺ قال : « إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة ... وفوقه عرش الرحمن » .

(٣) ما بين الحاصرتين زائدة عن الأصل لعلها طمست ، والمعنى لا يستقيم بدونها .

* رفض أبى نيزر ملك الحبشة :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى عبد الله بن الحسن أن أمه فاطمة بنت الحسين حدثته قالت : قَدم على أبى نيزر بن النجاشى - وكان على أعتقه - ناس من الحبشة فأقاموا عنده شهراً ينحر لهم على بن أبى طالب ويصنع لهم الطعام فقالوا له : إنْ أمر الحبشة قد مرج عليهم ، فانطلق معنا نملكك عليهم ، وإنك ابن من قد علمت ، فقال : أما إذ أكرمنى الله بالإسلام ما كنت لأفعل ، فلما أيسوا منه رجعوا وتركوه ، وكان أيما رجل غير أنه كان رجلاً يتلمز ويصيب الخمر [1] .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وكان مما قيل فى الحبشة من الشعر أن عبد المطلب بن الحارث بن قيس بن عدى بن سَعْد بن سهم ، حين أمنوا بأرض الحبشة وحمدوا جوار النجاشى ، وعبدوا الله لا يخافون على دينهم أحدًا ، وكان قد أحسن النجاشى جوارهم حين نزلوا به فقال :

يا راكبـــــا أبلغا عَنى مغلغلة ... من كان يرجو بَلاغ اللهِ والدينِ
كُل امرئ من عباد الله مُضْطَهد ... ببَطن مكــــــة مقهُور ومفتون
أنَّا وجـــدنا بلاد الله واسعةً ... تنجى من الـــذلِّ والمخزَاةِ والهُونِ
فلا تقيموا على ذُل الحياة ولا ... خزى الممات وعيب غير مأمون
إنا تَبعنا رســـول اللهَ فَاطرحُوا ... قَولَ النـــبى وغَالوا فى الموازين
فاجعل عذابك فى القوم الذين بغوا ... وعائذ بك أن يعلوا فيطغونى

وقال أيضًا يذكر نفى قريش إياهم من بلادهم ويعاتب بعض قومهم فى ذلك فقال :

أَبت كَبِدى لا أكذبنـــك قِتالهم ... علىَّ وَتَأباه عَلى أنــــاملى
وكَيف قَتـــالى مَعْشر يأدبونهم ... عَلى الحق ألا يَأشبوه بِباطِلِ
نَفَيتُم عِبَاد الله من حُرِّ أرضــــهم ... فَأضحَوا على أمر كثير البلابلِ
فإن تك كانت فى عَدى أمانة ... عَدى بن كعب من يفى ويواسلِ
فَقَد كنتُ أحسب أن ذلك فيكم ... بحمد الذى لا يطبا بالجعائل
فَبدلت شِبلا شبل كل كتيبة ... بذى فَخرها مأوى الضعاف الأرامِلِ

---

(١) أى عياب ويشرب الخمر .

وقال أبو طالب حين رأى ذلك من رأيهم ، وما نشبوا فيه ، أبياتا للنجاشى يحضه على حسن جوارهم والدفع عنهم فقال (١) :

أَلا لَيتَ شعْرِى كَيْفَ فِى النَّأْى جَعْفَرٌ ... وزيد وأعداءُ العدو الأقارب
وَهَل نال أفعالُ النَّجاشى جَعفرا ... وَأَصْحَابه أَم عَاق ذلك شاغِبُ
تَعلم - أَبيْتَ اللعن - أَنك مَاجدٌ ... كَرِيم فَلا يَشْقَى لديكَ المجانب
تَعَلَّم بأَنَ الله زَادك بَسْطَةً (٢) ... وأسباب خَيْر كلها بِكَ لاَزِبُ
فَإِنك فَيْضٌ ذو سجالِ غَزِيرةٍ ... يَنَال الأعادِى نَفعُها والأقارِبُ

وقال أبو طالب أيضًا :

تَعلم خِيار الناسِ أنَ محمــــدًا ... وَزِيرٌ لموســـى والمسيح ابن مَرْيَم
أَتى بهــدى مثل الذى أتيا به ... وكلٌّ بأمرِ الله يهــدى ويعصم
وأنكم تتلــــونه فى كِتَابكم ... بِصدق حــديث لا حديث الترجُّمِ
وأنك ما يأتيك مــــنا عصــابة ... لفضلك إلا أُرجعــوا بالتكرمِ

* فضل مهاجرى الحبشة :

نا يونس عن زكريا بن أبى زائدة عن عامر الشعبى عن أسماء بنت عُمَيس أنها انطلقت إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله إن ناسًا من المهاجرين يفخرون علينا ويزعمون أنا لسنا من المهاجرين الأولين ، فقال رسول الله ﷺ : لكم هجرتان : هاجرتم إلى أرض الحبشة ونحن مدهنون بمكة ، وهاجرتم بعد ، وكانوا قدموا عليه خيبر .

نا يونس عن إبراهيم بن إسماعيل عن الزُّهرى عن قبيــصة بن ذؤيب عن أبى سلمة بن عبد الأسد ، وكان ابن عمة رسول الله ﷺ ، وأول من هاجر بظعينته (٣) إلى أرض الحبشة ثم إلى المدينة ، وكانت تحته أم سلمة التى هاجر بها ، فلما توفى عنها تزوجها رسول الله ﷺ بعده .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى صالح بن إبراهيــم عن عبد الرحمن بن عَوف عن أبيه قال : كنا نسير مع عثمان بن عفان فى طريق مكة إذ رأى عبد الرحمن بن عوف فقال : ما يستطيع أحد أن يعيد (٤) على هذا الشيخ فضلاً فى الهجرتين جميعًا - يعنى هجرته إلى الحبشة وهجرته إلى المدينة .

(١) كان حق هذه الأبيات أن تأتى فى أول الفصــل فهناك مكانها نظرًا لتسلسل الأحداث . (٢) أى قوة وسعة . (٣) يقصد زوجته . (٤) قد تكون بمعنى ينكر والله أعلم .

تسمية من هاجر إلى أرض الحبشة [١]

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : هذه تسمية من هاجر إلى أرض الحبشة من أصحاب رسول الله ﷺ من شهد بدراً ، ومن تخلف حتى قدوم [٢] بعد بدر منهم ، ومن تخلف حتى بعث فيهم رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمرى ، فجعلهم فى سفينة ثم بعث بهم إليه فقدموا عام الحديبية سنة سبع ؛ وكان من قدم عليه وشهد معه بدرًا من بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف : عثمان بن عفان ، ضرب له رسول الله ﷺ فى بدر بسهمه وأجره ، وكان يخلف على رقية بنت رسول الله ﷺ ، وكانت معه بأرض الحبشة ، وله عقب . وأبو حُذيفة بن عُتْبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، قتل يوم اليمامة [٣] شهيداً ، وكانت معه امرأته بأرض الحبشة سهلة بنت سُهيل بن عمرو أخى بنى عامر بن لُؤى ، وولدت له بأرض الحبشة محمد بن أبى حُذَيفة ، لا عقب له [٤] .

ومن بنى أسد بن عبد العُزَّى : الزبير بن العوام .

ومن بنى عبد الدار بن قُصى : مصعب بن عُمير .

ومن بنى زهرة : عبد الرحمن بن عوف .

ومن بنى مخزوم : أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، معه امرأته أم سَلَمة بنت أبى أُمية .

ومن بَنى جمح بن عَمرو بن هُصَيص : عثمان بن مَظْعُون .

ومن بنى عَدِى بن كعب : عامر بن ربيعة حليف آل الخطاب ، معه امرأته ليلى بنت أبى حثمة .

---

(١) مرغالبية هذا الفصل فيما سبق ، وبعضه إعادة لما سبق ، وهذا جعل بعض الباحثين يؤكد أن ابن إسحاق كان يدمج الروايات ولا يرتبها ولا ينسقها ولا يجعلها فى موضوعها وإنما تتناثر فى أكثر من مكان وأثبتناها كما وجدناها .

(٢) هكذا بالأصل والصواب « قدم » .

(٣) هى حرب الردة وكانت فى بداية خلافة أبى بكر الصديق .

(٤) أى لم ينجب ، ليس له ذرية .

ومن بنى عامر بن لؤى : أبو سبرة بن أبى رهم بن عبد العزى ، ويقال : بل هو أبوه [١] حاطب بن عبد شمس بن عبد ودٍّ بن نصر بن مالك ، ويقال : بل هو كان أول من قدمها [٢] .

ومن بنى الحارث بن فهر : سُهَيل بن بَيضاء ، وهو سُهيل بن ربيعة بن هلال ابن أهيب ، وكانوا هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة فيما بلغنى .

ثم جعفر بن أبى طالب .

ومن بنى نوفل بن عبد مناف بن قُصى : عُتْبة بن غَزْوان بن جابر بن وهب ، حليف لهم ، رجل ، وله عقب .

ومن بنى عبد الدار : سويبط بن سَعْد بن حَرْملة بن مالك بن عَميلة بن السباق ابن عبد الدار ، وجهم بن قَيْس بن عبد بن شَرَحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، معه امرأته أم [٣] حرملة بنت الأسود بن خزيمة بن أقيش بن عامر بن بياضة بن تبيع بن خيثمة [٤] بن خزاعة ، وابناه عمرو بن جهم ، وأبو الروم بن عمير ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وفراس بن النضر بن الحارث بن كلدة بن علقه بن عبد مناف بن عبد الدار .

ومن بنى عبد بن قُصَى : طُليب بن عُمير بن وهب بن أبى كبير [٥] بن عبد بن قُصى ، رجل لا عقب له .

ومن بنى زُهْرة بن كلاب : عبد الرحمن بن عَوْف له عقب ، وعَلْقمة بن أبى وقَّاص ، ووقاص ، وأبو وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زُهرة ،

---

(١) هكذا بالأصل والصواب أن كلمة (أبوه) زائدة لأن حاطب ليس بأبيه ، وقد ورد عند ابن هشام ذكر الاثنين كلاً على حدة ولم يذكر أن حاطب أبوه ولو كان أباه لذكر ابن هشام ذلك انظر السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٢٨٥ ط . مكتبة الكليات الأزهرية .

(٢) أى حاطب بن عبد شمس من باب عود الضمير على أقرب مذكور .

(٣) زيادة من سيرة ابن هشام ، وربما يكون سقط بالأصل أو طمس ولم يشر النساخ إليه ، انظر السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٣١١ ط . دار المنار .

(٤) عند ابن هشام : « سبيع بن جعثمة » .

(٥) ذكر قبل ذلك « أبى كثير » وجاء عند ابن هشام « أبى كبير » وهو الصواب .

والمطلب ابن أزهر بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زُهرة ، معه امرأته رملة بنت أبى عوف بن ضبيرة ، ولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن المطلب . ومن حلفائهم عبد الله بن مسعود (١) وأخوه عُتْبة بن مسعود .

ومن بَهْراء : المقداد بن عمرو ، وكان يقال المقداد بن الأسود بن عبد يغوث ابن وهب بن عبد مناف بن زُهرة ، وذلك أنه كان تبناه ، وحالفه ، ستة نفر .

ومن بنى مخزوم : شماس بن عثمان بن الشريد بن سويد بن هرم بن عمر بن مخزوم ، وكان اسم شماس (٢) عثمان ، ولا عقب له ، وهبار بن سفيان بن عبد الأسد بن هلال ، وأخوه عبد الله بن سفيان ، وهشام بن أبى حُذيفة .

ومن حلفائهم : مُعْتب بن عوف بن عامر بن الفضل بن عفيف ، وهو الذى يدعى عيهلة (٣) ، بن فليت بن سلول بن كعب بن خُزَاعة .

ومن بنى عَامر بن لُؤى (٤) : عبد الله بن سُهَيل بن عَمرو ، وله عقب ، وأبو سبرة بن أبى رهم معه امرأته أُمُّ كلثوم ابنة سُهيل بن عمرو ، وعبد الله بن مَخْرمة بن عبد العزى بن أبى قَيْس بن عبد ودٍّ ، وسلَيْط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودٍّ ، وأخوه السكران بن عمرو ، معه امرأته سودة بنت زمعة ، ومالك بن ربيعة بن قيس ابن عبد شمس بن لُؤى ، ومعه امرأته عمرة بنت السعدى وسعيد حليف لهم .

ومن بنى جمح بن عمرو بن هُصَيص : عثمان بن مَظْعون ، وابنه السائب بن عثمان ، لا عقب لهما ، وأخوه قدامة بن مظعون ، له عقب ، وحاطب بن الحارث ابن المغيرة بن حبيب بن حُذافة ، معه امرأته فاطمة بنت المحجل بن عبد الله ، وابناه

---

(١) وهو الصحابى المشهور ، وقد روى كثيرًا من أحاديث رسول الله ﷺ وهو أول من جهر بالقرآن فى مكة ، وكان يجيد قراءة وتلاوة القرآن ، وورد أن الرسول ﷺ قال له : « اقرأ علىَّ » فقال له : أأقرأ عليك وعليك أنزل ، فقال له الرسول ﷺ : « اقرأ علىَّ فإنى أحب أن أسمعه من غيرى » فقرأ عليه من سورة النساء حتى قوله تعالى : ﴿ **فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً** ﴾ فبكى الرسول ﷺ ، وقال له : أمسك .

(٢) اسمه عثمان وإنما سمى شماسًا ، لأن شماسًا من الشمامسة قدم مكة فى الجاهلية ، وكان جميلا فعجب الناس من جماله ، فقال عتبة بن ربيعة ، وكان خال شماس بن عثمان : أنا آتيكم بشماس أحسن منه ، فجاء بابن أخته عثمان بن عثمان .

(٣) قيل : يدعى عيهامة .

(٤) مر فى الصفحة السابقة طرفًا من هذا ، لكن هنا تفصيل أكثر .

محمد بن حاطب ، والحارث بن حاطب ، وهما لابنة المحجل ، وابنه الحارث بن حاطب معه امرأته فُكيهة بنت يسار ، وسفيان بن معمر بن حبيب ، معه أبناؤه جابر ابن سفيان ، وجُنادة بن سفيان ، ومعه امرأته حسنة ، وهى أمهما ، وأخوهما من أمهما شُرحبيل بن حَسَنة ، وعثمان بن ربيعة بن أُهبان ، أحد عشر رجلاً .

ومن بَنى سهم بن عمرو بن هُصَيص : خُنيس بن حُذافة ، قتل يوم بدر شهيداً لم يكن له عقب إلا امرأته ، وكانت عنده حفصة بنت عمر بن الخطاب ، خلف عليها رسول الله ﷺ بعده ، وعبد الله بن الحارث بن قيس ، وهشام بن العاصى ابن وائل ، وأبو قيس بن الحارث ، والحجاج بن الحارث ، ومعمر بن الحارث ، وأخ له من أمه من بنى تميم يقال له سعيد بن عمرو ، وسعيد بن الحارث بن قيس ، والسائب بن الحارث بن قيس ، وعمران بن رئاب [1] بن حُذيفة ؛ ومحمية بن جزء حليف لهم من بنى زبيد ، اثنا عشر رجلاً .

ومن بنى الحارث بن فهر : أبو عبيدة ، وهو عامر بن عبد الله بن الجراح هلك [2] بِعمواس [3] من أرض الشام أميرًا لعمر بن الخطاب ، لا عقب له . وسُهيل ابن بيضاء ، وهو سُهَيل ابن بيضاء بن سهيل بن وهب ، والبيضاء أمه - كذا فى الأصل - وهو سُهيل بن وهب بن ربيعة ، ولا عقب له ، ولكن أمه غلبت على نسبه ، فهو ينسب إليها وهى دعد بنت جحدم بن أُمية بن ضرب ، وكانت تدعى البيضاء ، قتل يوم بدر شهيدًا ، وعياض بن زُهير بن أبى شديد بن ربيعة لا عقب له ، ويقال ابن ربيعة بن هلال بن مالك ، والحارث بن عبد قيس بن عامر بن أمية ، وعمرو بن أبى سَرح بن ربيعة بن هلال ، ثمانية نفر .

ثم تتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة ، فكانوا بها منهم من خرج بنفسه وأهله معه .

---

(١) جاء فى سيرة ابن هشام : « عمير بن رئاب بن حذيفة » .

(٢) كره فريق من العلماء لفظة « هلك » للمسلم عند موته ، واستحبوا أن يقال : مات ، أو استشهد ، أما « هلك » فالأفضل أنها تقال للكافر مثل : هلك أبو جهل : أى مات وفنى ، وهذا رأى له وجاهته وحكمته .

(٣) هو طاعون عمواس .

من بنى هاشم بن عبد مناف : جعفـــر بن أبى طالب ، قتل يوم مُؤته (١) شهيدًا ، أميرًا لرسول الله ﷺ ، له عقب ، وكان يقال إنه أول من عقر من المسلمين دابته له عند الحرب ، معه امرأته أسماء بنت عميس بن كعب بن مالك بن قُحافة من خثعم ، وولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن جعفر ، رجل .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله ابن الزبير عن أبيه عبَّاد عن رجل من بنى مُرَّة بن رباب ، ويقال ابن ذبيان ، قال كأنى أنظر إلى جعفر حين لحمته الحرب (٢) عقر فرسًا له شقراء (٣) ، ثم قاتل حتى قتل .

ومن بنى أُمية بن عبد شمس : خالد بن سعيد بن العاص ، معه امرأته أمينة بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة ، من بنى سُبيع بن خَثعمة من خُزاعة ، ولدت له بأرض الحبشة سعيد بن خالد ، وأمة ابنة خالد ، فتزوج أمة الزبير بن العوَّام ، فولدت له عمرو بن الزبير ، وخالد بن الزبير ، قتل خالد يـــوم مرج الصفر (٤) بأرض الشام ، وعمرو بن سعيد بن العاصى ، معه امرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية بن شفى بن محرب بن شفى الكنانى ، قتل يوم أجنادين (٥) ، ولعمرو يقول أبو سعيد :

بَكيتُ بِشعــــرى عنك يا عمرو سَائلاً إذا شبَّ واشتدت بدماه تبلجا
أتتركُ أمر القـــوم فيـــه بَلابِل وتكشف غيظا كان فى الصدر مُوهَجا

ومن حلفائهم من بنى أسد بن خزيمة : عبد الله بن جَحش ، معه امرأته بَركة بنت يسار ، ومعيقب بن أبى فاطمة ، وهو أبوه سعيد بن العاصى ، وله عقب (٦) .

ومن بنى عبد الدار بن قصى : جهم من قيس بن عبد شَرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وعمرو بن جهم ، وأبو الروم بن عمير بن وهب .

ومن بنى عبد بن قُصى : طُليب بن عمير بن أبى كبير ، لا عقب له .

(١) غزوة مؤتة كانت بين المســـلمين والروم ، واستـشهد فيها أيـضاً زيد بن حارثة أبو أسامة .
(٢) أى دخل فى الحرب .
(٣) فرسًا بيضاء تميل إلى الحمرة .
(٤) كانت موقعة أيام خلافة أبى بكر الصديق عام ١٣ هـ .
(٥) كانت أيضًا عام ١٣ هـ ، وهما من معارك فتوح الشام .
(٦) جاء فى سيرة ابن هشام : « وهؤلاء آل سعيد بن العاص » .

ومن بني أسد بن عبد العُزَّى بن قصي : الأسود بن نوفل بن خويلد . ومن بَنى زُهْرة بن كلاب : عامر بن أبى وقَّاص ، وهو مالك بن أُهيب بن عبد مناف بن زُهرة ، وله عقب ، وعتبة بن مسعود بن الحارث .

ومن بني تيم بن مُرَّة : الحارث بن خالد بن صخر بن عامر بن كعب بن ربيعة ابن تيم بن مُرَّة ، معه امرأته ريطة بنت الحارث من بنى تميم ، ولدت له بأرض الحبشة : موسى بن الحارث ، وعائشة بنت الحارث ، وزينب بنت الحارث ... وعمرو بن عثمان بن كعب بن سعد بن تيم ، رجلان .

* عدد مهاجرى الحبشة :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وكان جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين ، سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم ، أو ولدوا بها نيفًا وثمانين رجلاً ، إن كان عمار بن ياسر فيهم ، وهو يُشك فيه .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق فقالت هِنْد بنت عُتْبة ، تهجو أبا حُذَيفة حين أسلم :

الأحولُ الأَبْلقُ المقلوبُ كلْيتهُ — أَبُو حذيفة شر الناس فى الدِّين

مَاذا جَزَيت أبًا ربَّاك من صغَر — ثَمت غذاك غذاء غير محجونِ

* كتاب النبى ﷺ للنجاشى :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وهذا كتاب النبى ﷺ إلى النجاشى :

بسم الله الرحمن الرحيم .

هذا كتاب من محمد النبى إلى النجاشى الأصحم ، عظيم الحبشة [1] .

---

(١) نلاحظ هنا مدى ما كان يتمتع به النبى ﷺ من أدب جم وخلق رفيع ، وأسلوب حسن فى تعامله مع الناس ، وأنه كان يُنزل الناس منازلهم ، أى يوقرهم لمكانتهم ، وقد أمرنا ﷺ بذلك ، وقال فيما معناه أيضًا : « ليس منا - أى فى هدينا وسنتنا - من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويعطى لعالمنا حقه » ، وهذا درس فى أدب التعامل والمعاملات نستفيده من خير الخلق ﷺ فصدق من قال : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ وصدق ﷺ حين قال : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » .

سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ولم يتخذ صاحبة ، ولا ولدًا وأن محمدًا عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاية الله فإنى أنا رسوله فأسلم تَسْلَم : و﴿ **يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشـــرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله** ﴾ (١) فإن أبيت فعليك إثم النصارى قومك .

نا يونس عن ابن إسحاق قال : فقال عبد الله بن الحارث السهمى يذكر نفى (٢) قريش إياهم :

تلك قُرَيْشٌ تجـــحدُ اللهَ حَقَّهُ ... كَما جحدت عَادٌ ومَدينُ والحِجْرُ
فَإِن أنا لم أبرق فلا يـــسعُنى ... من الأرضِ بَرٌّ ذو فَضاءٍ ولا بَحْرُ
بِأَرضٍ بَها عَبَدَ الإلهَ محـــمدٌ ... أَبين ما فى النفس إذ بلـــغ الثغر

* * *

(١) سورة آل عمران : الآية ٦٤ .

(٢) أى طرد وإبعاد .

حديث ما لقى رسول الله ﷺ من أذى قومه

*** أشد ما أوذى به الرسول ﷺ :**

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى يحيى بن عروة عن أبيه عُروة ابن الزبير قال : قلت لعبد الله بن عمرو بن العاصى : ما أكثر ما رأيت قريشًا أصابت من رسول الله ﷺ فيما كانت تظهر من عداوته ؟ فقال لقد رأيتهم وقد اجتمع أشرافهم يومًا فى الحجر فقالوا فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط : سفّه أحلامنا وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعاتنا ، وسب آلهتنا ، وصبرنا منه على أمر عظيم ، أو كما قال ؛ فبيناهم فى ذلك طلع رسول الله ﷺ فأقبل يمشى حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفًا بالبيت ، فغمزوه ببعض القول [١] ، فعرفت ذلك فى وجه رسول الله ﷺ [٢] ، فمضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها ، فعرفتها فى وجهه ، فمضى ، ثم مر الثالثة فغمزوه بمثلها فوقف ثم قال : أتسمعون يا معشر قريش أما والذى نفسى بيده لقد جئتكم بالذبح [٣] ، فأخذت القوم كلمته حتى ما من رجل إلا ولكأنما على رأسه طائر واقع ، وحتى أن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك لتلقاه بأحسن ما يجد من القول ، حتى إنه ليقول : انصرف يا أبا القاسم راشدًا ، فوالله ما أنت بجهول ، فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان من الغد اجتمعوا فى الحجر وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه ، فبينا هم على ذلك طلع رسول الله ﷺ ، فوثبوا إليه وثبة رجل ، وأحاطوا به يقولون أنت الذى يقول كذا وكذا ، لما كان يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم ، فيقول رسول الله ﷺ : نعم ، أنا الذى أقول ذلك ، فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجامع ردائه ، وقام أبو بكر الصديق دونه يبكى ويقول : ويلكم ﴿ **أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله** ﴾ [٤] ؟! ثم انصرفوا عنه ، فإن ذلك لأكثر ما رأيت قريشًا بلغت منه قط [٥] .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى بعض آل أم كُلْثوم بنت

---

(١) أى تكلموا كلامًا مستهزئين به ، ويسخرون منه .

(٢) أى ظهر على وجهه الأسى والحزن والتأسف لما سمعه منهم .

(٣) يعرض ﷺ بهلاكهم .　　(٤) سورة غافر : الآية ٢٨ .

(٥) وهذا يبين مدى ما لاقاه الرسول ﷺ فى سبيل تبليغ الدعوة من أذى المشركين والصبر عليهم .

أبى بكر أنها كانت تقول : لقد رجع أبو بكر ذلك اليوم ، ولقد صدعوا فرض رأسه بما جبذوه ، وكان رجلاً كثير الشعر .

*** إيذاء أبى جهل الرسول ﷺ :**

نا يونس عن عيسى بن عبد الله التميمى عن الربيع بن أنس البكرى قال : كان رسول الله ﷺ يصلى فلما سجد جاءه أبو جهل فوطىء عنقه ، فأنزل الله فيه : ﴿ **أرأيت الذى ينهى * عبداً إذا صلى** ﴾ أبو جهل : ﴿ **أرأيت إن كان على الهدى** ﴾ محمدًا : ﴿ **أرأيت إن كذب وتولى** ﴾ أبو جهل : ﴿ **كلا لئن لم ينته** ﴾ أبو جهل : ﴿ **سندع الزبانية** ﴾ (١) ، قال : هم تسعة عشر خزنة النار ، فقال رسول الله ﷺ : والله لئن عاد لتأخذنه الزبانية ، فانتهى فلم يعد .

نايونس عن المبارك بن فضالة عن الحسن قال : بات جهلة قوم رسول الله ﷺ عامَّة ليلة يقولون له : يا محمد ، تكفِّر آباءك وتراد أمرهم ، وتفعل وتفعل ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **أفغير الله تأمرونِّى أعبد أيها الجاهلون** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وكن من الشاكرين** ﴾ (٢) .

*** ابن أم مكتوم وسورة عبس :**

نا يونس عن أبى معشر عن محمد بن قيس قال : كان رسول الله ﷺ جالسًا وعنده عُتْبَة بن رَبِيعة (٣) ، وابن أمُّ مكْتوم (٤) الأعمى ، فقال : يا رسول الله علِّمنى القرآن ، فعبس (٥) رسول الله ﷺ فى وجهه وصرفه (٦) عنه كراهية أن يُزْهد إقباله

---

(١) سورة العلق : الآيات ٩ - ١٨ .

(٢) سورة الزمر : الآيات ٦٤ - ٦٦ .

(٣) ورد فى رواية أخرى أنه الوليد بن المغيرة وكان رسول ﷺ يطمع فى إسلامه .

(٤) هو سيدنا عبد الله بن أم مكتوم ، وكان كفيفًا ، وكان يؤذن الأذان الثانى للفجر ، وهو الذى قال عنه النبى ﷺ : « إن بلالاً يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم » ، وهذا الحديث عن الصيام وذلك أن بلالا كان يؤذن الأذان الأول للفجر وابن أم مكتوم كان يؤذن الأذان الصادق الذى به يجب الإمساك .

(٥) عبس أى تجهَّم وظهر على ملامح وجهه الغضب والتضجر .

(٦) أى أعرض عنه وتركه .

عليه عُتْبة فى الإسلام [١] ، يقول : إنما يتبع هذا [٢] العميان والمساكين ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **عبس وتولى** ﴾ إلى قوله : ﴿ **فأنت له تصدى** ﴾ عتبة : ﴿ **وأما من جاءك يسعى * وهو يخشى** ﴾ [٣] ، ابن أم مكتوم ، فلم يعذر رسول الله ﷺ بمثل ذلك [٤] .

* الرسول يدعو إلى التوحيد :

نا يونس عن مسعر بن كدام عن أشعث بن أبى الشعثاء عن رجل من كنانة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يا أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفْلحوا .

* * *

---

(١) فعل الرسول ﷺ ذلك لأنه كان حريصًا على إسلام عتبة .

(٢) أى محمداً ﷺ .

(٣) سورة عبس : الآيات ١ - ٩ .

(٤) وذلك لأن هذه الآيات كلها عتاب من الله تعالى لنبيه ﷺ وورد أن الرسول ﷺ بعد ذلك كان إذ لقى ابن أم مكتوم رحَّب به والان له الحديث وقال له « مرحباً بمن عاتبنى ربى فيه » أو معناه .

قصة النبى لما عرض نفسه على العرب

* الرسول يدعو القبائل فى المواسم :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فكان رسول الله ﷺ على مثل ذلك من أمره يدعو القبائل إلى الله وإلى الإسلام ، يعرض عليهم نفسه وما جاء به من الله تعالى من الهدى والرحمة .

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى الزهرى قال : أتى رسول الله ﷺ ناسًا من كِندة فى مياه لهم ، وفيهم سيد لهم فقال (١) له فليح (٢) ، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه ، فأبوا أن يقبلوا منه نقمة عليه .

ثم أتى حيًّا من كلب يقال لهم بنو عبد الله ، فقال لهم : يا بنى عبد الله إنَّ الله قد أحسن اسم أبيكم ، فلم يقبلوا ، فأعرض عنه (٣) .

نا يونس عن يزيد بن زياد عن أبى الجَعْدى عن جامع بن شَدَاد عن طارق قال : رأيت رسول الله ﷺ مرتين : رأيته بسوق ذى المجاز وأنا فى بياعة لى ، فمر وعليه حُلة حمراء فسمعته يقول : أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا ، ورجل يتبعه يرميه بالحجارة وقد أدمى كعبيه ، وهو يقـول : يا أيها الناس لا تطيعوا هذا فإنه كذَّاب ، فقلت : من هذا ؟ فقيل هذا غلام من بنى عبد المطلب ، فقلت من هذا الذى يرميه بالحجارة ؟ فقيل : عمه عبد العزى ، أبو لهب ، بن عبد المطلب ، فلما أظهر الله الإسلام خرجنا من الربَّذَة ومعنا ظعينة لنا حتى نزلنا قريباً من المدينة ، فبينا نحن قعود إذا أنا برجل عليه ثوبان ، فسـلم علينا فقال : من أين أقبل القـوم ؟ فقلت : من الربذة ، ومعنا جمل أحمر ، فقال : تبيعون الجمل ؟ فقلنا : نعم ، فقال : بكم ؟ فقلنا : بكذا وكذا صاعًا من تمر ، فقال : قد أخذته وما استنقصنا ، وأخذ بخطام الجمل فذهب به حتى توارى بحيطان المدينة ، فقال بعضنا لبعض : أتعرفون الرجل ؟ فلم يكن منا أحد يعرفه ، فلام القوم بعضهم بعضاً وقالوا : تعطون

---

(١) الصواب : يقال كما جاء فى ابن هشام .

(٢) جاء فى سيرة ابن هشام . مليح .

(٣) أى فأعرض الرسول ﷺ عن الحى ، وعند ابن هشام : « ما عرض عليهم » .

جملكم من لا تعرفون ! فقالت الظَّعينة : فلا تلاوموا فلقد رأيت وجه رجل لا يغدر بكم ما رأيت شيئًا أشبه بالقمر ليلة البدر من وجهه ، فلمـــا كان العشى أتانا رجل فقال : الســـلام عليكم ورحمة الله ، أأنتم الذين جئتم من الربذة ؟ فقلنا : نعم ، فقال : أنا رسولُ رسولِ الله ﷺ إليكم وهو يأمركم أن تأكلوا من هذا التمر حتى تشبعوا وتكتالوا حتى تستوفوا ، فأكلنا من التمر حتى شبعنا ، واكتلنا حتى استوفينا ، ثم قدمنا المدينة من الغد ، فإذا رسول الله ﷺ قائم يخطب الناس على المنبر ، فسمعته يقول : يد المعطى العليا ، وابدأ بمن تعول [(١)] : أمك وأباك وأختك وأخاك ، وأدناك أدناك ، وثم رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله هؤلاء بنو ثعلبة بن يربوع الذين قتلوا فلانا فى الجاهلية فخذ لنا بثأرنا ، فرفع رسول ﷺ يده حتى رأيت بياض إبطيه ، فقال : لا تجنى أم على ولد ، لا تجنى أم على ولد [(٢)] .

يونس عن يونس بن عمرو عن أبى السفيان سعيد بن أحمد الثورى قال : بعث أبو طالب إلى رسول الله ﷺ فقال : أطعمنى من عنب جنتك ، وأبو بكر الصديق جالس عند رســـول الله ﷺ ، فقال أبو بكـــر : ﴿ **إن الله حرمهما على الكافرين** ﴾ [(٣)] .

نا يونس قال : قال ابن إسحاق : ولما سمع أبو سفيان بإسلام خفاف بن إيماء ابن رحضة قال : لقد صبأ [(٤)] الليلة سيد بنى كِنانة .

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى يعقوب بن عُتْبة عن ســـالم ابن عبد الله بن عمر قال : جاء رجل من قريش بمكة إلى رســول الله ﷺ فقال : يا محمد ألم يبلغنى أنك تنهى عن السِّباء ، يقول عن سباء العرب ، فقال رسول الله ﷺ : بلى ، فتحول الرجل فكشف عن استه [(٥)] فى وجه رسول الله ﷺ (كذا)،

---

(١) بمن تعول : أى من يلزمك ويجب عليك نفقتهم .

(٢) وهذا أمر من الرسول ﷺ ولفظ الجناية عام يشمل الضرب وغيره ، وقد ورد أن النبى ﷺ نهى أن يدعو الأب أو الأم على الابن فقال : « لا يدعو أحدكم على ولده فتوافق ساعة الإجابة » أو معناه ، أو الدعاء على الأبناء تجنى عليهم .

(٣) سورة الأعراف : الآية ٥٠ .

(٤) صبأ : أى ترك دين إلى دين آخر .

(٥) الاست : مقعدة الإنسان أو فتحة الشرج .

فلعنه رسول الله ﷺ ودعا عليه ، فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ **ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون** ﴾ (١) فأسلم الرجل بعد ذلك وحسن إسلامه .

نا يونس عن يونس بن عمرو عن أبيه قال : شَجَّ غلام من قريش فاطمة بنت رسول الله ﷺ وهى غَادية ، فنادت يا آل عبد شمس ، فخرج أبو سفيان ، وخرج أبو جهل فقال : يا أبا سفيان هذه يدى فرجع .

نا يونس عن زكريا بن أبى زائدة عن الشعبى أنه سئل عن الزنيم (٢) ، فقال هو الرجل تكون له الزَّنَمة من الشر يعرف بها ، وهو الأخنس بن شريق الثقفى نزلت فيه .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى والدى إسحاق بن يسار عن رجال من بنى سعد بن بكر قال : قدم الحارث بن عبد العزى (٣) ، أبو رسول الله ﷺ من الرضاعة ، على رسول الله ﷺ بمكة ، فقالت له قريش حين أنزلت عليه ألا تسمع يا حار (٤) ما يقول ابنك هذا ! قال : وما يقول ؟ قالوا : يزعم أن الله يبعث بعد الموت ، وأن لله دارين يعذب فيهما من عصاه ، ويكرِّم فيهما من أطاعه ، وقد شتت أمرنا ، وفرق جماعتنا ، فأتاه فقال : أى بنى مالك ولقومك يشكونك ويزعمون أنك تقول إن الناس يبعثون بعد الموت ، ثم يصيرون إلى جنة ونار ؟! فقال رسول الله ﷺ : نعم ، أنا أزعم ذلك ، ولو قد كان ذلك اليوم يا أَبْه (٥) لقد أخذت بيدك حتى أعرفك حديثك اليوم ، فأسلم الحارث بعد ذلك ، فحسن إسلامه ، وكان يقول حين أسلم : لو قد أخذ ابنى بيدى فعرفنى ما قال لم يرسلنى إن شاء الله حتى يدخلنى الجنة .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى الزهرى عن عروة عن عائشة

---

(١) سورة آل عمران : ١٢٨ .

(٢) من معانى الزنيم أيضًا : الدعى فى القوم وليس منهم ، وكان الأخنس حليف بنى زهرة .

(٣) هو زوج السيدة حليمة السعدية مرضعة رسول الله ﷺ .

(٤) أى ياحارث فرخم بحذف الحرف الأخير . (٥) أى يا أبت .

قالت كان لأبى بكر مسجد (١) بفناء داره ، فكان إذا صلى فيه وقرأ القرآن بكى بكاء كبيرًا ، فتجتمع إليه النساء والصبيان والعبيد يعجبون مما يرون من رقته (٢) ، وقد كان استأذن رسول الله ﷺ فى الهجرة حين أوذوا بمكة ، فأذن له رسول الله ﷺ فخرج حتى كان من مكة على يومين لقيه ابن الدغنَّة ، رجل من بنى الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، وكان سيد الأحابيش ، فقال له : أين يا أبا بكر ؟ فقال : آذانى قومى وأخرجونى من بلادى ، فأود أن أؤم بلدًا أكون فيه ، أستريح من أذاهم ، وآمن منهم ، فقال : ولم ؟ فوالله إنك لتزين العشيرة ، وتعين على النائبة ، وتفعل المعروف ، وتكسب المعدم ، ارجع فأنت فى جوارى ، فرجع ، فلما دخل مكة قام فصرخ بمكة : يا معشر قريش إنى قد أجرت ابن أبى قحافة ، فلا يؤذيه أحد ، وكانوا إذا عقدوا فنخ (٣) ، وكف عنه هذا الحى من قريش ، وكان إذا صلى فى مصلاه ذلك بمكة كان من أمره ما وصفت ، فمشى إليه رجال من قريش ، فقالوا : يا ابن الدغنة إن هذا الرجل الذى أجرت ، رجل له حال ما هو لغيره ، إنه إذا تلا ما جاء به محمد بكى بكاء لا يكيه أحد (٤) ، فيرق لذلك منه ضعفاؤنا ونساؤنا وخدمنا ، فمره فليكف عنا ، يتخذ مصلى غير هذا فى بيته ، فمشى إليه ابن الدغنة فقال : يا أبا بكر إنى لم أجرك لتؤذى قومك ، فاتخذ مصلى غير هذا ، فقال أبو بكر : أو غير ذلك ؟ فقال : وما هو ؟ قال : أرد عليك جوارك ، وأرضى بجوار الله فقال : نعم ، فقال أبو بكر : لقد رددت عليك جوارك ، فقال ابن الدغنة : يا معشر قريش إن أبا بكر قد رد على جوارى ، فشأنكم بصاحبكم .

* * *

(١) المسجد : هو موضع السجود ، والمكان المخصص للصلاة ، ويظهر من هذا أن أبا بكر كان يخصص فى بيته مكانا للصلاة ، ومن هنا استحب فريق من العلماء أن يكون بالبيت مكان مخصص بالصلاة يسمى « مسجد البيت » يصلى فيه أهله النفل والتطوع والتهجد وقيام الليل وتصلى فيه النساء وليتعود الأطفال على الصلاة إذا رأوا الأب والأم يصليان . وهذا رأى وجيه .

(٢) ورد أنه كان رجلاً أسيفًا أى رقيق القلب كثير البكاء ﷺ . (٣) أى منع .

(٤) وهذا دليل رقة أبى بكر وشدة إيمانه ومدى تأثره عند تدبر القرآن أثناء التلاوة .

وفاة أبى طالب وما جاء فيه

* المشركون يطلبون من أبى طالب عهداً بينهم وبين ابن أخيه :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فقال أبو جهل وعُتْبة وشَيْبة ابنا ربيعة ، والعاصى بن سعيد ، وأمية بن خلف : يا معشر قريش إن هذا الأمر يزداد وإن أبا طالب ذو رأى وشرف وسن ، وهو على دينكم ، وهو اليوم مدنف (مريض) ، فامشوا إليه فأعطوه السواء يأخذ لكم وعليكم فى ابن أخيه ، فإنكم إن خلوتم بعمر بن الخطاب وبحمزة بن عبد المطلب وقد خالفا دينكم تكون الحرب بينكم وبين قومكم ، فأقبلوا يمشون إلى أبى طالب [1] حتى جاءوه فقالوا : أنت سيدنا وأنصفنا فى أنفسنا ، وقد رأيت الذى فعل هؤلاء السفهاء مع ابن أخيك ، من تركهم آلهتنا وطعنهم فى ديننا ، وقد فرق بيننا محمد وأكفر آلهتنا وسب آباءنا ، فأرسل إلى ابن أخيك ، فأنت بيننا عدل .

* الرسول يرد على عمه أبى طالب :

قال : فأرسل أبو طالب إلى رسول الله ، ، فأتاه ، فقال : هؤلاء قومك وذووا أسنانهم وأهل الشرف منهم ، وهم يعطونك السواء ، فلا تمل عليهم كل الميل ، فقال رسول الله ﷺ : قولوا أسمع قولكم ، فقال أبو جهل بن هشام : ترفضنا من ذكرك ، ولا تلزمنا ولا من آلهتنا ، فى شىء فندعك وربك ، فقال رسول الله ﷺ : إن أعطيتكم ما سألتم ، أمعطى أنتم كلمة واحدة لكم فيها خير ، تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم ، فقال أبو جهل ، وهو مستهزئ نعم لله أبوك كلمة نعطيكها وعشرة أمثالها ، فقال : قولوا : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، فنفروا من كلامه وخرجوا مفارقينه وقالوا : **﴿ امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشىء يراد * ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق * أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم فى شك من ذكرى بل لما يذوقوا عذاب ﴾** [2] . وكان ممشاهم إلى أبى طالب لما لقوا من عمر [3] ، وسمعوا منه .

---

(١) أى ليطلبوا منه أن يأخذ على ابن أخيه عهدا ، وذلك قبل موته .

(٢) سورة ص : الآيات ٦ - ٨ .

(٣) أى بعد إسلام عمر وإظهار الإسلام .

نا أحمد : نا يونس عن محمد بن إسحاق قال : فلما رأى رسول الله ﷺ تكذيبهم بالحق قال : لقد دعوت قومى إلى أمر ما اشتططت فى القول ، فقال عمه : أجل لم تشتط ، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك - وأعجبه قول عمه - يا عم بك على كرامة ويدك عندى حسنة ، ولست أجد اليوم ما أجزيك به ، غير أنى أسألك كلمة واحدة تحل لى بها الشفاعة عند ربى ، أن تقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، تصيب بها الكرامة عند الممات ، فقد حيل بينك وبين الدنيا ، وتنزل بكلمتك هذه الشرف الأعلى فى الآخرة ، فقال له عمه : والله يا ابن أخى لولا رهبة أن ترى قريش إنما ذعرنى الجزع ، وتعهدك بعدى سبة تكون عليك وعلى بنى أبيك غضاضة لفعلت الذى تقول ، وأقررت بها عينك ، لما أرى من شدة وجدك ونصحك لى . .

* أبو طالب يأمر بنى المطلب باتباع محمد :

ثم إن أبا طالب دعا بنى عبد المطلب فقال : إنكم لن تزالوا بخير ما سمعتم قول محمد واتبعتم أمره ، فاتبعوه وصدقوه ترشدوا ، فقال له رسول الله ﷺ عند ذلك : تأمرهم بالنصيحة وتدعها لنفسك ؟! فقال له عمه : أجل لو سألتنى هذه الكلمة وأنا صحيح لها لاتبعتك على الذى تقول ، ولكنى أكره الجزع عند الموت وترى قريش أنى أخذتها عند الموت ، وتركتها وأنا صحيح ، فأنزل الله تعالى : **﴿ إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ﴾** (١) .

* ما حدث عند وفاة أبى طالب :

نا يونس عن محمد بن أبى أنيسة عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبى أُمية ، فقال رسول الله ﷺ لأبى طالب: يا عماه ، قل لا إله إلا الله ، كلمة أشهد لك بها عند الله ، فقال أبو جهل وعبد الله : يا أبا طالب أترغب (٢) عن ملة عبد المطلب ؟ ، فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ، ويعيد له تلك المقالة حتى قال له أبو طالب ، آخر ما كلمهم : هو على ملة عبد المطلب ، ويأبى أن يقول لا إله إلا الله ، فقال رسول الله ﷺ : أما والله لأستغفرن لك ما

---

(١) سورة القصص : الآية ٥٦ .

(٢) المعنى أتترك وتبعد .

لم أنه [١] عنك، فأنزل الله فى ذلك : ﴿ **ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم** ﴾ [٢] ، وأنزل الله فى أبى طالب : ﴿ **إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين** ﴾ .

نا يونس عن قيس بن الربيع عن حبيب بن أبى ياسر قال : حدثنى من سمع ابن عباس يقول فى قوله تعالى : ﴿ **وهم ينهون عنه وينأون عنه** ﴾ [٣] نزلت فى أبى طالب ، كان ينهى عن أذى محمد ، وينأى عما يجىء به أن يتبعه .

* الرسول يطلب من عمه نطق الشهادة عند الموت :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى العباس بن عبد الله بن معبد عن بعض أهله عن ابن إسحاق قال : لما أتى رسول الله ﷺ أبا طالب فى مرضه فقال له : يا عم قل لا إله إلا الله أستحل بها لك الشفاعة يوم القيامة ، قال : والله يا ابن أخى لولا أن تكون سبة عليك وعلى أهل بيتك من بعدى يرون أنّى قلتها جزعاً حين نزل بى الموت لقلتها ، لا أقولها إلا لأسرك بها [٤] فلما ثقل أبو طالب رؤى يحرك شفتيه ، فأصغى إليه العباس ليسمع قوله ، فرفع العباس عنه فقال : يا رسول الله قد والله قال الكلمة التى سألته [٥] ، فقال رسول الله ﷺ : لم أسمع .

* الرسول يُسئل عن جزاء عمه بعد موته :

نا يونس عن سنان بن إسماعيل الحنفى عن يزيد الرقاشى قال : قيل لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ، أبو طالب ونصرته لك وحيطته عليك أين منزلته ؟فقال رسول الله ﷺ : هو فى ضَحْضَاح [٦] من نار ، فقيل : وإن فيها لضحضاحًا وغمرًا ؟ فقال رسول الله ﷺ : نعم ، إن أدنى أهل النار منزلة لمن يحذى له نعلان

---

(١) أى ما لم ينهنى ربى عن ذلك .

(٢) سورة التوبة : الآية ١١٣ .

(٣) سورة الأنعام : الآية ٢٦ .

(٤) أى لتفرح بها ويحدث لك السرور .

(٥) أى شهد أن لا إله إلا الله .

(٦) أى يصل إلى كعبيه لا يغرقه .

من نار يغلى من وهجهما دماغه حتى يسيل على قوائمه ، قال سنان : فبلغنى أنه يُنادى تُرى الا يعذَّب أحد عذابه من شدة ما هو فيه ؟! .

نا يونس عن يونس بن عمرو عن أبيه عن ناجية بن كعب عن على بن أبى طالب قال : لما مات أبو طالب أتيت رسول الله ﷺ فقلت : إن أبا طالب ، عمك الكافر ، قد مات ، فقال رسول الله ﷺ اذهب فواره [(١)] فقلت : والله لا أواريه ، قال : فمن يواريه إن لم تواره ، فانطَلق فواره ثم لا تُحدث شيئًا حتى تأتينى ، فانطلقت فواريته ثم رجعت إلى رسول الله ﷺ فقال انطلق فاغتسل ثم ائتنى ، ففعلت ثم أتيته ، فلما أن أتيته دعا لى بدعوات ما أحب أن لى بهن ما على الأرض من شىء .

* اعتراف الرسول ﷺ بنصرة عمه له :

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : مازالت قريش كاعين [(٢)] عنى حتى مات أبو طالب .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وقال على بن أبى طالب يرثى أباه لما مات :

أَرقت لِنَوح آخر الليل غَرَّدا لشيـــ ـــخى بنَعى والرئيس المسوَّدا
أبَا طالبٍ مأوى الصَعاليك ذَا النَّدَىَ وذَا الحلم لا جَلفاً ولم يَكُ قعددا
أَخا الهلك خَلا ثَلْمه سَيْشدها بَنُو هَاشم أو تُستباح وتَضهدا
فَأمسَتْ قُرَيشٌ يَفْرحونَ لفقْده ولَستُ أَرَى حَيًّا لِشَىءٍ مخلَدا
أرادوا أُمورًا زَينتهــــا حلُومهم ستوردهم يَومًا من الغَىِّ مَوْردا
يَرجون تكْذيبَ النبــــى وقَتْله وإنْ يَفْتروا بُهتًا عَليه وَجُحدا
كَذَبْتُمْ وَبيتَ الله حتــــى نُذيقكُم صُدُور العَوالى والصَّفيح المهَندا
وَيبدو منَّا مَنْظَر ذُو كَريهـــــة إذا مَا تَسَربلنا الحديد المُسَردا
فَإمَّا تُبيدونا وَإما نُبيدكـــــم وَإمَّا تَروا سَلم العَشيرة أرشدا

---

(١) أى ادفنه (واره التراب) .

(٢) أى مانعين عنى أذاهم .

وإلا فَإن الحي دون محمد بَنو هَاشم خير البرية محتدا
وَإن له منكم من الله نَاصرًا ولَستُ بلاقٍ صَاحب الله أوحدا
نَبِى أَتى مِنْ كَل وَحى بحظه فَسمَّاهُ ربِّى فَى الكتَاب مُحَمدا
أَغر كَضوءِ الشمس صُورة وَجْهه جَلا الغيْمَ عنه ضَوءه فَتعددا
أَمين على مَا استودع اللهُ قَلْبَه وَإن قَال قَولاً كان فيهَ مُسددا

آخر الجزء الرابع بحمد الله
بعده وفَاة خديجة بنت خويلد رضى الله عنها .

*   *   *



القسم الخامس

قال
رضو
قال
ماتا
طالب

صلى الله عليه وسلم
صَخَر

نصيرير
وكانت
عضداً
والمعرا
له ان أ
بعنايته

يقر وي
عنه .

عن عا
والقص
هشام ١

بسم الله الرحمن الرحيم

وفاة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها

أنا الشيخ أبو الحسين أحمد بن محمد بن النقور البزَّاز قراءة عليه وأنا أسمع قال : أنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص قال : قرئ على أبى الحسين رضوان بن أحمد وأنا أسمع قال : نا أبو عمر أحمد بن عبد الجبار العطاردى قال : نا يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال : ثم إن خديجة بنت خويلد وأبا طالب ماتا فى عام واحد (١) فتتابعت على رسول الله ﷺ المصائب بهلاك خديجة وأبى طالب ، وكانت خديجة وزيرة صدق على الإسلام ، كان يسكن (٢) إليها .

*** جزاء الله خديجة رضي الله عنها :**

نا يونس عن فايد بن عبد الرحمن العبدى عن عبد الله بن أوفى أن رسول الله ﷺ قال : أتانى آت من الله عز وجل يبشر (٣) خديجة ببيت فى الجنة من قَصب لا صَخَبَ فيه ولا نَصَب .

---

(١) سمى ذلك العام عام الحزن ؛ وذلك لشدة حزن النبى ﷺ على فقد أعظم نصيرين له ، وذلك أن خديجة رضي الله عنها ضربت أروع الأمثلة على عظمة الزوجة الحنون الشفوق وكانت خير زوجة وخير أم وخير من نصر الرسول وآزره وأعانه ، وأبو طالب كان للرسول عضداً ، ومنعة وناصراً ، وكان وفاتهما قبل هجرته ﷺ بثلاث سنين ، وكانت رحلة الإسراء والمعراج بعد وفاتهما لكى يخفف الله عن رسوله ﷺ ما فيه من هم وحزن وضيق ولكى يبين له أن أهل الأرض إذا كانوا قد تخلوا عنك فإن رب الأرض والسماء معك يعينك ويأيدك ويرعاك بعنايته .

(٢) عند ابن هشام : « يشكو إليها » والاثنان صواب ، فكان ﷺ يسكن إليها : أى يقر ويطمئن بها ، وأيضاً كان يشكو إليها فعل المشركين به وأذاهم له فكانت تهدئه وتخفف عنه .

(٣) ذكر ابن هشام فى سيرته حديثا آخر مرسلا رواه مسلم عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قال ﷺ : « أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قصب لاصخب فيه ولا نصب » والقصب : اللؤلؤ المجوف ، النصب : التعب فكان جزاؤها من جنس عملها انظر سيرة ابن هشام ١ / ٢٢٥ تحقيق طه عبد الرءوف سعد ط . مكتبة الكليات الأزهرية .

نا يونس عن هشام بن عُروة عن أبيه عن عائشة قالت : ما غرت على امرأة لرسول الله ﷺ ما غرت [١] على خديجة مما كنت أسمع من ذكره لها [٢] ، وما تزوجنى إلا بعد موتها بثلاث سنين ، ولقد أمره ربه أن يبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا نصب ولا صخب [٣] .

* غيرة السيدة عائشة من حديث الرسول عن خديجة :

نايونس عن عبد الواحد بن أيمن المخزومى قال : نا أبو نجيح أبو عبد الله ابن أبى نجيح قال : أهدى لرسول الله ﷺ جزور ولحم ، فأخذ عظمًا منها فناوله الرسول [٤] بيده فقال له : اذهب بهذا إلى فلانة ، فقالت له عائشة : لم غمرت يدك ؟ فقال رسول الله ﷺ : إن خديجة أوصتنى بها ، فغارت عائشة ، وقالت : لكأنه ليس فى الأرض امرأة إلا خديجة ! فقام رسول الله ﷺ مغضبًا ، فلبث ما شاء الله ، ثم رجع فإذا أم رومان [٥] ، فقالت : يا رسول الله مالك ولعائشة إنها حدث [٦] وأنت أحق من تجاوز عنها ، فأخذ بشدق عائشة وقال : ألست القائلة كأنه ليس على الأرض امرأة إلا خديجة ؟! والله لقد آمنت بى إذ كفر قومك ، ورُزِقتُ منِّى الولد [٧] وحرمتموه [٨] .

---

(١) أى مثل غيرتى .

(٢) ورد أن الرسول ﷺ من شدة حبه للسيدة خديجة ؓ كان دائما يذكرها بعد موتها بكل خير وطيب - والحق أنها تستحق ذلك - وورد أيضًا أن النبى ﷺ كان يصل أقاربها ومن كانت تصلهم فى حياتها ، وذلك لشدة حبه لها ، وإخلاصه ﷺ لها حتى بعد موتها .

(٣) أي لا نصب ولا صخب فيه .

(٤) أي : رسول رسول الله ﷺ وهو المرسال الذى أرسله باللحم .

(٥) هى أم السيدة عائشة ؓ - ويتضح لنا هنا كيف أن الأم فى ذلك العصر كانت تلقى اللوم على ابنتها إذا فعلت ما يغضب الزوج ، وكانت تصلح بينهما وتتدخل للم الشمل وليس للإفساد .

(٦) أى صغيرة السن .

(٧) أى الأولاد ، ولفظ الولد يطلق على الذكر والأنثى .

(٨) وفى رواية أخرى فيما معناه : « لقد آمنت بى حين كفر الناس ، وواستنى بمالها» .

* مكانة السيدة خديجة :

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر عن على بن أبى طالب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : خير بناتها [١] مريم ابنة عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد .

نا يونس عن الحسن بن دينار عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال : حسبك من نساء العالمين أربع مريم ابنة عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة ابنة محمد ﷺ .

نا يونس قال : كل شيء من ذكر أزواج النبى ﷺ فهو إملاء ابن إسحاق حرفًا حرفًا .

* ذكر أبناء الرسول ﷺ وبناته :

نا يونس عن ابن إسحاق قال : كان أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصى [٢] ، وتزوج خديجة قبل رسول الله ﷺ - وهى بكر - عتيق بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم فولدت له امرأة ثم هلك عنها ، فتزوجها بعده أبو هالة النباشى بن زرارة أحد بنى عمرو بن تميم ، حليف بنى عبد الدار ، فولدت له رجلا وامرأة ، ثم هلك عنها ، فتزوجها رسول الله ﷺ فولدت له بناته الأربع : زَينب ، ورُقية ، وأُم كلثوم ، وفاطمة ، وولدت بعد البنات : القاسم ، والطاهر ، والطيب ، فذهب الغلمة جميعًا وهم يرضعون .

نا يونس عن إبراهيم بن عثمان عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال : ولدت خديجة لرسول الله ﷺ غلامين وأربع نسوة : القاسم ، وعبد الله ، وفاطمة ، وأم كلثوم ، وزينب ، ورُقية .

نا يونس عن أبى عبد الله الجعفى عن جابر عن محمد بن على قال : كان

---

(١) أى خير بنات الدنيا .

(٢) كان عمرها أربعين سنة وكان عمر الرسول ﷺ خمسة وعشرين عامًا ، أو يقرب من ذلك .

القاسم ابن رسول الله ﷺ قد بلغ أن يركب الدابة ، ويسير على النجيبة ؛ فلما قبضه الله عز وجل قال عمرو بن العاص [١] : لقد أصبح محمد أبتر من ابنه ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ عوضًا ، يا محمد من مصيبتك بالقاسم : ﴿ فصل لربك وانحر * إن شانئك هو الأبتر ﴾ [٢] .

نا أحمد عن يونس عن ابن إسحاق قال : وعاشت رقية حتى تزوجها عثمان ابن عفان ، فلما ماتت زوجه رسول الله ﷺ أم كلثوم ، ويزعمون أنه قد ولد له من رقية غلام ، فذهب وهو صغير رضيع ، وبه كان يكنى عثمان ، أبا عبد الله .

أنا أحمد : أنا يونس عن ابن إسحاق قال : وكانت زينب عند [٣] أبى العاصى ابن الربيع ، . فولدت له أمامة ، وعليًّا ، فذهب على وهو غلام ، وبقيت أمامة حتى تزوجها على [٤] بعد فاطمة ، فتزوجت بعد قتل على المغيرة بن نَوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، فهلكت عنده [٥] .

* * *

(١) الصواب أنه العاص بن وائل السهمى أبو عمرو كما جاءت الروايات الصحيحة بذلك .

(٢) سورة الكوثر : الآيات ١ - ٣ .

(٣) أى زوجته .

(٤) أى على بن أبى طالب - كرم الله وجهه .

(٥) أى ماتت رضي الله عنها .

تزويج فاطمة (١) رضي الله عنها

أنا (أخبرنا) أحمد : أنا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد عن علي قال : خُطبت (٢) فاطمة إلى رسول الله ﷺ فقالت لي مولاة لي : هلا سمعت أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله ﷺ (٣) ؟ فقلت : لا ، قالت : فقد خطبت ، فما يمنعك أن تأتي رسول الله ﷺ فيزوجك ، فقلت : وعندي شيء أتزوج به (٤) فقالت : إنك إن جئت رسول الله ﷺ زوجك فوالله ما زالت ترجيني حتى دخلت على رسول الله ﷺ ، وكان لرسول الله ﷺ جلال وهيبة ، فلما قعدت بين يديه أفحمت (٥) ، فوالله ما استطعت أن أتكلم ، فقال رسول الله ﷺ : ما جاء بك ألك حاجة ؟ فسكت ، فقال : ما جاء بك ، ألك حاجة ؟ فسكت ، فقال : لعلك جئت تخطب فاطمة ؟ فقلت : نعم ، فقال : وهل عندك من شيء تستحلها به (٦) ؟ فقلت : لا والله يا رسول الله ، فقال : ما فعلت درع سلَّحكتها (٧) ، فوالذي نفس علي بيده إنها لحطمية ما ثمنها أربعة دراهم ، فقلت : عندي ، فقال : قد زوجتكها فابعث بها إليها فاستحلها بها ، فإن كانت لصداق فاطمة ابنة رسول الله ﷺ (٨) .

---

(١) هي السيدة الفاضلة فاطمة الزهراء أم الإمامين الشهيدين الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة ، وزوجة الإمام علي بن أبي طالب ، وكانت السيدة فاطمة أحب بنات الرسول إلى نفسه ، حتى إنها كانت إذا دخلت عليه قام لها ﷺ انظر كتاب « عقيلة آل البيت » تأليف المحققين ط . مكتبه العلم والإيمان بالحسين .

(٢) ورد أيضًا أن عمر بن الخطاب ونفر من الصحابة تقدم كل منهم على حدة لرسول الله ﷺ لخطبة فاطمة فلم يرد الرسول بالرفض ولا بالقبول ، وبعد أيام الح عمر على عليٍّ أن يتقدم لخطبة فاطمة ، فتقدم .

(٣) أي تقدم الرجال لخطبتها .

(٤) أي هل عندي شيء أتزوج به ؟! جمله استفهامية الغرض منها التعجب .

(٥) لم يستطع أن يتكلم لحيائه وخجله من الرسول ﷺ .

(٦) أي المهر . (٧) أي سلحتك بها .

(٨) مهر ابنة أشرف الخلق أربعة دراهم ، ياليت أولياء الأمور يتأسون ويقتدون برسول الله ﷺ : ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر** ﴾ وليس معنى ذلك ألا يأخذوا مهرًا ولكن على حسب مقدرة الزوج إن كان غنيا أخذوا ما يناسبهم =

أنا يونس عن عباد بن منصور عن عطاء بن أبى رباح قال : لما خطب على فاطمة أتاها رسول الله ﷺ فقال : إن عليًا قد ذكرك ، فسكتت ، فخرج رسول الله ﷺ فزوجها (١) .

أنا أحمد : أنا يونس قال : سمعت ابن إسحاق قال : فولدت فاطمة لعلى الحسن ، والحسين ، ومحسن ، فذهب مُحسن صغيراً (٢) ، وولدت له : أمَّ كلثوم وزينب (٣) .

أنا يونس عن يونس بن عمرو عن أبيه عن هانئ بن هانئ عن على قال لما ولد حسن سميته حربًا ، قال : فجاء رسول الله ﷺ فقال : أرونى بُنىَّ ، ماذا سميتموه ؟ فقلت : سميته حرباً ، فقال رسول الله ﷺ : لله عليه ، لا ولكن اسمه حسن (٤) ، فلما ولدت حُسيناً سميته حرباً ، فجاء رسول الله ﷺ فقال :

= ولا يرهقونه ، وإن كان فقيراً أخذوا ما قدر الزوج على دفعه والأهم من ذلك كله هو معيار الدين والخلق لقول رسول الله ﷺ : « إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » وما كثر الزنا إلا بسبب المغالاة فى المهور ، فيا ليت الآباء والأمهات يعقلون ذلك ويتعظون .

(١) ورد فيما معناه أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة عند زواجها : « لقد أتانى ملك الجبال ، وقال لى : لو شئت لجعلت لك أحد - أى جبل أحد - ذهبًا ليكون مهراً لفاطمة فما رأيك ، فقالت السيدة العفيفة الشريفة الزاهدة التقية الورعة كلمات قلائل لكن معناها كبير وعظيم ، ولا يقولها إلا شخص حكيم كلمات نورانية خرجت من قلب كله إيمان وزهد فى الدنيا وتطلع لما عند الله ، قالت له : (يا أبت إن الدنيا دار من لا دار له ، وعلم من لا علم له ، ولها يجمع من لا عقل له) صدقت يا سيدتى ، ونعم من رباك ، بهذه الكلمات رسمت أروع صورة لأعظم نموذج نسائى فريد ، تربى فى بيت النبوة وأنجبت زينة الشباب وأفضلهم وسيدى الشهداء فى الجنة رضي الله عنهم جميعا وجعلنا معهم - آمين يا رب العالمين .

(٢) أى مات صغيراً .

(٣) أم كلثوم وزينب : سمتهما بأسماء أخواتها .

(٤) وهو الذى قال عنه النبى ﷺ فى الحديث الصحيح « إن ابنى هذا سيد ، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » رواه البخارى ، ولقد تحقق ذلك عندما تنازل سيدنا الحسن لمعاوية بعد موت أبيه سيدنا على ، واجتمعت كلمة المسلمين على معاوية ، وسمى « عام الجماعة » وذلك سنة أربعين من الهجرة ، انظر قواعد أصول الحديث لفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم ص ٢٨٣ .

أرونى ابنى [١] ما سميتموه ؟ فقلت : سميته حربًا ، فقال : لا ولكن اسمه حسين فلما ولدت الثالث سميته حربًا ، فجاء رسول الله ﷺ فقال : أرونى ابنى ماذا سميتموه ؟ فقلنا : سميناه حربًا ، فقال : لا ولكن اسمه مُحسن ، ثم قال : إنى سميتهم ببنى هرون ، شَبره وشُبيرًا ، يقول حسن وحُسين .

* * *

(١) كان ﷺ يقول للحسن والحسين ابنيّ .

تزويج عمر بن الخطاب أم كلثوم بنت علي رضي الله عنهم (١)

نا أحمد : نايونس عن ابن إسحاق قال : وتزوج أم كلثوم ابنة علي من فاطمة ابنة رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب ، فولدت له زيد بن عمر وامرأة معه ، فمات عمر عنها .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال : خطب عمر بن الخطاب إلى على بن أبى طالب ابنته أم كلثوم وكانت لفاطمة بنت رسول الله ﷺ ، فاعتل على عليه (٢) ، وقال : هى صغيرة ، فقال عمر : لا والله ما ذاك بك ولكن أردت منعي ، فإن كان كما تقول فابعثها إلى ، فرجع على فدعاها فأعطاها حُلَّة فقال : انطلقى بهذه إلى أمير المؤمنين فقولى : يقول لك أبى كيف ترى هذه الحلة ، فأتته بها ، فقالت له ذلك ، فأخذ بدرعها (٣) فاجتبذتها منه ، وقالت : أرسل ، فأرسلها وقال : حصان كريم ، انطلقى فقولى له : ما أحسنها وأجملها ، ليست والله كما قلت ، فزوجها إياه .

نا يونس عن خالد بن صالح عن واقد بن محمد بن عبد الله بن عمر عن بعض أهله قال : خطب عمر بن الخطاب إلى على بن أبى طالب ابنته أم كلثوم ، وأمها فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، فقال له على : إن علىّ فيها أمراء حتى استأذنهم ، فأتى ولد (٤) فاطمة ، فذكر ذلك لهم فقالوا : زوِّجه ، فدعا أم كلثوم وهى يومئذ صبية فقال (٥) : انطلقى إلى أمير المؤمنين فقولى : إن أبى يقرئك السلام ويقول لك

---

(١) كان ذلك فى أواخر حياة عمر رضي الله عنه .

(٢) أى تعلل له ، ولم يظهر موافقة سريعة .

(٣) أي قميصها .

(٤) أى أتى أبناءه ، وهنا يعلمنا على درسا فى الشورى فى تربية الأولاد .

(٥) لو كان أحد غير عمر خطبها لما أرسلها علىٌّ إليه ، ولكنه أرسلها إلى عمر لتبلغه موافقة أبيها : لأن عمر هو أمير المؤمنين وحاكم المسلمين ولما يتمتع به عمـــر من ورع وإيمان لا يخاف منه وقد تخطى سن المراهقة فهو أكبر من أبيها سنا ثم إنه تقدم لخطبتها فوافق أبوها وأرسلها إليه تعلمه موافقته ، والزواج إيجاب وقبول وقد تم الاثنان .

إنا قد قضينا حاجتك التى طلبت ، فأخذها عمر فضمها إليه وقال [١] : إنى خطبتها إلى أبيها فزوجنيها ، فقيل : يا أمير المؤمنين ما كنت تريد إليها وهى صبية صغيرة ؟ قال : إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : كل سبب [٢] منقطع يوم القيامة إلا سببى [٣] ، فأردت أن يكون بينى وبين رسول الله ﷺ سبب صهر ·

نا أحمد : نايونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى أبو جعفر عن أبيه على بن الحسين قال : لما تزوج عمر بن الخطاب أم كلثوم ابنة على أتى مجلساً فى مسجد رسول الله ﷺ بين القبر والمنبر للمهاجرين لم يكن يجلس فيه غيرهم ، فدعوا له بالبركة فقال : أما والله ما دعانى إلى تزويجها إلا أنى سمعت رسـول الله ﷺ يقول : كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا ما كان من نسبى وسببى ·

أنا يونس عن هشام بن سعد القرشى عن عطاء الخراسانى عن عمر بن الخطاب أنه قال : لا تغالوا فى مهور النساء فإنه لو كان تقوى لله أو مكْرمة فى الدنيا كان نبيكم أولاكم بذلك ، ما أصدق [٤] أحدًا من نسائه ولا أصدق بناته أكثر من اثنتى عشرة أوقية أربعمائة وثمانون درهماً · ثم إن عمر بن الخطاب بعدُ خطب أم كلثوم ابنة على ابن أبى طالب فأصدقها أربعين ألفاً ·

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فلما مات عمر بن الخطاب عن أم كلثوم ابنة على تزوجت عون بن جعفر [٥] ، فهلك [٦] عنها عـون ولم يصب منها ولدا ·

* * *

(١) وهذا إعلان من عمر لزواجه منها حتى لا يظن به أحد ظن سوء ولكى يتقى الشبهات ·

(٢) أى الوصلة ·

(٣) أى نسبى ·

(٤) الصداق : هو المهر ·

(٥) أى جعفر بن أبى طالب ابن عمها ·

(٦) أى : مات ·

تزويج أم كلثوم عون بن جعفر بن أبى طالب

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى والدى إسحاق بن يسار عن حسن بن حسن عن على بن أبى طالب أنه قال : لما أيمت [١] أم كلثوم ابنة على من عمر بن الخطاب دخل عليها حسن وحسين أخواها فقالا لها : إنك من قد عرفت سيدة نساء المسلمين وابنة سيدتهن وإنك والله لئن أمكنت عليًا من زمتك لينكحنك بعض أيتامه ، ولئن أردت أن تصيبين بنفسك مالاً عظيماً لتصيبنه ، فوالله ما قاما حتى طلع على متوكياً [٢] على عصاه ، فجلس فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر منزلتهم من رسول الله ﷺ وقال : قد عرفتم منزلتكم يا بنى فاطمة وآثرتكم على سائر ولدى لمكانكم من رسول الله ﷺ وقرابتكم منه ، فقالوا : صدقت رحمك الله وجزاك عنا خيراً ، فقال : أى بنية [٣] إن الله عز وجل قد جعل أمرك بيدك فأنا أحب أن تجعليه بيدى ، فقالت : أى أبة ، والله إنى لامرأة أرغب فيما يرغب فيه النساء ، وأحب أن أصيب ما تصيبه النساء من الدنيا ، فأنا أريد أن أنظر فى أمر نفسى ، فقال : لا والله يا بنية ما هذا من رأيك ، ما هو إلا من رأى هذين [٤] ، ثم قام فقال : والله لا أكلم رجلاً منهما أو تفعلين ، فأخذا بثيابه فقالا : اجلس يا أبة فوالله ما على هجرتك من صبر [٥] ، اجعلى أمرك بيده ، فقالت : قد فعلت ، قال : فإنى قد زوجتك عون بن جعفر [٦] ، وإنه لغلام ، ثم رجع إلى بيته فبعث

---

(١) مات عنها زوجها . (٢) أى متوكئا مستنداً على عصا .

(٣) هنا يخاطب ابنته أم كلثوم . (٤) أى الحسن والحسين .

(٥) أى لا نقدر على غضبك منا وانصرافك عنا - وهذا من أدبهم العظيم الذى تعلموه من رسول الله ﷺ .

(٦) وهذا دليل على أن الصالحين كان يخطبون لبناتهم ، وكانوا يختارون لهم الزوج الصالح ، ويعرضون عليه الزواج من بناتهم ، وليس هذا عيبًا كما يعتقد بعض الآباء الآن ، لكنه غاية فى العقل لأن نبى الله شعيب عرض على سيدنا موسى أن يزوجه إحدى ابنتيه لما رأى أنه رجل صالح ، وغيره كثير فى التاريخ ، وقليل نادر من الآباء العظماء اليوم من يفعل ذلك وأكثر ، فيا ليت الآباء يعرفون أن هذا هو خير وسيلة للقضاء على ظاهرة تأخر البنات عن الزواج وتقدم السن بهن ، فهذا للأسف أصبح ظاهرة عامة بين المسلمين اليوم .

إليها بأربعة آلاف ، وبعث إلى ابن أخيه فأدخله عليها ، قال حسن : فوالله ما سمعت بمثل عشق منها له منذ خلقك الله ، فما نشب عون أن هلك ، فرجـــع إليها على فقال : أى بنيه اجعلى أمرك بيدى ففعلت ، فزوجها محمد بن جعفر ثم خرج فبعث إليها بأربعة آلاف درهم ثم أدخله عليها ٠

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فمات عون بن جعفر عن أم كلثوم ابنة على فتزوجها محمد بن جعفر بن أبى طالب [1] فمات عنها ولم يـــــصب منها (أولادا) ٠

* * *

(١) أخو عون زوجها السابق ٠

تزويج زينب بنت على
ابنة فاطمة بنت رسول الله ﷺ

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : كانت زينب ابنة على تحت [١] عبد الله ، بن جعفر بن أبى طالب ؛ فولدت له على بن عبد الله بن جعفر ، وأم أبيها ، فتزوج أم أبيها عبد الملك بن مروان وطلقها فتزوجها على بن عبد الله بن عباس ·

نا يونس عن ثابت بن دينار عن أبى جعفر قال : خطب معاوية بن أبى سفيان إلى عبد الله بن جعفر ابنته من زينب ابنة على وأمها فاطمة ؛ وقال له معاوية : أقضى عنك دينك ، فوعده ، فقال عبد الله : إن علىَّ أميرًا لست أستطيع أن أزوجها حتى استأمره ، فقال له معاوية : فاستأمره ، وأتى حسين بن على [٢] ، وقال : إن معاوية خطب إلى ابنتى ووعدنى قضاء دينى ، وإنما أنت والد ، أنت خالها فما ترى ؟ قال له : أحب أن تجعل أمرها بيدى ، قال : هو بيدك ، قال : فدخل حسين بن على على الجارية [٣] فقال : إن أباك قد جعل أمرك بيدى فاجعلى أمرك بيدى [٤] ، فقالت : هو بيدك ، فخرج حسين فقال : اللهم أقدر لها خير من تعلم ، فلقى شابًّا منهم [٥] فقال : يا فلان اجعل أمرك بيدى ، فقال : هو بيدك ·

وكتب معاوية إلى مروان بن الحكم ، وهو أمير المدينة : إننى خطبت إلى أبى جعفر ابنته فاشترط رضى حسين فادعه إليك حتى يسلم ، فجمع مروان الناس وجاء بالدف [٦] والسكر ، ودعا حُسينا فقال : إن أمير المؤمنين كتب إلىَّ أنه خطب إلى عبد الله بن جعفر ، واشترط رضاك ، فسلم له ، فحمد الله حسين وأثنى عليه ثم قال : أشهدكم أنى قد زوجتها فلانا يعنى الشاب الذى لقيه ، فقال مروان « أبيتم يا بنى هاشم إلا غدرا ، فقال له حسين : نشدتك بالله [٧] هل تعلم أن الحسن بن على

---

(١) أى زوجة · (٢) وهو أخو زوجته زينب ﵄ ·
(٣) أى على ابنة أخته ، والجارية تطلق على الفتاة الصغيرة ·
(٤) أى فوضينى ووكلينى بتزويجك · (٥) أى من بنى هاشم ·
(٦) أى الطبل · (٧) أى أستحلفك بالله ·

خطب ابنة عثمان بن عفان فاجتمع الناس مثل اجتماعهـم الآن ، وحضر الحسن لذلك ، فجئت أنت فخطبت ثم زوجتها غيره ؟ فقال : نعم ، قال الحسين : فمن الغادر نحن أم أنتم ، ثم أعطى حسين عبد الله بن جعفر أرضاً له يقال لها البغيبغة فباعها [1] من معاوية بألفى ألف ، وأعطى الشاب الذى زوج أرضاً له أخرى قُوِّمت[2] ألفى ألف ، وأعطى من صلب ماله قيمة أربعة آلاف ألف .

* * *

(١) أى اشتراها معاوية .

(٢) أى كان ثمنها .

ما جاء فى تزويج عثمان بن عفان رضي الله عنه

نا يونس عن الحسن بن دينار عن الحسن قال : أتى رسول الله ﷺ على عثمان وهو مهموم ، فقال له رسول الله ﷺ : مالك ؟ قال : خطبت إلى عمر فردَّنى [١] ، فقال رسول الله ﷺ : أفلا أدلك على ختَن [٢] خير لك من عمر ، وأدل عمر على ختَن خير له منك ، فتزوج رسول الله ﷺ حفصة ابنة عمر وزوج النبى ﷺ ابنته [٣] عثمان بن عفان .

نا يونس عن هشام بن سنبر عن يحيى بن أبى كثير عن المهاجر بن عكرمة المخزومى قال : كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن ينكح امرأة من بناته جلس عند خدرها [٤] فقال : إن فلاناً يريد فلانة .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى من لا أتهم أن رسول الله ﷺ كان يغار لبناته غيرة شديدة ، وكان لا ينكح بناته على ضرة .

أنا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى عمرو بن عبيد عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال لامرأة عثمان : أى بنية إنها لا امرأة لرجل [٥] لم تأت ما يهوى ودمه فى وجهه وإن أمرها أن تنقل من جبل أسود إلى جبل أحمر ، أو من جبل أحمر إلى جبل أسود فاستصلحى زوجك [٦] .

* غيرة الرسول ﷺ لفاطمة :

انا يونس عن زكريا بن أبى زائدة عن عامر الشعبى قال [٧] : خطب على ابنة أبى جهل إلى عمها الحارث ، فاستأمر رسول الله ﷺ ، فقال : عن أى شأنها تسلنى ، عن حسبها ؟ قال : لا ولكن تأمرنى بها ، فقال : فاطمة مضغة منى [٨] ولا أحب أن تجزع ، فقال : لا آتى شيئاً تكرهه [٩] .

* * *

(١) أى تقدم لخطبة ابنته فرفض .　　(٢) أى نسب وصهر .

(٣) هى السيدة رقية رضي الله عنها .

(٤) هو ستر يمد للمرأة فى ناحية البيت . انظر المعجم الوجيز صـ ١٨٧ .

(٥) أى لا تصلح المرأة أن تكون زوجة لرجل .

(٦) وهذا توجيه نبوى كريم من الرسول ﷺ لابنته وكل بنات المسلمين ينصحهن ﷺ بأن يطعن أزواجهن ، وأن يكن زوجات صالحات لأزواجهن .

(٧) كان حق هذه الرواية أن تأتي فى موضع تزويج فاطمة رضي الله عنها . (٨) أى بضعة منى .

(٩) وهذا أدب جم من سيدنا على كرم الله وجهه .

تَزويجُ النبى ﷺ سَوْدَةَ بنت زَمْعَة

أنا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فماتت خديجة بنت خويلد قبل مهاجر النبى ﷺ بثلاث سنين (١) ، لم يتزوج رسول الله ﷺ عليها امرأة حتى ماتت هى وأبو طالب فى سنة ، ثم تزوج رسول الله ﷺ بعد خديجة سودة بنت زمعة ، وكانت قبله عند السكران بن عمرو ، أخى سُهيل بن عمرو وكان ابن عمها تزوجها وهى بكر ، فهاجر إلى أرض الحبشة ، ثم قدما مكة فمات عنها مسلماً بمكة . فتزوجها رسول الله ﷺ ولم يصب منها ولداً حتى مات .

نا يونس عن النعمان بن ثابت عن الهيثم أن رسول الله ﷺ قال لسودة ابنة زمعة : اعتدى (٢) فتعرضت له فى طريقه فقالت له : نشدتك بالله ألا راجعتنى ولك يومى أجعله لأي نسائك شئت فإنما أريد أن أحشر من أزواجك يوم القيامة فراجعها رسول الله ﷺ .

* * *

(١) أى قبل هجرة النبى ﷺ إلى المدينة بثلاثة أعوام ، وهو عام الحزن الذى مات فيه أيضًا عمه أبو طالب .

(٢) كناية عن طلاقها .

تزويجُ النبيِّ ﷺ عائشة
بنت أبى بكر الصديق رضي الله عنهما

نا يونس عن هشام بن عُروة عن أبيه عروة بن الزبير قال : لما دخلت (١) سودة فى السن جعلت يومها (٢) لعائشة فكان رسول الله ﷺ يقسم به لها .

قال ابن إسحاق : ثم تزوج رسول الله ﷺ بعد سودة بنت زَمْعة عائشة بنت أبى بكر وهى بِكْر ، لم يتزوج بكراً غيرها ولم يصب منها ولداً حتى مات .

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه قال تزوج رسول الله ﷺ عائشة (٣) بعد موت خديجة بثلاث سنين ، وعائشة يومئذ ابنة ست سنين ، وبنى (٤) بها رسول الله ﷺ وهى ابنة تسع سنين ، ومات رسول الله ﷺ وعائشة ابنة ثمانى عشرة سنة .

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال : « أُريتك (٥) فى المنام مرتين ، أرى أن رجلا يحملك فى سرقة (٦) حرير فيقول : هذه امرأتك فأكشف فأراك فأقول إن كان هذا من عند الله يمضه » .

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : كانت أمى تعالجنى (٧) تريد لتسمننى بعض السمن لتدخلنى على رسول الله ﷺ فما استقام لها بعض ذلك حتى أكلت التمر بالقثاء ، فسمنت عليه كأحسن ما يكون من السِّمَن .

نا يونس قال : تحدث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : إنى لألعب

---

(١) أى كبر سنها .

(٢) أي يومها الشرعى الذى خصصه لها النبى ﷺ .

(٣) أى عقد عليها . (٤) أى دخل بها .

(٥) الخطاب للسيدة عائشة رضي الله عنها أريتك : أرانى الله إياك .

(٦) أى قطعة حرير . (٧) أى تهتم بأكلى .

مع جوارى من الأنصار فى أرجوحة بين نخلتين إذ أتت أمى فأخذت بيدى ما أدرى ما تصنع بى فجعلت أضع يدى على بطنى لأرد نفسى لكى ترى ما بى ، فذهبت بى أمى ونطقتنى وأدخلتنى [١] على رسول الله ﷺ .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى يحيى بن عباد عن أبيه عباد ابن عبد الله بن الزُّبير عن عائشة قالت : لما قدمنا مهاجرين سلكنا فى ثنية صعبة فنفر [٢] بى جمل كنت عليه ، قوى منكر ، فوالله ما أنسى قول أمى : واعروساه ، فركب بى رأسه فسمعت قائلا يقول : والله ما أراه ألقى خطامه ، فألقيته فقام يستدير عليه كأنما إنسان جالس تحته يمسكه .

*   *   *

(١) كان ذلك بعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة .

(٢) أى فزع .

تَزويجُ النبى ﷺ
حَفْصَة بنت عمر رضي الله عنها

نا أحمد : نا يونس عن محمد بن إسحاق قال : ثم تزوج رسول الله ﷺ بعد عائشة حَفْصة [١] بنت عمر ، وكانت قبله عند خُنَيس بن حُذَافة ، أحد بنى سهم فمات رسول الله ﷺ ولم يصب منها ولداً .

نا يونس عن سليمان الأعْمش عن أبى صالح عن ابن عمر [٢] قال : دخل عمر على أختى حَفْصة وهى تبكى ، فقال لها : ما يبكيك ، لعل رسول الله ﷺ طلقك ، إنه قد كان طلقك مرة ثم راجعك ، والله إن كان طلقك أخرى لا أكلمك كلمة أبداً [٣] .

* * *

---

(١) ورد أن عمر بن الخطاب عرض على أبى بكر الزواج من ابنته حفصة فلم يبد موافقة ، فحزن عمر ، ثم عرض على عثمان فلم يبد موافقة فحزن حزنا شديداً فرآه الرسول ﷺ فسأله عن حزنه فأخبره ، فقال له لعل الله يجعل لها خيراً أو معناه - ثم بعد ذلك خطبها النبى ﷺ من عمر وتزوجها .

(٢) هو سيدنا عبد الله بن عمر ، كان من المكثرين من الرواية عن رسول الله ﷺ روى كثيرا من أحاديث رسول الله ﷺ .

(٣) كان بكاؤها - والله أعلم - بسبب هجر الرسول ﷺ لها ولنسائه كلهن وذلك لأن السيدة عائشة والسيدة حفصة تظاهرتا على الرسول بسبب شربه العسل عند السيدة زينب بنت جحش ، وتواطأتا على أن أيتهما يدخل عليها الرسول ﷺ بعدما يأتى من عند زينب ، فلتقل له : إنى أجد منك ريح مغافير ، فدخل على حفصة فقالت له ذلك ، فقال ﷺ : بل شربت عسلا عند زينب ولن أعود له ، وأسر ذلك ، فأنزل الله عز وجل معاتبا نبيه ﷺ : ﴿ يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك ﴾ ، ومعاتبا حفصة وعائشة : ﴿ إن تتوبا إلى الله ﴾ وفى رواية لابن عباس أن الرسول ﷺ دخل بأم ولده مارية فى بيت حفصة وكانت عند أبيها - فجاءت حفصة فوجدت الرسول ﷺ مع مارية ، فقال لها ﷺ : « لا تذكرى هذا لعائشة فهى أى مارية على حرام إن قربتها » وطلب منها الا تذكره لأحد ، فذكرته لعائشة ، فاعتزلهن النبى ﷺ شهراً فأنزل الله : ﴿ يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك ﴾ انظر تفسير القرطبى ١٠ / ٦٩٠٣ . ط . دار الغد العربى .

تزويجُ النبيِّ ﷺ
زينب بنت خُزَيمة رضي الله عنها

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق : ثم تزوج رسول الله ﷺ بعد حفصة زينب ابنة خُزيمة الهلالية ، أُمُّ المساكين (١) ، وكانت قبله عند الحصـــين بن الحارث أو عند أخيه الطُّفيل بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف ، ماتت بالمدينة ، أول نسائه موتًا ، ولم يصب رسول الله ﷺ منها ولدًا .

نا يونس عن زكريا بن أبى زائدة عن عامر الشعبى قال : قلن النسوة لرسول الله ﷺ : أيُّنا أسرع بك لحوقًا (٢) ؟ قال : فقال أطولكن يدًا (٣) ، فأخذن ستنازعن عن أطولهن يدًا ، فلما توفيت زينب علـــموا أنها كانت أطولهن يدًا فى الخير والصدقة .

* * *

(١) لُقِّبت بهذا اللقب لشدة عطفها وإحسانها على الفقراء والمساكين رضى الله عنها .
(٢) أى موتًا بعدك .
(٣) وهذا من باب المجاز .

تَزويجُ النبى ﷺ أم حبيبة رضي الله عنها

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم تزوج رسول الله ﷺ بعد زَينب أم حبيبة بنت أبى سفيان ، كانت قبله عند عبيد الله بن جَحش بن رئاب ، أحد بنى أسد أخى عبد الله بن جحش ، كان تزوجها وهى بكر ، وكان له منها حبيبة ابنة عبيد الله ، فمات عنها بأرض الحبشة وقد تنصر بعد إسلامه ، وكانت مهاجرة معه بأرض الحبشة ، فلم يصب رسول الله ﷺ منها ولداً .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى أبو جعفر قال : بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى ، فزوجه أم حبيبة ابنة أبى سفيان وساق عنه أربعمائة دينار (١) .

* * *

(١) دفعها لها مهرا .

تَزْويجُ النبى ﷺ أُمُّ سَلَمة رضي الله عنها

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم تزوج رسول الله ﷺ بعد أم حبيبة أم سلمة هند بنت أبى أمية ، وكانت قبله عند أبى سلمة عبد الله بن عبد الأسد ابن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم هاجرا جميعاً إلى أرض الحبشة ، ثم قدما المدينة ، فأصابته جراحة بأحد ، فمات بها من جراحته ، كان تزوجها وهى بكر ، فولدت له سلمة ، وعمر ، ودرة ، وزينب ، ولم يصب رسول الله ، منها ولداً ٠

نا يونس عن يونس بن عمرو عن أبيه عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال : كان رسول الله ﷺ يخطب أم سلمة يجلس على إسكفة الباب ويضع ثوبه ويتكىء عليه ويقول عليه السلام : إن كان إنما بك أن أزيدك فى الصداق زدتك ، وإن أردت أزد النسوة ٠

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى والدى إسحاق بن يسار قال : كان لرسول الله ﷺ فى كل يوم من سعد بن عبادة جفنة طعام يدور بها معه حيث دار ، وكان رسول الله ﷺ إذا خطب امرأة عرض عليها ما أراد أن يسمى لها(١) ، ثم يقول : وجفنة سعد بن عبادة تأتيك كل غداة ٠

نا يونس عن أبى معشر المدنى عن سعيد المقبرى قال : بعث رسول الله ﷺ إلى أم سلمة يخطبها ، فقالت : إنى فى خصال (٢) لا أقدر على أن أتزوجك يا رسول الله ، إنى امرأة كبيرة ، وأنا أغار على زوجى وأخاف أن أغار على رسول الله ﷺ ، وأنا امرأة مخسوسة سهمى ، وأنا مطفل ذات عيال ، فقال رسول الله ﷺ : أما ما تذكرين من الكبر فإنه ليس عليك أن تتزوجى من هو أكبر منك ، وأما ما تذكرين من الغيرة فإنى أدعو الله عز وجل أن يذهبها عنك وأما ما تذكرين من السهم ، فأنا أدعو الله أن يحسن سهمك ، وأما ما تذكرين من العيال ، فمن ترك مالاً فلورثته ، ومن ترك ديناً أو عيالاً فعلى الله وعلى رسوله فتزوجها رسول الله ﷺ ٠

---

(١) أى من المهر ٠ (٢) أى صفات ٠

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن حزم ، وعبد الرحمن بن الحارث ومن لا أتهم عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال : كان الذى زوج رسول الله ﷺ أم سلمة ابنها سلمة ، فزوجه رسول الله ﷺ ابنة حمزة وهما صبيان صغيران ، فلم يجتمعا حتى ماتا ، فقال رسول الله ﷺ : هل جزيت سلمة بتزويجه إياى أمه ·

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى عبد الملك بن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن أبيه قال : تزوج رسول الله ﷺ ، أم سلمة فى شوّال وجمعها فى شوّال فقالت له : سبّع عندى ، فقال رسول الله ﷺ إن شئت فعلت وسبعت عند صـواحبك ، وإن شئت فثلاث [١] ثم أدور عليهن فى يومك ، فقالت : لا بل ثلاث ·

نا يونس عن النعمان بن ثابت عن الهيثم أن رسول الله ﷺ أَوْلَمَ [٢] على أم سلمة بتمر وسويق ·

* * *

(١) وهكذا يفعل مع الثيب ·

(٢) أى أقام وليمة لزواجه من أم سلمة ·

تَزْويجُ النبي زَينب ابْنَة جَحْش رضي الله عنها

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم تزوج رسول الله ﷺ بعد أم سلمة زينب ابنة جَحْش أخت عبد الله بن جحش إحْدَى نساء بنى أسد بن خزيمة ، وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة ، زوَّجه الله إياها (١) ، فمات رسول الله ﷺ ، ولم يصب منها ولداً ، وهى أم الحكم .

نا يونس عن أبى سلمة الهمذانى مولى الشَّعبى عن الشعبى قال : مرض زيد ابن حارثة فدخل عليه رسول الله ﷺ يعوده ، وزينبُ ابنة جَحْش امرأته جالسة عند رأس زيد ، فقامت زينب لبعض شأنها ، فنظر إليها رسول الله ﷺ [كذا] ، ثم طأطأ رأسه (٢) فقال : سبحان الله مقلِّب القلوب والأبصار ، فقال زيد : أطلقها لك يا رسول الله ؟ فقال : لا ، فأنزل الله عز وجل : **﴿ وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه ﴾** إلى قوله : **﴿ وكان أمر الله مفعولاً ﴾** (٣) .

* * *

(١) أى زوَّج اللهُ رسوله إياها .

(٢) أى خفض رأسه وغض بصره .

(٣) سورة الأحزاب : الآية ٣٧ راجع (روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى) عند تفسيره لهذه الآية تحقيق طه عبد الرءوف سعد / ط دار الغد العربى .

تَزويج النبي جُوَيْرِيةَ ابنة الحارث رضي الله عنها

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : تزوج رسول الله ﷺ بعد زَينب بنت جَحش جُوَيْرية ابنة الحارث بن أبى ضرار ، وكانت قبله عند ابن عم لها يقال له ابن ذى الشفر ، فمات رسول الله ﷺ ولم يصب منها ولداً .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة عن عائشة أنها قالت : لما قسَّم رسول الله ﷺ سَبايا بنى المصْطَلق [1] وقعت جويرية ابنة الحارث فى السهم لثابت بن قيس ولابن عم له ، فكاتبته [2] على نفسها ، وكانت امرأة حلوة ملاحة لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه ، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه فى كتابتها ، قالت عائشة : فوالله ما هو إلا أن رأيتها فكرهتها وقلت : سيرى منها مثلما رأيت [3] ، فلما دخلت عليه قالت : يا رسول الله أنا جويرية ابنة الحارث ، سيد قومه ، وقد أصابنى من البلاء ما لم يخف عليك وقد كاتبت على نفسى فأعنى على كتابتى ، فقال رسول الله ﷺ : أو خير من ذلك ، أؤدى [4] عنك كتابتك وأتزوجك فقالت : نعم ، ففعل رسول الله ﷺ ، فبلغ الناس أن رسول الله ﷺ تزوجها ، فقالوا : أصهار رسول الله ﷺ ، فأرسلوا ما كان فى أيديهم من بنى المصطلق ، فلقد أعتق بها مائة أهل بيت من بنى المصطلق ، فما أعلم امرأة أعظم بركة على أهل بيت منها .

* * *

---

(١) كانت غزوة بنى المصطلق فى السنة الخامسة للهجرة .

(٢) أى كتبت بينها وبينه اتفاقًا على مال معلـــوم تقسطه له فإذا ما دفعته كله صارت حرة .

(٣) وهذا دليل على غيرة السيدة عائشة رضي الله عنها على رسول الله ﷺ .

(٤) أى أدفع ما كاتبت عليه .

تَزْوِيجُ النبى صَفِيَّة ابنة حُيَىٍّ رضي الله عنها

نا يونس عن زكريا بن أبى زائدة عن عامر الشعبى قال : كانت جويرية من ملك يمين (١) رسول الله ﷺ فأعتقها واستنكحها وجعل مهرها عتق كل مملوك من بنى المصطلق .

نا أحمد : نايونس عن ابن إسحاق قال : ثم تزوج رسول الله ﷺ بعد جويرية صفية ابنة حيى ، وكانت قبله عند كنانة بن الربيع بن أبى الحُقَيق ، فمات عنها رسول الله ﷺ ولم يصب منها ولداً .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى والدى إسحاق بن يسار قال لما افتتح رسول الله ﷺ حصن ابن أبى الحقيق أتى بصفية ابنة حيى ومعها ابنة عم لها جاء بها بلال فمر بهما على قتلى من قتلى يهود ، فلما رأتهم التى مع صفية صكت (٢) وجهها ، وصاحت وحثت التراب على رأسها ، فقال رسول الله ﷺ غربوا (٣) هذه الشيطانة عنِّى ، وأمر بصفية خلفه وغطى عليها ثوبه ، فعرف الناس أنه اصطفاها لنفسه ، وقال رسول الله ﷺ لبلال ، حيث رأى من اليهودية ما رأى : يا بلال نزعت منك الرحمة حين تمر بامرأتين على قتلاهما ، وقد كانت صفية رأت قبل ذلك ، أن قمراً وقع فى حجرها ، فذكرت ذلك لأبيها (٤) فضرب وجهها ضربة أثر فيه ، وقال : إنك لتمدين عنقك إلى أن تكونى عند ملك العرب ، فلم يزل الأثر فى وجهها حتى أتى بها رسول الله ﷺ ، فسألها عنه ، فأخبرته خبره .

يونس عن هشام بن أبى عبد الله عن شُعيب بن الحبحَاب عن أنس بن مالك قال : أعتق رسول الله ﷺ صفية وجعل عتقها صداقها .

نا يونس عن عبد الله بن عبد الله الأزدى عن أنس بن مالك قال : لما تزوج رسول الله ﷺ صفية ابنة حُيَى دعا الناس على مأدبته وهى يومئذ بالحيس والتمر .

يونس عن سليمان الأعمش قال : بلغنى رسول الله ﷺ أَوْلَمَ على بعض نسائه بقدر من جشيشة (٥) .

---

(١) أى جارية له . (٢) أى لطمت . (٣) أى ابعدوا .

(٤) قيل إنها ذكرت ذلك لزوجها .

(٥) الجشيشة هى الحب المجروش يُلقى عليه لحم أو تمر فيطبخ - انظر المعجم الوجيز ص ١٠٦ .

تَزويجُ النبى ﷺ
ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم تزوج رسول الله ﷺ بعد صفية ميمونة بنت الحارث الهلالية ، وكانت قبله عند أبى رهم بن أبى قيس أحد بنى مالك بن حسل من بنى عامر بن لُؤى ، مات رسول الله ﷺ ولم يصب منها ولداً .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى ثقة عن سعيد بن المسيب أنه قال : هذا عبد الله بن عباس يزعم أن رسول الله ﷺ نكح ميمونة وهو مُحْرِم (١) ، وكذب ، إنما قدم رسول الله ﷺ مكة فحل (٢) ، فكان الحل والنكاح جميعاً فشبه (٣) ذلك على الناس .

نا يونس عن جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران عن يزيد بن الأصم قال : تزوج رسول الله ﷺ مَيمونة وهو حلال (٤) ، بعث إليها الفضل بن عباس ورجلاً معه فزوجاها إياه .

نا يونس عن عبد الله بن محرز عن يزيد بن الأصم أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة وهو حلال بسرف (٥) ، وبنى بها (٦) وهو حلال فى قبة لها ، فماتت فيها (٧) .

نا يونس عن عبد الله بن محْرز عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس قال تزوج رسول الله ﷺ ميمونة وهو مُحْرِم .

نا يونس عن زكريا بن أبى زائدة عن الشعبى قال : تزوج رسول الله ﷺ ميمونة وهو محرم (٨) .

* * *

(١) أى محرم مرتدى ملابس الإحرام . (٢) أى تحلل من الإحرام .
(٣) أي تشابه والتبس . (٤) أى ليس مُحْرمًا .
(٥) سرف : موضع يبعد عن مكة بأميال قليلة .
(٦) أى دخل بها .
(٧) أى ماتت فيما بعد بسرف وذلك لأن الرسول ﷺ مات قبلها .
(٨) كان ذلك بعد فتح مكة .

تزويج النبى أسماء بنت كَعْب الجَوْنِية وعمرة بنت يزيد

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : كان رسول الله ﷺ تزوج أسماء ابنة كعب الجونية ، ولم يدخل بها حتى طلقها ، وتزوج عمرة ابنة يزيد إحدى نساء بنى كلاب ثم بنى الوحيد ، وكانت قبله عند الفضل بن العباس بن عبد المطلب فطلقها رسول الله ﷺ قبل أن يدخل بها .

* * *

تزويج النبى امرأة من غفَار

نا يونس عن أبى يحيى عن جميل بن زيد الطائى عن سعد بن زيد الأنصارى قال : تزوج رسول الله ﷺ امرأة من غفار ، فدخل بها فأمرها فنزعت ثوبها فرأى بها بياضا من بَرص عند ثديها فانماز [١] رسول الله ﷺ وقال : خذى ثوبك والحقى بأهلك ، وأكمل لها صداقها ·

نا يونس عن إبراهيم بن إسماعيل عن عثمان بن كعب القرظى أن أخا لتميمة ابنة وهب ذكر أختاً له لرســـول الله ﷺ ، وذكر حالها ، فقال لها رسول الله ﷺ : أتُحبين أن أتزوجك ، فقالت : أعوذ بالله منك ، فقال رسول الله ﷺ منع الله عائذة ·

نا أحمد : نا يونس ، عن ابن إسحاق قال : حدثنى الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة عن ابن عباس قال : نظر رسول الله ﷺ إلى أم حبيب ابنة عباس وهى بدر [٢] بين يديه فقال رسول الله ﷺ : لئن بلغت هذه وأنا حى لأتزوجنها ، فقبض [٣] رسول الله ﷺ قبل أن تبلغ فتزوجها الأسود بن عبد الأسد أخو أبى سلمة ، فولدت له رزق بن الأسود ولبابة ابنة الأسود ، سمتها باسمها أم الفضل وكان اسمها لبابة ·

* * *

(١) بمعنى ابتعد ·

(٢) أي جميلة كالبدر ، وكانت طفلة صغيرة ·

(٣) أى انتقل إلى الرفيق الأعلى ·

عَددُ النِّسْوة اللاتى وَهَبْنَ أنفسهن للرسول ﷺ

نا يونس عن زكريا بن أبى زائدة عن الشعبى قال : وهبن لرسول الله ﷺ نساء أنفسهن ، فدخل ببعضهن ، وأرجأ [1] بعض فلم يقربهن حتى توفى ، ولم ينكحن بعده ، فيهن أم شُريك ، فذلك قوله : ﴿ **تُرجى من تشاء منهن وتؤوى إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك** ﴾ [2] .

نا أحمد قال : نا أبى عن جرير بن عبد الحميد عن منصور بن أبى رُزَين فى قول الله تعالى : ﴿ **تُرجى من تشاء منهن وتؤوى إليك من تشاء** ﴾ فكان فيمن أرجأ رسول الله ﷺ سودة ، وأم حبيبة ، وميمونة [3] ، فأراد فراقهن فقلن لا تفارقنا ودعنا على حالنا واقسم لنا ما شئت من نفسك ومالك ، قال : فتركهن على حالهن وقسم لهن ما شاء ، قال : وكان ممن آوى : عائشة ، وأم سلمة ، وزينب ، وحفصة ، وكانت قسمته من نفسه وماله بينهن سواء .

نا يونس عن هشام بن عُروة عن أبيه عن عائشة قالت : كنت أَغَارُ ، فقلت لامرأة ممن وهبت نفسها لرسول الله ﷺ : أما تستحى المرأة أن تهب نفسها بغير صداق ، وكان رسول الله ﷺ قد اعتزل بعضهن ، وكنت على رجاء فلما نزل : ﴿ **ترجى من تشاء منهن وتؤوى إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك** ﴾ أيستُ وقلت : إني لأرى ربك يسارع لك فى هواك .

نا يونس عن عنبسة بن الأزهر عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال : لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأة وهبت نفسها له .

نا يونس عن أبى سلمة الهمذانى عن الشعبى : نزل على رسول الله ﷺ : ﴿ **يا أيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها** ﴾ [4] إلى آخر

---

(١) اى أجَّل .   (٢) سورة الأحزاب : الآية ٥١ .

(٣) ارجأهن بعد أن كبرن فلم يقسم لهن أيامهن وكان معهن كما يشاء وهذا قولا ذكره ابن إسحاق وإن كان فيه ما فيه .

(٤) سورة الأحزاب : الآيات ٢٨ - ٢٩ .

الآيتين ، فخيّرهن رسول الله ﷺ فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة ، فشكر الله لهن ذلك وانزل الله عليه : ﴿ **لا يحل لك النساء من بعد ولا أنْ تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك** ﴾ [1] .

* * *

(١) سورة الأحزاب : الآية ٥٢ .

ما اتَّخَذه النبى ﷺ من السرارى

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ومات رسول الله ﷺ عن التسع من نسائه ولم تمت قبله غير خديجة ابنة خويلد وزينب أمُّ المساكين ، ومات عن التسع البواقى [(١)] ، ولم يهاجر منهن إلى أرض الحبشة غيرها ولا الثلاث : أم سَلمة وأم حبيبة وفلانة ، ولم يصب الولد إلا من خديجة ، وكان عند رسول الله ﷺ فى ملك يمينه : ريحانة ابنة عمرو بن حُذافة ، فلم يصب منها ولداً حتى مات ، ومارية أم إبراهيم [(٢)] القبطية ، وولدت له إبراهيم فلم يصب رسول الله ﷺ الولد [(٣)] إلا من خديجة ومارية .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى محمد بن طلحة عن يزيد ابن ركانة قال : مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ وهو ابن ثمانية عشر شهراً ، فلم يصلَّ عليه .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى عبد الله بن أبى بكر عن عمرة عن عائشة بمثله .

نا يونس عن إبراهيم بن عثمان عن الحاكم عن مقسم عن ابن عباس قال ولدت مارية القبطية لرسول الله ﷺ إبراهيم ، فقال رسول الله ﷺ : إن له لمرضعة فى الجنة ، ولو بقى لكان صديقًا نبيًا ، ولو بقى لأعتق كل قبطى .

نا يونس عن محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن عطاء بن جـــابر عن عبد الرحمن بن عوف قال : أخذ رسول الله ﷺ بيدى فانطلق بى إلى النخل ، فوجد فيه إبراهيم ابن النبى ﷺ ، فأخذه فوضعه فى حجره ، فذرفت عيناه ، ثم

---

(١) يقول الإمام الغزالى رحمه الله فى كتابه الإحياء : لا يغرنك كثرة نكاح رسول الله ﷺ فإنه كما جاء فى الحديث : « كان لا يشغل قلبه جميع ما فى الدنيا عن الله تعالى » .

(٢) وهو الذى حزن ﷺ لموته حزنًا شديداً وبكى ، وقال : « إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون » والبكاء نوع من الحنان القلبى .

(٣) الولد بمعنى الأولاد وليس الولد الذكر فكل مولود ولد ، إذن كلمة ولد تطلق على الذكر والأنثى .

قال يا بنى ما أملك لك من الله شيئًا ، فقلت له : يا رسول الله تبكى ، ألم تنه عن البكاء ؟ فقال : إنما نهيت عن النوح [١] ، عن صوتين أحمقين فاجرين ؛ صوت عند نغمة لعب ولهو ، ومزامير شيطان ، وصوت عند مصيبة ، خمش وجوه ، وشق جيوب ورنة شيطان [٢] ، وهذا رحمة ومن لا يرحم لا يُرحم، يا إبراهيم لولا أنه أمر حق ، ووعد صدق ، وأنها سبيل مأتية [٣] لابد منها حتى يلحق آخرنا أولنا لحزنا عليك حزنًا هو أشد من هذا ، وإنا بك لمحزونون ، تبكى العين ويحزن القلب ، ولا نقول ما يسخط الرب .

نا يونس عن المبارك بن فضالة عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال : ولد لى البارحة غلام فسميته باسم أبى إبراهيم .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى إبراهيم بن محمد بن على ابن أبى طالب عن أبيه عن جده على بن أبى طالب قال : دعانى رسول الله ﷺ وقد كان كبر على مارية أم إبراهيم فى ابن عم لها يزورها ويختلف إليها قبطى ، قال خذ هذا السيف وانطلق فإن وجدته عندها فاقتله ، فقلت يا رسول الله أكون فى أمرك كالمشكة المحماة لا يثنينى شىء حتى أمضى لما أمرتنى به ، أو الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ؟ فقال رسول الله ﷺ : بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ، فأقبلت متوشحًا السيف فأجده عندها ، فلما رآنى اخترطت سيفى فعرف أنى أريده ، اشتد فى نخلة فرقا فيها حتى إذا كان فى نصفها ودنوت منه رمى بنفسه على ظهره ، ثم شغر برجله فإذا إنه لأمسح أجب ماله مما للرجال قليل ولا كثير فغمدت [٤] السيف ثم جئت رسول الله ﷺ فأخبرته الخبر فقال : الحمد لله الذى يصرف عنا أهل البيت .

* * *

(١) أى النواح : وهو الصراخ والعويل .

(٢) ورد أن الرسول ﷺ - قال : « ليس منا من لطم الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية » .

(٣) أى أن الموت حق علينا سيأتينا جميعًا .

(٤) أى أدخله فى غمده وهو غلافه .

ما عُوِّض النبى ﷺ من أبنائه

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال حدثنى يزيد بن زومان قال : كان العاصى [١] بن وائل السهمى إذا ذُكر رسول الله ﷺ قال : دعوه فإنما هو رجل أبتر [٢] لا عقب له [٣] ، لو قد هلك قد انقطع ذكره ، فاسترحتم منه ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر * فصل لربك وانحر** ﴾ حتى قضى السورة ، إنا قد أعطيناك الكوثر [٤] ما هو خير لك من الدنيا وما فيـــها ، أو الكوثر العظيم من الأمر ، ﴿ **إن شانئك** [٥] **هو الأبتر** ﴾ [٦] العاص بن وائل .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق : حدثنى جعفر بن عمرو بن أمية الضمرى عن عبد الله بن مسلم الزهرى قال : سمعت أنس بن مالك يقول : قيل لرسول الله ﷺ : ما الكوثر الذى أعطاك ربك ؟ فقال : نهر كَمثل ما بين صنعاء إلى أيلة من أرض الشام ، آنيته أكثر من عدد نجوم السماء ، يرده طير لها أعناق كأعناق البخت [٧] فقال عمر بن الخطاب : والله يا رسول الله إنها لناعمة ؟ فقال رسول الله ﷺ : آكلُها أنعم منها .

نا يونس عن عيسى بن عبد الله التميمى عن عبد الله بن أبى نجيح عن أنس بن

---

(١) وينطقه البعض وإثبات ياء المنقوص إذا كان بالألف واللام العاص .

(٢) الأبتر : من لا عقب له .

(٣) وقال العاص بن وائل هذا عندما مات القاسم ابن رسول الله ﷺ من السيدة خديجة ، وكان عمره أكثر من عام .

(٤) الكوثر نهر فى الجنة يقول عنه الرسول ﷺ : « الكوثر نهر فى الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج » حديث حسن صحيح اللهم اسقنا منه يارب .

(٥) أى مبغضك . وهو العاص بن وائل .

(٦) أى مقطوع ذكره من خيرى الدنيا والآخرة .

(٧) نوع من الإبل .

مالك قال فى قول الله عز وجل : ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ قال : نهر فى الجنة قال ابن أبى نجيح : وقالت عائشة : هو نهر فى الجنة ليس أحد يدخل أصبعيه فى أذنيه إلا سمع خرير ذلك النهر [1] .

نا يونس عن يزيد بن زياد بن أبى الجعد عن عاصم الجحدرى عن على : ﴿ فصل لربك وانحر ﴾ قال : وضع اليمين على الشمال فى الصلاة .

نا يونس عن فطر بن خليفة قال : سألت عطاء عن الكوثر قال : نهر فى الجنة ، ﴿ فصل لربك وانحر ﴾ قال : أمر أن يصلى الفجر يوم النحر [2] ثم ينحر .

* * *

(١) أى مثل خريره لا صوته حقيقة .

(٢) أى يوم عيد الأضحى العاشر من ذى الحجة والأصل أن يصلى العيد ويذبح بعد ذبح الإمام .

قصةُ المستهزئين والآيات

* عقاب الله لمن عاند وآذى رسوله ﷺ :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : قام رسول الله ﷺ على أمر الله محتسبًا مؤديًا إلى قومة النصحية على ما كان فيهم من النائرة (١) ، والأذى والاستهزاء ، وكان عظماء المستهزئين برسول الله ﷺ كما حدثنى يزيد بن رُومان عن عُروة أو غيره من العلماء قال : كان المستهزئين برسول الله خمسة : الأسود بن عبد يغوث بن وهب ، والأسود بن المطلب بن أسد ، والوليد بن المغيرة ، والعاصى ابن وائل والحارث بن الطّلاطلة أحد بنى خزاعة ، فكانوا يهزؤون برسول الله ﷺ ويغمزونه فأتاه جبريل عليه السلام فوقف به عند الكعبة وهم يطوفون به ، فمر به الأسود بن عبد يغوث فأشار جبريل إلى بطنه فمات حبنًا (٢) ؛ ومر به الأسود بن المطلب فرمى فى وجهه بورقة خضراء فعمى ، ومر به الوليَد بن المغيرة فأشار إلى جرح فى كعب رجله قد كان أصابه قبل ذلك بيسير ، فانتقض به فقتله ، ومر به العاصى بن وائل فأشار إلى أخمص رجله ، فركب إلى الطائف على حمار فربض به على شبرقة (٣) فدخلت فى أخمص رجله (٤) شوكة فقتلته ، ومر به الحارث بن الطلاطلة فأشار إلى رأسه فامتخض قيحاً حتى قتله ، ففيهم أنزل الله عز وجل : ﴿ إنا كفيناك المستهزئين ﴾ (٥) .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال حدثنى الزهيرى عن عكّاشة بن عبد الله بن أبى أحمد أنه حدث أن رجالاً من بنى مخزوم مشوا إلى هشام بن الوليد حين أسلم أخوه الوليد بن الوليد وقد كانوا أجمعوا أن يأخذوا فتية منهم كانوا قد أسلموا : سلمة بن هشام · وعياش بن أبى ربيعة ، فقالوا له – وخشوا شره : إنا

(١) الفتنة ·
(٢) أى كبرت بطنه من داء فيها ·
(٣) زرع به شوك ·
(٤) أى باطن قدمه ·
(٥) سورة الحجر : الآية ٩٥ ·

قد أردنا أن نعاقب هؤلاء الفتية على هذا الدين الذى أحدثوا فإنا نأمن بذلك فى غيرهم فقال : من فعل هذا فعليكم به (وهذا أخى) [(١)] فعاقبوه وإياكم نفسه وقال :

أَلا لاَ تَقْتُلوا أَخِى عُبَيْشٍ فَيبقَى بَيْنَنا أبداً تَلاحِ

احذروا على نفسه ، فأقسم بالله لئن قتلتموه لأقتلن أشرفكم رجلاً ، فقالوا اللهم العنه من يغرر [(٢)] بهذا الخبيث ، فوالله لو أصيب فى أيدينا لقتل أشرفنا رجلاً ، فتركوه ونزعوا عنه ، فكان مما دفع الله به عنهم .

نا يونس عن أبى معشر عن محمد بن كعب قال : كلمت رسول الله ﷺ قريش فقالوا : يا محمد تخبرنا أن موسى كان معه عصا ضرب به الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً ، وتخبرنا أن عيسى كان يحيى الموتى ، وتخبرنا أن ثمود (صالحا) كانت له ناقة ، فأتنا ببعض تلك الآيات حتى نصدقك ، فقال رسول الله ﷺ : أى شىء تحبون أن آتيكم به قالوا : تجعل لنا الصفا [(٣)] ذهبًا قال : فإن فعلت تصدقونى ؟ قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعنك أجمعين ، فقام رسول الله ﷺ يدعو فجاءه جبريل عليه السلام فقال له : ما شئت إن شئت أصبح ذهباً ، ولكن لم أرسل آية ولم يصدقوا عند ذلك إلا عذّبتهم ، وإن شئت فاتركهم حتى يتوب تائبهم فأنزل الله عز وجل : ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ﴾ إلى قوله : ﴿ ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ﴾ [(٤)] .

نا يونس عن عيسى بن عبد الله التميمى عن الربيع بن أنس البكرى قال : قال الناس لرسول الله ﷺ : لو جئتنا بآية كما جاء بها صالح [(٥)] والنبيون ، فقال رسول الله ﷺ : إن شئتم دعوت الله فأنزلها عليكم ، فإن عصيتم هلكتم ، يقول : ينزل العذاب ، قالوا : لا نريدها [(٦)] .

---

(١) غير موجود بالأصل لكن زيدت ليستقيم المعنى .

(٢) أى يغدر .

(٣) هو جبل الصفا المعروف بمكة .

(٤) سورة الأنعام : الآيات ١٠٩ -١١١ .

(٥) أى نبى الله صالح عليه السلام .

(٦) وهذا أوضح دليل على أنهم يعلمون فى أنفسهم أن الرسول ﷺ على حق ، وما جاء به هو الحق مصداقًا لقوله تعالى : ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ﴾ ولو لم يكونوا يوقنون أنه على حق ما خافوا العذاب وما قالوا له : لا نريدها .

نا يونس عن أبى معشر المدينى عن محمد بن كعب القُرظِى قال : كلمت قريش رسول الله ﷺ فقالت : يا محمد إنا فى واد ضيق قليل الماء فسيِّر عنا بقرآنك هذه الجبال ، وأخرج لنا من الأرض ينبوعاً حتى نشرب منه الماء ، وأخرج لنا آباءنا نكلمهم فنسألهم : ماذا لقوا ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **ولو أن قُرآنا سيِّرت به الجبال أو قُطِّعت به الأرض أو كُلِّم به الموتى** ﴾ (١) يقول يا محمد لو أن قرآنا صُنعت به هكذا لصنعته بقرآنك .

* الفرق بين القرآن المكى والمدنى :

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عروة قال : كل شىء نزل على رسول الله ﷺ من القرآن فيه ذكر الأمم والقرون وما يثبت به الرسول فإنما نزل بمكة ، وما كان من الفرائض والسنن فإنما نزل بالمدينة (٢) .

نا يونس عن مُبارك بن فُضَالة عن الحسن قال : قدم عبد الله الكوفة فرأى أناساً من الزط ففزع منهم فقال : ما هؤلاء ؟ فقيل الزط ، فقال : هؤلاء أشبه من رأيت بالجن الذين أقرأهم رسول الله ﷺ (٣) .

نا يونس عن الأعمش قال : بلغنى أن الجن الذين خاطبوا رسول الله ﷺ كانوا تسعة .

* * *

---

(١) سورة الرعد : الآية ٣١ .

(٢) والقرآن المكى هو ما نزل بمكة ، والمدنى ما نزل بعد الهجرة حتى ولو كان بمكة والله أعلم راجع تاريخ القرآن للزنجانى تحقيق طه عبد الرءوف سعد ط مؤسسة الحلبى .

(٣) أى قرأ عليهم الرسول ﷺ القرآن وأنزل الله فيهم سورة سماها باسمهم ، سورة الجن ﴿ **قل أوحى إلىَّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبًا** ﴾ وكان قرأ عليهم سورة الرحمن .

حَدِيثُ رُكَانَة بن عبد يزيد

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثني والدى إسحاق بن يسار أن رسول الله ﷺ قال لركانة بن عبد يزيد : أسلم ، قال : لو أعلم ما تقول حقًّا لفعلت فقال له رسول الله ﷺ - وكان ركانة من أشد الناس (١) : أرأيت إن صرعتك تعلم أن ذلك حق ؟ قال : نعم ، فقام رسول الله ﷺ فصرعه فقال له : عد يا محمد ، فعاد له رسول الله ﷺ ، فأخذه الثانية فصرعه ، وانطلق ركانة يقول : هذا ساحر ، لم أر مثل سحر هذا قط (٢) ، والله ما ملكت من نفسى شيئاً حتى وضع جنبى إلى الأرض .

* * *

(١) أى قوة .

(٢) وهنا نرى مدى عناد ومكابرة المشركين .

أعلامُ النبوة

*** من معجزات النبى ﷺ :**

نا يونس عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن يعلى بن مُرة عن أبيه قال : سافرت مع رسول الله ﷺ سفراً ، فرأيت منه شيئاً عجباً ، نزلنا منزلاً فقال : انطلق إلى هاتين الأشاءتين (١) فقل : إن رسول الله يقول لكما أن تجتمعا ، فانطلقت فقلت لهما ذلك ، فانتزعت كل واحدة منهما من أصلها فمرتْ كل واحدة إلى صاحبتها فالتقتا جميعاً ، فقضى رسول الله ﷺ حاجته (٢) من ورائهما ثم قال انطلق فقل لهما لتعود كل واحدة منهما إلى مكانها ، فأتيتهما فقلت ذلك لهما ، فمرت كل واحدة حتى عادت إلى مكانها .

وأتته امرأة فقالت : إن ابنى هذا به لمم (٣) منذ سبع سنين يأخذه كل يوم مرتين فقال رسول الله ﷺ : أدنيه (٤) ، فأدنته منه ، فتفل فى فيه (٥) وقال : اخرج عدو الله ، أنا رسول الله ، ثم قال لها رسول الله ﷺ : إذا رجعنا فأعلمينا ما صنع ، فلما رجع رسول الله ﷺ استقبلته ومعها كبشان وأقط (٦) وسمن ، فقال (٧) لى رسول الله ﷺ : خذ هذا الكبش ، فأخذ منه ما أراد (٨) فقالت : والذى أكرمك ما رأينا به شيئاً منذ فارقنا .

ثم أتاه بعير فقام بين يديه فرأى عينيه تدمعان ، فبعث إلى أصـــحابه فقال :

---

(١) أى نخلتين صغيرتين .

(٢) أى تبول أو تبرز .

(٣) أى به مس من الجن .

(٤) أى قربيه منى .

(٥) أى فى فمه .

(٦) الأقط : لبن محمـــض يجمد حتى يستحجر ويطبـــخ به ، انظر المعجـــم الوجيز صـ ٢١ .

(٧) المتحدث هنا هو مرة أبو يعلى الذى كان مصاحبًا للرسول ﷺ فى سفره هذا .

(٨) وفى هذا جواز أخذ الهدية على الرقية الشرعية بشرط أن تقدَّم إليه بسماحة وصفاء نية منهم ولا يطلبها هو .

ما لبعيركم هذا يشكوكم ؟ فقالوا : كنا نعمل عليه ، فلما كبر وذهب عمله تواعدنا لنحره غدا ، فقال رسول الله ﷺ فلا تنحروه ، واجعلوه فى الإبل يكون فيها ٠

نا يونس عن الأعمش عن شَمر بن عَطية عن بعض أشياخه قال : جاءت امرأة بابن لها إلى رسول الله ﷺ قد تخرس فقالت : يا رسول الله إن ابنى هذا لم يتكلم منذ ولد ، فقال رسول الله ﷺ : أدنيه ، فأدنته منه ، فقال : من أنا فقال : أنت رسول الله ٠

نا يونس عن إسماعيل بن عبد الملك عن أبى الزبير عن جابر قال : خرجت مع رسول الله ﷺ فى سفر ، وكان رسول الله ﷺ إذا أراد البراز تباعد حتى لا يراه أحد [١] ، فنزلنا منزلاً بفلاة [٢] من الأرض ليـــس فيها علم ولا شجر ، فقال لى : يا جابر خذ هذه الأداوة وانطلق بنا ، فملأت الأداوة ماء وانطلقنا فمشينا حتى لا نكاد نرى فإذا شجرتان بينهما أذرع ، فقال رسول الله ﷺ : يا جابر انطلق فقل لهذه الشجرة : يقول لك رسول الله الحقى بصاحبتك حتى أجلس خلفكما ففعلتُ ، فرجعت حتى لحقت بصاحبتها ، فجلس خلفها حتى قضى حاجته ، ثم رجــعنا فركبنا رواحلنا [٣] ،وسرنا كأنما علينا الطير تظلنا ، فإذا نحن بامرأة قد عرضـــت لرسول الله ﷺ معها صبى تحمله فقالت : يا رسول الله إن ابنى هذا يأخذه الشيطان كل يوم ثلاث مرات لا يدعه ، فوقف رسول الله ﷺ فتناوله فجعله بينه وبين مقدمة الرحل ، فقال رسول الله ﷺ : اخس [٤] عدو الله أنا رسول الله ، فأعاد رسول الله ﷺ ذلك ثلاث مرات ، ثم ناولها إياه فلما رجعنا وكنا بذلك الماء عرضت لنا المرأة معها كبشان تقودهما ، والصبى تحمله ، فقالت : يا رسول الله اقبل هديتى ، فو الذى بعثك بالحق أن [٥] عاد إليه بعدُ ، فقال رسول الله ﷺ : خذوا أحدهما منها وذروا الآخر ، ثم سرنا ورسول الله ﷺ بيننا ، فجاء جمل باد [٦] ،

---

(١) وهذا من أدب النبى ﷺ الذى يعلمنا إياه ٠

(٢) أي بصحراء ٠

(٣) دوابنا ٠

(٤) أى اخسأ ، ابعد ٠

(٥) أن هنا بمعنى « ما » ٠

(٦) أى من البادية ٠

فلما كان بين السماطين خر ساجدًا ، فقال رسول الله ﷺ من صاحب هذا الجمل ؟ فقال فتية من الأنصار : هو لنا يا رسول الله ، قال : فما شأنه ؟ قال : قالوا : سنونا [١] عليه منذ عشرين سنة ، فلما كبرت سنه وكانت عليه شحيمة فأردنا نحره لنقسمه بين غلمتنا ، فقال رسول الله ﷺ تبيعونه ؟ فقالوا : يا رسول الله هو لك ، قال : فأحسنوا إليه حتى يأتيه أجله فقالوا : يا رسول الله نحن أحق أن نسجد لك من البهائم ! فقال رسول الله ﷺ : لا ينبغى لبشر ، أن يسجد لبشر ولو كان ذلك ، كان النساء لأزواجهن ·

نا يونس عن المبارك بن فُضَالة عن الحسن قال : خرج رسول الله ﷺ إلى بعض شعاب [٢] مكة ، وقد دخله من الغم ما شاء الله ، من تكذيب قومه ، فقال : رب أرنى ما أطمئن إليه ويذهب عنى هذا الغم ، فأوحى الله عز وجل إليه : ادع أى أغصان هذه الشجرة شئت ، فدعا غصناً فانتزع من مكانه ، ثم خد [٣] فى الأرض حتى جاء رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ : ارجع إلى مكانك ، فرجع الغصن فخد فى الأرض حتى استوى كما كان ، فحمد رسول الله ﷺ الله عز وجل وطابت نفسه ، وقد كان قال المشركون : أتضلل آباءك وأجدادك يا محمد ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **أفغير الله تأمرونِّى أعبدُ أيها الجاهلون** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وكن من الشاكرين** ﴾ [٤] .

نا يونس عن مالك بن مغوَل عن طَلْحة بن أبى صالح قال : بينا رسول الله ﷺ فى مسير له إذ نفدت أزوادهم حتى هم رسول الله ﷺ أن ينحر بعض حمائلهم ، فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله لو أمرت ما بقى من أزودة القوم فجمعته ، فدعوت الله فيه بالبركة ، فجاء صاحب التمر بتمره وصاحب البُرِّ ببُرِّه [٥] قال : وقال مجاهد وذو النوى بنواه ، فقلت : وما كانوا يصنعون بالنوى ؟ قال : كانوا يمضغونه ويشربون عليه الماء - فدعا الله تعالى فيه بالبركة ، فملأ القوم

---

(١) أى استقينا عليه كان يحمل لهم الماء ·

(٢) طرق مكة بين جبالها ·

(٣) أى شق ·

(٤) سورة الزمر : الآيات ٦٤ - ٦٦ ·

(٥) البُرُّ : حب القمح ·

أزودتهم ، ثم قال عند ذلك أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، من آمن بالله غير شاك فيهما لم يحجب عن الجنة .

نا يونس عن القاسم بن الفضل قال : حدثنى أبو نضْرة العبدى عن أبى سعيد الخُدْرى أنه حدثهم قال : بينما راع يرعى فى الحـــرة [١] إذ عرض ذئب لشاة من غنمه ، فحال بين الذئب وبينها ، فأقعى الذئـــب على ذنبه فقال للراعى : أما تتقى الله ، تحول بينى وبين رزق ساقه الله إلىَّ ، قال الراعى : عجبًا من ذئب مقعى على ذنبه يكلمنى كلام الآدميين ! فقال له الذئب : ألا أحدثك بأعجب منى ، رسول الله ﷺ يحدث الناس بأنباء ما قد سبق فساق الراعى شياهه حتى أتى المدينة فزواها [٢] إلى زاوية من زواياها ، ثم دخل على رسول الله ﷺ فحدثه بما قال الذئب فخرج رسول الله ﷺ إلى الناس فقال للراعى حدثهم ، فأخبرهم بما قال الذئب فقال رسول الله ﷺ : صدق الراعى ، والذى نفسى بيده ، إنها من أشراط الساعة كلام السِّباع الإنس ، ولا تقوم الساعة حتى تكلم السِّباع الإنس ، ويكلمه شِراكُ نَعْله ، ويحدثه سوطه ، ويخبره فخذه ما أحدث أهله بعده [٣] .

نا يونس عن عبد الحميد بن بَهْرام الفَزارى قال : حدثنى شهر بن حوْشب عن أبى سعيد أنه قال : بينا [٤] رجل من أسلم فى غنيـــمة له يهش عليها ببيداء ذى الحليفة [٥] إذ عدا عليه الذئب فانتزع شاة من غنمه ، فجهجاه (زجره) الرجل ، ورماه حتى استنقذ منه شاته ، ثم أقبل الذئب حتى أقعى مستقرًا بذنبه مقابل الرجل فقال : أما اتقيت الله ، حلت بينى وبين شاة رزقنيها الله ، فقال الرجل : تالله ما سمعت كاليوم قط ، فقال الذئب : ممَّ تعجب ؟ قال أعجب من مخاطبتك إياى ! فقال الذئب أعجب من ذلك رسول الله ﷺ بين الحرتين ، فى النخلات يحـــدث الناس ما خلا [٦] ، ويحدثهم بما هو آت ، وأنت ها هنا مع غنمك ، فلما سمع

---

(١) الحرة : أرض كلها حجارة شديدة الحرارة وهى فى أطراف المدينة .

(٢) جمعها وجعلها فى ناحية .

(٣) وذلك إذا سافر وبْعد عن أهله .

(٤) بمعنى بينما .

(٥) بلدة بينها وبين المدينة حوالى سبعة أميال .

(٦) أى ما مضى .

الرجل قول الذئب ساق غنمه يحوزها حتى إذا أدخلها قُباء (١) ، قرية الأنصـار ، فسأل عن رسـول الله ﷺ ، فصادفه فى بيت أبى أيوب ، فأخبره بخبر الذئب ، فقال رسول الله ﷺ : صدقت ، احضر العشية فإذا رأيت الناس قد اجتمعوا فأخبرهم ذلك ففعل ، فلما صلى رسول الله ﷺ الظهر واجتمع الناس أخبرهم الأسلمى خبر الذئب ، فقال رسول الله ﷺ : صدق ، صدق ، صدق ، تلك الأعاجيب بين يدى الساعة ، فرددها ثلاثاً ، أما والذى نفس محمد بيده ليوشك الرجل أن يغيب عن أهله الروحة أو الغدوة ثم يخبره سوطه أو عصـاه أو نعله بما أحـدث أهله من بعده (٢) .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسـحاق قال : حدثنى عبد الرحمن الأعرج عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال - وحدث عن رجل ركب بقرة فاسـتحثها يضربها فقالت : يا عبد الله إنـى لم أخلق لهذا ، قال القوم : سـبحان الله ، فقال رسول الله ﷺ : عجبتم لذلك ؟ قالوا نعم يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ : فأنا أومـن به ، وأبو بكر ، وعمر وما هما ثَمَّ (هناك) .

ثم قال رسول الله ﷺ : إن ذئباً عدا على غنم رجل فأخذ منها شاة ، فطلبها الرجل حتى نزعها منه ، فقال الذئب : هذا أنت منعتها اليوم منى فمن الذى يمنعها يوم السَّبُع إذ ليس فيها راعى غيرى ؟! فسبح القوم ، فقال رسول الله ﷺ : أتعجبون من هذا ؟ قالوا : نعم ، قال : فإنى أومن به أنا وأبو بكـر وعمر وما هما ثم .

نا يونس عن يحيى بن أبى أنيسة عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : بينما راعى فى غنمه ، فعدا الذئب فأخذ شاة من غنمه فطلبها الراعى حتى استنقذها منه ، فالتفت إليه الذئب فقال له : من لها يوم السَّبُع ، يوم ليس راع ؟ فقال القوم سبحان الله ؟ ! فقال رسول الله ﷺ : إنى أؤمن بذلك أنا وأبو بكر وعمر .

(١) قرية قرب المدينة بنى بها أول مسجد فى الإسلام .

(٢) انظر فى ذلك كتاب دلائل النبوة لأبى نعيم ، وكتاب دلائل النبوة للماوردى ، وكتاب الشمائل المحمدية للترمذى تحقيق طه عبد الرءوف سعد وبدوى طه بدوى .

نا يونس عن ابن أبى أُنَيسة عن أبى عن الزُّهْرى عن سعيد بن المُسيَّب وأبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : بينا رجل يسوق بقرة لنفسه قد حمل عليها ، فالتفتت إليه البقرة فقالت : إنى لم أخلق لهذا ولكن خُلقت للحرث ! فقال الناس : سبحان الله ! فقال رسول الله ﷺ : فإني أومن به أنا وأبو بكر وعمر ٠

نا يونس عن السَّرى بن إسماعيل عن الشعبى قال : كان رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره فنزل فأتى بأداوة من ماء [1] ، فقيل له : يا رسول الله ما معنا ماء غيرها ، فسكبها فى ركوة [2] ، ثم وضع أصبعه فى وسط الركوة ، غمسها فى الماء فجعل يجىء الناس فيتوضئون ، حتى صدروا ، فأبصر رسول الله ﷺ عقب [3] بعضهم لم يصبه الماء ، فقال : اللهم اغفر لأعقابهم ٠

نا يونس عن مالك بن مغول عن طَلْحة عن أبى صالح أن رسول الله ﷺ قال متى ألقى إخوانى [4] ؟ فقيل : يا رسول الله ألسنا إخوانك ؟ فقال : أنتم أصحابى وإخوانى قوم من أمتى لم يرونى يؤمنون بى ويصدقوننى ، فقال رسول الله ﷺ : أى الخلق أعجب إيماناً ؟ قالوا : ملائكة الله ، فقال رسول الله ﷺ : وما لهم ألا يؤمنوا وهم عند ربهم ! قالوا : فالنبيون ، قال : وما لهم لا يؤمنون وهم موحى إليهم ! قالوا : فأصحاب النبيين ، فقال رسول الله ﷺ : وما لهم لا يؤمنون وأنبياء الله عز وجل فيهم ! لكنَّ قومًا من أمتى لم يدركونى يؤمنون بكتاب من ربهم فيؤمنون به ويصدقونه ٠

نا يونس عن الأعمش عن عمارة بن عُمير عن عبد الرحمن بن يزيد قال : تذكروا فضل أصحاب النبى ﷺ فقال عبد الله [5] : ما كان أبيه فضَّله لمن رآه ، والذى لا إله غيره ما آمن مؤمن قط أفضل إيمانا من مؤمن بغيب ، ثم تلا عبد الله : **﴿ الم * ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾** حتى بلغ **﴿ أولئك هم المفلحون ﴾** [6] ٠

---

(١) إناء فيه ماء ٠ (٢) إناء صغير من جلد أو دلو صغيرة ٠

(٣) أى عظم مؤخر القدم ٠ انظر المعجم الوجيز ٤٢٦ ٠

(٤) فى رواية أخرى « أحبابى » ٠

(٥) أى ابن عمر بن الخطاب ٠

(٦) سورة البقرة : الآيات ١ – ٥ ٠

نا يونس عن إسماعيل بن عبد الملك عن عطاء أن رسول الله ﷺ قال يوماً لأصحابه وهم مجتمعون حوله : عجب وليس بالعجيب أن رجلاً منكم بعث إليكم فآمن به من آمن منكم ، وصدقه من صدقه منكم ، فهذا عجب وليس بالعجيب ، وعجب وهو العجب العجيب لقوم يؤمنون بى ولم يرونى .

نا يونس عن إسماعيل قال : حدثنى يزيد بن أبى حبيب عن مزيد بن عبد الله عن أبى عبد الرحمن الجهنى قال : بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ أقبل راكبان من أهل اليمن ، فلما رآهما رسول الله ﷺ قال : كنديان ، مذحجيان ، أتيا رسول الله ﷺ ليبايعاه ، فقال أحدهما حين أخذ بيده ليبايعه : يا رسول الله أرأيت من أدركك فآمن بك وصدقك وشـــهد أن ما جئت به هو الحق ماذا له ؟ قال : طوبى له [1] فماسحه ثم انصرف ، وأقبل الآخر فقال : يا رسول الله أرأيت من لم يرك وصدقك وشهد أن ما جئت به هو الحق ماذا له ؟ قال : فقال رسول الله ﷺ : طوبى له فماسحه ثم انصرف .

نا يونس عن فائد بن عبد الرحمن العـــبدى قال : نا عبد الله بن أوفى أن رسول الله ﷺ قال : إنى لمشتاق إلى إخـــوانى ، فقال عمر : يا رسول الله ألسنا إخوانك ؟ فقال : لا أنتم أصحابى ؛ إخوانى قوم آمنوا بى ولم يرونى ، فجاء أبو بكر فأخبره عمر بالذى قال له رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : يا أبا بكر ألا تحب قوماً بلغهم أنك تحبنى فأحبوك ، فأحبهم أحبهم الله [2] .

* * *

(١) أى هنيئا له .

(٢) وهذه بشارة من رسول الله ﷺ لكل من آمن به ولم يره .

ر
ش
إل
ما
أو
فو

إسلامُ أُمِّ شريك الدوسية

نا يونس عن عبد الأعلى بن المُساور القرشي عن محمد بن عمرو عن عطاء عن أبى هريرة قال : كانت امرأة من دوس [(١)] يقال لها أم شريك أسلمت فى رمضان فأقبلت تطلب من يصحبها إلى رسول الله ﷺ ، فلقيت رجلاً من اليهود فقال : ما لك يا أم شريك ؟ قالت : أطلب رجلاً يصحبنى إلى رسول الله ﷺ ، قال : فتعالى أنا أصحبك ، قالت : فانتظرنى حتى املأ سقائى [(٢)] ماء ، قال : معى ما تريدين من ماء فانطلقت معهم فساروا يومهم حتى أمسوا فنزل اليهودى ووضع سفرته فتعشى وقال : يا أم شريك تعالى إلى العشاء ، فقالت اسقنى من الماء فإنى عطشى ولا أستطيع أن آكل حتى أشرب، فقال: لا أسقيك حتى تهوّدى [(٣)] ، قالت : لا جزاك الله خيراً غررتنى ومنعتنى أحمل ماء ، قال : لا والله لا أسقيك منه قطرة حتى تهوّدين ، فقالت : لا والله لا أتهود أبدًا بعد إذ هدانى الله للإسلام ، فأقبلت إلى بعيرها فعقلته ووضعت رأسها على ركبته فنامت ، قالت فما أيقظنى إلا برد دلو قد وضع على جبينى،فرفعت رأسى إلى دلو أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل ، فشربت حتى رويت ، ثم نضحت على سقائى حتى ابتل ، ثم ملأته ثم رفع بين يدى وأنا أنظر حتى توارى عنى فى السماء ، فلما أصبحت جاء اليهودى فقال : يا أم شريك ، فقلت : قد والله سقانى الله ، قال : من أين أنزل عليك من السماء ؟ قلت : نعم والله قد أنزل الله علّى من السماء ، ثم رفع بين يدى حتى توارى عنى فى السماء ؛ ثم أقبلت حتى دخلت على رسول الله ﷺ فقصت عليه القصة ، فخطب إليها رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله لست أرضى بنفسى لك ، ولكن بضعى لك فزوجنى من شئت ، فزوجها زيداً ، وأمر لها بثلاثين صاعاً ، وقال : كلوا ولا تكيلوا ، وكان معها عكة [(٤)] سمن هدية لرسول الله ﷺ ، فقالت لجارية لها أبلغى هذه العكة رسول الله ﷺ ، وقولى : أم شريك تقرئك السلام وتقول : هذه عكة سمن أهديناها لك ، فانطلقت بها ، فأخذوها يفرغونها ، وقال لها

---

(١) قبيلة أبى هريرة رضي الله عنه .　(٢) أى القربة .

(٣) أى تتركين الإسلام وتدخلين فى الديانة اليهودية .　(٤) صرة فيها سمن .

رسول الله ﷺ : علقوها ولا توكوها (١) ، فعلقوها فى مكانها ، فدخلت أم شريك فنظرت إليها مملوءة سمنًا فقالت : يا فلانة أليس أمرتك أن تنطلقى بهذه العكة إلى رسول الله ﷺ ؟ فقالت : قد والله انطلقت بها كما قلت ثم أقبلت بها أصوبها ما يقطر منها شىء ، ولكنه قال : علقوها ولا توكوها ، فعلقتها فى مكانها ، وقد أوكتها أم شريك حين رأتها مملوءة ، فأكلوا منها حتى فنيت (٢) ، ثم كالوا الشعير فوجدوه ثلاثين صاعاً لم ينقص منه شىء .

* * *

(١) أى لا تربطوا فمها .

(٢) أى نفدت ولم يبق منها شىء .

إسلام أبى هريرة من دَوْس [1]

نا يونس عن أبى خلدة خالد بن دينار عن أبى العالية قال : لما أسلم أبو هريرة قال رسول الله ﷺ : ممن أنت ؟ فقال : من دوس ، فوضع رسول الله ﷺ يده على جبينه ثم نفضها ، فقال : ما كنت أرى من دوس أحدًا فيه خير .

نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى بعض أصحابى عن أبى هريرة قال : كان اسمى فى الجاهلية عبد شمس بن صخر ، فتسميت فى الإسلام عبد الرحمن ، وإنما كنانى [2] بأبى هريرة أنى كنت أرعى غنما له فوجدت أولاد هرة وحشية فجعلتها فى كمى فلما أرحت عليه غنمه سمع أصواتهن فى صفنى [3] ، فقال : ما هذا يا عبد شمس ؟ فقلت : أولاد هرة وجدتها ، قال : فأنت أبو هريرة فلزمتنى بعدُ .

نا يونس قال : قال ابن إسحاق : وكان وسيطاً فى دوس حيث يحب أن يكون منهم .

نا يونس عن عبد الرحمن بن عبد الله عن هزان بن سعيد قال : أتيت بيت المقدس فلقيت بها على بن عبد الله بن العباس فسلمت عليه ، فقال لى : من أنت ؟ قلت : رجل من أهل الرها ، قال : مرحباً برجل من قوم أوصى بهم رسول الله ﷺ ، ثم قال : قال رسول الله ﷺ : أوصيكم بالرهاويين والدوسيين والداريين خيراً . فزعم عبد الرحمن أن هذه أسماء من قبائل العرب .

* * *

---

(١) هو من أكثر الصحابة رواية للحديث ، ويلقب بأمير المؤمنين فى الحديث ، وجزم فريق من العلماء بأنه روى كل أحاديث الرسول ﷺ الصحيحة ، وبعض العلماء يرى أنه روى جُلّها أى أكثرها .

(٢) أى رسول الله ﷺ .

(٣) ما يضع فيها متاعه .

إسلامُ عَدِىٍّ بن حاتم

نا يونس عن عبد الأعلى بن أبى المساور القرشى عن عامر الشعبى عن عَدِى ابن حاتم قال : بُعث رسول الله ﷺ بالنبوة وما أعلم أحدًا من العرب كان أشد بغضًا ولا كراهية له منى حتى لحقت بالروم ، فلما بلغنى ما يدعو إليه من الأخلاق الحسنة وما قد اجتمع له من الناس ارتحلت حتى أتيته ، فوقفت عليه وعنده صهيب وسلمان وبلال ، فرفع رسول الله ﷺ رأسه فنظر إلىَّ فقال : يا عدى بن حاتم أسلم تسلم ، فقلت أخ أخ فأنخت ، ثم جئت حتى ألصقت ركبتى بركبته فضرب على فخذى وقال يا عدى بن حاتم أسلم تسلم ، فقلت : وما الإسلام ؟ قال : تشهد ألا إله إلا الله وأنى رسول الله وتؤمن بالأقدار كلها خيرها وشرها ، حلوها ومرها يا عدى بن حاتم لا تقوم الساعة (١) حتى تفتح خزائن قيصر وكسرى يا عدى بن حاتم : لا تقوم الساعة حتى تأتى الظعينة (٢) من الحيرة - ولم يكن يومئذ كوفة - فتطوف بهذه الكعبة بغير جوار ، يا عدى بن حاتم لا تقوم الساعة حتى يحمل الرجل جراب المال فيطوف به ، ولا يجد أحداً يقربه فيضرب به الأرض فيقول : ليتك لم تكن لى ، ليتك كنت تراباً (٣) .

نا يونس عن سعيد بن عبد الرحمن عن محمد بن سيرين عن أبى عُبَيدة بن حُذَيفة بن اليمان ، ولم أر سنه تزيد عليه ، وكان يوم رأيته ابن أربعين سنة ، عن رجل كان يسمى السمير أنه دخل على عدى بن حاتم فقال : إنه بلغنى عنك حديث

(١) أى من علامات الساعة الصغرى ، وقد حدثت هذه العلامات ، وهى من أعلام النبوة التى أخبر بها ﷺ قبل وقوعها .

(٢) الظعينة : المرأة على الدابة التى يُرتحل عليها .

(٣) حدث هذا فى خلافة الخليفة عمر بن عبد العزيز ، وحدث أن امتلأ بيت المال وفاض بالأموال والقمح والشعير وغيرها ونادى سيدنا عمر فى الناس من عليه حاجة فقضاء حاجته من بيت المال فجاء الناس وأخذ كل محتاج وبقى المال كما هو ، فنادى ثانية من كان عليه دين فقضاء دينه من بيت مال المسلمين فجاء الناس وقضى الدين وبقى المال كما هو ، فنادى عمر ثالثة أيما شاب يريد الزواج ولا يقدر فزواجه من بيت مال المسلمين فجاء الشباب وأخذ كل حاجته وبقى المال كما هو .

أحببت أن أكون أنا أسمعه منك " فقال : بُعث رسول الله ﷺ ، وكنت أشد الناس له كراهية ، أو من أشد الناس ، فلحقت بأقصى أرض العرب من قبل الروم ، وكرهت مكانى أشد من كراهتى الأمر الأول ، فقلت ، لآتين هذا الرجل فلئن كان صادقاً لا يخفى على ، ولئن كان كاذبًا لا يخفى على أو لا يضرنى شك محمد ، فقدمت المدينة فاستشرفنى الناس ، فقالوا : عدى بن حاتم ، فأتيت رسول الله ﷺ فقال : يا عدى بن حاتم أسلم تسلم ، فقلت : إن لى ديناً ، فقال أنا أعلم بدينك منك ، فقلت : ما يجعلك أعلم بدينى منى ؟ قال : ألســت ترأس قومك ألست تأخذ المرباع [١] ؟ فقلت : بلى ، قال : فإن ذلك لا يحــل لك فى دينك ، فكان ذلك وهنًا [٢] فى نفسى ، فقال : يمنعك أن تسلم خصاصة من ترى ، وإنك ترى الناس ألبوا علينا مأخذًا - أو يدًا واحدة ، شك محمد - فقلت : أجل فقال : هل أتيت الحيرة ؟ فقلت : لا ، وقد علت مكانها ، فقال : توشك الظعينة أن تخرج من الحيرة حتى تطوف بالبيت بغير جوار[٣] ،وتوشك أن تفتح كنوز كسرى بن هرمز [٤] ، فقلت : كنوز كسرى بن هرمز ؟! فقال : كنوز كسرى بن هرمز ، مرتين ، ويوشك أن يخرج الرجل الصدقة من ماله فلا يجد من يقبلها ، قال : فقد رأيت الظعينة تخرج من الحيرة حتى تطوف بالبيت بغير جوار وقد كنت فى أول جيش أغار على المدائن ، وايم الله [٥] لتكونن الثالثة ، إنه لقول رسول الله ﷺ .

نا يونس عن إبراهيم بن عبد الرحمن الشيبانى عن محمد بن سيرين عن عدى ابن حاتم قال : أخبرنا رسول الله ﷺ أنه قال : لا تقوم الساعة حتى يفتح القصر الأبيض الذى بالمدائن [٦] ، ولا تقوم الساعة حتى تسير الظعينة من الحجاز إلى العراق

---

(١) أى ربع الغنائم ، وذلك لأنه كان سيد قومه وكان يأخذ منهم ربع ما غنموه .

(٢) أى ضعفا .

(٣) وهذا من أعلام النبوة التى أخبر بها النبى ﷺ قبل وقوعها وحدثت فيما بعد فى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٤) حدث ذلك أيضًا فى خلافة عمر بن الخطاب .

(٥) لفظ من ألفاظ القسم واليمين ، أى أقسم بالله .

(٦) أى ببلاد فارس .

آمنة لا تخاف شيئاً ، فقد رأيتهما جميعاً ، ولا تقوم الساعة حتى يكون على الناس إمام يحثى المال حثياً .

نا يونس عن عَنْبَسة بن الأزهر عن سعيد بن مَسْروق قال : كلم عدى بن حاتم عمر فى شىء ، فقال له عدى : يا أمير المؤمنين ألا تعرفنى ؟ قال عمر بلى آمنت إذ كفروا ، وصدقت إذ كذَّبوا ، فأُعطيت إذ مُنعوا .

نا يونس عن قُرَّة بن خالد : نا يزيد بن عبد الله بن الشِّخِّير قال : بينا نحن بهذا المربد إذ أتى علينا أعرابى شعث الرأس معه قطعة أديم [1] ، أو قطعة جراب فقلنا : كأن هذا ليس على أهل البلد ، فقال أجل هذا كتاب كتبه إليَّ رسول الله ﷺ ، فقال القوم : هات ، فأخذته فقرأته فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم .

هذا كتاب من محمد النبى رسول الله ﷺ لبنى زُهَير بن أقيش - قال أبو العلاء : وهم حى من عكل - إنكم إن شهدتم ألا إله إلا الله ، وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة ، وفارقتم المشركين ، وأعطيتم من الغنائم الخمس وسهم النبى ﷺ ، والصفى - وربما قال : وصفيه - فأنتم آمنون بأمان الله وأمان رسوله ﷺ .

فقال القوم : هات أصلحك الله حديثا ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول ؟ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : صوم شهر الصبر [2] وثلاثة أيام من كل شهر يذهب من وحر [3] الصدر ، فقال القوم : أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ يقول ؟ فقال : لا أراكم تخافون أن أكون أكذب على رسول الله ﷺ ، لا والله لا أحدثكم حديثاً اليوم ، ثم أهوى إلى [4] الصحيفة فانتزعها ، ثم انصاع مدبراً .

نا يونس عن يونس بن عمرو عن أبيه عن أبى تميمة الهجيمى قال : أتى رسولَ الله ﷺ أعرابىٌّ فقال : يا محمد إلى ما تدعو ؟ قال : أدعوك إلى من

---

(١) أى قطعة جلد .

(٢) أى شهر رمضان المعظم ، ففى الحديث « وهو شهر الصبر ، والصبر ليس له ثواب إلاَّ الجنة » .

(٣) أى حقد وغيظ .

(٤) أى انكب على واندفع إلى .

أصابك ضر فدعوته كشف عنك ضرك ، وإلى من إن كنت بفلاة من الأرض فأضللت راحلتك فدعوته رد عليك ، وإلى من إن أصابتك سَنَة (١) فأجدبت أنبت لك ، فقال الأعرابى : ما أحسن هذا ، أوصنى ، فقال رسول الله ﷺ : أوصيك ألا تغتبط الناس ، ولا تزهد فى المعروف ، وألق أخاك حين تلقاه ووجهك منبسط إليه وإن لم يكن لك إلا دلو واحد فسألك أن تفرغ له من دلوك فأفرغ منه ، وإياك وإسبال الإزار (٢) فإنه من المخيلة (٣) ، وإن الله عز وجل لا يحب المخيلة (٤) .

نا يونس عن يوسف بن ميمون عن الحسن قال : جاء رجل من أشراف أهل البوادى إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد إلى ما تدعو ؟ قال : أدعوك إلى من إن أَسْنَتّ (٥) ثم دعوته أنبت لك ، وإن أضللت ثم دعوته رد عليك ، وإن أصابك كرب أو هم أو غم ثم دعوته كشف عنك ، ثم أسلم ، ثم مكث ما شاء الله أن يمكث ثم قال : يا رسول الله إنى أريد الرجوع إلى أهلى فأوصنى ، فقال رسول الله ﷺ : أوصيك بتقوى الله وأن تَصدَّق (٦) ، فقال : من أى شيء أتصدق ، فقال : من إبلك ، فقال : وكلنا له إبل ؟ قال : فمن غنمك ، فقال : وكلنا له غنم ؟ قال : فمن مالك ، فقال : وكلنا له مال ؟ فقال رسول الله ﷺ : يا هذا تكف (٧) لسانك عن الناس فإنها صدقة عليك حسنة .

* * *

---

(١) أى قحط وجدب .

(٢) أى إرخائه وتطويله .

(٣) الكبر .

(٤) وهذه وصايا نبوية عظيمة .

(٥) أي أصابتك سنة وهو قحط وجدب .

(٦) أى تتصدق .

(٧) أى تمنع ، والمعنى تمنع أذاك عن الناس ، وورد عنه ﷺ أنه قال : « الكلمة الطيبة صدقة » .

إسلام جرير بن عبد الله [١]

نا يونس عن داود بن زيد عن عامر الشَّعبى عن جرير بن عبد الله أنه حدثه قال : أتيتُ رسول الله ﷺ أبايعه [٢] فقال رسول الله ﷺ : أرنى يدك يا جرير ، فقلت : على مه ؟ [٣] فقال على أن تسلم لله ، والنصيحة لكل مسلم ، فأدركها جرير ، وكان رجلاً فطنًا [٤] ، فقال : يا رسول الله فيما أطقت [٥] ، فكانت له وللناس بعدُ ، قال جرير : وسمعت رسول الله ﷺ يقول : بُنى الإسلام على خمس : شهادة ألا إله إلا الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان .

نا يونس عن قيس بن الربيع عن سماك بن حرب وعبد الله بن عمر بن جابر ابن سَمُرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لتَفتتحن أرض كسرى عصابة من المسلمين [٦] .

نا يونس عن قيس بن الربيع عن جبلة بن سُحيم عن موثو بن غفارة العبدى قال : نزلت بابن الخصاصية [٧] فى ركب من عبد القيس فقال : بايعنى رسول الله ﷺ على الصلوات الخمس ، وصيام رمضان ، وحج البيت ، والزكاة طيبة بها نفسك ، والجهاد فى سبيل الله ، فقلت : يا رسول الله كل هذا لا أستطيع ، أما الزكاة فليس لى إلا مال أعيش فيه ، وأهلى يعتملون عليه وأما الجهاد فإنى أخاف أن تخشع نفسى فأفر فأبوء بغضب من الله ، فكف يده عنى فقال : لا جهاد ولا صدقة ، فبم تدخل الجنة ؟ فقلت يا رسول الله مد يدك فأبايعك عليهن كلهن فبسط يده فبايعه .

---

(١) من صحابة الرسول ﷺ وروى عنه بعض الأحاديث .

(٢) أى أبايعه على الإسلام .

(٣) أى على ماذا ؟

(٤) ذكيًّا .

(٥) أى بقدر طاقتى واستطاعتى .

(٦) هذا من أعلام النبوة وقد حدث فى خلافة عمر بن الخطاب .

(٧) اسمه بشير بن الخصاصية .

نا يونس عن يحيى بن أبى حيَّة الكَلبى عن زاذان عن جرير بن عبد الله قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ على إبل آكلة نواء فلما بلغنا (١) إلى الصحراء طلع راكب يوضع نحونا ، فقال رسول الله ﷺ إياكم يريد هذا ، فلما دنا (٢) قال رسول الله ﷺ : من أين أقبلت ؟ قال : من مالى وولدى وعشيرتى ، فقال : أين تريد ؟ قال : أردت رسول الله ﷺ ، فقال له : قد أصبت ، فقال له : يا رسول الله علمنى الإسلام ، فلما رأينا رسول الله ﷺ قد أقبل عليه حففنا ببعيره ، فقال له : تشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، قال : أقررت ، قال : وتصلى الصلوات المكتوبة ، قال : أقررت ، قال : وتـــؤدى الزكاة المفروضة ، قال : أقررت ، قال : وتحج البيت ، قال : أقررت ، قال : وتصوم رمضان ، قال : أقررت ، فقال رســـول الله ﷺ : هذا الإسلام ، فسار مع رسول الله ﷺ فوقعت رجل بعيره فى شبكة جرذان (٣) فعثر ، فوقع الرجل على رأســـه ، فقال رسول الله ﷺ أخاكم ، فوثب إليه حذيفة وعمار فأسنداه فقالا : يا رسول الله قد مضى الرجل (٤) فأعرض عنه ما شاء الله ، ثم أقبل بوجهه فقال : ألم ترونى حين أعرضت فإنى رأيت ملكين يحشوان فى فيه (٥) من ثمار الجنة ، فعرفت أن الرجل كان جائعاً ، فقال رسول الله ﷺ : عمل قليلاً وأجـــر كثـــيراً ، هذا والله من **﴿ الذين آمنوا ولم يُلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾** (٦) احملوا أخاكم فاحتملناه فلما انتهينا به إلى الماء قال رسول الله ﷺ : اغســـلوه وكفنوه وحنِّطوه ، ففعلنا ، ثم صلى عليه ، ثم جلس رســـول الله ﷺ على شفير القبر فقال : ألحدوا له فإن اللحـــد لنا والشق لغيرنا (٧) .

نا يونس عن عبد الرحمن بن أمين الكنانى قال : حدثنى محمد بن على بن

---

(١) وصلنا .

(٢) اقترب .

(٣) أى شبكة فئران كبيرة .

(٤) أى قد مات .

(٥) أى فمه .

(٦) سورة الأنعام : الآية ٨٢ .

(٧) أى لغير المسلمين .

الحسين بن على بن أبى طالب ؛ وحدثنى الزهرى ، قالا : جاء أعـــرابى إلى رسول الله ﷺ فقال : إن قومى أسلموا فزادهم الإسلام فقراً ، فالتفت رسول الله ﷺ إلى رجل كان دفع إليه نفقة فقال : قد أنفقت ما كان معى ، فقال يهودى خلف رسول الله ﷺ : هذا رجل يعطيك ورقاً (١) ، يسلفك (٢) فى تمر حائط (٣) كذا وكذا ، فقال رسول الله ﷺ : لا نسمى لك حائطاً ولكن تسلفنا فى تمر مسمى فى كيل معلوم إلى أجل معلوم ، فبايعه اليهودى ، ثم حل ورقاً معه فقال رســول الله ﷺ : ادفعــها إلى الأعرابى الحق فأغث بها قومــك ، فخرج رسول الله ﷺ فى جنازة ، فلما وضــع الميت فى قبره وحثوا عليه (٤) ، قام اليهودى فقال : يا محمد ألا تقضينَّ تمــرى ، فوالله ما أعلمــكم يا بنى عبد المطلب إلا تمطلون (٥) الناس بحقوقهم ، فقال عمــر بن الخــطاب ﷺ : والله لولا مجلسه لوجأت أنفك (٦) ، وقال الزهرى : لوجأت خطمك (٧) ، فقال رسول الله ﷺ : يا عمر أنت إلى غير هذا أحوج أن تأمره فيحسن طلبى ، وتأمرنى فأحسن قضاءه ، انطلق معه إلى حائط كذا وكذا ، وهو الذى كان أراد من رسول الله ﷺ فأبى أن يسميه له ، فأدخله فقل لفلان يكشــف له عن الطعام ليريه إياه ، فإن رضيه فمره فليوفه ماله ، وكِل (٨) له كذا وكذا صاعاً بشتمك إياه ، فانطلق به عمر ، فأراه فرضى فكال له ما أمره به رسول الله ﷺ ، فقال اليهودى لعمر : إنه لم يكن بقى شيء مما وجدنا فى كتابنا مما وصف لنا موسى عليه السلام إلا قد رأيناه فى محمد ﷺ ، إلا الحلم فقد رأيناه الآن منه فأنا أشهدك أنى أشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، وأشهد أن نصف ما أملك صدقة على من آمن بمحمد ﷺ ، فقال له عمر : إنه قد حقت على نصيحتك ، لا يسعهم كلهم ولكن اجعله لمن مع

(١) الورِق : الفضة ، ويقصد هنا الدراهم .

(٢) أى يقرضك .

(٣) الحائط البستان أو الحديقة المسورة .

(٤) أى وضعوا عليه التراب .

(٥) أي تماطلون فى أداء الدين .

(٦) أى لقطعت أنفك .

(٧) خطمك أى مقدمة أنفك .

(٨) من الكيل .

رسول الله ﷺ ، ففعل ، ثم إن هذا اليهودى مات فخرج رسول الله ﷺ فحمل سريره [(١)] على عاتقه الإيمن وحمل علىٌّ أيضًا سريره على عاتقه الأيسر .

نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى قال كان عبد الله بن مُزينة ذو البجادين بينما هو فى حجر عمه ، وكان يعطيه ، وكان محسناً إليه ، فبلغ عمه أنه قد تابع دين محمد ﷺ ، فقال له : لئن فعلت وتبعت محمداً لأنزعن [(٢)] منك كل شىء أعطيتك ، فقال : إنى مسلم فنزع منه كل شىء أعطاه حتى جرده من ثوبه ، فأتى أمه فقطعت له بجاداً [(٣)] لها باثنين ، فائتزر نصفًا وارتدى نصفًا [(٤)] ، ثم أصبح فصلى مع رسول الله ﷺ الصبح ، فلما صلى رسول الله ﷺ تصفح الناس ينظر من أتاه ، وكذلك كان يفعل ، فرآه رسول الله ﷺ فقال : من أنت ؟ قال : أنا عبد العزى ، فقال : بل أنت عبد الله ذو البجادين . فالزم بابى ، فكان يلزم باب رسول الله ﷺ ، وكان يرفع صوته بالقرآن والنحيب [(٥)] والتسبيح ، فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله أُمُرَائِى هو ؟ قال : دعه عنك فإنه أحد الأواهين [(٦)] .

* * *

(١) أى نعشه الذى حمل عليه .

(٢) أى لأحرمنك .

(٣) أى كساء سميكًا .

(٤) أى لبس واحدة من أسفل والثانية من أعلى .

(٥) أى البكاء تأثراً بكلامِ الله .

(٦) أى من كثيرى التأوه وهو البكاء من خشية الله وقد وصف الله نبيه إبراهيم عليه السلام ﴿ إن إبراهيم لأواه ﴾ .

حديث الإسراء برسول الله ﷺ إلى بيت المقدس(١)

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فدعا رسول الله ﷺ قومًا إلى الإسلام وكلمهم وأبلغ إليهم فيما بلغني ، قال زمعة : لو جعل معك ملك يحدث معك الناس ويرى معك ، قوله تعالى : ﴿ لولا أُنزل عليه ملك ﴾ ، قال : ثم إن رسول الله ﷺ أُسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وهو بيت المقدس من إيلياء ، وقد فشى (٢) الإسلام بمكة وفشى فى القبائل كلها ، وكان مسراه (٣) ، وما ذكر منه ، بلاء وتمحيص وأمر من الله عز وجل فى قدرته وسلطانه عبرة لأولى الألباب ، وهدى ورحمة وبيان ، لمن آمن وصدق ، وكان من أمر الله على يقين ، فأسرى به كيف شاء وكما شاء ، ليريه من آياته ما أراد ، حتى عاين ما عاين من أمر الله عز وجل وسلطانه العظيم ،وقدرته التى صنع بها ما يريد،حتى ذكر من يصدقه .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى بعض آل أبى بكر عن عائشة أنها كانت تقول : ما فقد جسد رسول الله ﷺ ولكن الله عز وجل أسرى بروحه (٤) ، ثم وصف لأصحابه إبراهيم وعيسى والأنبياء وما أتى به من الماء والخمر واللبن وشربه من آنية جبريل وعيسى ابن مريم عليهما السلام ، وقال : أُريت الجنة والنار وأُريت فى السماء كذا وكذا ، وقال : وفُرِضت علىَّ الصلاة .

نا يونس عن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع الأنصارى قال : حدثنى

---

(١) كان ذلك بعد وفاة زوجه خديجة وعمه أبى طالب وقبل الهجرة للمدينة وبعد رحلته ﷺ للطائف لدعوة أهلها وما فعلوه به ، وأراد الله تعالى من هذه الرحلة أن يطمئن رسوله إلى أن عناية السماء معه وإذا كان أهل الأرض تخلوا عنه فإن رب الأرض والسماء معه وناصره .

(٢) أى انتشر واشتهر .

(٣) أى إسرائه ﷺ .

(٤) والصواب أنه أسرى به ﷺ بروحه وجسده كما ثبت فى الروايات الصحيحة المتواترة وكما أجمع عليه أكثر العلماء .

ابن شهاب الزهرى قال : أخبرنى سعيد بن المسيَّب أن رسول الله ﷺ قال : لقيت إبراهيم وموسى وعيسى عند بيت المقدس ، فإذا عيسى رجل أحمر كأنما خرج من ديماس (١) ، وإذا موسى رجل شحب ضرب (٢) كأنه من رجال شَنُوءَة (٣) ، وأنا أشبه ولد إبراهيم به ، فأُتيت بقدحين ، قدح لبن وقدح نبيذ (٤) ، فاخترت قدح اللبن فقال جبريل عليه السلام : هديت للفطرة ، لو أخذت قدح النبيذ لغوت أمتك ، وحانت الصلاة فأممتهم .

قال ابن شهاب : قال عبد الله بن عمر : ما قال رسول الله ﷺ لعيسى ابن مريم أحمر كأنما خرج من ديماس ولكنه قال : أرانى أطاف بالبيت فإذا رجل أحمر حشيم يمشى بين رجلين ينطف رأسه ، أو أهراق من رأسه ماء ، فقلت : من هذا ؟ فقالوا : هذا عيسى ابن مريم ، ثم التفت فإذا رجل أحمر أعور العين اليمين (٥) كأنما عينه عنبة طافية (٦) ، فقلت : من هذا ؟ فقالوا : هذا الدجال .

نا يونس عن خالد بن دينار البصرى عن فُضَيل الأعور قال : حضرت جنازة فيها أنس بن مالك فجاء أبو العالية وقد صلى على الجنازة فتخطى الناس حتى خلص إلى أنس بن مالك فقال : يا أبا حمزة عليك برنس (٧) أو برنسان ، رأيتك البارحة فى هذا المكان وعليك برنسان ، فقال : الصدق ما رأيت ، على برنسى الذى ترى على ، وعلى برنس الإسلام فتذاكروا الرؤيا ، فقال أنس : كنت بالمدينة فمرضت مرضًا أشرفت على الموت ، فجاءنى إبراهيم وموسى عليهما السلام ، فجلس إبراهيم عند رأسى وموسى عند رجلى ، فاستيقظت فبرئت ، قال أبو العالية : وأنا كنت بخراسان فمرضت مرضًا أشرفت منه على الموت فجاءنى إبراهيم ، وموسى فجلس أحدهما عند رأسى والآخر عند رجلى ، فاستيقظت فبرئت ، قال أنس بن مالك : انعتهما لى إن رؤياك من رؤياى ، قال : أما إبراهيم فرجل أبيض ، أبيض الرأس واللحية ، معروق اللحم ، طويل الأنف ، وأما موسى فرجل

---

(١) أى من حمام . (٢) خفيف اللحم .
(٣) هم قبيلة من العرب يكادون يتقاربون فى الشبه . (٤) نوع من الخمر .
(٥) فى رواية أخرى « أعور العين اليسرى » . (٦) أى بارزة .
(٧) البرنس : كل ثوب رأسه منه ملتزق به ، انظر المعجم الوجيز صـ ٤٧ .

أشعر [١] شديد الأدمة ، عريض المنكبين ، شعره يضرب إلى منكبيه ، فقال أنس : كذا رأيت أنا .

نا يونس عن زكريا عن الشعبى قال : شبَّه رسول الله ثلاثة نفر من أمته قال : دحْية الكلبى شُبِّه بجبريل وعُروة بن مسعود الثقفى شبه بعيسى ابن مريم ، وعبد العزى شبه بالدجال .

نا يونس عن عنبسة بن الأزهر عن سماك بن حرب عن عكرمة قال : لما كان شأن بنى قريظة بعث إليهم رسول الله ﷺ عليًّا ، وجاء جبريل رسول الله ﷺ على فرس أبلق ، قالت عائشة : فكأنى أنظر إلى رسول الله ﷺ يمسح الغبار عن وجه جبريل فقلت هذا دحية الكلبى يا رسول الله ؟ قال : هذا جبريل .

نا يونس عن المبارك بن فضالة عن الحسن قال : إن رسول الله ﷺ قال : أتيت على موسى وهو قائم يصلى فى قبره ، رجل آدم [٢] جعد أشبه من رأيت برجال شنوءة ، ومررت على عيسى فسلم على رجل شاب طويل ، مرجل قد تعلوه حمرة .

نا يونس عن أسباط بن نصر عن إسماعيل السدى قال : فُرض على رسول الله ﷺ الخمس [٣] فى بيت المقدس ليلة أسرى به قبل مهاجره بستة عشر شهراً .

نا يونس عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عُتبة عن عمرو بن مُرَّة عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن معاذ بن جبل قال : أحيلت الصلاة ثلاث أحوال وأحيل الصيام ثلاثة أحوال فأما أحوال الصلاة فإن رسول الله ﷺ قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس سبعة عشر شهراً ، ثم إن الله عز وجل حوله إلى القبلة ، فهذه حال وكادوا أن ينقسوا [٤] عند حضرة الصلاة ، فجاء عبد الله بن زيد الأنصارى فقال : يا رسول الله لو أخبرتك أنى لم أكن نائماً صدقتك إن شاء الله ، إنى بينا أنا بين النائم واليقظان رأيت شخصاً عليه ثياب خُضر ، فاستقبل القبلة فقال :

---

(١) أى كثير الشعر .

(٢) أى أسمر شديد السمرة .

(٣) أى الصلوات الخمس المكتوبات .

(٤) أى يستخدموا الناقوس . وكان ذلك قبل شروع الأذان .

الله أكبر الله أكبر ، مثنى [(١)] ، أشهد ألا إله إلا الله مرتين ، أشهد أن محمدًا رسول الله مرتين ، حى على الصلاة مثنى ، حى على الفلاح مثنى ، الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله ، ثم أمهل ساعة [(٢)] ، ثم قام فقال مثل مقالته [(٣)] غير أنه حين فرغ من قوله حى على الفلاح قال : قد قامت الصلاة ، قد قامت الصـــلاة ، الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله ، الأذان والإقامة مثنى مثنى ، فقال رسول الله ﷺ : علمها بلالاً ، فأُمر بلال فأذن بها ، وجاء عمر بن الخطاب فقال : يا رسول الله لقد رأيت مثل الذى أُرى الأنصارى ، ولكنه سبقنى إليك ، فهذه حال أُخرى ، وكان الرجل إذا انتهى إلى الناس وهم فى الصلاة سألهم : كم صليتم ؟ فيـــشيرون إليه بواحدة واثنتين بكم كان ، فيبدؤون بما فاتهم ، ثم يدخلون فيما بقى من الصلاة ، فجاء معاذ فوجد رسول الله ﷺ قد صلى بعض صلاته فثبت على ما أدرك فصلى ، فلما فرغ رسـول الله ﷺ من صلاته قامَ معاذ فقضى ما فاته ، فقال رسول الله ﷺ : قد بين [(٤)] لكم معاذ ، فهكذا فافعلوا ، فهذه حال .

وأما الصيام فإن رسول الله ﷺ قدم المدينة فصام يوم عاشوراء [(٥)] ، وثلاثة أيام من كل شهر [(٦)] ، ثم إن الله عز وجل فرض شهر رمضان فأنزل الله عز وجل : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيام** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين** ﴾ فكان من شاء صام ومن شاء أفطر وأطعم مسكينًا ، ثم إن الله عز وجل أوجب الصيام على الصحيح المقيم وكتب الإطعام للكبير الذى لا يستطيع الصوم

---

(١) أى كل واحدة مرتين .

(٢) ليست ساعة كما يتبادر إلى الذهن ، ولكن المقصود فترة قصيرة .

(٣) وهى إقامة الصلاة .

(٤) أى وضح ، وقال ﷺ « ما أدركتم أى مع الإمام ، فصلُّوا ، وما فاتكم فأتموا - أى أتموه بعد تسليم الإمام » .

(٥) وذلك أنه ﷺ وجد اليهود يصومونه فسأل عن ذلك فقالوا ذلك يوم نجى الله فيه موسى ، فقال ﷺ نحن أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه ، وهو يوم العاشر من شهر المحرم ، وقال : إذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا التاسع فلم يعش ﷺ .

(٦) وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر ، وسميت الأيام البيض لأن نور القمر فى لياليها ظاهر .

فأنزل الله عز وجل : ﴿ **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** ﴾ (١) إلى آخر الآيات ، وكانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا ، فإذا ناموا تركوا الطعام والشراب وإتيان النساء ، فكان رجل من الأنصار يدعى صرمة يعمل فى أرض له ، فلما كان عند فطره (٢) نام فاستيقظ - يعنى أصبح - فأصبح صائمًا فجهد (٣) جهدًا شديدًا ، فقال له رسول الله ﷺ : ما لى أراك قد جهدت ؟ فأخبره ما كان من حاله ، واختلس رجل نفسه بإتيان النساء فأنزل الله عز وجل : ﴿ **أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم** ﴾ (٤) إلى آخر الآية .

نا يونس عن عبد الرحمن بن عبد الله عن القاسم قال : أول من أذَّن بلال .

نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى الزهرى قال : قدم عثمان بن مظعون على رسول الله ﷺ فوجده يصلى فسلم عليه فرد عليه رسول الله ﷺ وهو يصلى (٥) .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى أبو الزناد عن عامر الشعبى عن عبد الله بن مسعود : دخلت فسلمت على رسول الله ﷺ وهو يصلى ، فأشار ولم يرد على السلام ، فقلت له : لم رددت على عثمان بن مظعون ولم ترد علىّ فقال ﷺ : إن الله عز وجل يقلب الليل والنهار كما يشاء (٦) ... وإن ... حدث إلىّ إلا وسلم (٧) فى الصلاة .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال حدثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد ابن ثابت قال : حدثنى (٨) ... أو عكرمة ، شك محمد بن أبى محمد عن ابن عباس قال : صرفت (٩) القبلة عن الشام نحو الكعبة فى رجب على رأس سبعة عشر شهرًا (١٠) من مقدم رسول الله ﷺ المدينة ... رسول الله ﷺ ... عمرو وكعب بن الأشرف بن أبى ... كعب بن الأشرف والربيع بن الربيع (١١) .

* * *

(١) سورة البقرة : الآيات ١٨٣ - ١٨٥ . (٢) أى عند المغرب .
(٣) أى أرهق وتعب . (٤) البقرة ١٨٧ .
(٥) كان ذلك فى بداية مشروعية الصلاة ثم أُمر النبى بمنع ذلك .
(٦) هنا سقط بالأصل . (٧) قد تكون « ألا أُسلِّم » والله أعلم .
(٨) طمس بالأصل . (٩) أى تحولت .
(١٠) قيل أيضًا ستة عشر شهرًا . (١١) هكذا نقص بالأصول التى رأيناها .



القسم السادس

يشمل بعض غزوات النبى ﷺ

عن أبى جعفر عبد الله بن محمد بن على بن نُفيل الحَرَّانى رواية أبى شُعَيب عبد الله بن الحسن الحرَّانى .

مما رواه عنه أبو على محمد بن أحمد بن الحسن الصَوَّاف رواية الشيخ الفاضل أبى الفتح محمد بن أحمد ابن أبى الفوارس .

مما حدثنا به الشيخ الجليل الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب البغدادى .

سـماع طاهر بن بركات بن إبراهيم بن على بن محمد بن على الخشوعى القرشى .

نفعه الله به .

يتلوه غزوة السويق .

غزوة ذى أمر إلى نجد سنة ثلاث .

وقف

قرأ فيه إسماعيل بن إبراهيم بن سالم الأنصارى عفا الله عنه

بد
الـ
الـ
وتـ
جا

بيـ
عز
الما
بر
يرا
الـ
الـ
أهـ

هـ
علـ
خـ
سـ
و

بسم الله الرحمن الرحيم

قطعة من غزوة بدر

أخبرنا الشيخ الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب البغدادى بدمشق فى شهر رمضان من سنة أربع وخمسين وأربع مائة قال : أخبرنا أبو نُعيم الحافظ قال : نا : أبو على محمد بن أحمد بن الحسن الصواف قال : أنا أبو شُعيب الحرانى : نا النُّفيلى : نا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال ثم قال تبارك وتعالى : ﴿ **وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم** ﴾ (١) الآية .

وذكر استدراج إبليس إياهم بتشبهه بسراقة بن جعشم (٢) لهم حين ذكر لهم ما بينهم وبين بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة فى الحرب التى كانت بينهم وبينه يقول الله عز وجل لنبيه ﷺ : ﴿ **فلما تراءت الفئتان** ﴾ ونظر عدو الله إلى جنود الله من الملائكة قد أمد الله بهم رسوله والمؤمنين على عدوهم : ﴿ **نكص على عقبيه وقال إنى برئ منكم إنى أرى ما لا ترون** ﴾ وصدق عدو الله إنه رأى ما لا يـــــرون فقال : ﴿ **إنى أخاف الله والله شديد العقاب** ﴾ فأوردهم ثم أسلمهم ، فذكر لى أنهم كانوا يرونه فى كل منزل فى صورة سراقة لا ينكرونه ، حتى إذا كان يوم بدر ، والتقى الجمعان ، وكان الذى رآه حين نكَص على عقبيه الحارث بن هشام ، وعمير بن وهب الجمحى ، قد ذكر أحدهما فقال : أين يا سُراقة ومثل عدو الله فذهب ثم ذكر الله أهل الكفر وما يلقون عند موتهم فوصفهم بصفتهم فأخبر نبيه عنهم حتى انتهى إلى

---

(١) سورة الأنفال : الآية ٤٨ .

(٢) هو سراقة بن مالك بن جعشم كان الشيطان يأتى المشركين فى صورته ، وسراقة هذا هو الذى لحق برسول الله ﷺ يوم الهجرة ، وكان كافراً وقتها ، طمعًا أن يرجع الرسول ﷺ إلى المشركين فى مكة أو يقتله حتى يفوز بجائزة كفار مكة وهى مائة ناقة ، ولكن الله خذله فعثرت فرسه وغرزت قدماها فى الرمال واستغاث بالرسول ﷺ أن يسامحه ، وعلم ساعتها أن محمدا على حق وأنه ظاهر منتصر ، فسامحه الرسول ﷺ وأعطاه كتابًا بينه وبينه وطلب منه ألا يخبر أحداً ففعل سراقة ، وأسلم بعد ذلك .

قوله ﴿ فإما تثقفنهم فى الحرب فشرِّد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون ﴾ أى فنكِّل بهم من ورائهم لعلهم يعقلون ، ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾ (١) إلى قوله : ﴿ وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوفَّ إليكم وأنتم لا تُظلمون ﴾ (٢) أى لا يضيع لكم أجره عند الله فى الآخرة ، وعاجلَ خلفه فى الدنيا ثم قال : ﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها ﴾ (٣) أى إن دعوك إلى السلم ، يعنى الإسـلام فصالحهم علـيه ، ﴿ وتوكل على الله ﴾ إن الله كافيك إن الله ، ﴿ هو السميع العليم ﴾ ﴿ وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله ﴾ (٤) هو من وراء ذلك ، ﴿ هو الذى أيدك بنصره ﴾ بعد الضعف ﴿ وبالمؤمنين ﴾ ﴿ وألَّف بين قلوبهم ﴾ على الهدى بالذى بعثك إليهم ﴿ لو أنفقت ما فى الأرض جميعًا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ﴾ بدينه الذى جمعهم عليه ﴿ إنه عزيز حكيم ﴾ . وقال : ﴿ يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين * يا أيها النبى حرِّض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفًا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون ﴾ (٥) أى لا يقاتلون على نية ولا حق ولا معرفة بخير ولا شر .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرانى قال : أنا النُّفيلى قال : نا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال حدثنى أبو جعفر محمد بن على قال : قال رسول الله ﷺ : « نُصرت بالرعب ، وجعلت لى الأرض مسجدًا وطهورًا ، وأعطيت جوامع الكلم ، وأحلت لى المغانم ولم تحل لنبى كان قبلى ، وأُعطيت الشفاعة ، خمس لم يؤتهن نبى قبلى » ، ﴿ ما كان لنبى ﴾ (٦) قبلك ﴿ أن يكون له أسرى ﴾ مـن عدوه

---

(١) سورة الأنفال : الآية ٥٧ . (٢) سورة الأنفال : الآية ٦٠ .

(٣) سورة الأنفال : الآية ٦١ . (٤) سورة الأنفال : الآيات ٦٢ - ٦٣ .

(٥) سورة الأنفال : الآيات ٦٤ - ٦٥ .

(٦) نزلت هذه الآية يوم بدر عتابًا من الله عز وجل لأصحاب نبيه ﷺ وليست عتابا للنبى ، وهذا قول أكثر المفسرين .

قال ابن عباس فلما أسروا الأسرى قال ﷺ لأبى بكر وعمر : « ما تريا فى هؤلاء الأسارى » فقال أبو بكر : يا رسول الله هم بنو العم والعشـيرة أرى أن تأخذ منهـم فدية فتكون لنا قوة على الكفار ، فعسى الله أن يهديهم للإسلام ، فقال ﷺ : « ما ترى يا ابن الخطاب » قال : لا والله يا رسول الله ما أرى الذى رأى أبو بكر ولكنى أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها ، فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو =

﴿ **حتى يثخن فى الأرض** ﴾ أى يثخن عدوه حتى ينفيه من الأرض ﴿ **يريدون عرض الدنيا** ﴾ أى المتاع ، الفداء بأخذ الرجال ﴿ **والله يريد الآخرة** ﴾ (١) أى بقتلهم بظهور الدين الذى يريدون إظهاره الذى تدرك به الآخرة ﴿ **لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم** ﴾ من الأسارى والمغانم ﴿ **عذاب عظيم** ﴾ أى لولا أن سبق أن لا أعذب إلا بعد النهى ، ولم يكن نهاهم ، لعذبكم فيما صنعتم ، ثم أحلها لهم رحمة ونعمة وعائدة من الرحمن الرحيم فقال : ﴿ **فكلوا مما غنمتم حلالاً طيبا واتقوا الله إن الله غفور رحيم * يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الأسرى إن يعلم الله فى قلوبكم خيراً يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم** ﴾ (٢) فكان العبــــاس بن عبد المطلب يقول : فىَّ والله نزلت حين ذكرت لرسول الله ﷺ إسلامى وسألته أن يقاصنى (٣) بالعشرين الأوقية التى أخذ منى ، فأبى على ، فعوضنى الله منها عشرين عبداً كلهم تاجراً يضرب بمالى ، مع ما أرجو من رحمته ومغفرته . ثم حض المسلمين على التواصل وجعل المهاجرين والأنصار ولاية فى الدين دون من سواهم ، ثم جعل الكفار بعضهم أولياء بعض قال : ﴿ **إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير** ﴾ أى ليتولى المؤمن المؤمن دون الكافر وإن كان ذا رحم ، ﴿ **تكن فتنة** ﴾ أى شبهة فى الحق والباطل ، فى ظهور المفاسد فى الأرض ، بتولى المؤمن الكافر من دون المؤمن ، ثم رد المواريث إلى الأرحام ممن أسلم بعد الولاية من المهاجرين والأنصار ، وردهم إلى الأرحام التى بينهم فقال : ﴿ **والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعــض فى كتاب الله** ﴾ أى بالميراث : ﴿ **إن الله بكل شىء عليم** ﴾ (٤) .

= ما قال عمر ، فلما كان من الغد جاء عمر فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين يبكيان ، فقال عمر يا رسول الله أخبرنى من أى شىء تبكى أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما ، فقال ﷺ أبكى للذى عرض علىَّ أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض علىَّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة » لمزيد من التفصيل انظر تفسير القرطبــى ٤ / ٢٩٧٢ ط دار الغد العربى .

(١) سورة الأنفال : الآية ٦٧ . (٢) سورة الأنفال : الآية ٦٨ - ٦٩ .

(٣) أى يترك له .

(٤) سورة الأنفال : الآيات ٧٣ - ٧٥ .

* **عدد من شهد بدراً :**

جميع من شهد بدراً من المسلمين من المهاجرين والأنصار الأوس والخزرج ومن ضُرب له سهمه وأجره ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً من المهاجرين دون الأنصار ثلاثة وثمانون رجلاً ، ومن الأوس واحد وستون رجلاً ، ومن الخزرج مائة وسبعون رجلاً واستشهد مع رسول الله ﷺ من قريش ثم من بنى المطلب بن عبد مناف :

عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، قطع رجله عتْبة بن رَبيعة بن عبد شمس فمات بالصفراء (١) .

ومن بنى زُهرة بن كلاب : عُمير بن أبى وقاص بن أهيب بن عبد مناف ابن زهرة ، وذو الشمالين عبد عمرو بن نضلة حليف لهم ، من بنى غبشان .

ومن بنى عدى بن كعب : عاقل بن البُكير ، حليف لهم ، من بنى سَعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، ومهجع مولى عمر بن الخطاب .

ومن بنى الحارث بن فِهر : صَفْوان بن بيضاء .

ومن الأنصار ، ثم من بنى عَمرو بن عوف : سعد بن خيثمة ومُبشر بن عبد المنذر بن زنبر .

ومن بنى الحارث بن الخزرج : يزيد بن الحارث ، وهو الذى يقال له فسحم .

ومن بنى سلمة ، ثم من بنى حرام بن كعب بن غُنْم بن كعب بن سلمة : عُمير بن الحُمام .

ومن بنى حُبيب أو خبيب بن عبد حارثة بن مالك : رافع بن المُعَلَّى .

ومن بنى النجار ، ثم من بنى عدى بن النجار : حارثة بن سراقة بن الحارث .

ومن بنى غَنْم بن مالك بن النجار : عوف ومُعوِّذ ابنا الحارث بن سواد ، وهما ابنا عفراء ، ثمانية نفر .

وكان الفتية الذين قتلوا مع قريش يوم بدر فنزل فيهم القرآن فيما ذكر لنا .

﴿ الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً ﴾ (٢) .

(١) هو وادٍ فى المدينة قريب من بدر .
(٢) سورة النساء : الآية ٩٧ .

وذلك أنهم كانوا أسلموا (ورسول الله ﷺ بمكة فلما هاجر)[١] رسول الله ﷺ إلى المدينة حبسهم آباءهم وعشائرهم بمكة وفتنوهم فافتتنوا ثم ساروا مع قومهم إلى بدر فأصيبوا به جميعاً فهم فتية مُفَتَّنون ·

ومن بنى أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَى : الحارث بن ربيعة وعقيل بن الأسود ابن المطلب بن أسد ·

ومن بنى مخزوم أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة ·

ومن بنى جُمح : على بن أُمية بن خلف ·

ومن بنى سَهْم : العاص بن مُنَبَّة بن الحجاج ·

غزوة بنى سليم

فلما قدم رسول الله ﷺ من بدر إلى المدينة وكان فراغه من بدر فى عقب رمضان أو فى أول شوّال ، فلم يقم بالمدينة إلا سبع ليال حتى غزا بنفسه يريد بنى سُليم ، حتى بلغ ماء من مياههم يقال له الكُدْر[٢] ، فأقام عليه ثلاث ليال ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً[٣] ، فأقام بقية شوّال وذا القعدة وفادى فى إقامته تلك جل الأسارى من قريش ·

* * *

(١) زيد ما بين المعكوفتين من رواية ابن هشام · انظر سيرة ابن هشام ٢ / ٢٠٦ تحقيق طه عبد الرءوف سعد ، ط · مكتبة الكليات الأزهرية ·

(٢) قريبة من المدينة ·

(٣) أى لم يلق من بنى سليم حرباً ·

غزوة السويق

ثم غزا أبو سفيان بن حرب غزوة السويق فى ذى الحجة ، وولى تلك الحجة المشركون من تلك السنة ٠أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرانى قال : حدثنا النُّفَيلى قال : نا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال : فكان أبو سفيان كما حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، ويزيد بن رُومان ، ومن لا أتهم ، عن عبد الله بن كعب ابن مالك ، وكان من أعلم الأنصار ، حين رجع إلى مكة ورجع فلُّ قريش [١] من بدر حلف ألا يمس رأسه ماء من جنابة [٢] حتى يغزو محمداً ﷺ فخرج فى مائتى راكب من قريش ليبر يمينه فسلك النجدية حتى نزل بصدر قناة إلى جانب جبل يقال له تيت [٣] : من المدينة على بريد أو نحوه ، ثم خرج من الليل حتى أتى بنى النضير من تحت الليل فأتى حيى بن أخطب [٤] فضرب عليه بابه فخاف فلم يفتح له فانصرف إلى سلام بن مشكم وكان سيد بنى النضير فى زمانه ذلك ، وصاحب كنزهم [٥] ، فاستأذن عليه ، فأذن له وقراه [٦] وسقاه وبطن [٧] له من خبر الناس ، ثم خرج من عقب ليلته حتى أتى أصحابه ، فبعث رجالاً من قريش إلي المدينة ، فأتوا ناحية منها يقال لها العُريض فحرقوا فى أصوار [٨] من نخل بها ، ووجدوا رجلاً من الأنصار وحليفاً له فى حرث لهما فقتلوهما ، ثم انصرفوا راجعين ، ونذر بهم الناس ، فخرج رسول الله ﷺ فى طلبهم حتى انتهى إلى قرقرة الكدر [٩] ، ثم انصرف راجعاً وقد فاته أبو سفيان وأصحابه ، وقد رأوا أزواداً من أزواد القوم قد

---

(١) أى المنهزمين من قريش ٠

(٢) علّق السهيلى على هذا قائلا : « إن الغسل من الجنابة كان معمولا به فى الجاهلية بقية من دين إبراهيم وإسماعيل كما بقى معهم الحج والنكاح » ٠

(٣) عند ابن هشام : « ثَيْب » ٠

(٤) هو والد السيدة صفية زوج رسول الله ﷺ - وأم المؤمنين رضي الله عنها ومات يهوديا ٠

(٥) كانوا يجمعون المال ويدخرونه عنده لنوائبهم ٠

(٦) أى أكرمه وصنع له طعام الضيف ٠

(٧) أى أعلمه وأخبره ٠

(٨) أى النخل الصغار ٠

(٩) هى موضع بينها وبين المدينة ثمانية بُرد ٠

طرحوها ، فى الحرث يتخففون منها للنجاء ، فقال المسلمون حين رجع بهم رسول الله ﷺ : أنطمع أن تكون لنا غزوة ؟ قال : نعم ، فقال أبو سفيان وهو يتجهز غازياً من مكة إلى المدينة أبياتاً من الشعر :

كَرُّوا عَلَى يَثْرب وجَمعــــــهم ... فإنَّ ما جمّــعوا لكمَ نفلُ
إنْ يكُ يومُ القُلَيبِ كان لهــمْ ... فإنَّ ما بعده لكـــم دُوَل
واللاَّت لاَ أقرب النَســـاء ولا ... يَمسُّ رأْسى وَجَلْدى الغسلُ
حَتى تَبيروا قبـائل الأَوْسِ والــ ... ـخَزْرَج إنَّ الفُؤَادَ مُشْتَعلُ

فأجابه كعب بن مالك [1] :

يا لَهفَ أم المشجِّعين عــــلى ... جيْشِ ابــن حربٍ فى الحرَّة الفَشل
إذ يَطْرحون الرمال من نَسم الطيـ ... ـر ترقوا بقـــــية الجبـــلِ
جَـاؤوا بجمع لو قيس منــزله ... لم يــك إلاَّ كمُـــعْرَس الدؤلِ

الدؤل دويبة أصغر من القطا .

وبه سمى أبو الأسود الدؤلى .

وقال أبو سفيان بن حرب حين انصرف من المدينة إلى مكة :

إِنى تَخيرتُ المدينة واحـــــدًا ... لحلف فلم أنـــدم ولم أتلَوم
سَقانى فَروانِى كَمــــيتاً مُدَامَة ... عَلَى عَجل مِنى سَلامُ بن مُشْكم
فلما تولى الجيش قلت ولم أكنْ ... لأترحـــه أبشـــر بعزٍّ وَمَغْنَم
تأمل فإن القوم فى سَـــرواتهم ... صَريح لُؤى لا شماطيط جُرهـــم
فما كان إلا بعض ليلة راكـــب ... أتى ساعياً من غير حلـــة معدم

* * *

(١) وكان من شعراء المسلمين المدافعين عن الإسلام هو وحســـان بن ثابت وعبد الله ابن رواحة رضي الله عنهم .

غَزْوةُ ذى أمر إلى نجد
سنة ثلاث

فلما رجع رسول الله ﷺ من غزوة السويق (١) أقام بالمدينة ذا الحجة والمحرم ، أو قريباً منه ثم غزا نجداً يريد بنى غطفان وهى غزوة ذى أمر (٢) ، فأقام بنجد صفراً كله ، أو قريبًا من ذلك ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيدًا .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرانى قال : حدثنا النُّفيلى قال : نا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى رجل من أهل الشام يقال له أبو منظور عن عمه قال : حدثنى عمى عن عامر الرامى أخى النضر قال : إنى لببلادنا إذ رفعت إلى ألوية ورايات فقلت : ما هذا ؟ قالوا : هذا لواء رسول الله ﷺ ، فأتيته وهو تحت شجرة قد بسط له تحتها كساء وهو جالس عليه ، وقد اجتمع إليه أصحابه رضى الله عنهم فجلست إليهم ، فذكر رسول الله ﷺ الأسقام فقال : إن المؤمن إذا أصابه السقم ، ثم أعفاه الله منه كان كفارة لما مضى من ذنوبه وموعظة له فيما يستقبل به ، وإن المنافق إذا مرض ثم أعفى كان كالبعير عقله (٣) أهله ثم أرسلوه ولم يدر لم أرسلوه ، فقال رجل ممن حوله : وما الأسقام ، والله ما مرضت قط ؟ قال : قم عنا فلست منا ، قال : فبينا نحن عنده إذ أقبل رجل عليه كساء معه شىء فى يده قد التف عليه ، فقال : يا رسول الله لما رأيتك أقبلت فمررت بغيضة من شجر فسمعت فيها أصوات فراخ طائر فأخذتهن فوضعتهن فى كسائى ، فأقبلت أمهن حتى استدارت على رأسى ، فكشفت لها عنهن فوقعت معهن فلففتهن ، فهن الآن معى ، فقال : ضعهن عنك ، قال : فوضعتهن بكسائى وأبيت إلا لزومهن فقال : رسول الله ﷺ :

---

(١) السويق هو تحميص القمح والشعير ثم طحنه وقد يمزج باللبن والسمن والعسل أو يمزج بالماء ، وسميت غزوة السويق لأن أكثر ما طرح القوم من أزوادهم السويق ، فهجم المسلمون على سويق كثير فسميت غزوة السويق .

(٢) موضع معروف قريب من مكة .

(٣) أى ألجمه .

أتعجبون لرحمة أم الأفراخ فراخها ؟ قالوا : نعم ، قال : فوالذى بعثنى بالحق لله أرحم بعباده من أم الأفراخ بفراخها ، ارجع بهن حتى تضعهن من حيث أخذتهن وأمهن معهن قال : فرجع بهن .

غزوة الفُرع [1] من بحران

ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم يلق كيداً فلبث بها شهر ربيع الأول كله إلا قليلاً منه ، ثم غزا يريد قريشًا وبنى سليم حتى بلغ بحران معدن بالحجاز فى ناحية الفُرع ، وذلك المعدن للحجاج بن علاط البهزى فأقام به شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً .

غزوة بنى قينقاع

وقد كان فيما بين ذلك من غزوة رسول الله ﷺ بنى قَيْنُقَاع وكان من حديث بنى قَيْنُقَاع أن رسول الله ﷺ جمعهم فى سوق بنى قينقاع فقال لهم : يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة [2] ، وأسلموا فإنكم قد عرفتم أنى نبى مُرْسَل ، تجدون ذلك فى كتابكم [3] ، وعهد الله إليكم ، قالوا : يا محمد إنك ترانا كقومك ، يغرك [4] إنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة ! إنا والله لو حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس .

* ما نزل فى يهود بنى قينقاع :

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرانى قال : نا النُّفيلى قال : حدثنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى مولى لآل زيد بن ثابت عن سعيد بن جُبير أو عكرمة عن ابن عباس قال : ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيهم ﴿ **قل للذين كفروا ستُغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد** ﴾ إلى قوله ﴿ **قد كان لكم آية فى فئتين التقتا** ﴾ أى فى أصحاب بدر من أصحاب رسول الله ﷺ وقريش ﴿ **فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة** ﴾ إلى قوله : ﴿ **إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار** ﴾ [5] .

---

(١) الفرع : قرية قريبة من المدينة . (٢) أى الهزيمة واللعنة فى بدر .
(٣) أى التوراة . (٤) عند ابن هشام « لا يغرنك أنك لقيت » .
(٥) سورة آل عمران : الآيات ١٢ - ١٣ .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرانى قال حدثنا النفيلى قال : نا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أن بنى قينقاع كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ عليه وحاربوا فيما بين بدر وأحد (١) فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه ، فقام إليه عبد الله بن أُبى ابن سلول حين أمكنه الله منهم فقال : يا محمـــد أحسن فى موالىَّ ، وكانوا حلفاء الخزرج ، فأبطأ عنه رسول الله ﷺ فقال : يا محمد أحسن فى موالى ، فأعرض عنه رسول الله ، فأدخل يده فى جيب درع رسول الله ﷺ ، قال : فقال رسول الله ، وغضب رسول الله ، ثم قال · أرسلنى (٢) : فقال : لا والله لا أرسلك حتى تحسن فى موالى ، أربع مائة حاسر (٣) وثلاثمائة دارع (٤) منعونى من الأحمر والأسود تحصدهم فى غداة واحدة ، إنى والله امرؤ أخشى الدوائر (٥) فقال رسول الله ﷺ : هم لك ·

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرانى قال : نا النُّفيلى قال : نا محمد بن سَلمة عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى أبى إسحاق بن يسار عن عبادة بن الولَيد بن عُبادة ابن الصَّامت قال : لما حاربت بنو قَيْنُقاع تشبث بأمرهم عبد الله بن أبى ابن سلول وقام دونهم ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ ، وكان أحد بنى عوف ابن الخزرج ، ولهم من حلفه مثل الذى لهم من عبد الله بن أبى. (٦) فخلعهم إلى رســـول الله ﷺ ، وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم فقال : يا رسول الله أتولى الله ورسوله والمؤمنين ، وأبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم ، قال : ففيه وفى عبد الله بن أُبىٍّ نزلت القصة فى المائدة : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء** ﴾ إلى قوله : ﴿ **فترى الذين فى قلوبهم**

---

(١) أى بين السنة الثانية والثالثة للهجرة ·

(٢) عند ابن هشام : « وغضب رسول الله ﷺ حتى رأوا لوجهه ظللا أى سحابة » ·

(٣) لا درع عليه ·

(٤) أى لابس الدرع ·

(٥) أى الهزائم ·

(٦) عبد الله بن أبى ابن سلول هو زعيم المنافقين فى المدينة كان قد أظهر الإسلام وأخفى الكفر ؛ ولذلك فإن المنافق أخطر على الإسلام من الكافر ؛ لأن الكافر ظاهر الكفر ، أما المنافق فهو يخفى الكفر ويسره ·

مرض يسارعون فيهم ﴾ يعنى عبد الله بن أبىٍّ لقوله : أخشى الدوائر ﴿ **يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وهم راكعون** ﴾ وذلك لقول عُبادة بن الصامت : أتولّى الله ورسوله وأبرأ من بنى قينقاع من حلفهم وولايتهم . ﴿ **ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون** ﴾ [١] .

سرية زيد بن حارثة إلى القردة

وسرية زيد بن حارثة التى بعثه رسول الله ﷺ فيها ، حين أصابت عير قريش ، فيها أبو سفيان بن حرب على القَرَدَة ، ماء من مياه نجد .

وكان من حديثها أن قريشًا كانت قد أخافت طريقها التى تسلك إلى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان ، فسلكوا طريق العراق ، وخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان ابن حرب ومعه فضة كثيرة ، وهو عظم تجارتهم ، واستأجروا من بنى بكر بن وائل رجلاً يقال له : فُرات بن حيَّان [٢] يدلهم على الطريق ، وبعث رسول الله ﷺ زيد ابن حارثة فى ذلك الوجه ، فلقيهم على ذلك الماء فأصاب تلك العير وما فيها ، وأعجزه الرجال ، فقدم بها رسول الله ﷺ .

فقال حسان بن ثابت يذكر قريشًا وأخذها على ذلك الطريق بعد أُحد فى غزوة بدر الآخرة ، وذلك أن رسول الله ﷺ خرج لميعاد أبى سفيان مُنْصَرَفه من أحد ، فسار حتى نزل بدرًا ، فأقام بها ثمان ليال ، وأخلفه أبو سفيان فقال حسان بن ثابت [٣] .

---

(١) سورة المائدة : الآيات ٥١ - ٥٦ .

(٢) قال ابن هشام : فرات بن حيان من بنى عجل ، حليف لبنى سهم انظر مختصر سيرة ابن هشام ط . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية صـ ٤١٦ .

(٣) هو شاعر الرسول ﷺ وهو من الشعراء المخضرمين الذين عاشوا فى الجاهلية وفى الإسلام ، وكان شعره دفاعًا عن الرسول ورسالته .

دَعُوا، فَلْجَات الشَّامِ قَد حَار دُونها ... جِلادٌ كأفواه المَخاض الأوارِك
بأيدى رِجَال هَاجروا نَحو رَبهم ... وأنصاره حقًّا وأيدى الملائك
إذا سَلَكت للغورِ مِنْ رَمْل عَالج ... فَقُولا لها ليس الطريق هنالك
أقمنا على الرسِّ النزوع ثمانيا ... بأرعنَ جَرَّارٍ عريضِ المبارك
بكل كُمَيت جَوزُه نصفُ خَلْقه ... وقُب طوال مشرفات الحوارك
ترى العرفج العادىَّ تَذْرِى أصوله ... مَناسم أخفاف المطى الرواتك
فإن نَلق فى تطوافنا والتماسنا ... فُراتَ بن حيَّان يكن رهنَ هالك
وإن نلق قيس بن امرئ القيس بعده ... يُزَدْ فى سواد لونه لونُ حالك

* مقتل كعب بن الأشرف :

وقتل كعب بن الأشرف ، وكان من حديثه أنه لما أصيب أهل بدر ، وقدم زيد ابن حارثة إلى أهل السافلة ، وقدم عبد الله بن رُواحة إلى أهل العالية مبشِّرين ، بعثهما رسول الله ﷺ إلى أهل المدينة من المسلمين بفتح الله وقتل من قتل من المشركين ، كما حدثنى عبد الله بن المغيث بن أبى بُردة الطفَرى ، وعبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم ، وعَاصم بن عمر بن قتادة ، وصالح بن أبى أُمامة ابن سهل كل قد حدثنى بعض حديثه قالوا [(١)] : قال كعب بن الأشرف ، وكان رجلاً من طيء ، ثم أحد بنى نبهان ، وكانت أمه من بنى النضير حين بلغه الخبر : ويحكم أحقٌّ هذا ؟ أترون أن محمداً قتل هؤلاء الذين يُسمى هذان الرجـــلان يعنى زيداً وعبد الله - فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس ، والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها ! فلما تيقن عدو الله الخبر خرج حتى قدم مكة ، فنزل على المطلب بن أبى وداعة بن ضُبَيرة السهْمى وعنده عاتكة ابنة أبى العاص بن أمية بن عبد شمس فأنزلته وأكرمته وجعل يحرض على رسول الله ﷺ ، وينشد الأشعار ويبكى على أصحاب القليب من قريش الذين أصيبـــوا ؛ ثم رجـع كَعْب

---

(١) زيادة عن الأصل من رواية ابن هشام انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٦٤٤ ط دار المنار

ابن الأشرف [١] فشبب بأم الفضل ابنة الحارث [٢] ، ثم شبب بنساء المسلمين ، فقال رسول الله ﷺ - كما حدثنى عبد الله بن مغيث : من لى بابن الأشرف ؟ فقال : محمد بن مسلمة أخو بنى عبد الأشهل أنا لك به يا رسول الله ، أنا أقتله ، قال : افعل إن قدرت على ذلك ، فرجع محمد فمكث ثلاثا لا يأكل ولا يشرب إلا ما يعلق نفسه [٣] فذكر ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال [٤] : لو تركت الطعام والشراب ؟ قال : يا رسول الله إنى قلت لك قولاً لا أدرى هل أقر به أم لا ، قال : إنما عليك الجُهْد [٥] ، قال : يا رسول الله إنه لابد لنا أن نقول ، قال : قولوا ما بدا لكم فأنتم فى حل من ذلك ، فأجمع [٦] فى قتله محمد بن مسلمة ، وسلْكان بن سلامة بن وقش ، وهو أبو نائلة أحد بنى عبد الأشهل [٧] ، والحارث بن أوس بن معاذ أحد بنى عبد الأشهل ، ثم قدموا إلى عدو الله ابن الأشرف قبل أن يأتوه سلكان بن سلامة أبا نائلة فجاءه ، فتحدث معه ساعة وتناشدا ، وكان أبو نائلة يقول الشعر ثم قال :

ويحك يا بن الأشرف إنى قد جئتك لحاجة أريد ذكرها لك فاكتمها عنى ، قال: أفعل ، قال : كان قدوم هذا الرجل علينا من البلاء ، عادتنا [٨] العرب ورمتنا عن قوس واحدة ، وقطعت عنا السُّبل حتى ضاع العيال ، وجهدت الأنفس ، فأصبحنا وقد جهدنا وجهد عيالنا ، فقال كعب : أنا ابن الأشرف أما والله لقد كنت أخبرك يا ابن سلامة أن الأمر سيصير إلى ما كنت أقول لك ، فقال سلكان : إنى قد أردت أن تبيعنا طعاماً ونرهنك . ونوثّق لك ونحسن فى ذلك ، قال : ترهنونى أبناءكم ؟ قال : أردت أن تفضحنا إن لى أصحاباً على مثل رأيى ، وقد أردت أن آتيك بهم

---

(١) أى رجع إلى المدينة .

(٢) أى تغزّل بها ووصف محاسنها .

(٣) عند ابن هشام : « إلا ما يعلق به نفسه » .

(٤) عند ابن هشام : « فدعاه فقال له » .

(٥) الجُهد : أى الوسع والطاقة ، والمعنى بقدر طاقتك وبوسعك ، والله أعلم .

(٦) عند ابن هشام : « فاجتمع » .

(٧) عند ابن هشام : « وكان أخا كعب بن الأشرف من الرضاعة .

(٨) أي أظهرت لنا العداء .

لتبيعهم وتحسن فى ذلك ونرهنك من الحلقة ما لك فيه وفاء ، وأراد سـلكان أن لا ينكر السلاح إذا جاؤوا به ، قال : إن فى الحلقة لوفاء ، فرجع سِلكان إلى أصحابه فأخبرهم خبره ، وأمرهم أن يأخذوا السلاح ، ثم ينطلقوا فيجتمعوا إليه ، فاجتمعوا عند رسول الله ﷺ .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرَّانى قال : نا النفيلى قال : نا محمد بن سَلَمة عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى ثور عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس قال : مشى معهم رسول الله ﷺ إلى بقيع الغَرْقد (١) ، ثم وجههم وقال : انطلقوا على اسم الله ، اللهم أعنهم ثم رجع إلى بيته فى ليلة مقمرة ، فانتهوا إلى حصنه (٢) ، فهتف به أبو نائلة وكان حديث عهد بعرس ، فوثب فى ملحفته (٣) ، فأخذت امرأته بناحيتها وقالت : إنك رجل محارَب وإن صاحب الحرب لا ينزل فى مثل هذه الساعة ، قال (٤) : أبو نائلة لو وجدنى نائماً ما أيقظنى ، قالت : فوالله إنى لأعرف فى صوته الشر ، قال : يقول لها (٥) : لو يدعى الفتى لطعنة لأجاب .

قال أبو شُعيب : حدثنا التوزى أبو محمد قال : قال الأصمعى ما تكلم بهذه الكلمة : لو وجدنى نائمًا ما أيقظنى أحد فى جاهلية ولا إسلام إلا قُتل قال : فنزل فتحدث معه ساعة ، وتحدثوا معه ، ثم قال : هل لك يا ابن الأشرف أن نتماشى إلى شعب العجوز (٦) ، فنتحدث بقية ليلتنا هذه ؟ قال : إن شئتم ، فخرجوا يتماشون ساعة ، ثم إن أبا نائلة شام يده فى فود رأسه ثم شم يده ، ثم قال ما رأيت كالليلة طيباً أعطر قط ، ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ، ثم مشى ساعة ثم عاد لمثله فأخذ بفودى رأسه ، ثم قال اضربوا عدو الله فضربوه فاختلفت عليه أسيافهم فلم تغن شيئاً (٧) ، قال محمد بن مسلمة فذكرت مغولا (٨) فى سيفى حين رأيت

(١) هى مدافن المسلمين بالمدينة .

(٢) أى داره ، ويبدو أنها كانت قصرًا .

(٣) أى غطاءه وقام .

(٤) عند ابن هشام « إنه أبو نائلة » .

(٥) عند ابن هشام « يقول لها كعب » .

(٦) مكان خارج المدينة .

(٧) أى لم تؤثر فيه ولم يمت .

(٨) أى حديدة .

أسيافنا لم تغن شيئًا ، فأخذته ، وقد صاح عدو الله صيحة لم تبق حولنا حصن إلا أوقدت [١] عليه النار فوضعته[٢] فى ثنته [٣] ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته فوقع عدو الله وقد أصيب الحارث بن أوس بن معاذ فجرح فى رأسه أو فى رجله أصابه بعض أسيافنا ، قال : فخرجنا حتى سلكنا على بنى أمية بن زيد ، ثم على بنى قريظة ، ثم على بعاث حتى أسندنا [٤] فى حرة العريض [٥] وقد أبطأ عنا صاحبنا الحارث بن أوس ونزفه الدم ، فوقفنا له ساعة ، ثم أتانا يتبع آثارنا ، فاحتملناه فجئنا به رسول الله ﷺ وهو قائم يصلى ، فسلمنا عليه فخرج إلينا فأخبرناه بقتل عدو الله ، وتفل [٦] على جرح صاحبنا ، ورجعنا إلي أهلنا ، فأصبحنا وقد خافت يهود تبعتنا [٧] ، فليس بها يهودى إلا وهو يخاف على نفسه .

* أمر محيصة وحويصة :

وقال رسول الله ﷺ : من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه ، فوثب محيصة بن مسعود على أبى سنينة [٨] ، رجل من تجار يهود ، وكان يلابسهم ويبايعهم فقتله ، وكان حويصة بن مسعود إذ ذاك لم يسلم فقال لمحيصة ، وكان أسن منه [٩] ، لما قتله ، وجعل يبصره [١٠] : يا عدو الله أقتلته أما والله لَرُبَّ شحم فى بطنك من ماله ! فقال محيصة : والله لقد أمرنى بقتله من لو أمرنى بقتلك لضربت

(١) عند ابن هشام : « إلاّ قد أوقدت » .

(٢) أى وضعت المغول (الحديدة) .

(٣) أى ما بين السرة والعانة .

(٤) أى ارتفعنا .

(٥) فى ضواحى المدينة وهى أرض ذات حجارة سوداء .

(٦) أى بصق بصقا خفيفاً .

(٧) أى طلبنا لهم .

(٨) كذا عند ابن هشام .

(٩) أى أكبر منه .

(١٠) عند ابن هشام : « فلما قتله جعل حويصة يضربه ويقول : أى عدو الله » .

عنقك قال : فقال : والله إن دينًا بلغ بك هذا لدين له شأن ، انطلق إلى صاحبك حتى أسمع منه ، فانطلق إلى رسول الله ﷺ عليه ، فكان أول إسلام حُوَيصة فقال مُحيِّصَة :

يَلومُ ابن أُمِّى لَو أمِـــــرتُ بِقَتْله … لَطبقــتُ ذَفْراه بأبيــضَ قَاضِبِ
حُسام (١) كَلونُ الملح أخلَصَ صقلَهُ … متَى مَا أصــــوبه فَليس بكاذبِ
وَما سَـــــرَّنِى أنِّى قَتَلْتُكَ طَائِعاً … وأن لنا مــا بين بُصــرى فمأربِ

وقال على بن أبى طالب ؓ فى قتل ابن الأشرف :

عَرفتُ وَمَنْ يعتدل يَعْرِف … وأيقنـــت حقًّا فلم أصْدفِ
عن الكَلِم المحكمات التى … مــنَ الله ذى الرَّأفة الأرأفِ
رَسائلُ تُدرَس فى المُؤمنينَ … بِهن اصطــفى أحمد المصطفى
فَأصبح أحمدُ فينا عَزيزًا … عَزيز المقـــامَة والموقفِ
فَيا أيها الموعدوه سَفاهًا … ولم يأت حُوبًا (٢) ولَم يعنفِ
ألَستُم تَخافون أدنى العذاب … وَما آمــنَ الله كالأخوفِ
وأن تَصرعُوا تحتَ أسيَافه … كَمصرع كَعب أبــى الأشرفِ
غَداةَ رأى اللهُ طُغيَــــانَهُ … فَأعرضَ كالجَمــــلِ الأجنَفِ
فَأنزل جبريلُ فى قَتله … بوَحيٍ إلـــى عَبْده مُلْطفِ
فَدس الرسول رَسولاً إليه … بِأبيــــضَ ذى هبَّة مُرهَفِ
فَبَاتتْ لـــــه عيون مغولا … ت ومتى دَمعِ كَعْبٍ لَها تَذرفِ
فَقُلنا لأحمدَ ذَرنا قليلاً … فَإنا منَ القـــوم لَم نشتَفِ
فَأجلاَهم ثم قـــال اظعَنُوا … دُحُوراً علـــى رَغم الآنفِ
فَأجلى النَّضيرَ إلـــى غُربَة … وكانوا بـــدار ذَوى زُخرفِ
إلى أذرُعَات رَد أفاوهـــم … على كـــلِ ذِى دبَر أعجفِ

وكانت إقامة رسول الله ﷺ بالمدينة بعد قدومه من بحران جمادى الآخرة ورجبًا وشعبان ورمضان وغزته قريش غزوة أُحد فى شوَّال سنة ثلاث .

* * *

(١) من أسماء السيف : حسام : أى سيف بتار قاطع . (٢) أى إثما .

غَزْوَةُ أُحُد (١)

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحَرَّانى قال : أنا النّفيلى عن محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال : وكان من حديث أُحد كما حدثنى محمد بن مُسلم بن عُبيد الله الزُّهرى ، ومحمد بن يحيى بن حبَّان ، وعاصم بن عمر بن قتادة والحُصين ابن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا كلٌّ قد حدثنى بعض الحديث عن يوم أُحد ، فاجتمع حديثهم كله فيما سقت من هذا الحديث عن يوم أحد ، قال : لما أصيبت قريش ؛ أو من قاتله منهم ببدر وأصحابُ القليب من كفار قريش ؛ فرجع فلُّهم (٢) إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بن حرب بعيره (٣) مشى عبد الله بن أبى ربيعة وعكرمة بن أبى جهل وصفوان بن أُمية فى رجال من قريش ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر وكلَّموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له فى تلك العير تجارة فقالوا : يا معاشر قريش إن محمداً قد وتركم (٤) وقتل رجالكم وخياركم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا أن ندرك منه ثأرنا بما أصاب منا ، ففيهم فيما ذكرلى بعض أهل العلم أنزل الله : ﴿ **إن الذين كفروا يُنفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون** ﴾ (٥) .

فلما فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب تلك العير أجمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ بأحابيشها (٦) ومن أطاعهم من قبائل بنى كنانة وأهل تهامة ، كل أولئك قد استغووا على حرب رسول الله ﷺ . وكان أبو عزيز بن عمرو بن عبد الله الجُمحى (٧) قد منَّ عليه رسول الله ﷺ وعاهده أن لا يظاهر عليه ، فأجمعت

(١) كانت غزوة أحد فى السنة الثالثة من الهجرة فى شهر شوّال .

(٢) أى من بقى منهم من المنهزمين .

(٣) زيادة من عند ابن هشام .

(٤) أى قتل أهلكم وأحبابكم .

(٥) سورة الأنفال : الآية ٣٦ .

(٦) أى من اجتمع إلى العرب وانضم إليهم من غيرهم .

(٧) عند ابن هشام : « أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحى » .

قريش السير إلى أحد ، قال صفوان بن أُمية : يا أبا عزيز إنك امرؤ شاعر فأعنَّا بلسانك واخرج معنا ، فقال : إن محمدًا قد منَّ علىَّ ، ولا أريد أن أظـــاهر عليه أحدًا ، قال : بلى فأعنَّا بنفسك ، فلك إن رجعت أن أغيثك ، فإن أُصبت أجعل بناتك مع بناتى يصيبهن ما أصابهن من عُسر ويسر ، فخرج أبو عزيز يسير فى تهامة يدعو بنى كنانة يقول :

يا بَنى عَبد مَناة الزرَّام [١] أَنتُم بَنُو الحرب ضَرَّابُـو الهَامْ

أَنتُم حُمَاةُ وَأبوكُمُ حَــام لاَ تَعْدُونى نَصْركم بعـد العَامْ

لا تسلمونى لا يحل إسلام [٢]

* جُبير بن مُطعِم يحرض وحشيًّا على قتل حمزة :

ثم دعا جُبير بن مُطْعم بن عدى بن نوفل غلامًا له [٣] يقال له وحشى ، وكان حبشيًا يضرب بحربة له قذف الحبشة قلَّ ما يخطىء بها [٤] فقال : اخرج مع الناس فإن أنت قتلت عم محمد - يعنى حمزة - بعمى طُعيمة بن عدى فأنت عتيق - وكان طعيمة ممن قتل الله يوم بدر - فخرجت قريش بحدِّها وحديدها وأحابيشها ومن تبعها من كنانة وأهل تهامة وخرجوا بالظعن [٥] التماس الحفيظة لئلا يفروا ، فخرج أبو سفيان وهو قائد الناس معه بهند ابنة عُتبة بن ربيعة [٦] ، وخرج صفوان بن أُميَّة بن خلف ببرزة ابنة مسعود بن عمرو بن عُمير الثقفية وهى أم عبد الله بن صَفوان ؛ وخرج عمرو بن العاص بريطة بنت منبِّه بن الحجاج وهى أم عبد الله بن عمرو ، وكانت هند بنت عُتبة كلما مرت بوحشى أو مرَّ بها قالت : أبا دســـمة اشف

(١) عند ابن هشام « الرزَّام » وهى جمع رازم وهو الذى يثبت فى الحرب ولا يفر .

(٢) اختلف ترتيب الأبيات عند ابن هشام عما جاء هنا .

(٣) أى عبدًا له .

(٤) دليل على قوته وجلده وبسالته .

(٥) أى بالنساء فى الهوادج ، وكان ذلك من عادة العرب أن يخرجوا معهم النساء حتى لا يهابوا المعركة ولكى يستميتوا فى القتال حتى لا تسبى نساؤهم .

(٦) زوجته ، وكانت تحرض المشركين هى والنساء معها على الاســتماتة فى قتال المسلمين .

واشتف [١] ، وكان وحشى يكنى بأبى دسمة ، فأقبلوا حتى نزلوا ببطن السبخة من قناة على شفير الوادى مما يلى المدينة [٢] . فلما سمع بهم رسول الله ﷺ والمسلمون قد نزلوا حيث نزلوا قال رســول الله ﷺ للمسلمين : إنى قد رأيت نفرًا [٣] ، ورأيت فى ذباب سيفى ثلمًا [٤] ، ورأيت أنى أدخلت يدى فى درع حصينة فتأولتها [٥] المدينة ، فإن رأيتم أن تقيموا وتدعوهم حيث قد نزلوا ، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام ، وإن دخلوا علينا قاتلناهم فيها .

* الرسول ﷺ يشاور المسلمين فى الخروج وانخذال المنافقين :

ونزلت قريش منزلها بأحد يوم الأربعاء فأقاموا بها ذلك اليوم ، ويوم الخميس ويوم الجمعة ، وراح رسول الله ﷺ حين صلاة الجمعة فأصبح بالشِّعب من أُحد ، فالتقوا يوم السبت فى النصف من شوال سنة ثلاث ، وكان رأى عبد الله بن أُبَى بن سلول مع رسول الله ﷺ يرى رأيه فى ذلك « ألاَّ يخرج إليهم » ، وكان رسول الله ﷺ يكره الخروج من المدينة فقال رجال من المسلمين ، ممن أكرمهم الله بالشهادة يوم أُحد ، وغيرهم ممن كان فاتته بدر وحضروه : يا رسول الله اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنا جَبُنَّا عنهم أو ضعفنا ، قال عبد الله بن أُبَى ابن سلول : يا رسول الله أقم بالمدينة فإن أقاموا أقاموا بشر مجلس ، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا ، وإن دخلوها قاتلهم الرجال فى وجوههم ، ورماهم الصبيان والنساء بالحجارة من فوقهم فلم يزل الناس برسول الله ﷺ ، الذين كان من أمرهم حب لقاء الله ، حتى دخل

---

(١) أبا دسمة هى كنية وحشى ، والمقصود بقول : اشف أى اشف غليلى وغيظى بقتل حمزة واشتف حتى تعتق وتكون حرًا ، وذلك أن مطعم بن جبير وعده أن يعتقه إذا قتل حمزة عم الرسول ﷺ ووعدته هند أن تعطيه قرطها وقلائدها فلذلك قالت له : اشف واشتف مثل قول العامة الآن : نفع واستنفع .

(٢) مكان يسمى عينيز مقابل المدينة .

(٣) عند ابن هشام : « رأيت بقرًا » وذكر تفسير الرسول ﷺ لها أن البقر : ناس من الصحابة يقتلون ، والثلم : رجل من أهل بيت الرسول ﷺ يقتل . وقد حدث الاثنان - استشهد عدد من المسلمين ، وحمزة رضى الله عنهم .

(٤) ثلم السيف : أى صيره غير ماضى القطع ، انظر المعجم الوجيز ص ٨٧ .

(٥) عند ابن هشام : « فأوَّلتها » .

رسول الله ﷺ بيته فلبس لأمتهُ (١) ، وذلك؛ يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة ، وقد مات فى ذلك اليوم رجل من الأنصار يقال له مالك بن عمرو أحد بنى النجار ، فصلى عليه رسول الله ثم خرج وقد ندم الناس وقالوا : استكرهنا (٢) رسول الله ﷺ . فقالوا : يا رسول الله استكرهناك ، اقعد ، ولم يكن لنا ذلك صلى الله عليك ، فقال : رسول الله عليه الصلاة والسلام : ما ينبغى إذا النبى لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل ، فخرج رسول الله فى ألف من أصحابه (٣) حتى إذا كان بالشوط بين المدينة وأُحد انخذل عنه عبد الله بن أُبى ابن سلول بثلث الناس ، وقال : أطاعهم وعصانى ، والله ما ندرى على ما نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس ، ثم رجع معه من قومه من أهل النفاق وأهل الرِّيَب (٤) ، واتبعهم عبد الله بن عمـرو بن حَرَام أخو بنى سَلِمَة (٥) يقول : يا قوم أذكركم الله أن لا تخذلوا نبيكم وقومكم عندما حضر من عدوكم قالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم ولكنا لا نرى أن يكون ، فقال فلما استصعبوا عليه وأبَوا إلاَّ الانصراف عنهم قال : أبعدكم الله أعداء الله فسيغنى الله عنكم ، ومضى رسول الله ﷺ حتى سلك حرة بنى حارثة فذب فرس بذنبه (٦) فأصاب كلاَّب سيف فاستله (٧) فقال رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ يحب الفأل ولا يعتا (٨) ، لصاحب السيف : شم (٩) سيفك فإنى أرى أن السيوف ستسل اليوم ، ثم قال رسول الله ﷺ لأصحابه : مَنْ رجل يخرج بنا على القوم من كثب - أى قريب - من طريق لا يمر بنا عليهم ؟ فقال أبو خَيْثمة ، أخو بنى حارثة بن الحارث : أنا يا رسول الله فنفذ به فى حرة بنى حارثة ، وبين أموالهم حتى يسلك به

---

(١) أى عدة الحرب .

(٢) أى ألححنا عليه حتى خرج وهو كاره الخروج - وليس هذا حقا .

(٣) استخلف الرسول ﷺ ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس بالمدينة .

(٤) أى الشك .

(٥) كان مسلمًا ولم يكن منافقًا مثل عبد الله بن أبى ابن سلول .

(٦) أى حركه ليبعد به الذباب .

(٧) كلاَّب السيف : أى المسمار الذى فى مقبضه .

(٨) عند ابن هشام « ولا يعتاف » أى لا يتطير ولا يتشاءم .

(٩) أى أدخل سيفك فى غمده .

في مال لربعي بن قيْظي [١] ، وكان رجلاً منافقًا ضرير البصر ، فلما حسّ برسول الله ﷺ ومن معه قام يحثو في وجوههم التراب وهو يقول : إن كنت رسول الله فلا أحل لك أن تدخل حائطي [٢] ، وقد ذكر لي أنه أخذ حفنة من تراب بيده ثم قال : والله لوْ أعلم أني لا أصيب بها غيرك لضربت بها وجهك ، فابتدره القوم ليقتلوه فقال لهم [٣] : هذا الأعمى ، أعمى القلب والبصر وقد بدر إليه سعد أخو بني عبد الأشهل قبل نهي رسول الله ﷺ فضربه بالقوس في رأسه ، ومضى رسول الله ﷺ على وجهه حتى نزل بالشعب من أُحد من عدوة الوادي إلى الجبل ، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد ، وقال : لا يقاتل أحد حتى نأمره بالقتال ؛ وقد سرّحت قريش الظهر والكراع [٤] في زروع كانت بالصمغة [٥] من قناة ، فقال رجل من الأنصار حين نهى رسول الله ﷺ عن القتال : أتُرعى زروع بني قَيْلة [٦] ولمّا نضارب ؟! وتعبأ رسول الله ﷺ للقتال في سبع مائة رجل ، وتعبأت [٧] قريش وهم ثلاثة آلاف ، ومعهم مائتا فرس قد جنبوها ، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل ، وأمّر رسول الله ﷺ على الرماة وهم خمسون رجلاً عبد الله بن جُبير أخا بني عمرو بن عوف ، وهو يومئذ مُعلم بثياب بياض ، وقال : انضح عنا الخيل [٨] بالنبل لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا ، اثبت مكانك لا نؤتين من قبلك [٩] ، وظاهر رسول الله عليه السلام بين درعين [١٠] ، وقال : من يأخذ هذا السيف بحقّه ؟ فقام إليه رجال ، فأمسكه عنهم ، حتى قام إليه أبو دجانة سماك بن خرشة ، أخو بني ساعدة ، فقال : وماحقه

---

(١) عند ابن هشام « لمربع بن قيظي » .

(٢) أي بستاني .

(٣) هنا زيادة من عند ابن هشام « لا تقتلوه » .

(٤) أي تركت إبلها وخيلها .

(٥) أرض قريبة من أُحد .

(٦) هم الأوس والخزرج ، وقد نسبوا إلى قيلة وهي من أمهات الأنصار .

(٧) تجهزت واستعدت .

(٨) أي ادفعهم عنا وارمهم .

(٩) أي لانهزم من ناحيتك وبسببك .

(١٠) أي لبس درعين أحدهما فوق الآخر .

يا رسول الله ؟ قال أن تضرب به القوم حتى ينثنى ، قال : أنا آخذه يا رسول الله بحقه ، فأعطاه إيَّاه وكان أبو دُجانة رجلاً شجاعًا يختال عند الحرب إذا كانت ، وكان إذا عُلِّم بعصابة له حمراء يعصبها على رأسه علم الناس أنه سيقاتل ، فلما أخذ السيف من يد رسول الله أخرج عصابته تلك فعصب بها رأسه ، فجعل يتبختر بين الصفين .

* أبو دُجانة يستعرض قوته أمام الأعداء :

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرانى قال : أنا النُّفيلى قال : أنا محمد بن سَلَمَة عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى جعفر بن عبد الله بن أسْلَم مولى عمر بن الخطاب عن رجل من الأنصار من بنى سَلَمَة قال : قال رسول الله ﷺ ، حين رأى أبا دُجانة يتبختر : إنها لمشية يبغضها الله إلاَّ فى هذا الموطن [١] .

* ما فعله أبو عامر الفاسق :

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحَرَّانى قال : أنا النُّفيلى قال : أنا ابن سَلَمَة عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى عاصم بن عمر بن قَتَادة أن أبا عامر (عبد عمرو ابن) [٢] صيفى بن مالك بن النعمان بن أمية أحد بنى ضبيعة قد كان خرج حين خرج من مكة مباعداً لرسول الله عليه السلام بخمسين غلامًا من الأوس منهم عثمان بن حُنيف ، وبعض الناس يقول كانوا خمسة عشر ، فكان أبو عامر يعد قريش ، أن لو قد لقى قومه لم يتخلف منهم رجلان ، فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر فى الأحابيش وعبدان أهل مكة فنادى : يا معاشر الأوس أنا أبو عامر ، فقالوا : لا نعم الله بك عينًا يا فاسق ، وكان أبو عامر يسمى فى الجاهلية الراهب ، فسماه رسول الله ﷺ الفاسق ، فلما سمع ردهم عليه ، قال : لقد أصاب قومى بعدى شر ، ثم قاتلهم قتالاً شديداً ، وأضمخهم [٣] بالحجارة ، فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قامت هند بنت عُتبة فى النسوة اللاتى معها ، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرِّضنهم ، فقالت هند فيما تقول :

---

(١) لإظهار القوة للكفار لكى يغيظهم ويخافوه .

(٢) زيادة من عند ابن هشام .

(٣) عند ابن هشام « راضخهم » أى رماهم .

نحنُ بنَـــات طَارقْ
إنْ تُقْبلوا (١) نعــانقْ
ونَفرشُ النمـــارقْ
وإنْ تُدْبروا (٢) نُفَارقْ
فراقٌ غَيْرُ وامــقْ (٣)

فاقتتل الناس حتى حميت الحرب وقاتل أبو دجانة سماك بن خرشة حتى أمعن فى العدو ، وحمزة ، وعلى بن أبى طالب فى رجال من المســلمين ؛ فأنزل الله نصره ، وصدقهم وعده ، فحســوهم بالسيوف حتى كشفوهم ، وكانت الهزيمة لا يشك فيها .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحَرَّانى قال : أنا النُّفيلى قال : أنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال : أنا يحيى بنُ عبَّاد بن عبد الله بن الزبير عـــن أبيه عن عبد الله بن الزبير عن الزبير قال : لقد رأيتنى أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ما دون أخذهن قليل ولا كثير ، إذ مالت الرماة عن العسكر ، حين كشفنا القوم عنه ، يريدون النهب ، وخلوا ظهورنا للخيل ، فأُتينا من أدبارنا (٤) ، وصرخ صارخ ألا إن محمداً قد قتل (٥) ، فانكفأنا وانكفأوا علينا ، بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد من القوم ، فانكشف المسلمون فأصاب منهم العدو (٦) ، فكان يوم بلاء وتمحيص أكرم الله من أكرم بالشهادة ، وكان من المسلمين فى ذلك اليوم لما أصابهم فيه من شدة البلاء ثلاثًا : فثلث قتيل ، وثلث جريح وثلث

(١) أى تنتصروا .

(٢) أى تنهزموا .

(٣) والمعنى إن تنتصروا نقابلكم معانقين لكم ونعد لكم الفراش أحسن الإعداد ، وإن تنهزموا نبتعد عنكم بعد الكاره غير المحب .

(٤) أى من خلفنا .

(٥) وهذا ظن ووهم من ابن قميئة الليثى ؛ لأنه قتل مصعب بن عمير الذى كان يحامى عن الرسول ﷺ ويقاتل دونه فلما قتل ظن ابن قميئة أنه الرســول ﷺ فقال لقد قتلت محمداً .

(٦) أى قتل من المسلمين .

منهزم ، قد لقيته الحرب حتى ما يدرى ما يصنع ، حتى خلص العدو إلى رسول الله ﷺ ، فقُذف بالحجارة حتى وقع لشقة (١) ، وأصيبت رباعيته (٢) وشج فى وجنتيه (٣) ، وكُلمت (٤) شفتاه ، وكان الذى أصابه عُتبة بن أبى وقَّاص .

* بلاء ابن السَّكن وبسالته :

وقال رسول الله ﷺ حين غشيه القوم : من يشترى (٥) لنا نفسه كما حدثنى حُصَين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن محمد بن عمرو (٦) بن يزيد ابن السكن ، فقام زياد بن السَّكن فى خمسة نفر من الأنصار ، وبعض الناس يقول إنما هو عُمارة بن زياد بن السكن ، فقاتلوا دون رسول الله ﷺ رجلاً فرجل ، فيقتلون دونه حتى كان آخرهم زياد بن السكن أو عمارة بن زياد ، فقاتل حتى أثبتته الجراح ، ثم فاءت فئة (٧) من المسلمين فأجهضوهم (٨) عنه ، فقال رسول الله ﷺ : ادنوه منى ، فوسَّده رسول الله ﷺ على قدمه ، فمات وخده فوق قدم رسول الله ﷺ ، وترس أبو دُجانة رسول الله بنفسه يقع النبل فى ظهره وهو منحن حتى كثر فيه النبل ، ورمى سعد بن أبى وقاص دون رسول الله ﷺ ، قال سعد : فلقد رأيته يناولني النبل ويقول : ارمن فداك أبى وأمى ، حتى إنه ليناولنى السهم ما له من نصل فيقول ارم به .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرَّانى قال : أنا النُّفيلى قال : أنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى عاصم بن عُمر بن قتادة أن رسول الله ﷺ رمى عن قوسه حتى اندقت سيتُها (٩) ، فأخذها قتادة بن النعمان فكانت عنده ، وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته .

---

(١) أى وقع ﷺ فى ناحية من الجبل لجنبه .
(٢) أى السن التى بين الثنية والناب ، وقد كسرت رباعيته ﷺ اليمنى السفلى .
(٣) أى جُرح فى خدَّيه الشريفين .
(٤) أى جُرحت .
(٥) عند ابن هشام : « من يشرى » .
(٦) عند ابن هشام : « محمود بن عمرو » .
(٧) أى رجعت عليهم جماعة من المسلمين .
(٨) أى غلبوهم .
(٩) أى طرفها .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عُمر بن قتادة ، أن رسول الله ﷺ (١) ردها بيده فكانت أحسن عينيه وأحدَّهما .

وقاتل مصعب بن عُمير دون رسول الله ﷺ ومعه لواؤه حتى قتل ، فكان الذى أصابه ابن قميئة الليثى ، وهو يظن أنه رسول الله ﷺ ، فرجع إلى قريش فقال : قد قتلت محمدًا ، فلما قُتل مُصعب أعطى رسول الله ﷺ علـــى بن أبى طالب اللواء ، وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أرطأة بن شرحبيل بن هاشم ابن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصى ، وكان أحد النفر الذين يحملون لواء قريش ، ثم مر به سباع بن عبد العُزَّى الغيشانى وكان يكنى بأبى نيار فقال له حمزة : هلم إلىَّ يا ابن مقطِّعة البظور (٢) فضربه فكأن ما أخطأ رأسه ، وكانت أم نيار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفى ختَّانة بمكة ، فلما التقيا ضربه حمزة فقتله ، وقال وحشى غلام جبير بن مُطعم : والله إنى لأنظر إلى حمزة يهدُّ الناس بسيفه ما يُليق (٣) شيئًا مثل الجمل الأورق (٤) إذ تقدمنى إليه سباع بن عبد العزى فقال له حمزة هلمَّ إلىَّ يا ابن بنت مقطعة البظور فضربه فكأنَّ ما أخطأ رأسه ، وهززت حربتى حتى إذا رضيت منها ذفقتها عليه حتى وقعت فى ثُنَّته (٥) حتى خرجت من بين رجليه ، وأقبل فقلب ، فأمهلته حتى إذا ما مات جئت إليه فأخـــذت حربتى ، ثم تنحيت إلى العسكر ، ولم يكن لى بشىء حاجة غيره (٦) . وقد قتل عاصم بن ثابت بن الأقلح أخو بنى عمرو ابن عوف مُسافع بن طلحة وأخاه جلاسًا ، كلاهما يشعره سهمًا ، فيأتى أمه سُلافة فيضع رأسه فى حجرها ، فتقول : يا بنى ما أصابك ؟ فيقول : سمعت رجلاً حين رمانى يقول : خذها إليك وأنا ابن الأقلح فتقول أقلحى هو ؟ فنذرت إن الله أمكنها من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر ، وكان عاصم قد أعطى الله عهدا ألاَّ يمس مشركًا ولا يمسه أبدًا .

---

(١) زيادة من عند ابن هشام .

(٢) وكانت أمه تختن البنات .

(٣) أى لا يبقى أحدًا دليلا على شجاعته .

(٤) أى أغبر لما عليه من تراب المعركة .

(٥) ما بين بطنه وعانته .

(٦) فى هذا دليل على أن مهمته كانت قتل حمزة فقط .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرَّانى قال : أنا النُّفَيلى قال : أنا محمد بن سَلَمَة عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بنى عدى ابن النجار قال : انتهى أنس بن النضر - وهو عم أنس بن مالك ، وبه سمى أنس أنسًا - إلى عمر بن الخطاب ، وطلحة بن عُبيد الله ﷺ فى رجال من المهاجرين والأنصار وقد ألقوا بأيديهم فقال : ما يجلسكم ؟ قالوا : قتل رسول الله ﷺ قال : فما تضنون [١] بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ ، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرَّانى قال : أنا النُّفيلى قال : أنا محمد بن سَلَمَة عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى حُميد الطويل عن أنس بن مالك قال : لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ سبعين ضربة ما عرفَته إلا أخته ، عرفت بنانه [٢] .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرَّانى قال : أنا النُّفيلى قال : أنا محمد بن سَلَمة عن محمد بن إسحاق قال : كان أول من عرف رسول الله ﷺ بعد الهزيمة ، وقول الناس قتل رسول الله ، كما حدثنى ابن شهاب الزُّهرى عن عبد الله بن كعب بن مالك أخو بنى سلمة قال : قال كعب : عرفت عينيه تزهران من تحت المغفر فناديت بأعلى صوتى : يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله ﷺ ، فأشار إلىَّ أن أنصت ، فلما عرف المسلمون رسول الله ﷺ نهضوا به ، ونهض معهم نحو الشِّعب ، معه : أبو بكر بن أبى قُحافة ، وعُمر بن الخطاب ، وعلى بن أبى طالب ، وطلحة بن عُبيد الله ، والزبير بن العوام ، والحارث بن الصمة رضى الله عنهم أجمعين ، فى رَهْط من المسلمين ، فلما أسند رسول الله ﷺ فى الشِّعب ، أدركه أُبى بن خلف وهوً يقول : أين يا محمد أين محمد لا نجوتُ إن نجوتَ ، فقال القوم : أيعطف عليه يا رسول الله رجل منا ؟ فقال : دعوه فلما دنا تناول رسول الله الحربة من الحارث بن الصمة ، يقول بعض القوم فيما ذكر لى . فلما أخذها رسول الله ﷺ انتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعر [٣] من ظهر البعير إذا انتفض بها ، ثم استقبله فطعنه بها طعنة تردى بها عن فرسه مراراً .

---

(١) عند ابن هشام : « تصنعون » .

(٢) أى طرف إصبعه .

(٣) عند ابن هشام : « الشعراء » وهو ذباب يلدغ كالعقرب .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرَّانى قال : أنا النُّفيلى قال : أنا محمد بن سَلَمَة عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال : كان أُبَى بن خلف يلقى رسول الله ﷺ بمكة فيقول : يا محمد إن عندى العوز [١] أعلفه كل يوم فرقًا من ذرة أقتلك عليه فيقول : بل أنا أقتلك إن شاء الله ، فرجع إلى قريش وقد خدشه خدشًا فى عنقه غير كبير فاحتقن الدم فقال : قتلنى والله محمد ، قالوا : ذهب والله فؤادك أن كان بك بأس ، قال : إنه قد كان قال لى بمكة : بل أنا أقتلك ، فوالله لو بصق علىَّ لقتلنى ، فمات عدو الله بسرف [٢] وهم قافلون [٣] به إلى مكة . فقال حسان بن ثابت فى قتل رسول الله أبيًّا وقوله له بمكة ما قال :

لقد وَرِثَ الضَّلالَة عن أَبيهِ ... أُبىٌّ حينَ بَارزَهُ الرَّسولُ

فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى فم الشعب خرج على بن أبى طالب رحمة الله عليه بالدرقة حتى ملأها ماء من المهراس [٤] . ثم جاء به إلى رسول الله ﷺ فوجد له ريحًا فعافه [٥] فلم يشرب منه ، وغسل عن وجهه الدم وصب على رأسه وهو يقول : اشتد غضب الله على من دمَّى وجه رسول الله [٦] .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرَّانى قال : أنا النُّفيلى قال : أنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى صالح بن كيسان عمن حدثه عن سعد بن أبى وقَّاص أنه كان يقول : ما حرصتُ على قتل أحد ما حرصت على قتل عُتبة بن أبى وقَّاص [٧] ، وإن كان ما علمت لسيء الخلق مبغضًا فى قومه ولقد كفانى منه قول رسول الله : اشتد غضب الله على من دمَّى وجه رسوله ، فبينما رسول الله ﷺ فى الشِّعب معه أولئك النفر من أصحابه إذ علت عالية على الجبل، فقال رسول الله :

---

(١) عند ابن هشام : « العوذ » اسم فرس

(٢) مكان قريب من مكة .

(٣) راجعون .

(٤) حجر فيه ماء بجوار بئر فى أُحد .

(٥) أى كرهه .

(٦) يقصد عتبة بن أبى وقاص ومن أصابه .

(٧) وذلك لأنه هو الذى جرح الرسول ﷺ فى أُحد .

إنه لا ينبغى لهم أن يعلونا ، فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم عن الجبل ، ونهض رسول الله إلى صخرة من الجبل ليعلوها ، وكان قد بدن [١] وظاهر رسول الله بين درعين ، فلما ذهب لينهض لم يستطع ، فجلس تحته طلحة بن عُبيد الله ، فنهض به حتى استوى عليها .

أخبرنا عبد الله بن الحسن قال : أنا النُّفيلى قال : أنا محمد بن سَلَمَة عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير (عن الزبير) [٢] قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول أوجب طلحة حين صنع ما صنع برسول الله ، وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله ﷺ حتى انتهى بعضهم إلى المنَقَّى دون الأعوص [٣] ، وفر عثمان بن عفان ، وعقبة بن عثمان ، وسعد بن عثمان رجلان من الأنصار ، ثم من بنى زريق حتى بلغوا الجَلْعب جبلاً بناحية المدينة ، فأقاموا به ثلاثًا ثم رجعوا إلى رسول الله عليه السلام ، فقال رسول الله فيما زعموا لقد ذهبتم فيها عريضة .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرَّانى قال : أنا النُّفيلى قال : أنا محمد بن سَلَمَة عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى عاصم بن عُمر بن قَتادة عن محمود بن لبيد عن حنظلة بن أبى عامر أخو بنى عمرو بن عوف أنه التقى هو وأبو سفيان بن حرب ، فلما استعلاه حنظلة ، رآه شداد بن الأسود ، وكان يقال له ابن شعوب قد علا أبا سفيان ، فضربه شداد فقتله ، فقال رسول الله إن كان صاحبكم - يعنى حَنْظلة لتغسله الملائكة [٤] فسألوا أهله ما شأنه ؟؟ فسئلت صاحبته ، فقالت : خرج وهو جُنب حين سمع الهائعة [٥] ، فقال رسول الله : لذلك غسلته الملائكة [٦] .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرانى قال : أنا النفيلى قال : أنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال : قد وقفت هِنْد بنت عُتبة كما حدثنى صالح بن كيسان

---

(١) أى سمن جسده .

(٢) زيادة من عند ابن هشام .

(٣) موضعان قرب المدينة .

(٤) ويسمى غسيل الملائكة .

(٥) أى مُنادى الجهاد مع رسول الله ﷺ .

(٦) وكان حديث عهد بعرس رضي الله عنه .

والنسوة الآتون معها يمثّلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ يُجدّعن الآذان (١) والآناف حتى اتخذت هند من أذان الرجال وآنافهم خذمًا وقلائد ، وأعطت خذمها (٢) وقلائدها وقرطيها وحشيًا غلام جُبير بن مُطْعِم ، وبقرت عن كبد حمزة (٣) ، فلاكتها (٤) فلم تستطع أن تسيغها ، ثم علت على صخرة فصرخت بأعلى صوتها وقالت ، من الشعر حين ظفروا بما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ :

نَحنُ جزيناكم بيومِ بَدْر

فأجابتها هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف فقالت :

خَزيتِ في بدر وبعد بدرِ

ثم إن أبا سفيان حين أراد الانصراف علا الجبل ثم صرخ بأعلى صوته :

أَنْعَمت فَعَالْ إن الحَرْب سجَالْ

يَوْمٌ بيَوْمِ بَدْرٍ أَعْلُ هُبَلْ

أي ظهر دينك - فقال رسول الله لعمر - رحمة الله عليه قم فأجبه :

اللهُ أَعْلاَ وأَجَلْ لاَ سَوَاء

قتلانا في الجنةِ وقَتْلاكُم في النارِ

فلما أجاب أبا سفيان قال : هلم إلى يا عمر ، فقال له رسول الله : ائته فانظر ما شأنه ، فقال له أبو سُفيان : أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمدًا ؟ قال : اللهم لا ، وإنه ليسمع كلامك الآن . قال فأنت والله أصدق عندى من ابن قَمِيئة (٥) وأبر ، لقول ابن قميئة : قتلت محمدًا ، ثم نادى أبو سفيان : إنه قد كان في قتلاكم مُثْلٌ (٦) ، والله ما رضيت وما سخطتُ وما أمرتُ ولا نهيتُ ، ولما انصرف أبو سفيان ومن معه نادى : إن موعدكم بدر العام المقبل ، فقال رسول الله لرجل من أصحابه :

---

(١) أي يقطعن آذانهم .

(٢) عند ابن هشام : « خدمها » أي خلخالها .

(٣) أي شقت بطنه وأخرجت كبده ﵁ .

(٤) أي مضغتها .

(٥) ذلك المشرك الذى قتل مصعب بن عمير وظنه الرسول ﷺ .

(٦) أي تمثيل بجثث الشهداء .

قل : نعم هى بيننا وبينك موعدًا ، ثم بعث رسول الله ﷺ على بن أبى طالب فقال : اخرج فى إثر [١] القوم فانظر ماذا يصنعون ، وماذا يريدون ، فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل (فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل) [٢] فإنهم يريدون المدينة ، والذى نفسى بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ، ثم لأناجزنهم ، قال علىّ رحمة الله عليه ورضى عنه فخرجت فى إثرهم أنظر ماذا يصنعون ، فلما جنبوا الخيل ، وامتطوا الإبل ، ووجهوا إلى مكة ، أقبلت أصيح ما أستطيع أن أكتم ما أمرنى به رسول الله ﷺ لما بى من الفرح إذا رأيتهم انصرفوا عن المدينة [٣] .

* الرسول ﷺ يتفقد القتلى :

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرَّانى قال : أنا النُّفيلى قال : أنا محمد بن سَلَمَة عن محمد إسحاق قال : وفزع الناس لقتلاهم ، فقال رسول الله كما حدثنى محمد ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى [٤] صَعصعة المازنى أخو بنى النجار : مَن رجل ينظر لى ما فعل سعد بن الربيع أخو بلحارث بن الخزوج فى الأحياء أو فى الأموات ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل ، فنظر فوجده جريحًا فى القتلى ، به رمق ، فقال له : إن رسول الله أمرنى أن أنظر له فى الأحياء أنت أم فى الأموات ، قال : فأنا فى الأموات فأبلغ رسول الله عنِّى السلام ، وقل له : إن سعد ابن الربيع يقول : جزاك الله عنا خيرا ما جزى نبيًّا عن أُمته ، وأبلغ قومك عنى السلام وقل : إن سعد بن ربيع يقول لكم : إنه لا عذر لكم عند الله إن يخلص إلى نبيكم ومنكم عين تطرف ، قال : ثم لم أبرح حتى مات رحمة الله عليه ، فجئت رسول الله فأخبرته خبره ، فخرج رسول الله - فيما بلغنى يلتمس حمزة بن عبد المطلب ، فوجده ببطن الوادى قد بقر بطنه عن كبده ، ومُثِّل به وجدع أنفه وأذناه .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرَّانى قال : أنا النُّفيلى قال : أنا محمد بن سَلَمَة

(١) أى تتبع خطواتهم . (٢) زيادة من عند ابن هشام .

(٣) وفى هذا أقوى دليل على أن المسلمين كانوا لا يحبون سفك الدماء ولا الحرب .

(٤) زيادة من عند ابن هشام .

عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير أن رسول الله ﷺ قال حين رأى ما رأى : لولا أن تحزن صفية [١] أو تكون سنة من بعدى ما غيبته ولتركته حتى يكون فى بطون السباع وحواصل الطير ، ولئن أنا أظهرنى الله على قريش فى موطن لأمثّلن بثلاثين رجلاً منهم ، فلما رأى المسلمون حزن رسول الله ﷺ وغيظه على ما فُعل بعمه ، قالوا : والله لئن أظهرنا الله عليهم لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب بأحد قط .

* ما نزل من القرآن فى النهى عن المُثلة :

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرانى قال : أنا النفيلى قال : أنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال حدثنى بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمى عن محمد بن كعب القُرظِى ، وحدثنى من لا أتهم عن ابن عباس أن الله أنزل فى ذلك من قول رسول الله وقول أصحابه ﴿ **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين** ﴾ [٢] إلى آخر القصة فعفا رسول الله ﷺ وصبر ونهى عن المثل [٣] .

أخبرنا عبد الله بن الحسن قال : حدثنا النُّفيلى قال : أنا محمد بن سَلمة عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى حميد الطويل عن الحسن عن سُمْرة بن جندب أنه قال : ما قام فينا رسول الله ﷺ مقامًا ففارقه حتى يأمرنا بالصدقة وينهانا عن المثلة .

والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله وسلم تسليمًا وحسبنا الله ونعم الوكيل .

* * *

---

(١) هى صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ وأخت حمزة أسد الله .

(٢) سورة النمل : الآية ١٢٦ .

(٣) أى عن المُثلة (التمثيل بجثث الموتى) وهنا تدرك مدى تمسك النبى ﷺ بأوامر الله رغم ما فعله الكفار وما أصاب الرسول ﷺ من حزن وليس بعد قول الله تعالى قول .

فهرست الموضوعات

ا

ا:

إه

مة

مف

الت

مذ

الر

شُرُ

نس

تر-

نس

أسا

تلا

مك

مؤل

رح

تق

لماذا

انتق

وفات

مراج

ذكر

سيا

السل

أولا

عمر

حدي

المجلد الأول

* * *

انتهى المجلد الأول .. وإلى اللقاء
بإذن الله فى المجلد الثانى

رقم الإيداع ١٧٣٠٧/ ٩٨
الترقيم الدولى
I.S.B.N.
977 - 08 - 0795 - 8

NOTE:
THESE BOOKS ARE
SCANNED FOR OUR
CHILDREN KNOWLEDGE.
THANK TO BROTHER
NASIR UDDIN ARIF
TALIB DUA
NIZAR + AHMAD ALI